بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى جعل العقل مفتاح العلوم ، ومُدرك معانى المنطوق والمفهوم ، ومنشأ بيان المحقّق والموهوم ، ومُظهر بديع المنثور والمنظوم .

خطبة المؤلف

أحمَده حمدَ مَنْ بجزيل نعمه اعترف ، وأشكره شكر مَنْ وَرد مناهل فضله واغترَف . وأشهدأنه الربُّ الرحمن ، الذى خلق الإنسانوعلّمه البيان.وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبدُه ورسوله ، وحبيبه وخليله ، الذى تَلخَّص الدينُ بإرشاده أحسنَ تلخيص ، وتخلص مُتّبع هَديه من الجحيم أعظم تخليص.فكانت بَعثته مفتاح باب الخيرات ، والطريقَ الموصل إلى منهج المبرّات . صلى الله وسلم عليه وعلى آله الكرام ، وصحبه الأئمة الأعلام ، ماأغرب مبتدئ ببديع النظام ، وأعجب مُنتهٍ بحسن الختام ! !

وبعد ، فإن الفقير الحقير ، المعترفَ بالعجز والتقصير ، نظر الله إليه بعين العفو والغُفران ! ورضى عنه أتمّ الرضوان ! لمَّا كان متحلياً بحلية العلماء ، مستشعراً شعار الفضلاء ، وبُردُ الشبيبة قَشيب[1] وغُصن الصِّبا رطيب ، ومَرْبع الأمانى خصيب[2] والسعادة تَلحظه عيونُها[3] ، وتتوارد عليه أبكارها وعُونُها[4] ، لم يزل فى خدمة العلم وتأليفه ، وترتيبه وتصنيفه ، بقدر ما يَصل إليه

---

(١) البرد ـ بضم الباء ـ الثوب ، والقشيب : الجديد ، وأراد بجدة ثوب الشباب أنه فى مقتبل العمر .

(٢) المربع : المنزل الذى يسكن فى زمن الربيع ، وخصيب : عمه الخصب ونماء الزرع ، وأراد أن آماله عظيمة واسعة المدى كثيرة .

(٣) كأنه لحظ معنى قول الشاعر :

وإذا العناية لاحظتك عيونها نم فالمخاوف كلهن أمان

(٤) العون ـ بضم العين ـ جمع عوان ـ بفتح العين والواو ـ وهى النصف فى سنها .

علمه القاصر ، وحَسب ماينفذ فيه فهمه الفاتر ، وكان مِن جُملة ما حفظه من المتون، وعَلق بخاطره من الفنون، كتابُ تلخيص المفتاح، الذى هو فى بابه راحةُ الأرواح ، تغمد الله مؤلفه برحمته ورضوانه ! وأسكنه بَحابح[1] جنانه ! وفيه من الشواهد الشعرية مايُعزى[2] للأقدمين ، وما يُنسب للمولّدين ، إلا أنَّ أكثرها مجهول الأنساب ، مَغفول الأحساب[3] ، وربما عزّاه بعضُ شارحى الكتاب لغير قائليه ، ونسبه إلى غير أبيه : إما لاشتباهٍ فى الأوزان ، أو تماثل فى المعان ، ولم أر مَنْ عمل على تلك الشواهد شرحا يشفى العليل ، أو يَروى الغليل[4] غير أن شَيخنا المرحوم العلامة الجلالَ السيوطىّ سقى الله بمن صَوْب الرحمة ثراه ، وأكرم منزله ومَثواه ! عمل على بعضها تعليقاً لطيفاً لم يكمله ولم يخرج عن مسودته ، وكثيراً ما كانت نفسى تنازعنى للتصدّى لذلك ، وأقول لها : لست هنالك ، وأعللها بالمواعيد ، وهى تُقرب إلىَّ البعيد ، وتُسوِّل لى أنه أقرب إلىَّ من حبل الوريد ، فيقوى العزم ، ويستعمل الجزم ، ويُهمل الأخذُ بالحزم ، إلى أن آن أوانه ، وحان إبَّانه[5] فشمرت عن ساعد الاجتهاد ، واستعملت الجد فى تحصيل ذلك المراد ، وسلكت فيه مَنهج الاختصار ، ومَدرج الاقتصار ، ونَصيت[6] على أبحر تلك الشواهد العروضية ، ووضعت فى كل شاهد منها مايناسبه من نظائره الأدبية ، وذكرت ترجمة قائله إلاَّ مالم أطلع عليه بعد

---

(١) بحابح : جمع بحبوحة ، وهى فى الأصل وسط الدار .

(٢) يعزى : ينسب .

(٣) كذا ، والمعروف «مغفل الأحساب» أو «غفل الأحساب» بضم الغين وسكون الفاء فى الأخيرة ، وذلك لأن الفعل الثلاثى لايتعدى بنفسه فلا يؤخذ منه اسم المفعول .

(٤) الغليل : العطش ، أو شدته .

(٥) إبان الشىء ـ بكسر الهمزة وتشديد الباء ـ وقته .

(٦) أصله نصصت ، فقلب أحد الأمثال ياء كما فى تظنيت وتقضى ، والأصل تظننت وتقضض .

التفتيش فى كتب الأدب ، والتحرّى والاستقصاء فى الطلب ، ومَزجت فيه الجدّ بالهزل ، والحَزْن بالسهل .

وسميته بـ « معاهد التنصيص ، على شواهد التلخيص »

فجاء بحمد الله غريب الابتداء ، عجيبَ الاختراع ، بديعَ الترتيب ، رائع وصف التركيب ، مُفرداً فى فنّ الأدب ، كفيلا لمن تأمله بالعجب ، وهو وإن كان من جنس الفضول الذى ربما يستملّ ، أو هو بقول الحسود داخلٌ فى قسم المهمل ؛ فهو أمنية كان الخاطرُ يتمناها ، وحاجةٌ فى نفس يعقوب قَضاها [1] على أنه لا يخلو من فائدة فريدة ، ونكتة عن مَواطنها شَريدة ، ودُرَّة مستخرجة من قاع البحور ، وشَذرة [2] تُزيِّن بها قلائد النحور ، وعجائب تُحلّ لها الحُبَا [3] وغرائب يقول لها العقل السليم : مرحباً مرحبا ، ولئن خالط هذا القول هوى النفس ، أو ظنّ المغالاة به صادق الحدس

فالمرْء مفتونٌ بتأليفه ... وَنفسهُ فى مَدْحِه غاويهْ
وَالفضلُ مِنْ ناظره أن يَرى ... ماقد حَوى بالمقلة الراضيهْ
وَإنْ يَجدْ عَيباً يَكن ساتراً ... عَوارهُ بالمنَّةِ الوافيهْ

ومن تأمله بعين الإنصاف والرِّضى ، شهد بصدقِ هذا الوصف و بِصحته قَضى

وحين سهّل الله الوصول ثانيا إلى الممالك الرومية، لازالت من المكاره محميه! استوطَن منها قسطنطينية العظمى ، لازالت من الله فى وقاية وحمى !

---

(١) مأخوذ من قوله تعالى : (لا حاجة فى نفس يعقوب قضاها) من الآية ٦٨ من سورة يوسف .

(٢) الشذرة : القطعة من الذهب تقع من المعدن ، أو اللؤلؤة الصغيرة .

(٣) الحبا : جمع حبوة ، وهى أن تجلس وتضع بطون قدميك على الأرض وتمسك ركبتك بثوبك أو بيدك ، ومن كلامهم « بنو فلان إذا عقدوا الحبا أطلقوا الحباء » أى أنهم إذا جلسوا هذه الجلسة أعطوا العطايا .

إذ هي محلّ الكرم ، وموطن النعم ، ومحط الرحال ، ومنتهى الآمال ، ومشرق السعادة ، وأفق السيادة ، وموسم الأدباء ، وحلبة الخطباء ، ودار الإسلام ، ومقر العلماء الأعلام ، وتخت الملك العظيم الشأن ، ومحلّ الدولة والسلطان ، لا زالت دار الإسلام والإيمان ، ومستقر الأمن والأمان ! ما تعاقب الملوان ، بدوام حياة سلطان العالم ، وخير ملوك بنى آدم ، سليمان الزمان ، وخاقان العصر والأوان ، ومفخر آل عثمان ، لابَرِحت دولته مخلدة خلود الأبرار ، فى دار القرار ، وسعادته مؤبدة مسلسلة الأدوار ! مادار الفلك المدار ، بتعاقب الليل والنهار.

وكان من أعظم خبايا السعد ، وعطايا الجدّ [1] ، أن شملته العناية ، وحفته الرعاية ، بنظر فرد الدهر ، وواحد العصر ، وبكر عطارد ، ونادرة الفلك ، وتاريخ المجد ، وغرة الزمان ، وينبوع الخير والإحسان ، العالم العلامة ، والحبر البحر الفهامة ، جامع أشتات المفاخر ، والمتفرد بغايات المآثر ، سيدنا ومولانا سعدى قاضى القضاة بتخت الملك قسطنطينية العظمى ، فهو مولًى تنخفض همم الأقوال عن بلوغ أدنى فضائله ومعاليه ، ويقصر جهد الوصف عن أيسر فواضله ومساعيه ، حضرته مطلع الجود ، ومقصد الوفود ، وقبلة الآمال ، ومحط الرحال ، ومجمع الأدباء ، وحلبة الشعراء ، ذو همة مقصورة على مجد يشيّده ، وإنعام يجدّده ، وفاضل يصطنعه ، وخامل وضعه الدهر فيرفعه ، فاق الأقران ، وساد الأعيان ، فلا يدانيه مُدان ، ولو كان من بنى عبد المدان [2] ، وليس يجاريه فى مضمار الجود جواد ، ولا يباريه فى ارتياد السيادة مرتاد .

---

(١) الجد ـ بفتح الجيم ـ الحظ والبخت .

(٢) لحظ فى هذه الفقرة قول حسان بن ثابت [من الوافر] :

وقد كنا نقول إذا رأينا   لذى جسم يعد وذى بيان

كأنك أيها المعطى بيانا   وجسما من بنى عبد المدان

ما كُل مَن طَلَبَ المَعالى نافذاً فيها ، وَلا كلُّ الرِّجال فُحولا

لازالت آيُ مجده بألسن الأقلام مَتلوّة ، وأبكار الأفكار بمديح معاليه مجلوّة !

وحين أناخ مطايا قصده ، بأفناء سَمده ، صادف مَولى حَفيًّا ، وظلا ضَفيا ومرتعاً رحيبا ، ومربعاً خصيباً ، و بشاشة وجه تَسر القلوب ، وطَلاقة مُحيًّا تفرّج الكروب، وتغفر للدهر ماجناه من الذنوب، مع مايضاف لذلك من مَنظر وسيم، ومخبر كريم ، وخلائق رَقت وراقت، وطرائف علت وفاقت ، وفضائل ضَفت مَدارعها ، وشمائل صفت مشارعها، وسودد تُثنَى به عُقود الخناصر، وتُثني عليه طيب العناصر، فحمد من صباح قَصده السُّرى[(1)] ، وعلم أن كلَّ الصيد فى جوف الفَرا [(2)] :

إن الكَريمَ إذا قَصدتَ جنابه تلقاه طَلقَ الوَجهِ رَحبَ المنزلِ

وها هو فى ظل عزه رخىّ البال ، متميز الحال ، آمن من صرفان الدهر ، وحِدثان القهر ، يَرتع فى رياض فضله ، ويجرع من طَلِّ جوده وَوبله ، قد عجز عن الشكر لسانُه ، وكَلَّ عن رَقم الحمد بنانه ، لم يفقد من مغنى رأفته ظلالا ولم يَقل لصَيدحٍ آماله انتجعى بلالا[(3)] ، و به حقق قول القائل ، من الأوائل[(4)]

ولمّا انتجعنَا لائذينَ بظلهِ أعانَ وما عَنّى ، ومَنَّ وما منّا

وَرَدنَا عَليهِ مُقترِينَ فَراشنَا ورُدنا نَداهُ مُجدبِينَ فأخصبنَا[(5)]

---

(١) مأخوذ من قولهم «عند الصباح يحمد القوم السرى» والسرى ـ بضم السين ـ السير ليلا .

(٢) هذه الجملة قالها النبى صلى الله عليه وسلم فى أبى سفيان بن حرب .

(٣) أخذه من قول ذى الرمة يمدح بلال بن أبى بردة بن أبى موسى الأشعرى [من الوافر] :

سمعت الناس ينتجعون غيثا فقلت لصيدح انتجعى بلالا

وصيدح : اسم ناقته .

(٤) البيتان لأبى الفرج على بن الحسين الأصفهانى صاحب الأغانى، يقولهما فى الوزير المهلبى .

(٥) وردنا ـ فى أول البيت ـ فعل ماض من الورود، والواو فيه من أصل =

وجملة ما يقوله في العجز عن حمده وشكره ، والثناء على جوده وبره :

أما وجميل الصنع منه ، ونعمه ... ألية بر منهما لا يكفر

لو اصبحت حولت البرية ألسنا ... وكنت بها أثني عليه وأشكر

ولست أوفي حق ذلك ونعمه ... قياما بحق الشكر جهدي أشمر

وكان من جملة دواعي السعد وبواعث الجد ، أن شمل هذا التأليف نظره الشريف حين وصل إلى حضرة مجده المنيف ، فأظهر به إعجابا رفع من مقامه ، ونصب فوق متن المجرة خوافق أعلامه ، جريا على عادته النفيسة في جبر القلوب ، وستر العيوب ، فحين طرق السمع ، خبر استحسانه لتلك الجمع ، أحب الفقير أن يخدم حضرته العلية ، وسدته السنية ، بنسخة منه لتكون مذكرة بحال الفقير مادام في قيد الحياة ، وسببا باعثا على الترحم عليه بعد الممات. وعساه يكون وسيلة للانتظام في سلكه ، وذريعة إلى الانحياز إلى ملكه ، وإلا فهو أقل من أن يشاع ذكره ، أو يشاد قصره ، وكيف يهدى الوشل[1] إلى البحر ، أو الطل إلى القطر[2] ، غير أن هواجس الفكر وخواطر الأمل متمسكة في قبوله بأذيال عسى ولعل[3] ، والتي يقوى في الظن بشيمها الزاكية ، تلقيه بالبشر ونفحه بمنحة الراضية ، وهو يرجو أن يهب عليه نسيم قبول القلوب ، ويؤمل أن يسبل ستر العفو عما فيه من العيوب ، وها هو يرفع أكف التضرع والابتهال . إلى ذي العظمة والجلال ، أن يبلغه من ذلك أقصى غاية الآمال ، بمنه ويمنه .

= الكلفة و « ردنا » في أول النصف الثاني من البيت من قولهم : راد الكلأ يروده ، بمعنى طلبه ، ومنه الرائد .

(١) الوشل : الماء القليل .

(٢) الطل : أضعف المطر ، والقطر : المطر المتتابع .

(٣) لعل : حرف وضع في العربية للدلالة على الترجي ، وعسى : فعل جامد معناه الترجي أيضا ، وكأنه قد قال : متمسكة بأذيال الرجاء .

شواهد المقـــدمه

شاهد التنافر

١ — * غَدَائِرُهُ مُسْتَشْزِرَاتٌ إلى العُلاَ *

قائله امرؤ القيس ، وتمامه :

* تَضِلُّ العِقَاصُ فى مُثَنًّى وَمُرسَلِ *

وهو من البحر الطويل ، من القصيدة المشهورة التى هى إحدى المعلقات السبع ، وأولها [١] :

مختار من معلقة امرىء القيس

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكرى حَبيبٍ وَمَنْزِلِ ... بسقطِ اللوى بَينَ الدَّخُولِ فَحَوملِ

فَتوضحَ فالمقراةِ لم يَعفُ رَسمهـا ... لِمَا نَسجتها مِنْ جَنوبٍ وَشَمْألِ

وُقوفاً بِهـا صَحبى عَلَىَّ مَطيهُـمْ ... يقولونَ لا تَهلكْ أسى وتجمَّلِ

وبَيضةِ خِدرٍ لايرامُ خِباؤها ... تمتعتُ مِنْ لَهوٍ بِها غَـيرَ مُعجلِ

تجاوزتُ أحراساً إليها ومَعشَراً ... عَلَىَّ حِراصاً لو يُسِرُّون مَقتلِى

إذا ما الثريا فى السماءِ تَعرّضتْ ... تَعرُّضَ أثناءِ الوِشاحِ المُفصلِ

فَجئتُ وقدْ نَضتْ لِنومٍ ثيابَها ... لَدَى السِّتر إلاّ لِبسةَ المتفضلِ

فقالت يَمينُ اللهِ مالَكَ حيـلةٌ ... وما إنْ أرى عنكَ الغوَاية تَنجلِى

خَرجتُ بِهـا أمشى تَجرُّ وراءنا ... عَلى إثرنا أذيالَ مِرطٍ مُرحلِ [٢]

فلما أجَـزْنا ساحة الحىِّ وانتحى ... بنا بطنُ خَبتٍ ذى حِقافٍ عَقَنْقلِ

هصرتُ بفوْدَىْ رأسِها فتمايلتْ ... عَلَىَّ هَضيمَ الكشحِ ريَّا المُخلخَلِ

مُهفهفةٌ بيضاءُ غَيرُ مُفاضةٍ ... تَرائبُها مَصقولةٌ كالسَّجنجلِ

تَصدُّ وتُبدى عَنْ أسيلٍ وتَتقى ... بناظرةٍ مِن وَحْشِ وَجْرةَ مُطفلِ

---

(١) هذه الأبيات غير متصلة فى المعلقة ، وهى الأول والثانى ثم الخامس ثم من الثالث والعشرين إلى السادس والثلاثين على التعاقب فى رواية التبريزى.

(٢) فى نسخ المعلقات : * على أثرينا ذيل مرط مرحل *

وجيدٍ كجيد الرِّيم لَيسَ بفاحش ... إذا هي نَصَّتْهُ ولا بمُعَطَّلِ
وفَرعٍ يَزينُ المَتن أسودَ فاحمٍ ... أثيثٍ كقِنوِ النَّخلة المُتعثكِل

و بعده البيت ، والقصيدة طويلة ، وسيأتى طَرَف منها فى شواهد الإنشاء إن شاء الله تعالى

والغدائر — جمع غَديرة — : الذوائب ، والاستشزار : الرفع والارتفاع جميعاً ، والفعل منه لازم إن كسِرَت زايه ، ومتعدٍّ إن فتحت ، والعُلا : جمع عَلياء تأنيث الأعلى ، وأراد الجهات العلا ، والعِقاص : جمع عقيصة ، وهى الخصلة من الشعر تأخذها المرأة فتلويها ثم تعقدها حتى يبقى فيها التواء ثم ترسلها ، والمثنى من الشعر وغيره : ما ثُنى ، والمرسل : ضده .

ومعنى البيت : أن حبيبته لكثرة شعرها بعضُه مرفوع و بعضه مثنى و بعضه مرسل و بعضه معقوص ملوى بين المثنى والمرسل .

والشاهد فى البيت : التنافر ، وهو لفظة « مستشزرات » لثقلها على اللسان وعُسر النطق بها .

ترجمة امرىء القيس

وامرؤ القيس[١] اسمه حُنْدُج بن حُجْر بن عمرو المقصور[٢] ، سمى بذلك لأنه اقتُصر به على مُلك أبيه حندج[٣] والحندج فى اللغة : رَملة طيبة تُنبت ألواناً . وأمه فاطمة — وقيل تملك[٤] — بنت ربيعة بن الحرث أخت كليب ومُهلهل ،

(١) لامرىء القيس ترجمة فى الأغاني (٨ – ٦٢) وفى الشعراء لابن قتيبة (٣٧) وطبقات الجمحى (١٥) .

(٢) فى الشعراء لابن قتيبة والأغانى « امرؤ القيس بن حجر بن الحارث ابن عمرو بن حجر آكل المرار بن معاوية بن ثور » وفى طبقات الجمحى « امرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار بن عمرو ابن معاوية بن الحارث بن يعرب بن ثور بن مرتع بن معاوية بن كندة » .

(٣) كذا فى أصول هذا الكتاب ، والصواب « حجر » كما فى الشعراء لابن قتيبة والأغانى .

(٤) وقع فى الأصول « تملك » وهو خطأ تصويبه عن الأغانى (٨–٦٣ بولاق) ثم

وكنية امرئ القيس : أبو وهب ، وأبو الحرث(١) ويلقب ذا القروح لقوله [من الطويل] :

وَبُدِّلْتُ قَرْحًا دَامِيًا بَعْدَ صِحَّةٍ   لَعَلَّ مَنَايَانَا تَحَوَّلْنَ أَبْؤُسَا

ويلقب الذائد أيضاً لقوله من المتقارب :

• أَذُودُ القَوَافِيَ عَنِّي ذِيَادَا •

ويقال له : الملك الضِّلِّيل ، ومعنى امرئ القيس رجل الشدة ، والقيس في اللغة : الشدة ، وقيل : القيس اسم صنم ، ولهذا كان الأصمعي يكره أن يروى قوله « يا امرأ القيس فانزل »(٢) ويرويه « يا امرأ الله فانزل » . وهو الذي روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال فيه « أشعر الشعراء وقائدهم إلى النار » وقيل في تأويله : إن المراد شعراء الجاهلية والمشركين .

وهو أول من لطف المعاني ، ومن استوقف على الطلول ، وشبَّه النساء بالظباء والمها والبيض ، وشبه الخيل بالعقبان والعصي ، وفرق بين النسيب وما سواه من القصيد ، وأجاد الاستعارة والتشبيه .

وكان من حديثه أن أباه طرده لما قال الشعر ، وإنما طرده من أجل زوجته هر ، وهي أم الحويرث التي كان امرؤ القيس يشبب بها في شعره(٣) ، وكان

لكن من قال إن اسم أمه تملك لم يقل إنها أخت المهلهل ، بل قال : إنها من رهط عمرو بن معد يكرب الزبيدي ، وقد وقع في شعر امرئ القيس ما قد يؤخذ منه أنه ابن تملك ، وذلك في قوله [من الطويل] :

ألا هل أتاها والحوادث جمة   بأن امرأ القيس بن تملك بيقرا

(١) ويكنى « أبا زيد » أيضاً .

(٢) هذا بعض بيت من المعلقة ، والبيت بتمامه :

تقول وقد مال الغبيط بنا معا :   عقرت بعيري يا امرأ القيس فانزل

(٣) قد صرح باسم « هر » في عدة أبيات ، منها قوله [من الطويل] :

غدوي الصبوح عند هر وفرتنا   وليداً ، وهل أفنى شبابي غير هر ؟

وقد صرح بأم الحويرث في أبيات منها قوله في المعلقة [من الطويل] :

كدأبك من أم الحويرث قبلها   وجارتها أم الرباب بمأسل

يتنقّل في أحياء العرب ويستتبع صعاليكهم وذؤبانهم ، والعرب تطلق على اللصوص الذؤبان تشبيهاً بالذئاب ، وكان يُغير بهم ، وكان أبوه ملك بني أسد فَعسفهم عَسفاً شديداً ، فتمالأوا على قتله ، فلما بلغه قتلُ أبيه وكان يشرب الخمر قال : ضيّعني صغيراً ، وحملني ثقل الثأرِ كبيراً . اليومَ خمرٌ ، وغداً أمرٌ . فأرسلها مثلا ، وقيل : بل قال : اليوم قحاف ، وغداً ثقاف . والقحاف : من القحف وهو شدة الشرب ، والثقاف : من ثقفَ الهامَ إذا قطعها .

امرؤ القيس يثأر لأبيه

ثم إنه جمع جمعاً من بني بكر بن وائل وغيرهم من صعاليك العرب ، وخرج يريد بني أسد ، فخبرهم كاهنهم بخروجه إليهم ، فارتحلوا وتبعهم امرؤ القيس ، فأوقع ببني كنانة ، وكان بنو أسد قد لجأوا إليهم ، ثم ارتحلوا عنهم ، فقتلهم قتلاً ذَريعاً ، وأقبل أصحابه يقولون : يالثارات الهمام ، فقالت عجوز منهم : واللات أيها الملك مانحن بثأرك ، وإنما ثأرك بنو أسد وقد ارتحلوا ، فرفع القتل عنهم وقال [من الوافر] :

ألا يا لَهْفَ نفسى إثر قومٍ هم كانوا الشفاء فلم يُصابوا
وقاهمْ جَدُّهمُ ببنى عَلِيٍّ وبالأشقَيْنَ ما كانَ العقابُ[1]
وأفلتهن عِلباء جَريضاً ولو أدركْنهُ صفِرَ الوِطابُ[2]

وقيل : إن أصحابه اختلفوا عليه حين أوقع ببني كنانة ، وقالوا له : أوقعت بقوم بُرآء وظلمتهم ، فخرج إلى اليمن إلى بعض مَقَاوِلة حمير[3] واسمه قَرْمل ، فاستجاشه

(١) في الديوان « وقاهم جدهم ببنى أبيهم » وهو الصواب ، لأن أسداً وكنانة ابنا خزيمة ، وجدهم : حظهم وبختهم .

(٢) أراد علباء بن الحارث الأسدى أحد قتلة حجر . وجريضاً : به غصة الخوف ، وصفر الوطاب : خلا جسمه من روحه ، كنى بذلك عن قتله .

(٣) المقاولة والأقيال : الذين يلون الملوك في المنزلة ، سموا بذلك لأن لهم قولا نافذا ، واحدهم قيل ، بفتح فسكون .

فثبطه قومل ، فذلك حيث يقول [من الطويل] :

وكنا أناسا قبلَ غزوةِ قرْمل ورثنا الغِنَى وَالمجدَ أكبر أكبرا

ثم خرج إلى قَيصر بعد أن أودع أدراعه وكراعه السموءلَ بن عادياء ، فذلك حيث يقول [من الطويل] :

بكى صاحبي لمّا رأى الدَّرْبَ دونهُ وأيقن أنّا لاَحِقانِ بِقيصرَا

فقلتُ لهُ : لا تبكِ عينكَ ، إنّما نُحاولُ ملكا أو نموتَ فنُعذرَا

وصاحبه عمرو بن قميئة الشاعر ، وهو من بني قيس بن ثعلبة ، وكان قد طوى عنه الخبر حتى جاوز الدرب ، فلما وصل إلى قيصر استغاث به ، فوعده أن يَرْفِدَهُ (١) بجيش .

وكان امرؤ القيس جميلَ الوَجه ، وكان لقيصر ابنة جميلة ، فأشرفت يوما من قصرها فرآها امرؤ القيس في دخوله إلى أبيها فتعلق بها وراسلها فأجابته إلى ما سأل ، فذلك حيث يقول لما وصل إليها [من الطويل] :

فقلتُ : يمين الله أبرح قاعداً وَلو قَطعُوا رَأسي لَديكِ وأوصالي (٢)

وقيل : إن أباها زوجه إيَّاها ، وقد كان سبق إلى قيصر رجل من بني أسد يقال له الطِّمَّاح فوشى به إلى قيصر ، فوجه معه جيشاً ، ثم أتبعه رجلا معه حُلة مسمومة ، وقال له : اقرأ عليه السلام ، وقل له : إن الملك قد بعث إليك بحُلة قد لبسها ليكرمك بها ، وأدخله الحمام ، فإذا خرج فألبسه إياها ، فلما فعل تنفط بدنه وكان يُحمل في محفة فذلك حيث يقول [من الطويل] :

لَقدْ طَمِحَ الطَّماحُ مِنْ بُعْدِ أرضهِ لِيُلبسني مِنْ دائه ما تَلبَّسَا

---

(١) رفده : أعانه وقواه ، وبابه ضرب .

(٢) يستشهد النحاة بهذا البيت على جواز حذف النفي بعد القسم إذا كان حرف النفي « لا » والمنفي فعلا مضارعا .

وكان الطماح قبل ذلك قد عَبِثَ بامرأةٍ من قومه فسعى به فهرب ، فأراد كما سعى به أن يسعى به .

ثم إن امرأ القيس لما بلغ أنقرة طُعِن فى إبطه وارْفضَّ عنه أصحابه ، وكان نزوله إلى جانب جبل ، وإلى جانبه قبر لابنة بعض الملوك ، فسأل عنه فأخبر ، فقال [من الطويل] :

أجَارتنَا إنَّ الخُطوبَ تَنوبُ ... وإنى مُقيمٌ ما أقامَ عَسِيبُ
أجَارتنَا إنَّا غَرِيبانِ هٰهُنا ... وكلُّ غَرِيبٍ لِلغرِيبِ نَسِيبُ
فإنْ تَصلِينى تَسعدى بمَوَدَّتى ... وإنْ تَقطعينى فالغرِيبُ غَرِيبُ

ثم مات هنالك فدفن بأنقرة . وكان آخر ما تكلم به : [1]

رُبَّ طَعنةٍ مُثْعَنجِرَه ... وَخُطبةٍ مُسحَنفِرَهْ
وَجفنةٍ مُدعثِرَه ... وَقصيدةٍ مُحبَّرَهْ
تَبقَى غَداً بأَنقِرَهْ

(١) اضطربت الروايات فى هذه الأبيات ، فوقعت فى نسخة من الشعر والشعراء لابن قتيبة هكذا :

رب خطبة مسحنفرة ... وطعنة مثعنجره
وجفنة متحيرة ... تدفن غداً بأنقره

ووقعت فى نسخة أخرى منه هكذا :

وطعنة مسحنفره ... وجفنة مثعنجره ... تبقى غداً بأنقرة

وفى الأغاني :

رب خطبة مسحنفره ... وطعنة مثعنجره
وجفنة متحيرة ... حلت بأرض أنقره

وفى لسان العرب (ثعجر) :

رب جفنة مثعنجرة ... وطعنة مسحنفره ... تبقى غداً بأنقره

والمسحنفرة : الواسعة . والمثعنجرة : السائلة المنسكبة ، وأصل المسحنفر والمثعنجر السيل الكثير ، وتقول : اثعنجرت السحابة بقطرها ، واثعنجر المطر يثعنجر اثعنجارا .

* * *

٢ — * وفاحماً ومَرْسِناً مُسَرَّجا *

شاهد النزاهة

قائله رؤبة[١] بن العجاج، وهو من بحر الرجز، من أرجوزة طويلة أولها:

ما هاج أشجاناً وشجواً قد شجا مِنْ طَلَلٍ كالأتحميّ أنهجا[٢]

أمسى لِعافى الرّامسات مَدْرَجا واتخذته النّائحات مَنْأجا[٣]

مَنازلٌ هيّجنَ مَن تَهيّجا من آلِ لَيلى قد عَفونَ حِجَجا[٤]

والشحطُ قَطّاعٌ رَجاءَ مَن رَجا أزمانَ أبدتْ واضحاً مُفلَّجا[٥]

أغرّ برّاقاً وطَرفاً أبرجا ومُقلةً وحاجباً مُزجّجا

وبعده البيت، وبعده:

* وكَفَلاً وَعْثاً إذا تَرجرجا *

الفاحم: الأسود، وأراد شعراً فاحما، فحذف الموصوف وأقام الصفة مقامه، والمرسن — بفتح السين وكسرها — الأنف الذى يُشَدّ بالرسَن، ثم استعير لأنف الإنسان، ومُسرَّجا: مختلَفٌ فى تخريجه، فقيل: من سَرَّجه تسريجاً بَهَّجه وحسّنه، وقيل: من قولهم «سيوف سُرَيْجية» منسوبة إلى قين[٦] يقال له

---

(١) لا توجد هذه الأرجوزة فى ديوان أراجيز رؤبة، ولا فى زياداته، وهى فى ديوان أراجيز أبيه العجاج (ص٧ ليبسج).

(٢) فى الديوان «ماهاج أحزانا» والأشجان: جمع شجن — بفتح الشين والجيم — وهو الحزن.

(٣) فى أصول هذا الكتاب «أمسى لها فى الرامسات» وفيها «واتخذته النائحات» وما أثبتناه عن الديوان هو الصواب.

(٤) فى الديوان «منازلا».

(٥) فى أصل الكتاب «والسخط قطاع» وما أثبتناه عن الديوان، وهو أعرف وأشهر.

(٦) القين — بفتح فسكون — الحداد الذى يصنع السيوف.

سُرَيج ، شبه بها الأنف فى الدقة والاستواء ، وقيل : من السِّراج وهو قريب من قولهم « سَرِجَ وجهُهُ » بكسر الراء ـ أى حَسُنَ . والزَّجَجُ : دِقَّة الحاجبين.

والمعنى : أن لهذه المرأة الموصوفة مُقلة سوداء ، وحاجباً مدققاً مُقوَّساً ، وشعراً أسود ، وأنفاً كالسيف السريجىّ فى دقته واستوائه ، أو كالسراج فى بريقه وضيائه.

والشاهد فيه : الغرابة فى « مسرّجا » للاختلاف فى تخريجه .

ترجمة رؤبة بن العجاج

ورؤبة قائل هذا البيت هو[1] أبو محمد (رؤبة) بنُ العَجَّاج ، (والعجاج لقبه) واسمه عبد الله (بن رؤبة) البصرىّ التميمىّ السعدىّ ، سُمِّى باسم قطعة من الخشب يُشْعَبُ بها الإناء ، وهى بضم الراء وسكون الهمزة وفتح الباء الموحدة وبعدها هاء[2] ساكنة ، وهو وأبوه راجزان مشهوران ، كلٌّ منهما له ديوان رجز ليس فيه شعر سوى الأراجيز ، وهما مُجيدان (فى رجزهما) وكان رؤبة هذا بصيراً باللغة قيِّماً بحوشيِّها[3] وغريبها .

حكى يونس بن حبيب النحوىُّ قال : كنت عند أبى عمرو بن العلاء ، فجاء شبيل بن عروة الضبعىّ ، فقام إليه أبو عمرو وألقى له لبد بغلته ، فجلس عليه ، ثم أقبل عليه يحدثه ، فقال شبيل : يا أبا عمرو ، سألت رؤبتكم عن اشتقاق اسمه فما عرفه ، يعنى رؤبة ، قال يونس : فلم أملك نفسى عند ذكره فقلت: لعلك تظن أن مَعَدَّ بن عدنان أفصحُ منه ومن أبيه ، أفتعرف أنت ما الرُّوبَةُ والرُّوبة والرُّوبة والرُّوبة والرُّوبة ؟ وأنا غلام رؤبة ، فلم يُحِر جواباً ، وقام مغضباً ، فأقبل علىّ أبو عمرو وقال : هذا رجلٌ شريف يقصِد مجالسنا ويقضى حقوقنا ، وقد أسأت فيما

---

(١) انظر هذه الترجمة فى ابن خلكان (١-٣٣٣) وكل مافيها من زيادة بين علامتين فهو عنه

(٢) وجد فى هامش النسخة المطبوعة فى بلاق مانصه « قوله وبعدها هاء ساكنة ، يعنى وقفا وإلافهى كتاء مسلمة تعرض لها الحركات الاعرابية» اهـ.

(٣) فى الأصول « بموحشها » وتصويبه عن ابن خلكان .

فعلت مما واجهته به ، فقلت : لم أملك نفسى عند ذكر رؤبة ، فقال أبو عمرو : أوَ سُلِّطتَ على تقويم الناس ؟ ثم فسر يونس ماقاله فقال: الروبة : خميرة اللبن، والروبة : قِطعة من الليل ، والروبة : الحاجة ، يقال : فلان مايقوم بروبةِ أهله : أى بما أسندوا إليه من حوائجهم ، والروبة: جِمام ماء الفحل ، والرؤبة بالهمز: القطعة التى يُشعبُ بها الاناء ، والجميع بضم الراء وسكون الواو إلا رؤبة فانه بالهمز .

وقيل ليونس : مَنْ أشعرُ الناس ؟ فقال : العجاجُ ورؤبة، فقيل له : لم نَعنِ الرُّجاز ، قال : هما أشعر أهل القصيد ، وإنمـا الشعر كلام وأجوده أشعره ، قال العجاج [من الرجز] :

* قَدْ جبرَ الدينَ الإلهُ فَجَبرْ *

فهى نحوٌ من مائتى بيت موقوفة القوافى ولو أطلقت (١) قوافيها كلها لـكانت منصوبة ، وكذلك عامة أراجيزهما .

وعن ابن قتيبة قال : كان رؤبة يأكل الفأر ، فعوتب فى ذلك ، فقـال : هى والله أنظف من دواجنكم ودجاجكم اللاتى تأكل العذرة ، وهل يأكل الفأر إلا نقىَّ البر ولباب الطعام ؟ !

وحدث أبو زيد الأنصارى النحوىّ قال : دخل رؤبة بن العجاج السوقَ وعليه بركانىّ(٢) أخضر فجعل الصبيان يعبثون به ويغرزون شوك النخل فى بركانه ويصيحون به : يا مردوم ، يا مردوم ، فجاء إلى الوالى فقال : أرسل معى الوَزَعَة فإن الصبيان قد حالوا بينى و بين السوق ، فأرسل معه أعوانا ، فشدّ على الصبيان وهو يقول:

(١) موقوفة القوافى : أراد به أنها ساكنة حرف الروى الذى بنيت عليه القافية . و «أطلقت» أراد به تحرك حرف رويها . ومن دلائل تمكن الشاعر من لغته أن يجىء بما ذكر يونس عن أرجوزة العجاج فى حين أن ذلك غير لازم .

(٢) فى نسخة « برنكان » وهو بزنة زعفران ، وكلاهما صحيح ، يقال بركان ، وبركانى ، وبرنكان ، وبرنكانى . وهو الكساء ، أو هو الكساء الأسود خاصة .

أنحى عَلَىَ أمّـكَ بالمَردومِ   أعورُ جَعْدٌ مِنْ بنى تميم
شَرابُ ألبان خلايا كُومِ

قال : فجعلوا يَعْدون بين يديه حتى دخلوا داراً فى الصيارفة، فقال له الشرطى : أين هم ؟ قال : دخلوا دار الظالمين ، فسميت إلى الآن دار الظالمين لقول رؤبة ، وهى فى صيارفة سوق البصرة .

وعن المدائنى قال : قدم البصرة راجز من رُجاز المدينة ، فجلس إلى حلقة فيها الشعراء ، فقال : أنا أرجز العرب ، أنا الذى أقول [من الرجز] :

مَروانُ يُعطِى وسَعيدٌ يَمنعُ   مَروانُ نَبعٌ وسَعيدٌ خِرْوَعْ

وددت أنى راهنت من أحب فى الرجز يدابيد ، والله لأنا أرجز من العجاج ، فليت البصرة جمعت بينى و بينه ، قال : والعجاج حاضر وابنه رؤبة معه ، فأقبل رؤبة على أبيه فقال : قد أنصفك الرجل ، فأقبـل عليه العجاج فقال : ها أناذا العجاج فهلمّ ، و زحف إليه ، فقال : وأى العَجَّاجِينَ أنت ؟ قال : ماخلتك تعنى غيرى ، أنا أبو عبدالله الطويل ، وكان يكنى بذلك ، فقال له المدنى: ماعنيتك ولا أردتك ، قال : كيف وقد هتفت باسمى ! قال : أو مافى الدنيا عجاج سواك ؟ قال : ما علمت ، قال : ولكنى أعلم و إياه عنيت ، قال : فهذا ابنى رؤبة ، قال: اللهم غفْراً ، مابينى و بينكما عمل ، و إنما مرادى غيركما ، قال : فضحك أهل الحلقة ، وكفّا عنه .

وعن عبد الرحمن بن محمد بن علقمة قال : أخرج شاهين بن عبد الله الثقفى رؤبة معه إلى أرضه ، فقعدوا يلعبون بالنرد ، فلما أتوا بالخِوَان قال رؤبة فيه :

يا إخوتى جاء الخِوانُ فارفعوا   حنّانةً كعابُها تَقَعْقَعُ
لم أدْرِ ما ثلاثُها والأربعُ

قال : فضحكنا و رفعناها وقُدم الطعام .

وكان رؤبة مقيما بالبصرة ، فلما ظهر بها إبراهيم بن عبدالله بن الحسن بن على

ابن أبى طالب كرم الله وجهه على المنصور ، وجرت الواقعة المشهورة ، خاف رؤبة على نفسه وخرج إلى البادية ليجتنب الفتنة ، فلما وصل إلى الناحية التى قصدها أدركه أجله بها فتوفى سنة خمس وأربعين ومائة .

وهذا يخالف ما رواه يعقوب بن داود ، قال : لقيت الخليل بن أحمد يوما بالبصرة فقال : يا أبا عبد الله دَفَنَّا الشعر واللغة والفصاحة اليوم ، فقلت له : كيف ذلك ؟ قال : حين انصرفت من جنازة رؤبة بن العجاج ، وكان قد أسن رحمه الله وقد سمع أباه ، وأبوه سمع أبا هريرة رضى الله عنه ، وقال النسائى : وليس هو بالقوى ، وقد روى رؤبة بن العجاج عن أبى الشعثاء عن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم فى سفر وحادٍ يحدو [من الرجز] :

طافَ الخَيالانِ فَهاجا سَقماَ خَيالُ لُبْنَى وَخيالُ تَكتَمَا
قَامتْ تُريكَ خَشيةً أن تَصْرِما ساقاً بَخَنْداةً وكَعْباً أدْرَمَا

والنبى صلى الله عليه وسلم يسمع ولا ينكر .

وحدّث أبو عبيدة الحداد قال : حدثنا رؤبة بن العجاج قال : سمعت أباهريرة رضى الله عنه يقول : السواك يذهب وَضَرَ الطعام ، وهذا الخبر يدل على أنه سمع من أبى هريرة رضى الله عنه ، والله أعلم .

ومن شعره [من الخفيف] :

أيُّها الشامتُ المُعيِّرُ بالشّيب أقِلَّنَّ بالشّبابِ افتخارَا
قَدْ لَبستُ الشّبابَ غَضًّا طَرِيًّا فَوجدتُ الشّبابَ ثوبا مُعارَا

* * *

شاهد مخالفة القياس

٣ — * الحمد لله العلى الأجْلَلِ *

قائله أبو النجم ، وهو من بحر الرجز ، من أرجوزة طويلة ، و بعده :

الوَاهبِ الفَضلِ الوَهوبِ المُجزِلِ أعْطَى فَلَمْ يَبخلْ ولمْ يُبَخَّلِ

والشاهد فيه مخالفة القياس اللغوى فى قوله « الأجلل » إذ القياس الأجلُّ بالإدغام

ترجمة أبي النجم العجلي

وأبو النجم اسمه (١) الفضل بن قُدَامة بن عبيد الله العجلي ؛ وهو من رجّاز الاسلام والفحول المتقدمين في الطبقة الأولى منهم .

وفد على هشام بن عبدالملك وقد طعن في السن فقال : يا أباالنجم ، حدثني قال: أعَنّي أو عن غيري ؟ قال : بل عنك ، قال : إني لما كبرت عرض لي البول فوضعت عند رجلي شيئا أبول فيه ؛ فقمت من الليل أبول ؛ فخرج مني صوت ؛ فتشددت ، ثم عدت ؛ فخرج مني صوت آخر ؛ فأويت إلى فراشي ؛ وقلت : يا أم الخيار ؛ هل سمعت شيئا ؟ قالت : لا والله ولا واحدة منهما . فضحك هشام

وعن أبي عبيدة قال : مازالت الشعراء تقصّر بالرُّجّاز حتى قال أبو النجم:

* الحمد لله العلي الأجلل *

وقال العجاج :

* قد جبر الدين الإلهُ فجبر *

وقال رؤبة :

* وقاتم الأعماق خاوي المخترق *

فانتصفوا منهم .

وعن أبي عمرو الشيباني قال : قال فتيانٌ من عِجْلٍ لأبي النجم : هذا رؤبة بالمربد يجلس فيسمع شعره، وينشد الناس ويجتمع إليه فتيان بني تميم ، قال : أو تحبون ذلك ؟ قالوا : نعم ، قال : فائتوني بشيء من نبيذ ، فأتوه به فشرب به ثم انتفض فقال [من الرجز] :

إذَا اصْطبحتُ أرْبعاً عَرفتني ثم تجَشمتُ الذِي جَشّمتني

(١) ترجمة أبي النجم في الأغاني (٩ - ٧٧) وفي خزانة الأدب للبغدادي (١- ٤٩و٤٠٦) وفي الشعراء (٣٨١) وانظر مع ذلك كامل المبرد (٢-٧٠) والموشح للمرزباني (٢١٣) وطبقات الشعراء للجمحي (١٤٩)

فلما رآه رؤبة أعظمه ، وقام له عن مكانه ، وقال : هـذا رَجّاز العرب ، وسألوه أن ينشدهم ، فأنشدهم :

* الحمدُ لله العليّ الأجلل *

وكان من أحسن الناس إنشادا ، فلما فرغ منها قال له رؤبة : هذه أمّ الرجز ثم قال : يا أبا النجم ، قرّبت مرعاها إذ جعلتها بين رجل وابنه ، يوهم عليه أنه حيث قال [من الرجز] :

تَبَقَّلَتْ مِنْ أوّلِ التَّبَقُّلِ بَيْنَ رِماحَىْ[1] مَالكٍ وَنَهْشَلِ

أنه يريد نهشل بن مالك بن حنظلة بن زيد مَنَاةَ ، فقال له أبو النجم : هيهات الـكمر تتشابه : أى إنما أريد مالك بن ضبيعة بن قيس ، ونهشل قبيلة من[2] ربيعة.

وعن أبى برزة المربدى قال : خرج العجاج محتفلا عليه جبة من خز ، وعمامة من خز ، على ناقة له قد أجاد رحلها ، حتى وقف بالمربد والناس مجتمعون عليه ، وأنشدهم :

* قد جَبرَ الدينَ الإلهُ فَجَبَرْ *

وذكر فيها ربيعة فهجاهم ، فجاء رجل من بنى بكر بن وائل إلى أبى النجم وهو فى بيته فقـال : أنت جالس وهذا العجاج يهجونا فى المربد ، قد اجتمع عليـه الناس ، فقال : صف لى حاله وزِيَّه الذى هو فيه ، فوصف له ، فقال : ابغنى جملا طحانا قد أكثر عليه من الهِنَاء ، فجاء بالجمل ، فأخذ سراويل له فجعل إحـدى

---

(١) فى الأصول « بين أقاحى » وما أثرناه عن الأغاني

(٢) السبب فى ذكر أبى النجم هاتين القبيلتين — نعنى مالـكا ونهشلا — أن دماء كانت بين بنى دارم وبنى نهشل ، وحروبا فى بلادهم ، فتحامى جميعهم الرعى فيما بين فلج والصمان مخافة أن يعروا بشىء ، حتى عفا كلؤه وطال ، فذكر أن بنى عجل جاءت إلى ذلك الموضع فرعته ولم تخف هاتين القبيلتين ، ففخر أبو النجم بذلك

رجليه فى السراويل واتزر بالأخرى ، وركب الجمل ، ودفع خُطامه إلى من يقوده فانطلق حتى أتى المربد ، فلما دنا من العجاج قال : اخلع خطامه ، فخلعه وأنشد :

* تذكَّر القلبُ وجهلاً ما ذكر *

فجعل الجمل يدنو من الناقة ويتشممها ، ويتباعد عنه العجاج لئلا يفسد ثيابه. ورحله بالقطران ، حتى بلغ قوله :

* شيطانه أنثى وشيطانى ذكر *

فعلق الناس هذا البيت ، وهرب العجاج منه .

وورد أبو النجم على هشام بن عبدالملك فى الشعراء ، فقال لهم هشام : صفوا إبلا فقيظوها وأوردوها وأصدروها حتى كأننى أنظر إليها ، فأنشدوه ، وأنشده أبو النجم :

* الحمدُ لِلهِ العَلىِّ الأجْلَلِ *

حتى إذا بلغ إلى ذكر الشمس فقال :

* فَهىَ عَلى الأُفقِ كَعين .... *

فأراد أن يقول « الأحول » ثم ذكر حَوَلَ هشام فلم يتم البيت وأرتج عليه ، فقال هشام : أجِزْ ، فقال « كعين الأحول » وأمَرَّ القصيدة ، فأمر هشام بوجْءِ عنقه وإخراجه من الرصافة ، وقال لصاحب شرطته : يا ربيع إياك وأن أرى هذا . فكلم وجوهُ الناس صاحبَ شرطته أن يُقرَّه ، ففعل ، فكان يصيب من فضول أطعمة الناس ويأوى المساجد ، قال أبوالنجم : ولم يكن بالرصافة أحد يضيف إلا سليم بن كيسان الكلبى ، وعمرو بن بسطام التغلبى ، فكنت آتى سليما فأتغدى عنده ، وآتى عمرا فأتعشى عنده ، وآتى المسجد فأبيت ، قال : فاهتم هشام ليلة وأمسى لَقِسَ النفسِ ، وأراد محدثا يحدثه ، فقال لخادم : ابغنى محدثا أعرابيا أهوج شاعرا يروى الشعر ، فخرج الخادم إلى المسجد فاذا هو بأبى النجم فضربه

برجله وقال : قم أجب أمير المؤمنين ، فقال : إنى رجل أعرابى غريب ، قال : إليك أبغى ، هل تروى الشعر ؟ قال : نعم وأقوله ، فأقبل به حتى أدخله القصر ، وأغلق الباب ، قال : فأيقن أبو النجم بالشر ، ثم مضى به فأدخله على هشام فى بيت صغير بينه وبين نسائه ستر رقيق ، والشمع بين يديه يزهر ، فلما دخل قال له هشام : أبو النجم ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين طريدك ، قال : اجلس ، فسأله وقال له : أين كنت تأوى ؟ وأين منزلك ؟ فأخبره ، قال : وكيف اجتمعا لك ؟ قال : كنت أتغدى عند هذا ، وأتعشى عند الآخر ، قال : فأين كنت تبيت ؟ قال : فى المسجد حيث وجدنى رسولك ، قال : وما لك من الولد والمال ؟ قال : أما المال فلا مال لى ، وأما الولد فلى ثلاثٌ بنات وَبُنَى يقال له شيبان ، قال : هل أخرجت من بناتك أحداً ؟ قال : نعم ، زوجت اثنتين وبقيت واحدة تجمزُ فى أبياتنا كأنها نعامة ، قال : وما أوصيت به الأولى ؟ وكانت تسمى برة بالراء ، قال [من الرجز] :

أوصيتُ مِنْ بَرَّةَ قلباً حرَّا بالكلبِ خيراً والحماةِ شرَّا
لا تسأمى ضرباً لها وجرَّا حتى ترى حلوَ الحياةِ مرَّا
وإنْ كستكِ ذهباً ودرَّا والحىُّ عُمِّيهمْ بشرٍّ طرَّا

فضحك هشام وقال : فما قلت للأخرى ؟ قال : قلت [من الرجز] :

سُبِّى الحماةَ وابهتى عليها وإنْ دنتْ فازْدلِفى إليها (١)
وأوجِعِى بالنَّهزِ رُكبتيها ومِرفقيها واضربى جنبيها (٢)

---

(١) رواه فى الكامل (٢-٧٠)

* وإن أبت فازدلفى إليها *

(٢) روى فى الكامل

* ثم اقرعى بالود مرفقيها *

والود ــ بفتح الواو وتشديد الدال ــ الوتد . وفى الأغانى « وأوجعى بالفهر »

وَظَاهِري البَغيَ لها عليها   لا تُخبري الدَّهرَ به ابنتيها(١)

قال: فضحك هشام حتى بدت نواجذه وسقط على قفاه، وقال: ويحك! ما هذه وصية يعقوب عليه السلام ولده، فقال: ولا أنا كيعقوب يا أمير المؤمنين. قال: فما قلت للثانية؟ قال: قلت [من الرجز]:

أُوصيكِ يا بنتي فإني ذاهبُ   أُوصيكِ أنْ تَحمَدَكِ الأقاربُ
والجارُ والضيفُ الكريمُ السَّاغبُ   ويَرجِعَ المسكينُ وهوَ خائبُ(٢)
ولا تني أظفارُكِ السَّلاهبُ   لهنَّ في وجهِ الحماةِ كاتبُ
والزَّوجَ إنَّ الزوجَ بئسَ الصَّاحبُ

قال: فكيف قلت هذا ولم تتزوج؟ وأي شيء قلت في تأخر تزويجها؟ قال: قلت [من الرجز]:

كأنَّ ظَلَّامةَ أختَ شَيبانْ   يتيمةٌ ووالداها حيَّانْ
الرأسُ قملٌ كلُّهُ وصِئبانْ   وليسَ في السَّاقينِ إلَّا خَيطانْ
تلكَ التي يَفزَعُ منها الشَّيطانْ(٣)

قال: فضحك هشام حتى ضحك النساء لضحكه، وقال للخصي: كم بقي من نفقتك؟ قال: ثلثمائة دينار، قال: أعطه إياها ليجعلها في رجل ظلامة، مكان الخيطين.

---

(١) روى في الكامل:

* وجددي الحلف به عليها *

وروى في الأغاني (٩-٨٠)

* وظاهري النذر لها عليها *

(٢) في الأغاني * لا يرجع المسكين *

(٣) في الكامل * تلك التي يذعر منها. *

ودخل أبو النجم يوماً على هشام وقد مضت له سبعون سنة ، فقال له هشام : ما رأيك فى النساء ؟ قال : إنى لأنظر إليهن شزراً ، وينظرن إلى حذرا ، فوهب له جارية ، وقال له : اغدُ على فأخبرنى ما كان منك ، فلما أصبح غدا عليه فقال له : ما صنعت شيئاً ولا قدرت على شىء ، وقلت فى ذلك أبياتا [من الكامل] : (١)

نَظرتْ فأعجبها الذى فى دِرْعِها ... مِن حُسنه ونظرتُ فى سِرْباليا
ضَيْقاً يَعضُّ بكلِّ عَرْدٍ نَاله ... كالصدغ أو صدع يرى متجافيا(٢)
فرأت لها كَفلاً ينوء بخَصْرِها ... وَعْثاً رَوادفُه وأجْثَمَ نابيا(٣)
ورأيت منتشر العِجَانِ مُقلَّصاً ... رِخْواً مَفاصلهُ وجلداً باليًا
أدنِى لهُ الرَّكبَ الحليقَ كأنَّما ... أدنى إليه عقاربًا وأفاعيًا
إن الندامة والسدامة فاعلمن ... لو قد خبرتك للمواسى حاليا(٤)
ما بالُ رأسكَ من ورائى طالعا ... أظننتَ أنَّ حِرَ الفتاةِ وَرائيا
فاذهبْ فإنكَ مَيِّتٌ لا تُرتجَى ... أبَدَ الأبيد وَلو عمرت لَياليًا
أنتَ الغرورُ إذا خبرت وربَّما ... كان الغرور لمن رجاه شَافيًا
لَكِنَّ أيْرِى لا يُرجَّى نَفعُه ... حتَّى أعُودَ أخَا فتَاءٍ نَاشيًا

فضحك هشام وأمر له بجائزة أخرى .

وحدث أبو الأزهر ابن بنت أبى النجم عن أبى أمه أنه كان عند عبد الملك ابن مروان – ويقال : عند سليمان بن عبد الملك – يوما ، وعنده جماعة من

(١) الأبيات إلا الثاني في الأغانى (٩–٨١)
(٢) كذا ، ولا يستقيم لى معنى لعجز هذا البيت
(٣) فى الأغانى « يميل بخصرها » وفيه « وأجثم جاثيا »
(٤) كذا فى الأغانى ، وفى أصول هذا الكتاب « لو قد خبرتك للموافي »

الشعراء ، وكان أبو النجم فيهم والفرزدق وجارية واقفة على رأس سليمان — أو عبد الملك — تذبُّ عنه ، فقال : من صبحني بقصيدة يفتخر فيها وصَدَقَ فى فخره وهبته هذه الجارية ، قال : فقاموا على ذلك ، ثم قالوا إن أبا النجم يغلبنا بمقطعاته ، يعنون الرجز ، فقال : ألا لا أقول إلا قصيدا ، فقال من ليلته قصيدته التى فخر فيها ، وهى [من الكامل] : [1] .

* عَلِقَ الفؤاد حَبائِل الشَّعثاءِ *

ثم أصبح ودخل عليه ومعه الشعراء ، فأنشده حتى بلغ إلى قوله :

مِنَّا الذِى رَبعَ الجيوشَ لِصُلبِهِ عِشرونَ وَهْوَ يُعَدُّ فى الأحْياءِ[2]

قال له عبد الملك ـ أو سليمان ـ قف ، إن كنت صدقت فى هذا البيت فلا تزد ما وراءه ، فقال الفرزدق : أنا أعرف منهم ستة عشر ، ومن ولد ولده أربعة كلهم قد رَبَعَ ، فقال عبد الملك ـ أو سليمان ـ : ولد ولده هم ولده ، ادفع إليه الجارية يا غلام ، قال : فغلبهم يومئذ .

وحدث الأصمعى قال : قال أبو النجم للمديل بن الفرخ : أرأيت قولك [من الطويل] :

---

(١) انظر ثمانية أبيات من هذه الكلمة سوى البيت الآتي فى الجمحى (١٥٠) وفيه في هذا المطلع :

* علق الهوى بحبائل الشعثاء *

(٢) ربع الجيوش : أراد أخذ ربع الغنائم ، وكان الرؤساء والسادة يأخذون لأنفسهم ربع ما يغنم قومهم فى الحروب ، ويسمونه المرباع ، وقال الشاعر :

لك المرباع منها والصفايا وحكمك والنشيطة والفضول

يريد أبو النجم أن من قومه من كان سيداً رئيساً ، وفى الجمحى * عدوا كمن ربع الجيوش * يريد أن من قومه من ساد حتى ربع الجيوش وعاش حتى رأى من أولاده عشرين رجلا كلهم سيد ورئيس .

فإن تكُ مِنْ شَيبانَ أُمّى فإننى ... لِأبيضَ عجلىّ عَريض المفَارِقِ

أكنت شاكا فى نسبك حتى قلت مثل هذا ؟ فقال العديل : أشككت فى نفسك أو فى شعرك حين قلت [من الرجز] :

أنا أبو النَّجمِ وَشعرِى شِعرِى ... لله دَرّى ما يُجنُّ صَدرِى

فأمسك أبو النجم واستحيا ، وكانت وفاته آخر دولة بنى أمية .

* * *

٤ — * كَرِيمُ الجِرِشّى شَرِيفُ النَّسَبْ *

شاهد الكرامة فى السمع

قائله أبو الطيب المتنبى ، من قصيدة من بحر المتقارب ، وكان سيف الدولة ابن حمدان صاحب حلب قد أنفذ إليه كتابا بخطه إلى الكوفة بأمانٍ وسأله المسير إليه ، فأجابه بهذه القصيدة :

فَهمتُ الكِتابَ أبرَّ الكُتبْ ... فَسمعاً لأمرِ أمير العَرَبْ

وطَوعاً له وابتهاجاً به ... وإن قَصَّرَ الفِعلُ عمّا وَجبْ

وما عاقَنى غَيرُ خَوفِ الوُشاة ... فإن الوشاة طريقُ الكَذِبْ(١)

وتكثيرُ قَومٍ وتَقليلهم ... وتَقريبهُم بيننا والخَبَبْ

وَقد كانَ ينصرهم سَمعهُ ... وينصرُنِى قلبهُ والحسبْ

وَمَا قُلتُ للبدر أنتَ اللجَينُ ... ولا قلتُ للشمس أنتِ الذَّهبْ

فَيقْلقَ مِنهُ البَعيدُ الأناةِ ... ويَغضبَ منه البَطىءُ الغَضبْ

وما لاقنِى بَعدكمْ بَلدةٌ ... ولا اعتَضْتُ مِن رَبِّ نُعماىَ رَب(٢)

---

(١) فى الديوان « وإن الوشايات طرق الكذب »

(٢) فى الديوان « وما لاقنى بلد بعدكم »

وَمَنْ رَكِبَ الثَّوْرَ بَعدَ الجوَا ... دِ أنكرَ أظلافهُ والغبَبْ

وَما قِستُ كلَّ ملوكِ البلادِ ... فَدعْ ذِكرَ بَعضٍ بِمَنْ فى حَلَبْ

وَلو كُنتُ سميتهمْ باسمهِ ... لَكانَ الحديدَ وكانوا الخشبْ

أفى الرأى يُشْبَهُ أمْ فى السخا ... ءِ أمْ فى الشجاعةِ أمْ فى الأدبْ؟

مُباركُ الاسمِ أغرُّ اللقبْ ... كَريمُ الجرشَّى شَريفُ النسبْ

أخو الحربِ يُخدمُ مِمَّا سَبَى ... قَناهُ وَيخلعُ مِمَّا سَلبْ

إذَا حازَ مالاً فقدْ حازهُ ... فتًى لاَ يُسرُّ بِما لاَ يَهَبْ

وهى طويلة

والجرشى بكسر الجيم والراء مقصورا: النَّفْس، وأشار بقوله «مبارك الاسم» إلى أن اسم الممدوح على، وهو اسم مبارك يتبرك به، لمكان على بن أبى طالب رضى الله عنه، ولأنه مشتق من العلو والعلو مبارك، ومعنى «أغر اللقب» مشهور لأنه سيف الدولة، والأغر من الخيل: الذى فى وجهه غُرَّة، وهى البياض، استعير لكل واضح معروف

والشاهد فيه كراهة السمع للفظة تكون فى البيت كالجرشى هنا

ترجمة أبى المتنبى

وأبو الطيب [1] اسمه أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفى الكندى الكوفى المتنبى الشاعر المشهور. [2] وإنما قيل له «المتنبى» لأنه ادعى النبوة فى بادية السَّماوة، وتبعه خلق كثير من بنى كلب وغيرهم، فخرج إليه لؤلؤ

---

(١) له ترجمة فى سرح العيون (١٥) وفى يتيمة الدهر (١-٩٠) وفى تاريخ ابن خلكان (١-٦٢) النيل بمصر. وأكثر ماهنا منقول عن ابن خلكان.

(٢) فى ابن خلكان «وقيل هو أحمد بن الحسين بن مرة بن عبد الجبار» اهـ.

أمير حمص نائب الاخشيدية فأسره وتفرق أصحابه، وحبسه طويلا، ثم استتابه وأطلقه

وكان قد قرأ على البوادى كلاما ذكر أنه قرآن أنزل عليه فمنه «والنجم السيار، والفلك الدوار، والليل والنهار، إن الكافر لفى أخطار، أمض على سَنَنَكَ واقْفُ أثر من كان قبلك من المرسلين، فان الله قامعٌ بك زيغ من ألحد فى الدين وضل عن السبيل»

وكان إذا جلس فى مجلس سيف الدولة وأخبروه عن هذا الكلام فينكره ويجحده

ولما أطلق من السجن التحق بالأمير سيف الدولة بن حمدان، ثم فارقه ودخل مصر سنة ست وأربعين وثلثمائة، ومدح كافوراً الأخشيدى، وأنوجور بن الأخشيد وكان يقف بين يدى كافور وفى رجليه خفان وفى وسطه سيف ومنطقة، ويركب بحاجبين من مماليكه وهما بالسيوف والمناطق، ولما لم يرضه هجاه وفارقه ليلة عيد النحر سنة خمسين وثلثمائة، فوجه كافور خلفه عدة رَوَاحل فلم يُلحق، وقصد بلاد فارس ومدح عضد الدولة بن بويه الدَّيْلَمِىَّ، فأجزل صلته، ولما رجع من عنده عرض له فاتك بن أبى جهل [1] الأسدى فى عدة من أصحابه، فقاتله، فقُتل المتنبى وابنه محسّد [2] وغلامه مُفلح، بالقرب من النعمانية فى موضع يقال له الصافية من الجانب الغربى من سواد بغداد، ويقال: إنه قال شيئا فى عضد الدولة، فدس عليه من قتله، لأنه لما وفد عليه وصله بثلاثة آلاف دينار وثلاثة أفراس مُسْرجة محلاة وثياب مفتخرة، ثم دس عليه مَنْ سأله: أين هذا العطاء من عطاء سيف الدولة؟ فقال: هذا أجزل إلا أنه عطاء متكلف، وسيف الدولة كان يعطى طبعاً. فغضب عضد الدولة، فلما انصرف جهز عليه قوما من بنى ضبة فقتلوه بعد أن قاتل قتالا

---

(١) في ابن خلكان «ابن أبى الجهل»

(٢) فى أصول هذا الكتاب «محشد» وهو تصحيف، ونص ابن خلكان على انه بالسين مهملة

شديداً ثم انهزم ، فقال له غلامه أين قولك [من البسيط] :

الخَيلُ واللَّيلُ وَالبَيداءُ تَعرفُني وَالطَّعنُ والضَّربُ والقِرطاسُ والقَلَمُ

فقال : قتلتنى قتلك الله ، ثم قاتل فقُتل .

ويقال: إن الخفراء جاءوه وطلبوا منه خمسين درهما ليسيروا معه، فمنعه الشح والكبر ، فتقدموه فوقع له ماوقع

وكان قتله يوم الأربعاء لست بقين ، وقيل : لثلاث بقين ، وقيل : لليلتين بقيتا من شهر رمضان سنة أربع وخمسين وثلثمائة

ومولده كان فى سنة ثلاث وثلثمائة بالكوفة فى محلة تسمى كندة ، وليس هو من كندة التى هى قبيلة ، بل هو جُعْفِيّ

وقيل: إن أباه كان سقَّاء بالكوفة ، وكان يلقب بعَبْدان ثم انتقل إلى الشام بولده ، وإلى هذا أشار بعض الشعراء فى هجوه فقال [من الخفيف] :

أيُّ فَضلٍ لِشاعرٍ يَطلُبُ الفضـ ـلَ مِنَ النَّاسِ بُكرةً وَعشيّاً

عَاشَ حِيناً يَبيعُ فِي الكُوفةِ الما ءَ وَحِيناً يَبيعُ ماءَ المُحَيّا

ولقد أولع بعض شعراء عصره بهجوه ، حسداً له على فضله ، وتمكنه من الملوك ، ومراعاة لتيهه وتكبره ، وممن أفحش فى ذلك ابن حَجَّاج ، فقال جاريا على عادته فى السخف والمجون [من المجتث] :

يَاديمةَ الصفعِ صُبِّي علىَ قَفَا المُتَنبي

وَيَا قَفَاهُ تَقَدَّمْ حَتىَّ تَصيرَ بِجَنْبي

وَأنتَ يَاريحَ بَطني عَلىَ سِبالَيهِ هُبِّي

ويقول فيها :

إنْ كُنت أنتَ نَبيّاً فالقِردُ لاشكَّ رَبِّي

وقال فيه أيضا من قصيدة [من السريع] :

قُلْ لِي وَطَرْطُورُكَ هذَا الّذي فِي غَايَةِ الحُسْنِ شَوَابيرُهْ
مَاضِرُهُ إذْ جَاء فَصلُ الشِّتَا لَوْ أنَّ شَعْرَ ٱستِيَ سَمُّورُهْ

ولقد كان المتنبي من المكثرين من نقل اللغة، والمطلعين على غريبها وحوشيها ولا يسأل عن شيء إلا ويستشهد فيه بكلام العرب من النظم والنثر، حتى قيل: إن الشيخ أبا علي الفارسي قال له يوما: كم لنا من الجموع على وزن فِعْلَى؟ فقال المتنبي في الحال: حِجْلَى[1] وظِرْبَى، قال الشيخ أبو علي: فطالعت كتب اللغة ثلاث ليال علّى أن أجد لهذين الجمعين ثالثا فلم أجد، وحسبك من يقول أبو علي في حقه هذه المقالة

وقال أبو الفتح بن جني: قرأت ديوان المتنبي عليه، فلما بلغت إلى قوله في كافور الأخشيدي [من الطويل]:

أَلاَ لَيتَ شِعرِي هَلْ أَقُولُ قَصيدَةً فَلاَ أَشْتَكِي فِيهَا وَلاَ أَتَعَتَّبُ؟
وَبِي مَايَذُودُ الشِّعرَ عَنِّي أَقَلُّهُ وَلَكِنَّ قَلبي يَاابْنَةَ القَوْمِ قُلَّبُ

قلت له: يعز على كون هذا الشعر في غير سيف الدولة، فقال: حذرناه وأنذرناه فما نفع، ألست القائل فيه [من الطويل]:

أَخَا الجُودِ أَعطِ النَّاسَ مَاأَنتَ مَالِكٌ ولا تُعطِيَنَّ النَّاسَ مَاأَنَا قَائِلُهْ

فهو الذي أعطاني [كافورا][2] بسوء تدبيره وقلة تمييزه

والناس في شعره على طبقات: فمنهم من يرجحه على أبي تمام ومَنْ بعده، ومنهم من يرجح أبا تمام عليه، ورُزق في شعره السعادة، واعتنى العلماء بديوانه

---

(١) حجلى: جمع حجل، وهو الطائر الذي يسمى القبج، وظربى: جمع ظربان — على زنة قطران — وهى دويبة منتنة الرائحة

(٢) الزيادة عن ابن خلكان، وهى لازمة لإكمال المعنى

فشرحوه حتى قيل : إنه وجد له ما يزيد على أربعين شرحا

ومن شعره مما ليس فى ديوانه بل رواه الشيخ تاج الدين الكندى بسند صحيح متصل بيتان ، وهما [من الكامل] :

أَبِعَيْنِ مُفْتَقِرٍ إليكَ نَظَرْتَنِي فَأَهَنْتَنِي وَقَذَفْتَنِي مِنْ حَالِقِ؟
لَسْتَ الْمَلُومَ أنا الْمَلُومُ لأنني أَنْزَلْتُ آمَالِي بغيرِ الخالِقِ

ولما قتل رثاه أبو القاسم المظفر بن على الطبسى[1] بقوله[من الخفيف] :

لا رعَى اللهُ سِربَ هَذَا الزّمان إذ دَهانَا فى مِثلِ ذاكَ اللِّسانِ
ما رَأى النّاسُ ثانِىَ المُتنبِّى أىُّ ثَانٍ يُرَى لبِكْرِ الزّمانِ
كَانَ مِنْ نَفسهِ الكَبِيرة فى جَيْـ شٍ وَفى كِبرياء ذى سُلطانِ
هُوَ فى شِعرهِ نبىٌّ ولكنْ ظَهرتْ مُعجزاتهُ فى المَعانِى

ويحكى أن المعتمد بن عباد اللخمى صاحب قرطبة و إشبيليه أنشد يوما فى مجلسه بيت المتنبى الذى هو من جملة قصيدته المشهورة ، وهو[من الطويل][2] :

إذَا ظَفِرَتْ مِنكَ العُيونُ بِنظرةٍ أَثَابَ بِهَا مُعيِي المَطِىِّ وَرازِمُهْ

وجعل يردده استحسانا له ، وفى مجلسه أبو محمد عبد الجليل بن وَهْبُون الأندلسى ، فأنشد ارتجالا[من الطويل] :

لَئنْ جَادَ شِعرُ ابنِ الحُسينِ فإنّما تُجيدُ العَطَايَا واللُّهَا تَفتحُ اللَّهَا

(١) الطبسى ـ بفتح الطاء والباء ـ نسبة إلى طبس ، وهى مدينة بين نيسابور و اصبهان وكرمان

(٢) هو من قصيدة مدح بها سيف الدولة وهى أول ما أنشده سنة (٣٣٧هـ) وأولها قوله :

وفاؤكما كالربع أشجاه طاسمه بأن تسعدا ، والدمع أشفاه ساجمه

تَنبأ عُجباً بالقَريض ؛ ولو درَى   بأنكَ تَروى شِعرهُ لتألَّها

وهذا مثل قديم قاله أبو سعيد القصار فى جعفر بن يحيى [من مجزوء الخفيف] :

لابنِ يَحيى مآثرٌ   بلغت بى إلى السُّها

جادَ شِعرِى بجودهِ   واللُّها تَفتحُ اللَّها

واللها بالضم : العطايا ، وبالفتح جمع لهاة الحلق .

ورثاه أيضاً محمد بن عبدالله الكاتب النصيبى بقصيدة يستجيش فيها عضد الدولة على مدحضى قدمه ومريقى دمه ؛ فمنها [من البسيط] :

قرتْ عيونُ الأعادى يومَ مَصرعهِ   وطالما سَخِنتْ فيه مِنَ الحَسدِ

ومنها :

أبَا شُجاعٍ فتَى الهَيجا وَفَارسها   وَمُشتِرى الشُّكر بالإنفاقِ والصَّفَدِ[1]

هٰذى بَنو أسدٍ جاءت بمُؤيدةٍ   صَماء. نائحة هَدَّت ذُرَى أحُدِ

سَطتْ عَلَى المتنبى منْ فَوارسِها   سَبعونَ جاءته فى مَوْجٍ مِنَ الزَّرَدِ

حَتَّى أتتْ وَهوَ فى أمْنٍ وفى دَعةٍ   يَسيرُ فى سِتةٍ إنْ تُحصَ لم تَزِدِ

كَرَّتْ عليه سِراعاً غيرَ وَانيةٍ   فغَادرته قرينَ التُّرب والثَّأَدِ[2]

منْ بَعدِ ما أعملت فيهم أسنَّتهُ   طَعناً يُفرق بَين الرُّوحِ وَالْجسدِ

فَاطلبْ بثأر فتى ما زلتَ تَعضُدُهُ   للهِ دَركَ مِنْ كَهفٍ وَمِنْ عَضُدِ[3]

---

(١) الصفد — بفتح الصاد والفاء جميعا — العطاء

(٢) الثأد: الثرى ، وهو بفتح الثاء والهمزة ، وقد تسكن همزته ، لكن فى غير هذا البيت لأن الوزن يستدعى المحرك

(٣) عضده يعضده — مثل نصره ينصره — أى أعانه . وعاضده : مثله

أَرْكِ العيونَ عليهمْ أينَّةً سلكوا وضيِّقِ الأرضَ والأقطارَ بالرَّصدِ(١)
شَرِدْهمُ بجيوشٍ لا قِوامَ لها تأتى على سَبَدِ الأقوامِ واللَّبَدِ(٢)

ورثاه أيضاً ثابت بن هارون الرَّقِّىّ النصرانى بقصيدة يستثير فيها عضد الدولة على فاتك وبنى أسد، يقول فى أولها [من الكامل]:

الدهرُ أنكى والليالى أنكدُ مِنْ أنْ تعيشَ لأهلِها يا أحمدُ
قصدَتْكَ لَمَّا أن رأتْكَ نفيسها بُخْلاً بمثلكَ والنَّفائسُ تُقصدُ
ذُقْتَ الكريهةَ بغتةً وفقدْتَها وكريهُ فقدِكَ فى الورى لا يفقدُ
قلْ لى إن اسطعْتَ الجوابَ فإننى صبُّ الفؤادِ إلى خطابكَ مُكمَدُ

ومنها:

أتركْتَ بعدكَ شاعراً؟ واللهِ لاَ لَمْ يَبْقَ بعدكَ فى الزَّمانِ مُقصِّدُ(٣)
أمَّا العلومُ فإنَّها يا ربَّها تبكى عليكَ بأدمعٍ لا تجمدُ
يا أيُّها الملكُ المؤيَّدُ، دعوةً مِمَّن حَشاهُ بالأسى يتوقَّدُ
هذى بنو أسد بضيفكَ أوقعتْ وحوَتْ عطاءكَ إذْ حواهُ الفرقدُ
ولهُ عليكَ بقصدِهِ يا ذا العلا حقُّ التحرُّمِ والذِّمامُ الأوكدُ
فارعَ الذِّمامَ وكُنْ لضيفكَ طالباً إنَّ الذِّمامَ على الكريمِ مؤبَّدُ

وأخبار المتنبى وما جرى له كثيرة، وسيأتى طرف منها ومن شعره فى أثناء هذا الكتاب.

---

(١) الرصد ـ بفتح الراء والصاد جميعاً ـ القوم يراقبون الشىء كالحرس. الواحد فيه والجمع والمذكر والمؤنث سواء

(٢) العرب يقولون: ليس لفلان سبد ولا لبد، وهم يريدون أنه ليس له شىء. والسبد: وبر الإبل، واللبد: الصوف.

(٣) مقصد: يريد شاعراً لأن الشاعر يقصد القصائد

شاهد تنافر الكلمات

٥ — وقَبْرُ حَرْبٍ بِمكَانٍ قَفْرِ   وَلَيْسَ قُرْبَ قَبرِ حَرْبٍ قَبر

البيت من الرَّجز ، ولا يُعرف قائله ، ويقال : إنه من شعر الجنّ ، قالوه فى حَرْب بن أميّة بن عبد شمس لما قتلوه بثأر حيّة منهم قتلها القفل الذى كان فيه ، ودُفن ببادية بعيدة ، وكانَ حربٌ المذكور مُصافيا لمِرْداس السُّلَمِيّ أبى العباس الصحابى ، فقتلهما الجنّ جميعا ، وهذا شىء قد ذكرته الرواة فى أخبارها ، والعرب فى أشعارها .

مقتل حرب ابن أمية ومرداس السلمى

ذكر أبو عبيدة وأبو عمرو الشيبانىُّ ، أن حرب بن أمية لما انصرف من حرب عُكاظ هو وإخوته مرّ بالقرية ، وهى إذ ذاك غيضة شجر ملتف لا يرام ، فقال له مرداس بن أبى عامر : أما ترى هذا الموضع ؟ قال : بلى ، فما له ؟ قال : نِعْمَ المزدرَعُ هو ، فهل لك أن تكون شريكى فيه ونُحرِق هذه الغيضة ثم نزرعه بعد ذلك ؟ قال : نعم ، فأضرما النار فى الغيضة ، فلما استطارت وعلا لهبُها سُمِع من الغيضة أنينٌ وضجيج كثير ، ثم ظهرت منها حيَّاتٌ بيضٌ تطير حتى قطعتها وخرجت منها ، فقال مرداس فى ذلك [من البسيط] :

إنِّى انتَخَبْتُ لها حَرْباً وإخوتَه   إنِّى بحبلٍ وَثيقِ العَهْدِ دسَّاسُ

إنى أُقوِّمُ قبل الأمرِ حُجَّتَهُ   كَما يقال وَلِىّ الأمرِ مِرْداسُ

قال : فسمعوا هاتفاً يقول لما احترقت الغيضة [من مجزوء الرجز] :

وَيلٌ لحَرْبٍ فارِسَا   مُطاعِنــاً مُخالسَا

وَيلٌ لحَرْبٍ فارِسَا   إذْ لبِسُوا القوانسَا

لنَقْتُلَنْ بقَتــلِهِ   جَحاجِحاً عَنابِسَا

ولم يلبث حرب بن أمية ومرداس أن ماتا ، فأما مرداس فدفن بالقرية ، ثم ادّعاها بعد ذلك كُلَيب بن عمرو السُّلَمِىُّ ثم الظَّفَرىّ ، فقــال فى ذلك عباسُ بن مرداس [من الكامل] :

أكُلَيبُ مالكَ كلَّ يومٍ ظالماً والظُّلمُ أنكدُ وَجْهُه ملعُونُ
عجباً لقومِكَ يَحسبونكَ سيِّداً وَإخالُ أنك سيِّدٌ مغبُونُ(١)
فإذا رَجعتَ إلى نسائكَ فادَّهِنْ إنَّ المُسالمَ رَأسُه مدهونُ
وَافعلْ بقومكَ ما أراد بوائلٍ يومَ الغَديرِ سَمِيُّكَ المطعونُ(٢)
وَإخالُ أنك سَوف تلقَى مثلَها في جانِبَيكَ سِنانُها المسنونُ
إنَّ القريَّةَ قد تبيَّنَ أمرُهَا إنْ كان ينفعُ عندكَ التبْيِينُ
حِينَ انطلقتَ تَخُطُّها لي ظَالِماً وَأبو يَزيدَ بِجَوِّهَا مَدفونُ

وقد روى البيتُ بلفظ.

* وما بِقُربِ قَبْرِ حَربٍ قبْرُ *

ويقال : إنه لا يتهيأ لأحد أن ينشده ثلاث مرات متواليات فلا يتتعتع .

و « قرب » وقع خبراً لليس وكان من حقه أن يقول « قرب قبره » فأتى بالظاهر موضع المضمر ليدل على لزوم التوجع .

والشاهد فيه : التنافر ، لما فى هذه الألفاظ من ثقل النطق بها ، ولذلك هرب أرباب الفصاحة من اللفظين المتقاربين إلى الادغام ، لانتقال اللسان فيه إليهما انتقالةً واحدةً ، وشبَّهوا النطق بالمتقاربين بمشى المقيد .

* * *

من شواهد التنافر

٦ — * كَرِيمٌ مَتَى أَمْدَحْهُ أَمْدَحْهُ والوَرَى *

قائله أبو تمام الطائى ، وتمامه :

* مَعِى وَإذا مَالُمتهُ لُمتُهُ وَحدِى *

---

(١) فى الأصول «مغبون» وفى هذه الكلمة روايتان إحداهما «معيون» أى مصاب بالعين ، والثانية « مغيون »

(٢) أراد بسميه : كليب وائل الذى قتله جساس بن مرة ، وبسببه قامت حرب البسوس

وهو من قصيدة من الطويل يمدح بها أبا الغيث موسى بن إبراهيم و يعتذر إليه ، وأولها :

شهدتُ لقد أقوتْ مَعالمكم بعدِى ... ومحتْ كما محتْ وَشائعُ مِنْ بُرد[1]

وأنجدتمُ منْ بَعد إتهامِ داركم ... فيا دَمعُ أنجدْنى على ساكنى نجدِ

لعمرى لقد أخلقتمُ جِدّةَ البكا ... بكاء وجدّدتم علىّ بِلَى الوجدِ[2]

إلى أن قال فى مديحها :

أتانِى مع الرُّكبان ظنّ ظَننتهُ ... نَكستُ لهُ رأسى حَياء منَ المجدِ[3]

لقد نكب الغدرُ الوفاء بساحتى ... إذاً وَسرحتُ الذمّ فى مَسرح الحمدِ

وَهتكتُ بالقولِ الخنا حُرمةَ العلاَ ... وأسلكتُ حرّ الشعْر فى مسلكِ العبدِ

نَسيتُ إذاً كم من يدٍ لك شاكلتْ ... يدَ القربِ أعدَتْ مُستهاماً على البعدِ

وَمنْ زَمنٍ ألبستنيهِ كأنهُ ... إذا ذُكرتْ أيّامه زمنُ الوردِ

وَإنكَ أحكمتَ الذى بينَ فكرتى ... وَبينَ القوافى منْ ذِمامٍ ومنْ عَهْدِ

وأصْلتّ شِعرى فاعتلى رَونقَ الضحى ... وَلولاكَ لم يَظهرْ زَماناً منَ الغِمدِ[4]

وَكيفَ وما أخلتُ بَعدَك بالحِجا ... وَأنتَ فلم تُخلِلْ بِمكرمةٍ بعدِى[5]

أسَرْبِلُ هُجرَ القولِ مَنْ لوْ هَجوتهُ ... إذاً لهجانى عنهُ مَعروفهُ عِندِى

(١) فى الديوان « مغانيكم بعدى » وأقوت : أقفرت،ومحت : انمحت وطمست معالمها . والوشائع : ماالتف من الغزل

(٢) فى الديوان « على وجددتم به خلق الوجد »

(٣) فى الديوان « لفقت له رأسى »

(٤) أصلت : أراد أظهرت وشهرت ، وأصله إخراج السيف من غمده ، والغمد : قراب السيف

(٥) فى الديوان « فكيف »

4 و بعده البيت ، و بعده :

وَلَوْ لَمْ يَزَعْنِي عَنْكَ غَيْرُكَ وَازِعٌ لَأَعْدَيْتَنِي بِالْحِلْمِ ، إِنَّ الْعُلَا تُعْدِي [١]

ومعنى البيت : هو كريم إذا مدحته وافقني الناس على مدحه فيمدحونه لإسداء إحسانه إليهم كإسدائه إلى ، ولا أمدحه بشيء إلا صدقني الناس فيه ، أو أن الناس وافقوني على وجود مايوجب المدح للانسان من صفات الكمال فيه، و إذا لمته لا يوافقني أحد على لومه ، لعدم وجود المقتضى له فيه .

وفى معناه قول الآخر [من الكامل] :

وَإِذَا شَكَوْتُكَ لَمْ أَجِدْ لِي مُسْعِداً وَرُمِيتُ فِيمَا قُلْتُ بِالْبُهْتَانِ [٢]

وقد ناقضَ هذا المعنى ابن أبى طاهر بقوله [من السريع] :

يَشْرَكُنِي العالَمُ فِي ذَمِّهِ لَـكِنَّنِي أَمْدَحُهُ وَحْدِي

وطاهر العتابى المعروف بالمعتمد البغدادى بقوله [من الطويل] :

مَدَحْتُهُمُ وَحْدِي فَلَمَّا هَجَوْتُهُمْ هَجَوْتُهُمُ وَالنَّاسُ كُلُّهُمُ مَعِي

والشاهد فيه التنافر أيضا ؛ لما فى قوله « أمدحه » من الثقل لقرب مخرج الحاء من مخرج الهاء ، لأن المخارج كلما قربت كانت الألفاظ مكدودة قلقة غير مستقرة فى أماكنها ، و إذا بعدت كانت بعكس الأول ، ولهذا لم يوجد فى كلام العرب العين مع الغين ، ولا مع الحاء ، ولا مع الخاء ، ولا الطاء مع التاء ، حذراً مما مر . وأيضاً فيه ثقل من جهة التكرار فى « أمدحه » و « لمته » .

ومن قبيح التكرار قول الشاعر [من السريع] :

وَازْوَرَّ مَنْ كَانَ لَهُ زَائِراً وَعَافَ عَافِي الْعُرْفِ عِرْفَانَهُ

---

(١) فى الديوان « ولو لم يزعنى عنك للحلم وازع » .

(٢) مسعدا : معينا يوافقنى ؛ والبهتان : الكذب ؛ أو أبشعه .

ترجمة أبي تمام

وأبو تمام[١] اسمه حبيب بن أوس بن الحرث بن قيس بن الأشج بن يحيى ابن مروان ، ينتهى إلى طيء . قال أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدى[٢] : والذى عند أكثر الناس فى نسب أبى تمام أن أباه كان نصرانياً من أهل جاسم قرية من قرى الجيدور ، من أعمال دمشق[٣] يقال له تدوس العطار ، فجعلوه أوسا ، وولد أبو تمام بالقرية المذكورة سنة تسعين ، وقيل : سنة ثمان وثمانين ومائة ، وقيل : سنة اثنتين وسبعين ، ونشأ بمصر ، وقيل : إنه كان يسقى الماء بالجرة فى جامع مصر ، وقيل : كان يخدم حائكا و يعمل عنده ، ثم اشتغل وتنقل إلى أن صار واحدَ عصره فى ديباجة لفظه ، وفصاحة شعره[٤] وحسن أسلوبه ، وكان له من المحفوظات مالا يلحقه فيه غيره ، حتى قيل : إنه كان يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة للعرب غير المقاطيع والقصائد ، وله كتاب الحماسة الذى دلّ على غزارة فضله ، وإتقان معرفته ، وحسن اختياره ، وله مجموع آخر سماه فحول الشعراء ، جمع فيه طائفة كثيرة من شعراء الجاهلية والمخضرمين والإسلاميين ، وله كتاب الاختيارات من شعر الشعراء ، ومَدَحَ الخلفاء وأخذ جوائزهم .

وكان فى لسانه حُبسة وفى ذلك يقول ابن المعذَّل[٥] أو أبو العميثل [من مجزوء الرمل] :

---

(١) قف على ترجمة أبى تمام فى الأغانى (١٥ - ٩٩ - ١٠٨) وفى ابن خلكان (١ - ٢١٤ - ٢١٨) وفى الخزانة (١ - ١٧٢) .

(٢) وقع فى المطبوعتين « الأموى » تحريفا ، والحديث عن ابن خلكان عن الآمدى صاحب الموازنة بين أبى تمام والبحترى .

(٣) فى الأغانى « مولده ومنشؤه بناحية منبج بقرية منها يقال لها جاسم »

(٤) أحسبه « ونصاعة شعره »

(٥) فى المطبوعتين « ابن المعدل » تحريفا ، وابن المعذل — بالذال المعجمة — هو عبد الصمد بن المعذل بن غيلان ، وكان هجاء خبيث اللسان شديد العارضة (له ترجمه فى الأغانى) وقد نسب البيتين فى أخبار أبى تمام (٢٤١) إلى مخلد .

يا نبيَّ الله فى الشعرِ وَيا عيسى ابن مريَمْ
أنْتَ منْ أشعرِ خلْقِ الله مَا لمْ تتكلَّمْ

شواهد الهجاء فى معرض المدح

وهذا نوع من البديع يسمى الهجاء فى معرض المدح ، ومن مليح ما جاء فيه قول ابن سناء الملك فى قوّاد [من السريع] :

لى صاحبٌ أفْديه من صاحبٍ حلوِ التأتّى حسنِ الاحتيَالِ
لو شاءَ منْ رقّةِ ألفاظهِ ألَّفَ ما بين الهدَى وَالضلالِ
يكْفيكَ منهُ أنّه ربمَا قادَ إلَى المهجورِ طيْفَ الخيَالِ

ومنه قول ابن أبى الاصبع يهجو فقيهاً ذا أبنة [من السريع] :

ابنُ فُلاَنٍ أكرمُ النّاس لاَ يَمنعُ ذَا الحاجةِ منْ فلْسهِ
وَهوَ فقيهٌ ذُو اجتهادٍ وَقدْ نَصَّ على التّقليدِ فى دَرْسهِ
يستحسنُ البحْثَ على وَجهِهِ وَيوجبُ الْفعلَ على نفسهِ

ووفد أبو تمام إلى البصرة وبها عبد الصمد بن المعذل الشاعر ، فلما سمع بوصوله ، وكان فى جماعة من أتباعه وغلمانه ، خاف من قدومه أن يميل الناسُ إليه ويعرضوا عنه ، فكتب إليه قبل دخوله البلد [من الخفيف] :

أنتَ بيْنَ اثنتيْنِ تبرز للنَّا سِ وتلقاهُم بوجهٍ مُذَالِ
لَستَ تنفكُّ راجياً لوصَالٍ منْ حبيبٍ أو راغباً فى نَوالِ
أىُّ ماءٍ يَبقَى لوَجهكَ هـذَا بَعدَ ذلِّ الهوَى وذلِّ السُّؤالِ[1]

فلما وقف على الأبيات أعرض عن مقصده ورجع وقال : قد شغل هذا ما يليه فلا حاجة لنا فيه .

وقد تبعه الأمير مجير الدين بن تميم بقوله [من الخفيف] :

(١) فى الأصول وابن خلكان « بين ذل الهوى وذل السؤال » وأراه مصحفا عما أثبتناه عن أخبار أبى تمام .

أنتَ بين اثنتَين يا نجلَ يعقو ... بَ وكلتاهما مَقرُّ السِّيادهْ
لَستَ تنفكُّ راكباً أيرَ عبدٍ ... مُسبطِرًّا أو حاملاً خُفَّ غادهْ
أيُّ ماءٍ لحرٍّ وَجهكَ يَبقى ... بَينَ ذلِّ البغَا وذلِّ القيادهْ

ولما أنشد أبو تمام أبادلف العجلى قصيدته البائية التى أولها [من الطويل][1] :

عَلَى مِثلِهَا مِنْ أَرْبُعٍ وَملاعبِ ... أُذِيلتْ مَصوناتُ الدُّموعِ السَّواكبِ

استحسنها وأعطاه خمسين ألف درهم ، وقال : والله إنها لدون شعرك ، ثم قال : والله ما مثل هذا القول فى الحُسن إلا ما رثيت به محمد بن حميد الطوسى ، فقال أبو تمام : وأى ذلك أراد الأمير ؟ قال : قصيدتك الرائية التى أولها[2] [من الطويل] :

كذا فليجلَّ الخطبُ وليفدحِ الأمرُ ... وليس لعينٍ لم يَفِضْ ماؤُها عذرُ[3]

وددت والله أنها لك فىَّ ، فقال : بل أفدى الأمير بنفسى وأهلى وأكون المقدَّم قبله ، فقال : إنه لم يمت من رثى بهذا الشعر .

وحدَّث الرِّياشى قال : كان خالد الكاتب مغرماً بالغلمان المرد ينفق عليهم كل مايفيد ، فهوِىَ غلاما يقال له عبد الله ، وكان أبو تمام الطائى يهواه أيضاً ، فقال فيه خالد [من مخلع البسيط] :

قَضيبُ بَانٍ جَنَاهُ وَرْدُ ... يحمله وَجْنَةٌ وَخَدُّ
أُثْنِ طَرْفِى إليه إلاَّ ... مَاتَ عزَاءٌ وَعاشَ وَجْدُ
مَلَّكَ طوعَ النفوسِ حتى ... عَلَّمه الزَّهوَ حين يَبْدو
فاجتمع الصدُّ فيه حتى ... ليس لخلقٍ سواهُ صدٌّ

وبلغ أبا تمام ذلك فقال فيه أبياتا منها قوله [من السريع] :

---

(١) اقرأها فى الديوان (٤٠) .
(٢) اقرأها فى الديوان (٣٦٨) .
(٣) وقع فى المطبوعتين « لذا » والقصيدة أشهر من قفانبك ، وما أثبتناه عن الديوان وعن ابن خلكان الذى أخذ عنه المؤلف أكثر هذه الترجمة .

شعرُك هذا كله مُفرِطٌ ... فى بَرْدِه ياخالدُ البارِدُ

فعلقها الصبيان ولم يزالوا يصيحون به : ياخالد يابارد ، حتى وسوس ، وقد هجا أبا تمام فى هذه القصة فقال فيه [من البسيط] :

يامعشر المرْدِ إنى ناصحٌ لَكُمُ ... والمرءُ فى القول بين الصدق والكذب

لاَينكحنَّ حبيباً منكم أحدٌ ... فدَاء وَجْعَائِه أعدى من الجَرَبِ

لاتأمَنوا أن تحولوا بعدَ ثالثةٍ ... فتركبوا عمُداً لَيستْ من الخَشبِ

ولما قصد أبو تمام عبد الله بن طاهر بخراسان وامتدحه بالقصيدة التى أولها [من الطويل] :

بديهة أبى تمام

* أهُنَّ عوادى يوسف وصَوَاحبه *

أنكر عليه أبو العميثل وقال له : لم لاتقول مايُفهم ؟ فقال له : لم لاتَفْهم مايقال ؟ فاستحسن منه هذا الجواب على البديهة

وذكر الصولى أنه امتدح أحمد بن المعتصم أو ابن المأمون بقصيدة[1] سينية فلما انتهى إلى قوله فيها [من الكامل] :

إقْدَامُ عمْرٍو فى سماحةِ حاتِمٍ ... فى حِلم أحْنفَ فى ذكَاءِ إياسِ

قال له الكندىُّ الفيلسوف وكان حاضراً : الأمير فوق ما وصفت ، فأطرق قليلا ، ثم رفع رأسه وأنشد :

لا تُنكروا ضربى له مَنْ دونه ... مَثلا شَروداً فى الندى وَالباسِ

فاللهُ قد ضَرب الأقَلَّ لنوره ... مثلاً مِنَ المِشكاةِ والنِّبراسِ

فعجبوا من سرعة فطنته .

وما ذكر — من أنه أنشد القصيدة للخليفة ، وأن الوزير قال : أىشىء طلبه فأعطه فإنه لايعيش أكثر من أربعين يوما لأنه قد ظهر فى عينيه الدم من

---

(١) اقرأها فى الديوان (١٧٢).

شدة الفكرة ، وصاحب هذا لا يعيش إلا هذا القدر ، فقال له الخليفة: ما تشتهي؟ قال : أريد الموصل ، فأعطاه إياها ، فتوجه إليها ، فبقي هذه المدة ومات — فهو لا صحة له أصلا ، والصحيح ما ذكرناه ، وأن الحسن بن وهب اعتنى به وولاه بريد الموصل ، فأقام بها أقل من سنتين وتوفي بها سنة إحدى وثلاثين ومائتين وقيل : ثمان وعشرين ، وقيل : اثنتين وثلاثين ، وبنى عليه أبو نهشل ابن حميد الطوسي قبة ، خارج باب الميدان على حافة الخندق .

رثاء ابن الزيات لأبي تمام

ورثاه الوزير محمد بن عبدالملك الزيات وزير المعتصم بقوله ، وهو يومئذ وزير ، وقيل : إنها لأبي الزبرقان عبد الله بن الزبرقان الكاتب ، مولى بني أمية [من الكامل] :

نبأ أتى من أعظم الأنباء لما ألم مقلقل الأحشاء
قالوا حبيب قد ثوى فأجبتهم ناشدتكم لا تجعلوه الطائي

وحكى ابن عدلان الموصلي النحوي المترجم قال : سألت ابن عنين عن معنى قوله [من الطويل] :

سقى الله روح الموصليين ولا ارتوت من الموصل الحدباء إلا قبورها[1]

لم حرمها وخص القبور؟ قال : لأجل أبي تمام .

من محكم شعر أبي تمام

ومن محكم شعره قوله من قصيدة[2] [من الكامل] :

أخرست إذ عاينتني حتى إذا ماغبت عن بصري ظللت تشدق
كعير رأى أسد العرين فهاله حتى إذا ولى تولى ينهق

---

(١) هذا البيت من قصيدة لابن عنين مدح بها السلطان الملك المعظم شرف الدين عيسى ابن الملك العادل بن أيوب . وأول هذه القصيدة قوله :

أشاقك من عليا دمشق قصورها وولدان أرض النيرين وحورها

وقد وقع في المطبوعتين « من الموصل الحدباء » محرفا .

(٢) القصيدة في هجاء عتبة بن أبي عاصم (الديوان ٤٩٩) وقد أسقط ناشره بعض أبيات منها . والذي رواه المؤلف هنا أبيات غير متصل بعضها ببعض

هيهات ذلك أن تنال ما ترى ... لمست بها سنة وبعد شيق

قل ما بدا لك يا ابن يوما فالعدى ... بمهذب الخلق لا يتعلق

أنعشت حتى عبتهم؛ قل لي متى ... قررت ساعة ما ترى فيتحقق(1)

إيلا يغني القائلون بقولهم ... إن الشقي بكل حبل يخنق

فلتعلمن أحريم من ذاهب من ... وقديم من وحديث من يتمزق

وقوله من قصيدة أخرى [من الكامل]:

أعوام وصل كاد ينسي طيبها ... ذكر النوى فكأنها أيام

ثم انبرت أيام هجر أردفت ... نحوي أسى فكأنها أعوام

ثم انقضت تلك السنون وأهلها ... فكأنها وكأنهم أحلام

وقد اختصر معنى هذه الأبيات المتنبي في قوله [من الخفيف]:

قصرت مدة الليالي المواضي ... فأطالت بها الليالي البواقي

ولابن الفارض رحمه الله هذا المعنى بعينه مع الاختصار المحمود [من البسيط]:

أعوام إقباله كاليوم في قصر ... ويوم إعراضه في الطول كالحجج

وديوان نظمه مشهور، وقد مرت من لآلئه في عقد هذا التعليق مقتطفات إن شاء الله تعالى.

***

٧ — وما مثله في الناس إلا مملكا ... أبو أمه حي أبوه يقاربه

البيت للفرزدق، من قصيدة من الطويل يمدح بها إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومي خال هشام بن عبد الملك بن مروان.

والشاهد فيه التعقيد، وهو: أن لا يكون الكلام ظاهر الدلالة على المراد

(1) في الديوان « أنعشت حتى عبتهم » وفيه « ساعة ما ترى »

إما لخلل فى نظم الـكلام فلا يتوصَّل منه إلى معناه ، أو لانتقال الذهن من المعنى الأول إلى المعنى الثانى الذى هو لازمه والمراد به ظاهراً ، والأوَّل هو الشـاهد فى البيت

والمعنى فيه : وما مثله يعنى الممدوح ، فى الناس حىٌّ يقاربه ، أى أحد يشبهه فى الفضائل ، إلا مملكا ، يعنى هشاماً ، أبو أمِّه أى أبو أمِّ هشام أبوه ، أى أبو الممدوح فالضمير فى أمّه للملك ، وفى أبوه للممدوح ، ففَصَل بين أبو أمّه وهو مبتدأ وأبوه وهو خبره ، بأجنبىّ وهو حىٌّ ، وكذا فصل بين حىّ ويقاربه وهو نعته بأجنبىّ وهو أبوه ، وقدَّم المستثنى على المستثنى منه ، فهو كما تراه فى غاية التعقيد ، وكان من حق الناظم أن يقول : وما مثله فى الناس أحد يقاربه إلا مملك أبو أمه أبوه

شواهد أخرى للتعقيد

ومن التعقيد قول الفرزق أيضاً [من الطويل] :

إلى مَلكٍ ما أمُّه مِن مُحاربٍ أبوه ولا كانت كليبٌ تُصاهِرُهْ

أى : إلى ملك أبوه ما أمه من مُحارب أى ما أمُّه منهم

ومثله قول الشاعر [من الطويل] :

فما مِنْ فتًى كُنا مِن النَّاسِ واحداً بهِ نَبتغى مِنهُمْ عَديلاً نُبادلُهُ

أى : فما من فتى من الناس كنا نبتغى واحداً منهم عديلا نبادله به .

وقول الآخر [من الطويل] :

وما كُنتُ أخشى الدَّهرَ إحلاس مُسلماً مِنَ الناسِ ديناً جاءهُ وهومُسلم(١)

أى : وما كنت أخشى الدهر إحلاس مسلم مسلما من الناس دينا جاءه وهو ، أى جاآه معا .

---

(١) فى الأصول « إحلاس مسلم » وهو لا يتفق مع ما ذكره فى بيان معناه و « مسلم » فى آخر البيت مخفوض باضافة إحلاس إليـه ، والـكلام ينتهى عند « وهو » .

ومثله قول أبى تمام [من الكامل] :

كاثنين فى كَبِدِ السماء ولم يَكُنْ   كاثنينِ ثانٍ إذ هما فى الغَارِ

ترجمة الفرزدق

والفَرَزْدَق رحمه الله اسمه [١] همام بن غالب بن صعصعة التميمى ، أبو فراس صاحب جرير ، وكان أبوه غالبٌ من جِلّةِ قومه ومن سَرَاتِهم ، وكنيته أبو الأخطل ، لولد كان له اسمه الأخطل ، وهو شاعر أيضاً ، ووهم بعضهم فيه فظنه الأخطل التغلبى النصرانى ، وجعله أخا للفرزدق ، وهذا من أعجب العجب ، إذ الفرزدق مسلم وأبوه وجده صعصعة صحابى رضى الله تعالى عنه ، فكيف يُتصور أن يكون الأخطل النصرانى أخا له ، وصعصعة رضى الله عنه له صحبة لكنه لم يهاجر ، وهو الذى أحيا الوئيدة ، و به افتخر الفرزدق فى قوله [من المتقارب]:

وجَدِّى الَّذِى مَنَعَ الوَائِداتِ   فأحيا الوئيدَ فلم تُوأَدِ [٢]

قيل : إنه رضى الله عنه أحيا ألف موءودة وحمل على ألف فرس .

وأم الفرزدق ليلى بنت حابس [٣] أخت الأقرع بن حابس رضى الله عنه !

روى الفرزدق رحمه الله عن على بن أبى طالب ، وأبى هريرة ، والحسين ،

---

(١) تجد ترجمة الفرزدق فى الأغانى (٨ - ١٨٦ - ١٩٧) وفيه أيضا (١٩ ٢ - ٥٢) . وفى ابن خلكان (٣ - ١٣٦ - ١٤٦) . وفى ابن قتيبة (٢٨٩ ٣٠١) .

(٢) فى المطبوعتين « ولم يوئد » وهو تحريف ، وما أثبتناه عن الأغانى وعن ابن خلكان .

(٣) كذا ، والصواب أن أم الفرزق لينة بنت قرظة الضبية ، نص عليه أبو الفرج فى الأغانى (١٩ - ٢) وقال ابن قتيبة (٢٩٦) : « وخال الفرزدق هو العلاء بن قرظة الضبي ، وكان شاعرا » وأما ليلى بنت حابس فهى أم غالب أبى الفرزدق . نص عليه أبو الفرج وابن خلكان الذى أخذ عنه المؤلف أكثر ما فى هذه الترجمة ، وكذلك نص عليه ابن قتيبة .

و ابن عمر ، وأبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنهم أجمعين! .

ووفد على الوليد وسليمان ابني عبدالملك ومدحهما . قال ابن النجار : ولم أر له وفادة على عبدالملك بن مروان ، وقال الكلبي رضي الله عنه : وفد على معاوية ، ولم يصح . روى معاوية بن عبدالكريم عن أبيه قال : دخلت على الفرزدق فتحرك فإذا في رجليه قيد ، قلت : ما هذا يا أبا فراس ؟ قال : حلفت أن لا أخرجه من رجلي حتى أحفظ القرآن . وكان كثير التعظيم لقبر أبيه ، فما جاءه أحد واستجار به إلا قام معه وساعده على بلوغ غرضه .

وقد اختلف أهل المعرفة بالشعر فيه وفي جرير في المفاضلة بينهما ، والأكثرون على أن جريراً أشعرُ منه ، وقد أنصف الاصفهاني فقال : أما من كان يميل إلى جودة الشعر وفخامته وشدة أَسْرِهِ فيقدم الفرزدق ، وأما من كان يميل إلى أشعار المطبوعين وإلى الكلام السمح الغَزِل فيقدم جريراً .

وكان جرير قد هجا الفرزدق بقصيدة منها [من الوافر] :

وكُنتَ إذا نَزَلْتَ بدار قوم   رحَلْتَ بخَزْيَةٍ وتَركتَ عارا

فاتفق أن الفرزدق بعد ذلك نزل بامرأة من أهل المدينة ، وجرى له معها قصة يطول شرحها ، وملخص الأمر أنه راودها عن نفسها بعد أن كانت أضافته وأحسنت إليه ، فامتنعت عليه ، وبلغ الخبرُ عمر بن عبد العزيز رحمه الله ، وهو يومئذ والي المدينة المنورة ، فأمر بإخراجه منها ، فأركب على ناقة ليُنفى ، فقال: قاتل الله ابن المراغة - يعني جريراً - كأنه شاهد هذا الحال حين قال ، وذكر البيت السابق .

ومن شعره لما كان في المدينة المنورة [من الطويل] :

هُمَا دلَّتاني مِنْ ثمانين قامةً   كما انْقَضَّ بازٍ أقتم الرِّيش كاسرُه

فلما استوَت رِجلايَ في الأرض قالتا   أحَيٌّ يُرجَّى أم قتيلٌ نحاذرُه

فقلتُ ارفعوا الأسبابَ لا يَشعُروا بنا   وأقبلتُ في أعجاز ليلٍ أبادرُه

أحاذِر بوّابين قد وُكّلا بنا وأسودَ من ساجٍ تَصِرّ مسامره[١]

فقال جرير لما بلغه ذلك [من الطويل] :

لقد ولدَتْ أمُّ الفرزدق فاجراً فجاءتْ بوزوازٍ[٢] قصير القوادم
يُوصِّلُ حبليهِ إذا جَنّ ليلُهُ ليرقَى إلى جاراته بالسلالمِ
تدلّيتَ تزْنِي من ثمانين قامة وقصّرتَ عن باعِ العلا والمكارمِ
هو الرِّجسُ يا أهلَ المدينة فاحذَروا مداخلَ رجسٍ بالخبيثاتِ عالمِ
لقدْ كان إخراجُ الفرزدق عنكمُ طَهوراً لما بين المصلَّى وَواقمِ

فأجاب الفرزدق عنها بقصيدة طويلة منها [من الطويل] :

وَإنّ حراماً أن أسبّ مقاعساً بآبائيَ الشُّمّ الكرامِ الخضارمِ
وَلكنّ نصفاً لو سببْتُ وسبّني بنو عبدِ شمسٍ من منافٍ وَهاشمِ
أُولئك آبائي فجئني بمثلهمْ وأعتدُّ أن أهجو كُليباً بِدارمِ

ولما سمع أهل المدينة أبيات الفرزدق الأول جاؤا إلى مروان بن الحكم وهو والى المدينة من قِبل معاوية ، فقالوا : مايصلُح هذا الشعر بين أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد أوْجب على نفسه الحدّ ! فقال مروان : لست أحُدّه ولكن أكتب إلى من يحدُّه ، وأمره بأن يخرج من المدينة ، وأجّله ثلاثة أيام لذلك ، فقال الفرزدق [من الوافر]:

توعّدني وأجّلني ثلاثاً كما وُعِدَتْ لمُهلكِها ثمودُ

---

(١) هكذا ورد هذا البيت فى أصول هذا الكتاب وفى ابن خلكان . وقد ورد فى الأغانى هكذا :

أحاذر بوابين لايشعروا بنا وأحمر من ساج تلوح مسامره

(٢) الوزواز : الرجل الخفيف الطياش . ووقع فى ابن خلكان « بوزاز » وهى تؤدى معنى حسنا .

ثم كتب مروان إلى عامله كتاباً يأمره أن يحدّه ويسجنه ، وأوهمه أنه كتب له بجائزة ، ثم ندم مروان على ما فعل ، فوجّه سفيراً وقال للفرزدق : إني قد قلت شعراً فاسمعه [من الكامل] :

قُلْ للفرزدق والسَّفَاهةُ كاسْمِهَا ... إن كُنتَ تَارِكَ ماأمرْتكفاجلس [1]

وَدَعِ المدينةَ إنها مَرهوبة ... واقصدْ لمكَّةَ أوْلبيتِ المقدسِ

وَإنِ اجْتَنيْتَ مِنَ الأمورِ عَظِيمةً ... فَخذنْ لِنفسك بالعظيمِ الأكْيسِ

فلما وقف الفرزدق عليها فطن لما أراد مروان فرمى الصحيفة وقال :

يامَرْوُ إنْ مَطيّتِي محبوسَةٌ ... تَرجو الحِباءَ وَربُّها لم ييأسِ

وَحبوتني بصحيفةٍ مَخْتُومةٍ ... يُخشى عليَّ بها حِباءُ النِّقْرسِ

ألقِ الصحيفةَ يافرزدقُ لاتكنْ ... نكداءَ مِثلَ صَحِيفةِ المُتلمِّسِ [2]

وأتى سعيد بن العاص الأموى ، وعنده الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر رضى الله تعالى عنهم ، فأخبرهم الخبر ، فأمر له كل واحد بمائة دينار وراحلة ، وتوجه إلى البصرة ، فقيل لمروان : أخطأت فيما فعلت ، فانك عرضت عرضك

---

(١) اجلس : ائت الجلساء ، وهى بلاد نجد .

(٢) صحيفة المتلمس : مضرب المثل ، وكان الملك عمرو بن هند قد أوهم المتلمس — واسمه جرير بن عبد المسيح — وطرفة بن العبد البكرى أنه أمر لهما بحباء وعطية ، وكتب لكل واحد منهما كتابا إلى عامله يأمره بقتله إذا ورد عليه ، أما المتلمس فأقرأ صبياً كتابه فعلم ما فيه ، فرمى به فى اليم ، والتمس النجاء ، وأما طرفة فمضى لطيته حتى إذا ورد على عامل الملك ، أخذه فقتله ، وفى قذف المتلمس صحيفته يقال ذلك الشعر المشهور :

ألقى الصحيفة كى يخفف رحله ... والزاد حتى نعله ألقاها

واقرأ ترجمة المتلمس فى الشعر والشعراء لابن قتيبة (ص ٨٥) واقرأ ترجمة طرفة بن العبد فيه أيضا تالية لترجمة المتلمس .

لشاعر مضر ، فوجه إليه رسولا ومعه مائة دينار ، وأرحله[1] خوفا من هجائه .

ونزل يوما فى بنى منقر والحى خلوف ، فجاءت أفعى فدخلت مع جارية فراشها ، فصاحت ، فاحتال الفرزدق فيها حتى انسابت ، ثم ضم الجارية إليه فزبرته ونَحَّته عنها فقال [من الطويل] :

وأهوَنُ عَيْبِ المِنقَرِيَّةِ أنها ... شَديدٌ بِبَطنِ الحنظليّ لُصُوقها
رأت مِنقراً سوداً قِصاراً وأبصرَت ... فَتًى دارِمياً كالهلال يَروقها
وما أنا هجْتُ المِنقريةَ للصِّبا ... ولكنها استَعصتْ عَليَّ عُروقُها

فلما هجاها استعْدتْ عليه زياداً فهرب إلى مكة المشرفة ، فأظهر زياد أنه لو أتاه لحباه فقال الفرزدق [من الطويل] :

دَعانِى زِيادٌ لِلعطاء ولم أكن ... لِأقربَهُ ما ساقَ ذُو حسبٍ وَفرَا
وَعندَ زِيادٍ لو يُريدُ عطاءهمْ ... رِجالٌ كَثيرٌ قَدْ يَرَى بِهِمُ فَقْرَا
وَإنى لأخشى أنْ يَكون عطاؤه ... إذا هَمَّ سُوداً أو مُحدرجةً سُمراً

قال ابن قتيبة : سوداً يعنى السياط ، والمحدرجة: القيود ، وهذه الجارية يقال لها ظمياء ، وهى عمة اللعين الشاعر المنقرى .

ودخل الفرزدق مع فتيان من آل المهلب فى بركة يتبردون فيها ، ومعهم ابن أبى علقمة الماجن ، فجعل يتفلت إلى الفرزدق ويقول : دعونى أنكحه فلا يهجونا أبداً ، وكان الفرزدق من أجبن الناس ، فجعل يستغيث ويقول : لا يمس جلده جلدى ، فيبلغ ذلك جريرا فيوجب علىَّ أنه قد كان منه إلىَّ الذى يقول ، فلم يزل يناشدهم حتى كفُّوه عنه .

وركب يوما بغلته ومر بنسوة ، فلما حاذاهن لم تتمالك البغلة ضُراطا ، فضحكن منه فالتفت إليهن وقال : لا تضحكن فما حملتنى أنثى إلا ضرطت ، فقالت إحداهن : ما حملك أكثر من أمك ، فأراها قد قاست منك ضراطا عظيما ، فحرك بغلته وهرب .

---

(١) فى نسخه « وراحلة »

ويقال : إنه مر وهو سكران على كلاب مجتمعة فسلَّم عليهم ، فلما لم يسمع الجواب أنشأ يقول [من الوافر] :

فما ردَّ السلامَ شيوخُ قومٍ مررتُ بهم على سككِ البريدِ
وَلاَ سِيَمَا الذِى كانتْ عليهِ قطيفة أرجُوَانٍ فِى القعودِ

وقال : ما أعيانى جوابٌ قط إلا جواب دهقان مرّة ، قال لى : أنت الفرزدق الشاعر ؟ قلت : نعم ، قال : إن هجوتنى تخرب ضيعتى ؟ قلت : لا ، قال : فتموت عيشونة ابنتى ؟ قلت : لا ، قال : فرجلى إلى عنقى فى حر أمك ، فقلت : ويحك ، لم تركت رأسك ؟ قال : حتى أنظر أى شىء تصنع يا ابن الزانية .

وَكان الفرزدق يقول : خير السَّرقة ما لا يقطع فيه ، يعنى بذلك سرقة الشعر.

وقال : قد علم الناس أنى أفحل الشعراء ، وربما أتت على الساعة وقلع ضرس من أضراسى أهون على من قول بيت .

ومن جيد شعره قوله [من الكامل] :

قالت وكيف يميلُ مِثلكَ لِلصِّبا وعَليكَ مِنْ سِمةِ الحَلِيمِ وقارُ
والشَّيبُ ينهضُ فى الشَّبابِ كأنهُ لَيلٌ يَصيحُ بجانبيهِ نهارُ

وقيل للعين المنقرى : اقض بين جرير والفرزدق ، فقال [من الوافر] :

سأقضى بين كلب بَنِى كُليْبٍ وبينَ القَينِ قَينِ بنى عِقالِ
فانَّ الكلبَ مَطعمُهُ خَبيثٌ وإنَّ القَينَ يَعملُ فى سفالِ
فما بُقْيَا عَلَىَّ تركْتمانى ولكنْ خِفتُما صرد النِّبالِ

وقال أبو عمرو بن العلاء : حضرت الفرزدق وهو يجود بنفسه ، فما رأيت أحسن ثقة منه بالله تعالى .

توفى سنة عشر ومائة ، وقيل : سنة اثنتى عشرة ، وقيل : سنة أربع عشرة .

ورثاه جرير بأبيات منها قوله [من الطويل] :

فَلاَ وَلدتْ بَعدَ الفَرَزدقِ حامِلٌ ... ولا ذاتُ بَعلٍ من نفاس تعلت

هو الوَافدُ الميمونُ والراتِقُ الثَّأى ... إذا النَّعلُ يوماً بالعشيرةِ زلَّتِ

ورثاه أيضاً بغير ذلك .

وقال ابنه لبطة : رأيت أبى فى المنام ، فقلت: مافعل الله بك ؟ قال : نفعتنى الكلمة التى نازعت فيها الحسن عند القبر ، وذلك أن الحسن البصرى لما وقف على قبر النوار زوجة الفرزدق، والفرزدق واقف معه والناس ينظرون ، فقال الحسن: ما للناس ؟ فقال الفرزدق : ينظرون خير الناس ، وشر الناس ، فقال : إنى لست بخيرهم ولستَ بشرهم ، ولكن ما أعددت لهذا المضطجع ؟ فقال: شهادة أن لا إله إلا الله منذ سبعين سنة .

ورؤى فى النوم فقيل له: مافعل الله بك ؟ قال: غفر لى بإخلاصى يوم الحسن وقال : لولا شيبتك لعذبتك بالنار .

وقصته فى تزوُّجه بالنَّوار ابنة عمه شهيرةٌ ، ورزق منها أولاداً ، وهم : لبطه وسبطة وكلطة ، وليس لواحد منهم عقب .

*

* *

٨ — سَأطلبُ بُعدَ الدَّارِ عَنكم لِتقرُبوا ... وَتَسْكُبُ عَيْناىَ الدُّموعَ لِتَجْمُدَا

شاهد التعقيد المعنوى

البيت للعباس بن الأحنفِ (١) من أبياتٍ من الطويل

والشاهد فيه السببُ الثانى الحاصلُ به التعقيدُ ، وهو : الانتقال ، فإن معنى البيت: أطلب وأريد البعدَ عنكم أيها الأحِبَّةُ لتقرُبوا ، إذ من عادة الزمان الإتيانُ بضدّ المراد ، فإذا أريد البعدُ يأتى الزمان بالقرب . وأريد وأطلب الحزنَ الذى هو لازمُ البكاء ليحصلَ السُّرورُ بما هو من عادة الزمان ، فأراد

(١) اشتهرت نسبة هذا البيت إلى العباس بن الأحنف ، وهو لا يوجد فى ديوانه المطبوع فى استامبول ١٢٩٨ .

أن يكنى عما يوجبه دوامُ التلاقى من السرور بالجمود ، لظنه أن الجمود هو خلوُّ العين من البكاء مطلقاً من غير اعتبار شيء آخر ، وأخطأ فى مراده ، إذ الجمود هو خلوّ العين من البكاء حالةَ إرادة البكاء منها ، كقول أبى عطاء يرثى ابن هبيرة [من الطويل] :

ألا إنَّ عيناً لم تجُدْ يومَ واسطٍ عليكَ بجارى دمعِها لجمودُ

وقول كُثَيّر عزة [من الطويل] :

ولم أدرِ أنَّ العينَ قبلَ فِراقِها غداة الشبا مِن لاعجِ الوَجْدِ تجمُدُ

فلا يكون الجمود كناية عن السرور ، بل عن البخل ، فيكون الانتقال من جمود العين إلى بخلها بالدموع ، لا إلى ماقصده من السرور ، ولو كان فى الجمود صلاحيةٌ لأن يراد به عدم البكاء حال المسرة ، لجاز أن يقال فى الدعاء « لازالتْ عَيْنُكَ جَامِدَةً » كما يقال « لا أبكى الله عينك » وهذا غير مشكوك فى بطلانه وعليه قول أهل اللغة « سنةٌ جماد » أى لا مطر فيها و « ناقةٌ جماد » أى لا لبن فيها.

وقد فسر المبرد فى الكامل هذا البيت بغير هذا ، فقال : هذا رجل فقير يبعد عن أهله ويسافر ليحصِّل مايوجب لهم القربَ ، وتسكب عيناه الدموع فى بعده عنهم لتجمدا عند وصوله إليهم . وأنشد [من الطويل] (١)

تقولُ سُلَيْمى لو أقمتَ بأرضنا ولم تدرِ أنى لِلمُقَامِ أطوِّفُ

ومنه قول الربيع بن خيثم — وقد صلى طول ليلته حتى أصبح وقال له رجل : أتعبت نفسك — فقال : راحتَها أطلب ، ومثله قول روح بن حاتم بن قبيصة ابن المهلب — ونظر إليه رجل واقفاً بباب المنصور فى الشمس ، فقال له الرجل : قد طال وقوفك فى الشمس — فقال روح : ليطول قعودى فى الظل .

وقال الزجاج فى أماليه : أخبرنا أبو الحسن الأخفش ، قال : كنت يوماً بحضرة

(١) البيت لعروة بن الورد ، وانظر الموازنة (ص ٦١ بتحقيقنا)

ثعلب ، فأسرعت القيام قبل انقضاء المجلس ، فقال لى : إلى أين ؟ ما أراك تصبر عن مجلس الخلدى ! يعنى المبرد ، فقلت له : لى حاجة ، فقال لى : إنى أراه يقدم البحترىَّ على أبى تمام ، فاذا أتيته فقل له : ما معنى قول أبى تمام [من الوافر] :

أآلِفةَ النَّحيبِ كم افتراقٍ أظلَّ فكانَ داعيةَ اجتماعِ

قال أبو الحسن : فلما صرت إلى أبى العباس المبرد سألته عنه ، فقال : معنى هذا أن المتحابين والمتعاشقين قد يتصارمان ويتهاجران دلالا ، لا عزما على القطيعة ، فاذا حان الرحيل وأحسا بالفراق ، تراجعا إلى الوداد ، وتلاقيا خوف الفراق ، وأن يطول العهد بالالتقاء بعده ، فيكون الفراق حينئذ سببا للاجتماع كما قال الآخر [من الخفيف] :

متعا بالفراقِ يومَ الفراقِ مُستجيرَين بالبُكا والعناقِ

وأظَلَّ الفِراقُ فلتقَيا فيـ ـهِ فِراقٌ أتاهما باتِّفاقِ

كيفَ أدعو على الفراقِ بحَتْفٍ وغَداةَ الفِراقِ كان التَّلاقى ؟

قال : فلما عدت إلى مجلس ثعلب سألنى عنه ، فأعدت عليه الجواب والأبيات ، فقال : ما أشد تمويهه ! ما صنع شيئاً ! إنما معنى البيت : أن الإنسان قد يفارق محبوبه رجاء أن يغنم فى سفره فيعود إلى محبوبه مستغنياً عن التصرف فيطول اجتماعه معه ، ألا تراه يقول فى البيت الثانى :

ولَيستْ فَرحةُ الأوْباتِ إلاّ لِموقوفٍ على تَرَحِ الوَداعِ

وهذا نظير قول الآخر ، بل منه أخذ أبو تمام :

سأَطلبُ بُعدَ الدَّارِ عنكم لِتَقربوا وتَسكبُ عَينَاى الدُّموعَ لِتجمُدَا

هذا ذاك بعينه .

، وذكرتُ بما تقدم آنفا من أن عدة الزمان الاتيان بضد المراد ، أى : وإن كان على وفق الارادة الالهية قولَ الباخَرْزى [من الكامل] :

ولَطالَمَا اخترتُ الفراقَ مُغالِطاً واحتلتُ فى استثمارِ غَرسِ ودادى

وَرَغِبتُ عن ذِكرِ الوِصَالِ لأنها تُبنَى الأمورُ على خلافِ مُرادي

ترجمة العباس بن الأحنف

والعباس[1] بن الأحنف هو خال إبراهيم بن العباس الصولى ، وهو حنفى يمامىّ ، وكان رقيق الحاشية ، لطيف الطباع ، وله مع الرشيد أخبار ، قال بشار : ما زال غلام من بنى حنيفة يُدخل نفسه فينا و يخرجها حتى قال [من البسيط][2] :

أبكِى الذينَ أذاقونى مودّتهم حتى إذا أيقظونى للهوى رقدُوا
وَاستنهضونى فلما قمتُ منتصباً بثقل ما حمّلونى مِنهم قعدُوا
لأخرجنَّ من الدُّنيا وحبُّهمُ بين الجوانح لم يَشعرْ به أحدُ

وكان فى العباس آلات الظَّرف : كان جميل المنظر ، نظيف الثوب ، فارهَ المركب ، حسن الألفاظ ، كثير النوادر ، شديد الاحتمال ، طويل المساعدة .

طلبه يحيى بن خالد البرمكى يوما فقال : إن مارية هى الغالبة على أمير المؤمنين ، و إنه جرى بينهما عتب ، فهى بعزة دالّة المعشوق تأبى أن تعتذر ، وهو بعزّ الخلافة وشرف الملك والبيت يأبى ذلك ، وقد رُمْتُ الأمر من قبلهما فأعيانى ، وهو أحرى أن تستفزه الصبابة ، فقل شعرا تسهّل به عليه هذه القضية وأعطاه دواة وقرطاسا ، فطلبه الرشيد فتوجه إليه ، ونظم العباس قوله [من الكامل][3] :

العاشقان كلاهما مُتغضّبُ وكلاهما مُتوجِّدٌ مُتجنِّبُ

---

(١) تجد للعباس بن الأحنف ترجمة فى ابن خلكان (١ ـ ٤٣٨) وفى الأغانى (٨ : ١٥ ـ ٢٥) .

(٢) فى الديوان (٥٠) أول وثانى ورابع ستة أبيات ، وفيه فى عجز الثانى « بثقل ما حملوا من ودهم . . . »

(٣) فى الديوان (١٨) وفيه فى عجز الأول * وكلاهما متشوق متطرب * وفى الثانى « مراغمة » و« مراغما » و « مما يعالج يتعب » وفيه فى الرابع « إن تمكن منكما » .

صَدَّتْ مُغاضِبةً وصدّ مُغاضِباً ... وكلاهما مما يُعالج مُتْعَبُ
رَاجِعْ أحِبَّتَكَ الذين هجرتهم ... إنّ المُتيَّم قلّما يتجنّبُ
إنّ التجنّبَ إنْ تَطاولَ منكما ... دبّ السُّلُوُّ له فعزَّ المطلبُ

ثم قال لأحد الرسل : أبلغ الوزير أنى قد قلت أربعة أبيات ، فإن كان فيها مقنع وجهت بها إليه ، فعاد الرسول ، وقال : هاتها ففي أقل منها مقنع ، فكتب الأبيات وكتب تحتها أيضاً [من السريع] (١) :

لاَ بدَّ لِلعاشقِ مِنْ وَقفةٍ ... تَكونُ بين الوَصلِ وَالصَّرْمِ
حتى إذَا الهجرُ تَمادَى بهِ ... رَاجعَ مَنْ يَهوَى على رَغمِ

فدفع يحيى الرقعة إلى الرشيد ، فقال : والله ما رأيت شعراً أشبه بما نحن فيه من هذا الشعر ، والله لكأنى قُصِدت بهذا ، فقال : والله يا أمير المؤمنين وأنت المقصود به ، فقال الرشيد : يا غلام ، هات نعلى فإننى والله أراجعها على رغم ، فنهض ، وأذهله السرور أن يأمر للعباس بشيء ، ثم إن مارية لما علمت بمجيء الرشيد إليها تلقته ، وقالت : كيف ذلك ياأمير المؤمنين ؟ فأعطاها الشعر ، وقال: هذا الذى جاء بى إليك ، قالت : فمن قاله ؟ قال : العباس بن الأحنف ، قالت: فبم كوفيء ؟ قال : ما فعلت بعد شيئا ، فقالت : والله لا أجلس حتى يكافأ ، فأمر له بمال كثير ، وأمرت هى له بدون ذلك ، وأمر له يحيى بدون ما أمرت به ، وحمل على برذون ، ثم قال له الوزير : من تمام النعمة عندك أن لاتخرج من الدار حتى نؤثل لك بهذا المال ضيعة ، فاشترى له ضياعا بجملة من ذلك المال ودفع إليه بقيته .

وحدث أبو بكر الصولى عن أبى زكريا البصرى قال : حدثنى رجل من قريش قال : خرجت حاجًا مع رفقة لى ، فعرّجنا عن الطريق لنصلى، فجاءنا غلام

---

(١) فى الديوان (١٤٥) أول ورابع أربعة أبيات ، وفيه صدر ثانى هذين
* حتى إذا ما مضه شوقه *

فقال لنا : هل فيكم أحد من أهل البصرة ؟ فقلنا : كانا من أهل البصرة ، فقال : إن مولاى من أهلها و يدعوكم إليه ، فقمنا إليه ، فاذا هو نازل على عين ماء ، فجلسنا حوله ، فأحس بنا فرفع طرفه وهو لا يكاد يرفعه ضعفا ، وأنشأ يقول [من الرمل][1] :

يَا بَعِيدَ الدَّارِ عَنْ وَطَنِهْ مُفْرداً يَبْكى على شَجَنِهْ
كلَّمَا جَدَّ الرَّحِيلُ به زادتِ الأسقَامُ فى بَدَنِهْ

ثم أغمى عليه طويلا ونحن جلوس حوله إذ أقبل طائر فوقع على أعالى شجرة كان تحتها ، وجعل يغرّد ، ففتح عينيه وجعل يسمع تغريدَ الطائر ، ثم أنشأ يقول :

ولَقَدْ زادَ الفُؤادَ شَجًى طائرٌ يَبكى على فَنَنِهْ
شَفَّهُ ما شَفَّنى فَبَكى كُلُّنا يَبكى على سَكَنِهْ

ثم تنفس نفساً فاضت معه نفسه ، فلم نبرح عنده حتى غسلناه وكفّناه وتولينا الصلاة عليه ، فلما فرغنا من دفنه سألنا الغلام عنه ، فقال : هذا العباس بن الأحنف.

وكانت وفاته سنة ثلاث وتسعين ومائة ، وقيل : سنة اثنتين ، وما ذكر من أنه مات هو والكسائى و إبراهيم الموصلى وهشيمة الخمارة فى يوم واحد ، وأن الرشيد أمر المأمون أن يصلى عليهم ، وأنه قدم العباس بن الأحنف رحمه الله لقوله [من الكامل] : [2]

وسَعَى بِها قَومٌ وقالوا إنَّها لَهِىَ التى تَشقَى بِها وتُكابِدُ
فَجَحدتُهم ليكونَ غَيرَكَ ظَنُّهم إنى لَيُعجبنى المحِبُّ الجاحِدُ

---

(١) فى الديوان (١٦٢) أربعة أبيات ، غير متعاقبة على هذا الترتيب وفيه فى أولها « ياغريب الدار » وفى ثانى هذه « جدالبكاء » و « دبت الأسقام » وأربعة الأبيات فى ابن خلكان مع القصة بترتيبها هنا ، لكن بالألفاظ التى فى الديوان.

(٢) فى الديوان (٤٨) ضمن قصيدة ، وفيه فى صدر الأول « سماك لى قوم وقالوا » .

ففيه نظر ، لأن الكسائى مات سنة تسع وثمانين ومائة ، على خلاف فيه ، وما كان المأمون ممن يقدم العباس على مثل الكسائى ، وأيضا فقد روى الصولى أنه رأى العباس بن الأحنف بعد موت الرشيد بمنزله بباب الشام ، والله أعلم أى ذلك كان .

ومن شعره [من الطويل] [(١)] :

وحَدَّثْتَنِى يا سَعْدُ عنهم فَزِدتَنِى ... جُنوناً فَزِدْنِى من حَدِيثكَ ياسَعْدُ

هَواهاهَوًى لم يَعرفِ القلبُ غَيرَه ... فَلَيسَ له قَبلٌ ولَيسَ له بَعْدُ

ومنه أيضاً [من الطويل] [(٢)] :

إذا أنتَ لم تَعطفْكَ إلا شَفاعةٌ ... فلا خيرَ فى وُدٍّ يكونُ بِشافعِ

وأقسِمُ ماتَركى عِتابَكَ عَنْ قِلًى ... ولَكِنْ لِعلمى أنه غيرُ نافعِ

وإنِّىَ إن لم ألزَمِ الصبرَ طائعاً ... فلا بدَّ مِنه مُكرهاً غير طائعِ

ومن رقيق شعره قوله من جملة قصيدة [من الكامل] [(٣)] :

يا أيها الرَّجلُ المعذِّبُ نَفسهُ ... أقْصر فإن شِفاءكَ الإقصارُ

نزفَ البكاءُ دُموعَ عَينكَ فاستَعِرْ ... عَينا يُعِينكَ دَمعُها المِدرارُ

من ذا يُعيرُكَ عَينَه تبكى بها ... أرأيت عَيناً للبكاء تُعارُ ؟!

وشعره كله جيد ، وجميعه فى الغزل لا يكاد يوجد فيه مديح . رحمه الله تعالى! .

---

(١) فى الديوان (٥٨) أول وثالث ثلاثة أبيات ، وفيه فى ثانى هذين « لم يعلم القلب » .

(٢) فى الديوان (٩٨) خامس وثانى وثالث خمسة أبيات ، وفيه فى ثالث هذه « وأنى إذا لم ألزم »

(٣) فى الديوان (٦٨) ضمن قصيدة ، وفيه فى أول هذه « المعذب قلبه » وفى ثانيها « عينا لغيرك دمعها مدرار » .

شاهد كثرة التكرار

٩ — * سَبُوحٌ لهَا مِنْهَا عَلَيْهَا شَوَاهِدُ *

قائله أبو الطيب المتنبي ، من قصيدة من الطويل ، يمدح بها سيف الدولة بن حمدان أولها (١) :

عَوَاذِلُ ذاتِ الخالِ فيَّ حواسِدُ ... وإنَّ ضَجِيعَ الخودِ منِّي لَمَاجِدُ

يَرُدُّ يداً عنْ ثوبِها وهْوَ قادرٌ ... ويعصي الهوَى في طَيفِها وهْوَ رَاقدُ

متى يَشتفي من لاعجِ الشّوقِ في الحشا ... مُحبٌّ لها في قُرْبِهِ مُتَباعدُ

إذا كُنتَ تَخشى العارَ في كلِّ خلوةٍ ... فَلِمْ تَتَصبَّاكَ الحِسانُ الخرائدُ

ألحَّ علَيَّ السُّقمُ حتى ألفتُهُ ... وَملَّ طَبِيبي جانبي وَالعوائدُ

أهُمُّ بِشيءٍ والليالي كأنَّها ... تُطاردُني عن كَونِهِ وأُطَارِدُ

وحِيدٌ منَ الخِلّانِ في كلِّ بَلدَةٍ ... إذا عَظُمَ المطلوبُ قَلَّ المسَاعدُ

وتُسعدُني في غَمرةٍ بَعْدَ غَمرةٍ ... سَبوحٌ لها مِنْها عَلَيْها شَوَاهدُ

ومنها قوله في المديح :

خَلِيليَّ إني لا أرى غَيرَ شاعرٍ ... فَكم منهمُ الدَّعوى ومني القَصائدُ (٢)

فَلا تَعجبا إن السُّيوفَ كَثيرةٌ ... ولكنَّ سَيْفَ الدولةِ اليومَ واحِدُ

وهي طويلة .

والسبوح : الفرس الحسن الجرى ، يقال : فرسٌ سابح وسبوح ، وخيل سوابح

---

(١) في الديوان (١ — ٢٦٨) .

(٢) في الديوان « فلم منهم الدعوى » وقال العكبري في شرحه : « قال أبو الفتح : لو قال * فكم منهم الدعوى ومني القصائد * لكان أحسن واشد مبالغة ، لأنها تدل على كثرة فعلهم » اهـ . وأبو الفتح بن جني أعرف الناس بما قال أبو الطيب ، فلعل ماهنا إصلاح للكلام على وفق مارغب فيه أبو الفتح .

لسبحها بيديها فى مسيرها . وسبوح : اسم فرس لربيعة بن جُشَم ، وهو مرفوع على أنه فاعل « تسعدنى » .

والمعنى : وتعينني على توارد الغمرات فى الحروب فرس سبوح يشهد بكرمها خصال هى لها منها أدلة عليها .

والشاهد فيه كثرة التكرار وتتابع الاضافات[1] وهى قوله « لها منها عليها » والله تعالى أعلم .

* * *

١٠ — * حَمَامَةَ جَرْعَا حَوْمَةِ الْجَنْدَلِ اسْجَعِى *

شاهد تتابع الاضافات

قائله ابن بابك الشاعر المشهور ، من قصيدة من الطويل ، وتمامه :

* فأنْتِ بمَرْأى من سُعادَ ومَسمع *

والجرعاء : هى الرملة الطيبة المنبت لا وعوثة فيها ، أو الأرض ذات الحزونة تشاكل الرمل ، أو الدعص لا ينبت ، أو الكثيب جانب منه حجارة وجانب رمل وحومة القتال : معظمه ، وكذلك من الماء والرمل وغيره ، والجندل : الحجارة ، والسجع : هدير الحمام ونحوه .

والمعنى : ياحمامة جرعاء هذا الموضع اسجعى وترنمى طرباً فأنت بمرأى من الحبيبة ومسمع ، فجدير لك أن تطربى إذ لا مانع لك منه .

والشاهد فيه : تتابع الاضافات ، فانه أضاف « حمامة » إلى « جرعا » و « حومة » إلى « الجندل » وهو من عيوب الكلام .

قال القزوينى : وفيه نظر ، لأن ذلك إن أفضى باللفظ إلى الثقل على اللسان فقد حصل الاحتراز عنه بما تقدم ، أى بقوله «من تنافر الكلمات مع فصاحتها» وإلا فلا يُخل بالفصاحة ، كيف وقد جاء فى التنزيل (مثل دأب قوم نوح) وقد

---

(١) فى البيت كثرة التكرار ليس غير

قال صلى الله عليه وسلم « الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف ابن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم » .

قيل : لا نسلم وجود تتابع الاضافات فى الحديث الشريف ، إذ لفظة الابن صفة لما قبلها ، وليس ما قبلها مضافا إليها .

وعن الصاحب بن عباد « إياك والاضافات المتداخلة فإنها لا تحسن »

وذكر الشيخ عبد القاهر أنها تستعمل فى الهجاء كقول القائل [من الخفيف] :

يا علىَّ بن حمزة بن عُمارهْ أنتَ والله ثَلجةٌ فى خِيارهْ

قال : ولا شك فى ثقل ذلك ، لكنه إذا سلم من الاستكراه ملح وظرف ، ومما حسن فيه قول ابن المعتز [من الطويل] :

وظَلَّتْ تُديرُ الراحَ أيدى جآذرٍ عِتاقِ دَنانيرِ الوجُوهِ مِلاحِ

وقول الخالدى [من المنسرح] :

ويَعرفُ الشِّعرَ مِثلَ مَعْرِفتى وهْوَ على أن يَزيدَ مُجتهِدُ
وصَيرفىُّ القَريضِ وزَّانُ ديـ ـنارِ المعانى الدِّقاقِ مُنتقِدُ

وهذان البيتان لسعيد بن هشام الخالدى[1] الشاعر المشهور من قصيدة يصف فيها غلاماً له ، وهى بديعة فأحببت ذكرها ، وهى :

ما هو عَبدٌ لكنَّهُ وَلَدُ خَوَّلَنيهِ المُهيْمنُ الصَّمدُ
وَشدَّ أزرِى بحُسنِ خِدمتهِ فَهْوَ يَدِى وَالذراعُ وَالعضُدُ
صَغيرُ سِنٍّ كَبيرُ مَنفعةٍ تَمازجَ الضعفُ فِيه وَالْجلَدُ
فِى سنِّ بَدرِ الدُّجا وَصورَته فَمثلهُ يُصطفَى وَيُعتقَدُ

---

(١) هكذا وقع فى أصول الكتاب ، ووقع فى فوات الوفيات (١ - ٢١٨) « سعد بن هاشم » وفى اليتيمة (٢ - ١٨٣ بتحقيقنا) « سعيد بن هاشم » وهو الصواب ، وهو أبو عثمان الخالدى ، شاعر من شعراء سيف الدولة ، وحافظ خزانة كتبه ، وأخوه أبو بكر كذلك ، وهما الخالديان .

مُعشَّقُ الطرْفِ كُحله كَحَلٌ مُعَطَّلُ الجيدِ حَلْيهُ الجَيَدُ
وَوردُ خدَّيْهِ وَالشقائقُ وَالـ ـتفاحُ وَالجُلّنارُ مُنتضدُ
رِياضُ حُسنٍ زَواهرٌ أبداً فِيهنّ ماءُ النَّعيم مُطَّرِدُ
وَغصنُ بَانٍ إذا بَدا وإذا شَدَا فَقُمْرِىٌّ بَانةٍ غَرِدُ
مُباركُ الوجهِ مُذ حظيتُ بِهِ بَالى رَخِىٌّ وَعيشتى رَغدُ
أُنْسى وَلهوِى وَكلُّ مَأرَبتى مجتمعٌ فِيه لِى وَمُنفرِدُ
مُسامِرِى إنْ دَجَا الظَّلامُ فَلِى مِنهُ حَدِيثٌ كأنهُ الشَّهدُ
ظرِيفُ مَزْحٍ مَليحُ نَادرَةٍ جَزْهرُ حُسنٍ شَرارهُ يَقدُ
خَازنُ مَا فِى دارِى وَحافظهُ فَليسَ شيءٌ لَدىَّ مُفتقَدُ
وَمنفقٌ مُشفقٌ إذا أنَا أسْـ ـرَفتُ وَبذّرْتُ فهوَ مُقتصدُ
يَصون كُتبى فكلُّها حَسنٌ يَطوى ثِيابى فَكلُّها جُدُد
وَأبصرُ الناسِ بِالطبيخ فَكالـ ـمسكِ القلايَا وَالعنبرُ الثرِدُ
وهوَ يُدير المدامَ إنْ جُليتْ عَروسُ دَنٍّ نِقابها الزَّبدُ(١)
يَمنح كأسى يداً أناملُها تَنْحلُّ منْ لِينها وَتنعقدُ
ثَقّفهُ كَيسهُ فلا عِوجٌ فى بعضِ أخلاقهِ ولا أَودُ

و بعده البيتان ، و بعدهما أيضاً :

وَكاتبٌ تُوجدُ البلاغةُ فى أَلفاظهِ وَالصوابُ وَالرشَدُ
وَواجدٌ بى من المحبة وَالـ ـرأفةِ أضعافَ ما به أجدُ
إذا تَبسَّمتُ فَهوَ مُبتهجٌ وَإن تَنمردتُ(٢) فهوَ مُرتعدُ

---

(١) فى الأصول « عروس بكر » وما أثبتناه عن فوات الوفيات .

(٢) فى الفوات « وإن تنمرت » .

ذَا بعضُ أوْصافِهِ وَقدْ بَقِيتْ — لهُ صِفاتٌ لمْ يحوِها أحدُ

وقد عارضها الشهاب محمود بقصيدة يذم فيها غلاما له، وهى [من المنسرح] :

ما هو عَبدٌ كلاّ ولاَ ولدُ — إلاّ عناءٌ تَضنى به الكبِدُ

وَفرطُ سقمٍ أعيا الأساةَ فلاَ — جِلْدٌ عليهِ يَبقى ولاَ جَلَدُ

أقبحُ ما فيه كلُّه وَلقدْ — تَساوتِ الروحُ منه والجسدْ

أشبهُ شئٍ بالقردِ فهوَ لهُ — إنْ كان لِلقرد فى الورى ولدُ

ذو مُقلةٍ حشوُ جفنها عَمَصٌ — تَسيلُ دَمعاً وَمابها رَمدُ

وَوجنةٍ مِثلِ صبغةِ الوَرْسِ لـــكنْ ذاكَ صافٍ وَلونها كمِدُ

كأنما الخدُّ فى نَظافتهِ — قدْ أكِلَتْ فوق صحنه غُدَدُ

يقطرُ سُماً فَضحكُهُ أبداً — شرٌّ بُكاءٍ وَبِشرهُ حَرَدُ

يجمعُ كفيْهِ مِنْ مَهانتهِ — كأنه فى الهجيرِ مُرتعِدُ

يُطرِقُ لاَ مِنْ حياً وَلا خَجلٍ — كأنهُ لِلترابِ مُنتقدُ

ألْكنُ إلاّ فى الشتمِ يَنبحُ كالْـــكلبِ وَلوْ أنَّ خَصمهُ الأسدُ

يَشتمنى الناسُ حِينَ يَشتمهمْ — إذْ لَيسَ يَرضى بِشتمهِ أحدُ

كَسلانُ إلاّ فى الأكلِ فهوَ إذا — مَاحضرَ الأكلُ جمرةٌ تَقِدُ

كالنارِ يَوْمَ الرِّياحِ فى الحطب الْـــيابسِ تأْتى على الّذى تجدُ

يَرفلُ فِى حُلةٍ منبتـة — من قمله رقم طرزها طرد

أجملُ أوْصافِهِ النميمةُ وَالْـــكذبُ وَنقلُ الحديثِ وَالحسدُ

كُلُّ عُيوبِ الورَى به اجتَمعتْ — وَهو بأضعافِ ذَاكَ مُنفردُ

إنْ قُلتُ لَمْ يَدرِ مَاأقولُ وَإنْ — قالَ كلانا فى الفهم متحد

كأنَّ مَا لِى إذا تَسلّمهُ — مَاءٌ قَرَاحٌ وَكفهُ سرد

حَملتهُ لي دُوَيَّةً حَسنتْ ... كُنتُ عليها في الظَّرفِ أعتمدُ
كَمثلِ زَهرِ الرِّياضِ ماوَجدَتْ ... عَيني لهَا مُشبهاً وَلا تجدُ
فرَّ يوْماً بهـا على رَجُلٍ ... لَديهِ عِلمُ اللُّصوصِ يَستندُ
أوْدَعها عِندهُ ففرَّ بهَا ... وَما حَواهُ مِنْ بَعدها البلدُ
فَجاء يَبكي فظلَلْتُ أضحكُ مِنْ ... فِعلي وَقلبي بِالغيظِ يتقدُ
وَقالَ لي لاَ تخفْ لحايتهُ ... مَشهورةُ الشكلِ حينَ يُفتقدُ
عَليهِ ثوبٌ وعمةٌ ولهُ ... ذَقنٌ وَوجهٌ وَساعدٌ ويدُ
وَقائلٍ بعهُ قُلتُ خذهُ ولاَ ... وَزنٌ تُجازي به ولا عددُ
ففي الذي قَدْ أضاعهُ عِوضٌ ... وهْو على أنْ يزيدَ مُجتهدُ

ومثله قول راشد الكاتب في غلام له قد باعه ، وكان اسمه نفيسا فسماه خسيسا [من البسيط] :

بعْنا خَسيساً فلم يحزنْ لهُ أحدُ ... وَغابَ عَنا فَغابَ الهمُّ والنكدُ
أهْونْ به خارجا منْ بينِ أظهرنا ... لم نَفتقده وكلبُ الدَّارِ يُفتقدُ
قَدْ عُرِّيتْ مِنْ صنُوفِ الخيرِ خِلقتهُ ... فلا رُواءٌ ولاَ عقلٌ ولاَ جَلدُ
يَدعو الفحولَ إلى ماتحتَ مِئزره ... دُعاءَ منْ في استه النيرانُ تتقدُ

وقال فيه أيضاً [من الطويل] :

عَرَضنا خَسيساً فاحتمى كلُّ تاجرٍ ... شِراهُ وأعيْا بَيْعهُ كلَّ دَلاَّلِ
وما باتَ في قَومٍ يُحبُّونَ قُربهُ ... فأصبحَ إلاّ وَالمحبُّ لهُ قالي[1]
فما في يديهِ خِدمةٌ يُشتهى لهَا ... ولاَ عِندهُ مَعنىً يُرادُ على حالِ
بَلى لَيس يخلو من مَعايبِ أهلهِ ... وإنْ أصبحوا في ذِروةِ الشَّرفِ العالي

(١) قال : مبغض كاره ، قلاه يقلوه ، وقلاه يقليه : أبغضه .

إذا لم يجدْ فيهمْ مقالاً لرامِهِ ... ببعض عيوبِ الناسِ فى الزَّمنِ الخالى
ويحتالُ فى استخراجِ ما فى بيوتهمْ ... بما قَصرتْ عنهُ يدا كلِّ محتال
وإن حمَّلوهُ سِرَّ أمرٍ أذاعهُ ... وكادَهُمُ فيه كِيادةَ مُغتالِ
ويَعبثُ بالجيرانِ حتى يُملَّهمْ ... ويُبرِمُ أهلَ الدار بالقيلِ والقَالِ(١)
يريهمْ صُروفَ الدهرِ من حمقاته ... أعاجيبَ لم تخطر ببالِهم ولا بال
أقولُ وقدْ مَروا به يَعرضونهُ ... إلى النَّار فاذهبْ لا رَجَعْتَ ولا مالى

وقال العلامة ابن الوردى رحمه الله يهجو عبداً له اسمه بهادر [من الطويل] :

بَهادرُ عَبدٌ لا بَهاءٌ ولا دُرٌّ ... فما أنا حرٌ يومَ قَولى له حُرُّ

وأما ابن بابك فهو عبد الصمد (٢) بن منصور بن الحسن بن بابك الشاعر المشهور، أحد الشعراء المجيدين المكثرين ، وهو بغدادى، وله ديوان كبير وأسلوب رائق فى نظم الشعر ، طاف البلاد ، ومدح الأكابر كعضد الدولة والصاحب بن عباد وغيرهما ، وأجزلوا له الجوائز ، وذكر صاحب اليتيمة أنه كان يَشتُو فى حضرة الصاحب بن عباد و يصيف فى وطنه ، وقد ذكر ذلك فى بعض قصائده (٣) ، قال: وقرأت للصاحب فصلا فى ذكره فاستملحته ، وهو «أما ابن بابك ، وكثرة غشيانه بابك ، فإنما تُغشى منازل الكرام ، والمنهل العذب كثير الزحام»

ومن شعره فى وصف الخمر من قصيدة [من الطويل] :

---

(١) يبرم أهل الدار : يملهم ويورثهم السآمة .
(٢) لابن بابك ترجمة فى ابن خلكان (١-٣٣٢) وفى يتيمة الدهر للثعالبى (٣-٣٤٣ مصر)
(٣) ذلك قوله :

وحادث بالسراج أخا اشتياق ... يلاعب ظله جـد خفيف
له بالريف من جرحان مشتى ... وبالنخلات من غمى مصيف

عُقارٌ عليها من دَم الصَّبِّ نُقطةٌ ... ومِنْ عَبراتِ المستهام فَواقعُ[1]
مُعَوّدةٌ غَصبَ العقولِ كأنما ... لها عِنـد ألبابِ الرِّجال وَدائعُ
تَحيّرَ دَمعُ المزنِ فى كأسها كما ... تحيرُ فى وَردِ الخدودِ المدامعُ

وله من أخرى فى وصف إضرام النار فى بعض غياض طريقه إلى الصاحب [من البسيط] :

وَمقلةٍ فى مجرّ الشمس مَسحبها ... أرْعيتها فى شباب السُّدْفة الشُّهبا
حتى أرَتنى وعينُ الشمس فاترةٌ ... وجهَ الصباح بذيل الليل مُنتقبا
وَليلةٍ بتُّ أشكو الهمَّ أولها ... وَعدتُ آخرَهَا أستنجد الطَّربا[2]
فى غَيضةٍ من رِياضِ الحسن دَانيةٍ ... مدَّ الظلامُ على أرْواقها طُنبا[3]
يُهدِى إليها مُجاج الخمرِ ساكِنُها ... وكلَّما دبَّ فيهـا أثمرت لهبـا
حتى إذا النار طاشتْ فى ذَوائبها ... عادَ الزُّمردُ من عيدانِها ذَهبا
مَرقتُ مِنها وَثغرُ الصُّبح مُبتسم ... إلى أغرَّ يرَى المذخورَ ما وَهبا

وله أيضاً [من البسيط] :

أحببته أسودَ العينين والشَّعرهْ ... فى عَينهِ عِدةٌ لِلوصلِ مُنتَظَرَهْ
لدنَ المقلّد مَخطوف الحشا ثملاً ... رَخصَ العظامِ أشمَّ الأنفِ وَالقَصَرَهْ
لِلظبى لَفتتهُ والغصنِ قامَتُه ... وَالرَّوضِ ما بثَّه وَالرَّمل ما سَترهْ
تَكادُ عَينى إذا خاضتْ محاسنَهُ ... إليهِ تَشربهُ من رِقةِ البشرهْ
حتى إذا قلتُ قد أمْلَلْتُها شَرهتْ ... شَوقاً إليهِ وفى عَينِ المحبِّ شَرهْ

(١) فى اليتيمة « من دم الصب نفضة » .
(٢) فى الأصول « بت سلوالهم » ولعله محرف عن « بت شلوالهم »
(٣) فى اليتيمة « من رياض الحزن » وفى الأصول « على أوراقها » وما أثبتناه فى هذه العبارة عن اليتيمة .

ومنه [من البسيط] :

زَمرُ الغروبِ وأصواتُ النَّواعيرِ والشُّربُ فى ظلِّ أكواخِ المناظيرِ
وَصرعةٌ بينَ إبريقٍ وَباطيةٍ ونقرة بينَ مِزمارٍ وَطنبورِ
أشهى إلىَّ مِنَ البَيْداء أعسفها ومِنْ طُلوعِ الثَّنايا الشُّهبِ والقورِ
يا رُبَّ يَوْمٍ على القاطُولِ جاذبنى صُبحُ الزُّجاجةِ فيهِ فَضلَةُ النُّورِ
صدَعَتْ طُرتهُ والشمسُ قاصدةٌ فى يَلمقٍ مِنْ ضَبابِ الدجنِ مَزرُورِ
كأنَّ ما انْهَلَّ مِنْ أهدابِ مُزْنته دَمعٌ تَساقَطَ من أجفانِ مَهجورِ
فَمِنْ رشاشٍ على الرَّيحانِ مُفتحمٍ ومِنْ رَذاذٍ على المنثور مَنثورِ

ومن شعره أيضا [من الكامل] :

وغَديرِ ماء أفعِمَتْ أطْرافهُ كالدَّمع لما ضَاقَ عنهُ مَجالُ
قَمرُ الرياض . إذا الغصُونُ تَمَدَّلت وإذا الغُصونُ تَهَدَّلت فَهِلاَلُ

ومنه وهو غريب التشبيه [من البسيط] :

وافى الشتاء فبزَّ النَّوْرُ بهجته فعلَ المشيب بشَعر اللِّمَّةِ الرجلِ
وَرْدٌ تفتَّحَ ثُمَّ ارتدَّ مُجتمِعاً كما تجمَّعتِ الأفوَاه لِلقُبَلِ

وقد أخذه الأمير مجيرالدين بن تميم مع زيادة التضمين فقال [من الكامل] :

سِيقتْ إليْكَ مِنَ الحَدائق وردَة وأتتْكَ قَبلَ أوانِها تَطفيلاَ
طَمعت بِلثمِكَ إذْ رأتك فَجمَّعت فَمَها إليكَ كطالبٍ تقبيلاَ

وهذا التضمين من بيت للمتنبى فى وصف الناقة وهو [من الكامل] :

ويُغيرُنى جذبُ الزِّمام لقلبها فَمها إليكِ كَطالبٍ تقبيلاَ

فنقله ابن تميم إلى وصف زر الورد فأحسن غاية الإحسان ، وهو من قول مسلم بن الوليد [من الكامل] :

وَالعيسُ عاطفةُ الرؤسِ كأنما   يَطلبنَ سرَّ محدثٍ فى المجلسِ

وفى مثل قول ابن تميم قول الخباز البلدى دو بيت :

ووردة تحكى بسبق الورد   طليعةً تسرعتْ من جُنْد

قد ضَمها فى الغصن قرص البرد   ضم فمٍ لقُبلةٍ من بُعْدِ

وذكرت بهذا ما قاله صاعد اللغوى [1] صاحب كتاب الفصوص يصف باكورة ورد حملت إلى أبى عامر محمد بن أبى عامر الملقب بالمنصور [من المتقارب] :

أتتكَ أبا عامرٍ وَردةٌ   يُحاكى لكَ المسكُ أنفاسها

كَعذراء أبْصرها مُبصرٌ   فَغطَّتْ بأكمامِها رَاسهـا

فاستحسن المنصور ما جاء به ، فحسده الحسين بن العريف فقال : هى لعباس ابن الأحنف ، فناكره صاعد ، فقام ابن العريف إلى منزله ووضع أبياتا وأثبتها فى صفح دفتر وقد نقض بعض أسطاره وأتى بها قبل افتراق المجلس ، وهى [من المتقارب] :

عَشوتُ إلى قَصرِ عَباسةٍ   وَقدْ جدّلَ النّومُ حُراسَهَا

فألفيتها وَهىَ فى خِدْرها   وَقدْ صَدَعَ السكر أُنَّاسها [2]

فقالتْ : أسارٍ على هَجعةٍ ؟   فقلتُ : بَلى ، فَرمتْ كاسها

ومدَّت إلى وردةٍ كَفَّها   يُحاكى لك المسكُ أنفاسها

كَعذراء أبصرها مُبصرٌ   فَغطَّتْ بأكمامِها رَاسها

وقالَتْ خَفِ الله لاتَفضحــنْ   فى ابْنةِ عَمك عَباسَها

فَوليت عَنها على غَفلةٍ   ولاخُنتُ ناسى ولا ناسَها

قال : فخجل صاعد ، وحلف فلم يُقبل منه ، وافترق المجلس على أنه سرقها

---

(١) له ترجمة فى نفح الطيب (٢ ـ ٢٧٦ بولاق) وفى الذخيرة لابن بسام (ق ٤ ج ١ ص ٢) وقد رويت هنالك القصة والأبيات كلها .

(٢) فى المطبوعتين « إيناسها » وما أثبتناه موافق لما فى الذخيرة والنفح

وتمكنت في صاعد لأنه كان يوصف بغير الثقة فيما ينقله .

ومن شعر ابن بابك يصف زمام الناقة وهو معنى جيد [من الكامل] :

ولقد ثنيت إليك تحمل بزتي حرف يسكن طيشها الفالان

يثنى الزفير خطمها فكأنه غرز بحلول قتبه ثعبان

وقد زاد فيه على المتنبي وقد ذكر الخيل [من الطويل] :

تجاذب فيها لمصباح أعنة كأن على الأعناق منها أفاعيا

وهو من قول ذي الرمة [من الطويل] :

وجيعة أسقام كأن زمامها شجاع على يسرى الذراعين مطرق

على أن ذا الرمة لم يزد على التشبيه شيئا ، والمتنبي أتى به في عرض بيته ، وزاد مقصداً آخر ، وهو أن الخيل لاتترك الأعنة تستقر في أيدي فرسانها لما فيها من سورة المرح وحسن البقية بعد طول السرى ، فكأنما الأعنة أفاع تلدغ أعناقها إذا باشرتها ، فتجاذبها الفرسان الأعنة وهي تجاذبهم إياها ، وهذا لم يقصده ذو الرمة ولا يؤخذ من بيته .

ومن شعر ابن بابك بيت من قصيدة في غاية الرقة ، وهو [من الوافر] :

ومر بي النسيم فرق حتى كأني قد شكوت إليه مابي

ونقل بعضهم أن ابن بابك لما وفد على الصاحب بن عباد وأنشده مدائحه فيه طعن عليه بعض الحاضرين ، وذكر أنه منتحل ، وأنه ينشد قصائد قد قالها ابن نباتة السعدي ، فأراد الصاحب ابن عباد أن يمتحنه فاقترح عليه أن يقول قصيدة يصف فيها الفيل على وزن قول عمرو بن معدي كرب [من الكامل] :

أعددت للحدثان سا بغة وعداء علندى

فقال [من الكامل] :

قسماً لقد نشر الحيا بمناكب العلمين بردا

وتنفست بعنية تستضحك الزهر المندّى
وجريحة النبات تنثر من سقيط الدمع عقدا
نزعتها حلب الشؤ ن وقلما استعبرت وجدا
ومساجل لى قد شققت لدائه فى فى لحدا
لا ترم بى فأنا الذى صيرت حر الشعر عبدا
بشوارد شمس القيا دبرزن عند القرب بعدا
وممسك البردين فى شبه النقا شية وقدا
وكأنما نسجت عليه يد الغمام الجون جلدا
وإذا لوتك صفاته أعطاك نس الروم نقدا
فكأن معصم غادة فى ماضغيه إذا تصدى
وكأن عودا عاطلا فى صفحتيه إذا تبدى
يحدو قوائم أربعا يتركن بالتلعات وهدا
جأب المطوق قد تعود بالكراهة واستبدا
فإذا تجلل هضبة فكأن ظل الليل مدا
وإذا هوى فكأن ركنا من عمان قد تردى
وإذا استقل رأيت فى أعطافه هزلا وجدا
متقرطا أذنا تمى زجر المسوف إذا تعدى
خرقاء لا يجد السرا ر إذا تولجها مردا
أوطأته صرعى سيـ في واجتنيت وصال سعدى
ملك رأى الإحسان من عدد النوائب فاستعدا
كافى الكفلة إذا انثنت مثل القنا الخطار رمدا

تَـكسوهُ نَشرَ العرفِ كَـفٌّ منْ جفُونِ الطَّلِّ أنْدَى
لاَ زلتَ يا أملَ العفا ةِ لفارطِ الإملاقِ وِردًا
فالقَ الليالِى لاَبسـًا عَيشًا برودَ الظِّلِّ رَغدًا

فاستحسنها الصاحب ولام الطاعن عليه على كذبه وادعائه أنه انتحل شعر غيره ، فقال : يا مولانا هذا والله معه ستون فيلية كلها على هذا الوزن لابن نباتة فضحك منه .

وكان الصاحب قد برز أمره لابن بابك وغيره من الشعراء الذين بحضرته أن يصفوا الفيل على هذا الوزن ، فمن قصيدة لأبى الحسن الجوهرى :

يَزهو بِخرْطومٍ كَمِثـــلِ الصوْلجانِ يردّ رَدّا
متمـددٍ كالأفعُوا نِ تَمدُّهُ الرّمضاء مدّا
أوْ كمٍّ رَاقصةٍ تُشـــيرُ بهِ إلى الندْمانِ وَجدًا
وَكأنهُ بُوق يُحـــركهُ لِينفخَ فيهِ جدّا
يَسطو بِصارِمَتى لحـــىّ يحطمان الصخر هدّا
أذْناهُ مِروحتانِ أُســـندتا إلى الفودينِ عَمدا
عَيناه غائرتانِ ضيـــقتا لجمع الضوء عمدًا

ومن قصيدة لأبى محمد الخازن :

وكأنمـا خُرطومهُ رَاووُق خَمر مدّمدّا
أوْ مِثلُ كمٍّ مُسبلٍ أرْخته لِلتّوديع سُعدَى
و إذا التوى فكأنه الـــثعبانُ منْ جَبلٍ تَردّى
وكأنما انقلبتْ عصًا مُوسى غداة بها تحدَّى

وكانت وفاته فى سنة عشر وأربعمائة ببغداد ، رحمه الله تعالى !

شواهد الفن الأول ، وهو علم المعانى

تنزيل غير المنكر منزلة المنكر

١١ — جاء شَقيقٌ عارضاً رُمحَهُ * إنَّ بَنِي عَمِّكَ فِيهِمْ رِماحْ

البيت لحجل بن نَضلةَ ، من السريع ، و بعده :

هَلْ أحدثَ الدَّهرُ لَنا ذِلَّةً أمْ هَلْ رَمتْ أمُّ شَقيقٍ سِلاحْ

شقيق هنا : اسم رجل .

والمعنى : جاء هذا الرجلُ واضعاً رمحه عرضاً مفتخراً بتصريف الرماح ، مُدلاً بشجاعته ، دالاً ذلك على إعجاب شديد منه واعتقادٍ بأنه لا يقوم إليه أحد من بنى أعمامه كأنهم كلهم عُزْلٌ ليس مع أحد منهم رمح فقيل له : تَنكبْ وخلِّ لهم طريقهم لئلا تتزاحم عليك رماحهم وتترا كم عليك أسنتها ، إن بنى عمك فيهم رماح كثيرة

والشاهد فيه : تنزيلُ غير المنكرِ للشىء منزلةَ المنكر له إذا ظهر عليه شىء من أمارات الإنكار ، وقد تقدم معناه

وما أحسن قولَ ابن جابر الأندلسىّ مشيراً إلى شطر البيت الأول [من السريع] :

سَامحَ بالوَصلِ على بُخلهِ وَقالَ لِى أنتَ بوصلِى حَقيقْ
فقلتُ مَا رَأيكَ فِى نُزهةٍ مَا بينَ كاسَاتٍ وَروضٍ أنيقْ
فَقالَ يَعنى خَدَّه وَاللَّمَا هٰذا هُوَ الرَّوضُ وَهذا الرَّحيقْ
فَبتُّ مِنْ دَمْعى وَمِنْ خَدِّه مَا بينَ نُعمانَ وَبَينَ العَقيقْ
وَإذْ تَدلَّلتُ عَلى حُبِّهِ فَقَال مَا تخشى أمَا تَستفيقْ
قَدِّى وَخَدِّى خَفْهمَا يَا فتى هٰذا هُوَ الرُّمحُ وَهٰذا شَقيقْ

وَقد ضمنه أبُو جعفر الأندلسى أيضاً فقال [من السريع] :

أبدَتْ لنا الصُّدْغَ على خدِّها فأطْلَعَ الليلُ لنا صبحَهُ
فخَدُّها مَعْ قدِّها قائل هذا شقيق عارض رُمحَهُ

وقد ضمنه ابن الوردىّ أيضاً فقال [من السريع] :

لما رأى الزَّهرُ الشقيقَ انثنى مُنهزماً لم يَستطعْ لَمْحَهُ

وقال : مَنْ جاء ؟ فقُلنا لهُ : جاءَ شقيقٌ عارضاً رُمْحهُ
وأما حجل بن نضلة فهو أحد بنى عمرو بن عبد قيس بن معن بن أعصر

* * *

١٢ — أشَابَ الصغيرَ وأفْنَى الكَبيرَ كَرُّ الغَدَاةِ ومَرُّ العَشِىّ — شواهد الاسناد

البيت للصَّلتان العبدى الحماسى[1] من قصيدة من المتقارب . ونسب الجاحظ فى كتاب الحيوان هذه الأبيات للصلتان السعدى ، وقال : هو غير الصلتان العبدى ، و بعد البيت :

إذا ليلةٌ أهرَمت يَوْمها — أتى بعدَ ذلكَ يوم فتى[2]
نرُوحُ ونغدُو لِحاجاتنَا — وحاجةُ مَنْ عاشَ لاتنقضى
تموتُ معَ المرْء حاجاتُهُ — وتَبْقَى له حاجةٌ مابقى
إذا قلتَ يوما لمنْ قدْ تَرَى — أرُونى السَّرىَّ أرَوكَ الغنى
بُنَىَّ بداخِبُّ نجْوَى الرِّجال — فكنْ عنْدَ سرِّكَ خبَّ النجى[3]
فسرُّكَ ما كان عِنْدَ امرىءٍ — وسرُّ الثلاثةِ غيرُ الخفى

(١) الحماسى : أحد شعراء ديوان الحماسة الذى اختاره أبو تمام حبيب ابن أوس الطائى من شعر العرب ، وانظر شرح التبريزى بتحقيقنا (٣-١٩١) آخر باب الأدب .

(٢) فى الحماسة « إذا ليلة هرمت »

(٣) فى الأصول « خبء » بالهمز ، فى صدر البيت وعجزه ، وما أثبتناه عن الحماسة ، والخب — بكسر الخاء — المكر والخديعة ، والخب — بفتح الخاء — الوصف منه ، أى الماكر المخادع . وقبل هذا البيت فى الحماسة قوله :

ألم تر لقمان أوصى ابنــه — وأوصيت عمراً فنعم الوصى

فكُنْ كابن لَيلٍ على أسْوَدٍ — إذا ما سَوادٌ بِلَيْلٍ خشى [١]
فكلُّ سوادٍ وإن هِبْته — من الليل يُخْشى كما تختشى
أردِ مُحكم الشّعر إن قُلته — فانّ الكلام كثيرُ الروى
كالصَّمْتُ أدنى لبعض اللّسان — وَ بعض التكلّم أدنى لِعِيْ

ومعنى البيت : أن كرور الأيام ومرور الليالى يجعل الصغير كبيراً والطفل شائبا [٢] والشيخ فانيا .

والشاهد فيه : حمل إسناد الافناء إلى كرور الأيام ومرور الليالى على الحقيقة لكون إسناده إلى ماهو له عند المتكلم فى الظاهر .

والصلتان العبدى هو قُثَم بن خَبَيَّة [٣] بن عبدالقيس [٤] وهو شاعر مشهور قيل له : اقض بين جرير والفرزدق ، فقال [من الطويل] [٥] :

---

(١) هذا البيت والبيتان بعده لا توجد فى الحماسة .

(٢) هذا استعمال ردىء ، والجيد أن يقال : شاب يشيب فهو أشيب .

(٣) وقع فى الأصول « بن حبيبة » محرفا ، والتصويب عن الخزانة (١ - ٣٠٨) . قال : « خبية بفتح الخاء المعجمة وكسر الموحدة وتشديد المثناة التحتية وأصلها الهمز » اه .

(٤) هو أحد بنى محارب بن عمرو بن وديعة بن عبد القيس ، فنسبه هنا إلى جده الأعلى ، أو الصواب « من عبد القيس » بدل « بن عبد القيس »

(٥) وردت هذه القصيدة فى خزانة الأدب للبغدادى (١ - ٣٠٥) وقال قبل إيرادها : « عدة أبياتها ثلاثة وعشرون بيتا ، أوردها المبرد فى كتاب الاعتناء ، والقالى فى أماليه ، وابن قتيبة فى كتاب الشعراء إلا أنه حذف منها أبياتا » اه . وانظر أمالى القالى (٢ - ١٤١ دار الكتب) .

أنا الصِّلّتانُ الّذْ بهِ قَدْ عَلِمْتُمو ... متى ما يُحكَّمْ فهو بالْحَقِّ صادعُ(١)
أتَتْنى تميم حِينَ هابَتْ قُضاتُها ... وإنى لبالفَصل المُبيِّن قاطعُ
كما أنفَذَ الأعشى قَضيّةَ عامِرٍ ... وما لتميم فى قَضائى رَواجعُ(٢)
سأقضى قَضاءً بَينهُمْ غيْرَ جائرٍ ... فَهلْ أنْتَ للحكم المُبيِّن سامعُ
قضاء امرئٍ لايتّقى الشتمَ منهمُ ... وليْسَ له فى المدْح منهم منافعُ(٣)
فإن كُنتما حكَّمتُمانى فأنصتا ... ولا تجزعا ولْيَرضَ بالحقِّ قانعُ(٤)
فإن يَكُ بحْرُ الحَنظليين واحداً ... فما تَستوى حيتانُهُ والضفادعُ
وما يَستوى صَدرُ القناةِ وَزُجُّها ... وما يَستوى شُمُّ الذُّرَى والأجارعُ(٥)
ولَيْسَ الذُّنابَى كالقُدَامى وَريشِهِ ... وما تَستوى فى الكفِّ منك الأصابعُ(٦)
ألاَ إنما تحظى كليبٌ بِشعرها ... وَبالمجدِ تحظى دَارمٌ والأقارعُ

---

(١) فى الخزانة « أنا الصلتان والذى قد » وفيه « فهو بالحكم صادع » وفى الأمالى « أنا الصلتانى الذى قد »

(٢) فى الخزانة « وما لتميم من قضائى » والبيت يشير إلى قصة المنافرة بين عامر بن الطفيل وعلقمة بن علاثة ودخول الأعشى ميمون بن قيس بينهما وقوله من قصيدة :

علقم ما أنت إلى عامر ... الناقض الأوتار والواتر

(٣) فى الخزانة « وليس له فى الحمد منهم » .

(٤) فى الخزانة « فان كنتما حكمتمانى فاصمتا » وفيها وفى الأمالى «وليرض بالحكم قانع » وفيها بيتان بين هذا البيت والذى بعده .

(٥) فى أصول هذا الكتاب «والأكارع» محرفا ، وما أثبتناه عن الخزانة والأمالى .

(٦) فى أصول هذا الكتاب « وليس الذنابى كالغداف » وهو تحريف صوابه عن الأمالى .

أرى الخطَفَى بذّ الفرزدقَ شِعره ... ولكنّ خيراً من كليبٍ مُجاشعُ[١]

فيا شاعراً لا شاعرَ اليومَ مِثلهُ ... جريرٌ ولكنْ فى كليبٍ تواضعُ

ويرفعُ منْ شِعرِ الفرزدقِ أنه ... له باذخٌ لِذِى الخسيسةِ رافعُ[٢]

وقدْ يُحمدُ السيفُ الرّدىءُ بغمدِهِ ... وتلقاهُ رثّاً جفنُهُ وهوَ قاطعُ[٣]

يُناشدنى النصرَ الفرزدقُ بعدما ... أناختْ عليهِ منْ جريرٍ صَواقعُ

فقلتُ له إنى ونَصرَكَ كالذِى ... يُثبِّتُ أنفاً كَشّمتهُ الجوادعُ

وفى ذلك يقول جرير رحمه الله تعالى [من الطويل] :

أقولُ ولم أملكْ سوابقَ عبرةٍ ... متى كانَ حكمُ الله فى كَرَبِ النّخْلِ[٤]

---

(١) فى أصول الكتاب « أرى الحظ فى بذ الفرزدق شأوه » وهو تحريف صوابه ما أثبتناه عن الأمالى والخزانة .

(٢) فى الأصول « له باذخ لدن الخسيسة رافع » وهو تحريف صوابه ما أثبتناه عن الأمالى والخزانة .

(٣) فى الخزانة والأمالى « يحمد السيف الردىء بجفنه »

(٤) هذا البيت — على ما ذكر البغدادى عن المبرد — ملفق من بيتين وإليك عبارته (١–٣٠٦) : «قال المبرد : قال أبو عبيدة : فأما الفرزدق فرضى حين شرفه عليه ، وقومه على قومه ، وقال : إنما الشعر مروءة من لا مروءة له ، وهو أخس حظ الشريف ، وأما جرير فغضب من المنزلة التى أنزله إياها ، فقال يهجوه — وهو أحد بنى هجرس —

أقول ولم أملك سوابق عبرة ... متى كان حكم فى بيوت الهجارس

فلو كنت من رهط المعلى وطارق ... قضيت قضاء واضحا غير لابس

قال : والمعلى أبو الجارود أو جده ، وطارق بن النعمان من بنى الحارث ابن خزيمة ، وأم المنذر بن الجارود بنت النعمان ، وقال جرير أيضاً :

أقول لعين قد تحدر ماؤها ... متى كان حكم الله فى كرب النخل

فلم يجبه الصلتان ، فسقط » . اه

١٣ — مَيَّزَ عَنْهُ قُنْزُعاً عَنْ قُنْزُعِ * جَذْبُ اللَّيَالِى أَبْطِئِى أَوْ أَسْرِعِى

* أَفْنَاهُ قِيلُ اللهِ لِلشَّمْسِ اطْلُعِى *

هذه الأبيات لأبى النجم العجلى ، من قصيدة من الرجز ، أولها [١] :

قدْ أصبحتْ أمُّ الخيارِ تدّعى عليّ ذَنباً كله لم أصنعِ

* من أنْ رأتْ رَأسى كرأسِ الأصلعِ *

و بعده الأبيات ، و بعدها :

* حتى إذَا وَاراكِ أفقٌ فارجعى *

والقنزعة : الخصلة من الشَّعر تترك على رأس الصبى ، أوهى ماارتفع من الشعر وطال ، أو الشعر حوالى الرأس ، وجمعها قنازع وقنزعات ، وجذب الليالى هو مُضيها واختلافها ، و يقال : جذب الشهر ، إذا مضى عامته ، وأبطئى أو أسرعى: صفة الليالى ، أى : المقول فيها أبطئى أوأسرعى ، وقيل : حال منها ، أى الليالى مقولا فيها أبطئى أو أسرعى، والصَّلَعُ : انحسار شعر مقدم الرأس لنقصان مادة الشعر فى تلك البقعة وقصورها عنه واستيلاء الجفاف عليها [٢] ولتطامن الدماغ عما يماسه من القحف فلا يسقيه سقيه إياه وهو ملاق له ، والموارَاة : الستر .

ومعنى الأبيات : أن هذه الحبيبة — يعنى أم الخيار زوجته — أصبحت تدعى على ذنوبا لم أرتكب شيئا منها ؛ لرؤيتها رأسى كرأس الأصلع لكبرى وشيخوختى ، ميز و فصل مَرُّ الأيام ومضى الليالى الشعرَ الذى بقى حوالى الرأس وجوانبه ، ثم قال : أفناه قيل الله وأمره للشمس بالطلوع والغروب .

---

(١) الكلمة مذكورة فى خزانة الأدب (١ — ١٧٦ بولاق) .

(٢) قال ابن سينا « ولا يحدث الصلع للنساء لكثرة رطوبتهن ، ولا للخصيان لقرب أمزجتهم من أمزجة النساء » اه .

والشاهد فيها : هو أن حمل إسناد تمييز الشعر إلى جذب الليالى مجاز بقرينة قوله « أفناه - إلى آخره »

وأبو النجم : تقدم التعريف به فى شواهد المقدمة .[١]

* * *

١٤ — يَزِيدُكَ وَجْهُهُ حُسْناً إذَا مَا زِدْتَهُ نَظَرَا

البيت لأبى نُواسٍ ، من قصيدة من الوافر يهجو فيها الأعراب والأعرابيات ويذم عيشهم ، وأولها :[٢]

دَعِ الرَّسْمَ الذى دَثَرَا يُقاسى الرِّيحَ والمطرَا
وكُن رجلاً أضاعَ العِـ ضَ فى اللذَّاتِ والخَطَرَا[٣]
ألَمْ تَرَ ما بَنَى كِسرَى وسابُورٌ لمن غَبرَا
مَنازل بين دِجْلة والفُـــرَاتِ أحفَّهَا شَجرا[٤]
بأرضٍ باعَدَ الرحمـــنُ عَنها الطَّلحَ والعُشَرَا[٥]
ولم يَجعلْ مَصايِدَهَا يَرَابِيعاً ولا وَحَرَا[٦]

---

(١) ارجع إلى شرح الشاهد رقم ٣ .

(٢) اقرأها فى الديوان (١٦٤) .

(٣) فى الديوان « أضاع العلم » وهو تحريف ، وأحسب ما هنا تحريف أيضا ، وأن الأصل « أضاع العمر » .

(٤) فى الديوان « منازه بين دجلة » وفيه « أخصها الشجرا » .

(٥) الطلح — بفتح فسكون — والعشر — بضم العين وفتح الشين — من شجر البادية .

(٦) فى أصل الكتاب « ولا وجرا » محرفا ، واليرابيع : جمع يربوع ، وهو حيوان كالفأر . والوحر — بفتح الواو والحاء المهملة — جمع وحرة ، وهى وزغة كسام أبرص ، أو ضرب من العظاء لا تطأ شيئا إلا سمته ، أو القصيرة من الأبل والمراد هنا ما عدا الأخير .

ولكن حُورَ غِزلانٍ تُراعى بالمَلَا بَقَرا
وإن شِئْنا أحَشْنا الطيرَ من حافاتِها زُمَرا(١)

إلى أن قال :

أما واللهِ لا أَشَرا حَلَفْتُ بِهِ ولا بَطَرا
لو انَّ مُرَقِّشاً حَيٌّ تعلَّقَ قَلبُهُ ذِكَرا(٢)
كأنَّ ثِيابَهُ أطلَعْـــنَ من أزْرارِهِ قَمَرا
ومرَّ بِهِ بديوانِ الْـخَراجِ مُضمخاً عَطِرا(٣)
بِوَجهٍ سابِرِيٍّ لو تَصَوَّبَ ماؤه قَطرا
وقَدْ خَطَّتْ حَوَاضِنُه له من عَنْبرٍ طُرَرا
بِعينٍ خالَطَ التَّفتيرُ في أجْفانِها حَوَرا
يَزيدُكَ وجْهُهُ حُسْناً إذا ما زِدْتَهُ نَظَرا
لأَيْقَنَ أنّ حُبَّ المُرْدِ يُلْفِي سَهلُهُ وَعِرا

---

(١) فى الديوان « حشنا الطير » محرفا ، وأحشنا الطير : أى جئناه من حواليه لنصرفه إلى الحبالة .

(٢) المرقش : لقب لشاعرين أحدهما الأكبر وهو عمرو بن سعد بن مالك ابن ضبيعة ، وثانيهما الأصغر ، واسمه ربيعة بن سفيان بن سعد بن مالك بن ضبيعة ، وكلاهما من عشاق العرب ومتيميهم وفرسانهم ، فأما الأكبر فقد عشق ابنة عمه عوف بن مالك واسمها أسماء ، وأما الأصغر فقد عشق فاطمة بنت المنذر ، ولكل منهم شعر يدل على ما أشرنا إليه من الصبابة وفى المفضليات شىء منه ؛ وكذا فى تزيين الأسواق .

(٣) فى الديوان « ومن يريد ديوان الخراج »

ولا سِيَمَا وبَعضهم إذا حَيِيتهُ انتهرا (١)

والمعنى فى البيت : أن وجهه لما فيه من نهاية الحسن وغاية الكمال ، كلما كررت النظر فيه زاده الله عندك حسنا و بهاء ، مع أن تكرار النظر إلى الشىء قلما يحلو .

وفى معناه قول الآخر [من الرمل] :

كُلمَا زِدتَ إليــهِ نَظراً زاد حُسناً عِندَ تَكرارِ النّظَرْ

وقول ابن الرومى [من المنسرح] :

لا شىء إلاّ وفيه أحسَنُهُ فالعيْن مِنهُ إليه تَنتقلُ

فوَائد العين فيهِ طارفةٌ كأنما أُخرياتُهـا أُوَلُ

وقول المتنبى [من الكامل] (٢)

وهو المُضاعَفُ حُسنُهُ إن كُرِّرا

وقول عبدوس المغربىّ [من مجزوء الرمل] :

يا غـزالاً وهِلالاً خُلِقَا خَلْقاً عجيبا

وقَضيبا وكثيباً جَمعَا قداً غريبا

قدْغَضَضنادونكَ الألـ حاظ خوفاً أن تذوبَا

كُلما زدْناكَ لَحظاً زِدتنَا حُسناً وطيبا

---

(١) « لاسيما » بتخفيف الياء ، وهو لغة فى هذه الكلمة ، و « انتهر » ههنا معناه أبطأ فى سيره ، والسياق يبعد أن يكون معناه زجر كما هو المشهور

(٢) هو عجز بيت من قصيدة له يمدح فيها ابن العميد وصدره قوله :

* فهو المشيع بالمسامع إن مضى *

ارجع إلى الديوان (٢ - ١٦٧)

وقول ابن الخيمى [من البسيط] :(١)

ما يَنتهى نَظرى مِنهم إلى رُتَبٍ في الحسنِ إلاّ ولاَحتْ فَوقها رُتبُ

وقول قوام الدين المعروف بابن الطرّاح [من المنسرح] :

وَعدُكَ لاَ يَنقضى لهُ أمَدُ وَلاَ لِليلِ المِطالِ مِنكَ غَدُ

عَلّلتنى بالمنا غداً فغداً إنّ غداً سَرمدا هُوَ الأبدُ

تَضحكُ عَنْ وَاضحٍ مُقبَّلُهُ عَذْبٌ بَرودٌ كأنّهُ البَرَدُ

أحومُ مِنْ حَوْلهِ وَبى ظَمأ إلى جَنَى رِيقهِ وَلاَ أرِدُ

وَكلما زِدتُ وَجههُ نَظراً بَدَتْ عَليهِ مَحاسنٌ جُدُدُ

وقريب منه قول ابن المطرز [من المديد] :

يَاحبيباً كلهُ حَسَنٌ لِحبِّ كلهُ نَظرُ

وَجههُ مِنْ كلِّ ناحيةٍ حَيثما قابلتهُ قَمرُ

ومن ظريف ما يذكر هنا أن يعقوب بن الدقاق مستملى أبى نصر صاحبِ الأصمعى قال : كنا يوم جمعة بقبة الشعراء فى رحبة مسجد المنصور نتناشد ، وكنت أعلاهم صوتا ، إذ صاح بى صائح من ورائى يا منتوف ، فتغافلت كأنى لم أسمع شيئاً ، فقال : و يلك يا أعمى يا أعمى لم لا تتكلم ؟ فقلت: مَنْ هذا ؟ فقالوا : أبو دانق الموسوس ، فالتفت إليه ، فقال : و يلك ! هل تعرف أحسن من هذا البيت أو أشعر من قائله ، وهو[من المنسرح] :

---

(١) ابن الخيمى : هو محمد بن عبد المنعم بن محمد بن شهاب الدين الخيمي، يمنى الأصل، مصرى الدار ، وتوفى فى القاهرة سنة خمس وثمانين وثمانمائة والبيت المذكور من قصيدة مطلعها :

يا مطلبا ليس لى فى غيره أرب إليك آل التقصى وانتهي الطلب

ولهذه القصيدة قصة ذكرت فى ترجمته فى فوات الوفيات (٢ — ٢٨٨)

ما تَنظرُ العَيْنُ منهُ ناحيةً إلا أقامتْ منهُ على حَسنِ

فقلت كالمحاجر له : لا، فقال: لاأم لك ! هلا قلت نعم قوله[من مجزوء الوافر] :

يزيدكَ وَجهُهُ حُسناً إذا مازِدتهُ نَظرا

ثم وثب وثبة فجلس إلى جانبى ، وأقبل على ، وقال لى : يا أعمى ، صف لى صورتك الساعة ، وإلا أخرجتك من برتك ، ثم أقبل على من كان حاضراً فقال : ظلمناه ظلمناه ، وهو ضرير لم ير وجهه ، فمَنْ أحسَنَ منا أن يصفه فليصفه ، وكان على الحقيقة أقبح الناس وجهاً ، وكان يحلق شعر رأسه وشعر لحيته وشعر حاجبيه و يدهن قال : فلم يتكلم أحد ، فقال : اكتبوا صفته فى رأسه ، وأنشد [من الوافر] :

أُشَبِّهُ رَأسَهُ لَولاَ وجارٌ بعينيهِ وَنضنَضَةُ اللِّسانِ

بأضخمِ قَرعةٍ عَظمتْ وتَمتْ فَليسَ لها لَدى التمييز ثانِ

إذا عليت أسافلها أمالتْ دعائمَ رَأسِها نحو اللِّبانِ

فكانَ لها مكانَ الجيدِ منها إذا اتَّصلتْ بمُمسِكةِ الجِرانِ

لها فى كل شارِقَةٍ وَبيصٌ كأن بريقَها لمع الدِّهانِ

فلا سُلِّمْتَ من حَذَرى وخوفى متى سَلِمَتْ صَفاتُكَ من بنانى

ووثب إلى ، فحالت الأيدى بينى و بينه .

والشاهد فى البيت : معرفة حقيقة المجاز العقلى الخفيةِ التى لا تظهر إلا بعد نظر وتأمل .

ومثله قول محمد اليزيدى[من مجزوء الوافر] [1] :

أتيتُكَ عائذاً بكَ منـ ـكَ لمّا ضاقتِ الحِيَلُ

وصَيَّرنى هواكَ وبى لِحَيْنى يُضرَبُ المَثلُ

(١) هو محمد بن أبى محمد اليزيدى، أحد شعراء بنى تميم المحدثين

فان سَلِمَتْ لكم نَفسى فما لاقيتُهُ جَلَلُ
وإن قَتَلَ الهوى رجلاً فإنى ذلك الرجلُ

أى: صيرنى الله بهواك وحالى هذه، وهى أن يُضرب المثلُ بى لحينى، أى أهلكنى الله ابتلاء بسبب هواك.

والبيت الأخير مأخوذ من قول مسلم بن الوليد [من الوافر] :

متى ما تَسمعى بِقتيلِ أرض أُصيبَ فاننى ذاك القتيلُ

ترجمة أبى نواس

وأبو نواس [1] هو : أبو على الحسن بن هانئ بن عبد الأول بن الصباح الحكمى، الشاعر المشهور، كان جدُّه مولى الجراح بن عبدالله الحكمى والى خُراسان ونسبته إليه، قيل : إنه ولد بالبصرة ونشأ بها ثم خرج إلى الكوفة مع والبة بن الحباب، ثم صار إلى بغداد، وقيل : إنه ولد بالأهواز، وقيل: إنه ولد بكورة من كورخوزستان فى سنة إحدى وأربعين ومائة، ونقل إلى البصرة فنشأ بها ثم انتقل إلى بغداد، وقد زاد سنه على الثلاثين، ولم يلحق بها أحداً من الخلفاء قبل الرشيد وكان أول ما قاله من الشعر وهو صبى قوله [من المقتضب] :

حَاملُ الهَوى تَعِبُ يَستخِفُّهُ الطَربُ
إنْ بَكَى يَحقَ لَهُ لَيسَ مَابهِ لَعِبُ [2]
تَضحكينَ لاَهِيةً وَالمحبُّ يَنتحِبُ
كُلَّما انقَضَى سَببٌ منكِ جاءنى سَببُ [3]

(١) لأبى نواس ترجمة فى الخزانة (١-١٦٨) وفى ابن خلكان (١-٢٤٠) وأخباره مع جنان خاصة فى الأغانى (١٨-٣٥٤)

(٢) «إن بكى لحق له» رواية، ومثل ما هنا فى ابن خلكان

(٣) «منك عادلى سبب» رواية، وهذا البيت ليس فى ابن خلكان

تَعْجَبِينَ مِنْ سقَمى صِحَّتِى هِيَ العجبُ

وهى أبيات مشهورة

و رُوى أن الخصيب صاحب مصر سأل أبا نواس عن نسبه ، فقال : أغنانى أدبى عن نسبى

وما زال العلماء والأشراف يَرْوُون شعر أبى نواس ، و يتفكهون به ، و يفضلونه على أشعار القدماء

قال محمد بن داود الجراح : كان أبو نواس من أجود النـاس بديهةً ، وأرقهم حاشية ، لسِناً بالشعر يقوله فى كل حال ، والردىء من شعره ماحفظ عنه فى سكره

قال الجاحظ : لاأعرف بعد بشار مُولَّدا أشعر من أبى نواس ، وقال الأصمعى: ما أروى لأحد من أهل الزمان ماأرويه لأبى نواس . وقال أبو عبيدة : أبو نواس للمُحْدَثين كامرىء القيس للأولين ، لأنه الذى فتح لهم باب هذه الفطن ودلهم على هذه المعانى ، وقال : ذهبَتِ اليمنُ بجد الشعر وهزله ، فامرؤ القيس بجده ، وأبو نواس بهزله . وقال أبو الحسن الطوسىّ : شعراء اليمن ثلاثة: امرؤ القيس ، وحسان وأبو نواس

وكان لخلف الأحمـر ولاء فى اليمن فى الأشاعرة ، وكان عصبيا ، وكان من أميل خلق الله إلى أبى نواس ، وهو الذى كَنَاه بهذه الكنية ، لأنه قال له : أنت من أهل اليمن فتـكنَّ باسم من أسامى الذَّوِينَ ، ثم أحصى له أسماءهم ، وخيره ، فقال: ذوجَدَن ، وذو كلال ، وذو يَزَن ، وذو كلاع ، وذو نواس ، فاختار ذا نواس فـكناه أبا نواس ، فسارت له وغلبت على « أبى على » كنيتِهِ الأولى .

وكان أبو نواس يعجبه شعر النابغة ، و يفضله على زهير تفضيلا شديداً ، ثم يقول : الأعشى ليس مثلهما ، وكان يتعصب لجرير على الفرزدق ، و يقول : هو أشعر ، و يأتم ببشار و يقول: هو غزير الشعر كثير الافتنان ، و يقول أدمنت قراءة شعر الكميت فوجدت قشعريرة ، ثم قرأت شعر الخريمى فتشققت علىَّ حُمَّى مبردة

ثم قال يوما : شعرى أشبه بشعر جرير ، فقيل له : فما تقول فى الأخطل ؟ قال : إمامى فى الخمر ، فقيل : الفرزدق ؟ قال : ذاك الأب الأكبر

وقال ابن الأعرابى : قد ختمت بشعر أبى نواس ، فما رويت لشاعر بعده

وقال أبو عمرو الشيبانى : لولا ماأخذ فيه أبو نواس من الارفاث لاحتججنا بشعره ، لأنه كان محكم القول لايخلط

وقال ابن دريد: سألت أبا حاتم عن أبى نواس فقال :إن جد حسن ، و إن هزل ظرف ، و إن وصف بالغ ، يلقى الكلام على عواهنه لايبالى من حيث أخذه

وقال أبو الغيث بن البحترى: سألت أبى لما حضرته الوفاة:مَنْ أشعر الناس؟ فقال : أعن المتقدمين تسأل أم عن المحدثين ؟ فقلت: عن المحدثين ، فقال: يابُنَىَّ لو قسم إحسان أبى نواس على جميع الناس لوسعهم ، و إن لأشجع السلمى لاحسانا وما عَلِمْتُ الشعراء أكلَ الخبز بالشعر إلا أبو تمام ، فقلت له : أنت أشعر أم أبو تمام؟ فقال : سألت عما لايزال يسأل عنه : جَيِّدُ أبى تمام خير من جيدى و رديئى خير من رديئه .

وقال ابن الأعرابى : بعث إلىَّ المأمونُ فسرت إليه وهو مع يحيى بن أكثم يطوفان فى حديقة فلما نظرانى وليانى ظهورهما ، فجلست ، فلما أقبلا قمت ، فقال المأمون : يامحمد بن زياد ، من أشعر الشعراء فى نعت الخمر ؟ فجعلت أنشده للأعشى وقلت هو الذى يقول [من الطويل] :

تريك القذَى من دونها وهى فوقهُ ... إذا ذَاقها من ذاقَها يتمطَّقُ

ثم أنشدته للأخطل ، فلم يحفل بشىء مما أنشدته ، ثم قال : يا ابن زياد ، أشعر الناس فى نعتها الذى يقول [من المديد] :

فتمشَّتْ فى مَفاصلِهم ... كتمشِّى البُرءِ فى السَّقَمِ

فَعلتْ فى البَيْت إذ مزجت ... مِثلَ فعلِ النار فى الظلم

فاهتدى سارى الظلام بها ... كاهتداء السَّفْرِ بالعَلَم

وعن عمرو بن أبى عمرو الشيبانى قال : جاء أبو العتاهية ومسلم وأبو نواس إلى أبى فأنشده أبو العتاهية [من الكامل] :

وَعَظَتْكَ أجداثٌ صُمُتْ وَنَعَتْكَ أزمنةٌ خُفُتْ
وأرتك قبرَكَ فى القبـــور وأنتَ حىٌّ لم تمت
وتكلمت عن أعين تبلى وعن صُوَر شتت
وحَكَتْ لك الساعاتُ ما علتِ أنياتٍ بغتْ

وأنشده شعراً آخر يقول فيه [من المتقارب] :

على سُرعَةِ الشمس فى مرّها دبيب الخلوقَة فى الجبْهَةِ

قال : وانصرفوا ، فلما كان بعد أيام عاد إليه مسلم وأبو نواس ، فأنشده مسلم : [من البسيط] :

* أجررتَ حبلَ خليعٍ فى الصِّبا غزِلِ *

حتى بلغ قوله :

ينالُ بالرفقِ ما يَعيا الرِّجالُ بِهِ كالموتِ مُستعجلاً يأتى على مَهَلِ

قال أبو عمرو : أحسنت ، إلا أنك أخذت قول أبى العتاهية :

وَحكتْ لك الساعات ما علت أنيــات بغت

قال : ثم أنشده أبو نواس قوله [من المديد] :

* يا شقيقَ النفسِ من حَكَمِ *

إلى أن بلغ إلى قوله :

فتمشتْ فى مفاصلهمْ كتمشِّى البرءِ فى السَّقَمِ

قال له : أحسنت ، إلا أنك أخذته أيضاً من قول أبى العتاهية :

على سُرعةِ الشمسِ فى مرِّها دَبيبُ الخلوقةِ فى الجبهةِ

وقد ذكر بعض أهل العلم أن بيت أبى نواس هذا مأخوذ من قول بعض

المهلبين يصف قانصا ظفر بصيد بسرعة مشى [من المديد] :

فتمشى لا تحس به كتمشى النار فى الضرم

ويقال : إن أبا نواس أنشد بيته هذا بعض الشعراء فقال له : أما كفاك أن سرقت حتى أحلت ، قال : ومن أين سرقت ؟ فأنشده بيت المهلبى ، قال : كيف أحلت ؟ قال : بقولك « كتمشى البرء فى السقم » وهما جميعا عرضان ، والعرض لا يحل على العرض ، فاقطع أبو نواس تغيير بيته بعد ذلك بأن قال :

* كتمشى النار فى الفحم *

وهذا بيت المهلبى بعينه ومعناه

وعن الأصمعى أن أبا نواس سرق بيته من قول مسلم بن الوليد [من البسيط] :

تجرى محبتها فى قلب وامقها جرى السلامة فى أعضاء منتكس

وهو أخذه من قول عمر بن أبى ربيعة حيث يقول [من الوافر] :

لقد دب الهوى لك فى فؤادى دبيب دم الحياة إلى العروق

وهو أخذه من قول بعض العدويين حيث يقول [من الطويل] :

وأشرب قلبى حبها ومشى به كمشى حميا الكأس فى عقل شارب

ودب هواها فى عظامى وحبها كما دب فى الملسوع سم العقارب

وهو أخذه من أسقف نجران حيث يقول [من الكامل] :

منع البقاء تقلب الشمس وطلوعها من حيث لا تمسى

وطلوعها حمراء صافية وغروبها صفراء كالورس

تجرى على كبد السماء كما يجرى حمام الموت فى النفس

وذكرت بهذه الأبيات ما قال الأعشى وهو أعشى قيس فى سكران [من المتقارب] :

فراح ملما كأن الدبى يدب على كل عضو دبيبا

وقد أخذ أبو الشيص قول عمر بن أبي ربيعة فقال [من المجتث] :

لَقَدْ جَرَى الحُبُّ مِنِّي مَجرَى دَمِي في عُرُوقي

وأخذه أبو الطيب فقال [من الطويل] :

جَرَى حُبها مَجرَى دَمِي في مَفَاصِلي فأصبحَ لي عَنْ كلِّ شُغْلٍ بها شُغْلُ

وقال أبو الفرج بن هندو [من الخفيف][1]

فَتَمشتْ في قلبيَ المَهمومِ كتَمشِّي الدِّرْياقِ في المَسمومِ

وأتى عبد الله بن الحجاج بهذا المعنى من غير تشبيه فقال [من الطويل]:

فَبتُّ أُسَقَّاها سُلافاً مُدامَةً لَهَا في عِظام الشَّارِبِين دَبيبُ

وما أحسن قول بعضهم [من البسيط] :

وَفي الظعائِنِ مَهضومُ الحَشا غَنِجٌ يَخطو بأعْطافِ كَسْلانِ الخُطا ثَمِلِ

ظَبيٌ مَشَى الوردُ مِنْ لحظي بوجنتِهِ مَشْيَ اللواحظِ مِنْ عينيهِ في أَجَلي

وقال أبو حاتم: لولا أن العامة ابتذلت هذين البيتين وهما لأبي نواس لكتبتهما بالذهب ، وهما قوله [من الوافر] :

وَلوْ أنيٌ استزدتُكَ فَوقَ مابي مِنَ البلوى لأعجزَكَ المزيدُ[2]

وَلو عُرِضَتْ عَلَى المَوْتَى حَياةٌ بِعيشٍ مِثْلِ عيشِي لَمْ يُريدُوا

وكان المأمون يقول : لو وَصَفَتِ الدنيا نفسها لما وصفت بمثل قول أبي نواس [من الطويل] :

ألاَ كلُّ حيٍّ هالكٌ وابْنُ هالكٍ وَذو نسبٍ في الهالكين عَريقِ

---

(١) في المطبوعتين «ابن عبدو» محرفا ، وفي يتيمة الدهر ترجمة لأبي الفرج الحسين بن محمد بن هندو ، أحد أصحاب الصاحب بن عباد ، وممن تخرجوا بمجاورته وصحبته (٣- ٣٦٢ مصر) وفي فوات الوفيات ترجمة لأبي الفرج علي ابن الحسين بن هندو أحد كتاب الانشاء في ديوان عضد الدولة (٢-٥٧ بولاق)

(٢) قوله «لأعجزك» في بعض النسخ «لأعوزك»

إذا امتحنَ الدُّنيا لَبيبٌ تكشَّفَتْ   لهُ عَنْ عَدُوٍّ فى ثِيابِ صَدِيقِ

والبيت الأول ينظر إلى قول امرئ القيس [من الوافر] :

فَبعضَ اللَّوْمِ عَاذِلتى فإنِّى   سَيَكفينى التَّجاربُ وَانْتِسَابى

إلىَ عِرْقِ الثرى وَشجَتْ عُرُوقى   وَهٰذا المُوتُ يَسلبنى شَبَابى

وقال سفيان بن عيينة لرجل من أهل البصرة : أنشدنى لأبى نواس ، فأنشده [من المديد]:

ما هَوًى إلاَّ لهُ سَبَبُ   يَبتدِى مِنهُ وَينشعبُ

فقال سفيان : آمنت بالله الذى خلقه .

واجتمع أبو نواس مع العباس بن الأحنف فى مجلس ، فقام العباس فى حاجة فسئل أبو نواس عن رأيه فيه وفى شعره ، فقال : لهو أرق من الوهم ، وأنفذ من الفهم ، وأمضى من السهم ، ثم عاد العباس وقام أبو نواس كذلك ، فسئل العباس عنه وعن رأيه فيه وفى شعره ، فقال : إنه لأقر للعين من وصل بعد هجر ، ووفاء بعد غدر ، وإنجاز وعد بعد يأس . فلما صارا إلى النبيذ أعلم كل واحد قول الآخر فيه ، فقال أبو نواس [من الهزج] :

إذَا ارْتدتَ فَتى ٱلكاس   فَلا تَعدِلْ بِعباس

فَنِعمَ المرْءُ إنْ أرْضعـتَ يَوما دِرةَ ٱلكاس

فقال العباس [من الوافر]:

إذَا نازعتَ صَفوَ الكاسِ يَوما   أخاثقـةٍ فَمثلَ أبى نُواس

فَتى يَشتدُّ حَبلُ الوُدِّ مِنهُ   إذَا ما خُلَّةٌ رَثَّتْ لِناس

فتناول أبو نواس قدحا وقال [من الهزج] :

أبا الفضلِ اشربنْ كاسكْ   فإنى شـاربٌ كاسى

فقال العباس:

نَعمْ يا أوْحد النّاس   على العينـينِ والراس

فقال أبو نواس :

فَقَدْ حُفَّ لنا المجلس بالنسرين والآس

فقال العباس :

وَإخوانٍ بَهاليلَ سراةٍ سادة الناسِ

فقال أبو نواس :

وَخَوْدٍ لذةِ المسْمُوع مِثْلِ الغُصْنِ السكاسِي(١)

فقال العباس :

وقَدْ ألبَسها الرحْمنُ من أحْسنِ إلباس .

فقال أبو نواس :

وقد زِينَتْ باكليلٍ يَوَاقيتَ على الراس

فقال العباس :

فلا تحبِسْ أخي كاسي فإنى غيرُ حبَّاس

فكان ما نسى من معارضتهما فى ذلك المجلس أكثر مما حفظ ، إلا أنه انصرف العباس و بقى أبو نواس ، فسئل عن العتابى والعباس فقال : العتابى يتكلف والعباس يتدفق طبعاً ، وكلام هذا سهل عذب ، وكلام ذاك متدقق كزٌّ ، وفى شعر هذا ماء و رقة وحلاوة ، وفى شعر ذاك جساوة وفظاظه .

وكان لأبى نواس مع أهل عصره مناقضات ومعارضات يطول شرحها ، فنورد

---

(١) فى الأصول « مثل الغض للكاس » محرفا ، وما أثبتناه عن الديوان .

منها ما خف ذكره (١) .

حضر أبو نواس مع جماعة سطحا عاليا يطلبون هلال الفطر ، وكان سليمان ابن أبى سهل فى عينه سوء ، فقام أبو نواس بإزائه ، ثم قال : يا أبا أيوب كيف ترى الهلال من بعد وأنت لا ترانى من قرب ؟ فقال له سليمان : قد رأيتك تمشى القهقرى حتى تدخل فى رحم جلبان — يعنى أمه — فأحفظ ذلك أبا نواس ، فقال فى سليمان [من السريع] :

قُلْ لِسُلَيمانَ وما شِيمتى ... أن أُهْدِىَ النُّصحَ له مُخْلصا

ما أنت بالحر فأَلْحَى ولا ... بالعَبْدِ أسْتَعْتِبُهُ بالعَصا

فَرَحْمَةُ الله على آدم ... رَحمةً من عَمَّ ومن خَصَّصا

لو كان يدرى أنه خارجٌ ... مِثلُكَ من إحْلِيله لاخْتَصى

فأجابه سليمان فقال :

إن ابن هانى سِفْلَةٌ خالص ... ما وَحَّدَ الله ولا أخْلَصا

أغْلى بذِكرى شِعره فاغْتَدَى ... بالقرض فى أشباهه مُرْخِصا(٢)

وَكان فى شِعرى وَتَغريده ... خَوْفَ مَنْ يأتيهِ قد قَلَّصا(٣)

كالكلب هرّ الليثَ حتى إذا ... أهدى إليه مِخْلباً بصصا

---

(١) روى المؤلف فى هذه المناقضات كثيرا من المجون الذى ينسب إلى أبى نواس؛ ونحن لا نستبيح لأنفسنا ولا لمن يقوم على تحقيق كتاب من مصنفات السلف أن يتصرف فيه بالحذف أو بالتغيير ، ولو كنا نصنف كتابا لنزهناه عن هذا المجون ، فنحن نثبت ما أثبته المؤلف ، ونستغفر الله لناوله .

(٢) فى الأصول «بالعرض فى أشباهه» وما أثبتناه عن الديوان

(٣) وقع هذا البيت فى المطبوعتين هكذا :

وكان فى شعرى وتغريره ... للخوف من ثو بيه قد قلصا

وما أثبتناه موافق لما فى الديوان

وكان لأبى الشمقمق ضريبة على الشعراء ، فجاء يوما إلى أبى نواس فقال : هات ضريبتك ، فدخل المنزل وأخرج إليه رقعة فيها [من الوافر] :

أخذْت بأيرِ بغلٍ حينَ أدْلى فُوَيقَ الباعِ كالجذْعِ المطوّقْ

فما إنْ زلتُ أمرسُهُ بكفى إلى أنْ صارَ كالسهم المفوقْ

فلما أن طَمى ونما وأندى جَلَدْتُ به حِرَأمِّ أبى الشمقمقْ

فوقعت هذه الأبيات فى أفواه الصبيان ، وأجابه أبو الشمقمق بأبيات فلم تَسِرْ له .

وحدث الجماز قال : اجتمعتُ أنا وأبو نواس والرقاشى فى بعض متنزهات البصرة ، فنفد شرابنا ، فقلنا : هلم فليقل كل واحد منا بيتا فى السقيا لنبعث به إلى عبد الملك بن إبراهيم ، فابتدأ أبو نواس فقال [من الرمل] :

يا ابن إبراهيمَ يا عبْدَ الملكْ واثقاً أقبلتُ بالله وبكْ

أنت للمال إذا أصلحتهُ فاذا أنفقتهُ فالمال لك

وقال الرقاشى :

اسقنى الخمر ودع من لامنى فى هوَى نفْسى فغيْرى مَنْ نسَكْ

وَنِكِ المُرْدَ فما من لذةٍ نِلْتَها إن لم تَنكهم وتُنكْ

فوقع البيت الرابع بموافقته ، و بعث إلينا بما كفانا .

واجتمع أبو نواس يوما مع الرقاشى فى مجلس ، فتذاكرا الشعر ، فقال له أبو نواس : لقد سبقتنى إلى أبيات وددت أنها لى بجميع شعرى ، قال : وما هى ؟ قال : قولك [من البسيط] :

نبّهتُ نَدْمانىَ الموفى بذمتهِ من بعدِ إيعابِ طاساتٍ وأقْداح [1]

---

(١) فى الديوان (٢٦٢) * من بعد إتعاب كاسات وأقداح *
وفيه (٣٥) * من بعد إيعاب . . *

فقال خُذْ واسقنى واشرب وغَنِّ لنا «يا دارَ مَثْواى بالقاعين فالساح»
فما حَسَا ثانياً أو بعض ثالثةٍ حتى استَدارَ ورَدَّ الراح بالراح

فقال له الرقاشي : لكنك أنت سبقتنى ببيتين وددت أنهما لى بكل شعرى، فقال أبو نواس : وما هما ؟ قال قولك [من البسيط] :

ومُستطيلٍ على الصَّهباء باكَرَها فى فِتيةٍ باصْطباحِ الرَّاحِ حُذّاقِ
فكلُّ شىء رآه ظَنَّهُ قَدحا وكلُّ شَخصٍ رآه قال : ذا ساقى

واجتمع يوما أبو نواس مع عنان ، فأقبل عليها ، وقال [من مجزوء الرمل] :

إنَّ لى أيْراً خبيثا عارِمَ الرأس فلوتا
لوْ رَأى فى الجوِّ فَرْجاً لـنزَا حتى يَمـوتا
أو رأى فى السقف دبراً لتحول عنكبوتا
أوْ رآه جَوْف بحرٍ صار للإنعاظِ حُوتا

فقالت عنان :

زَوِّجوا هذا بألفٍ وأُظنُّ الألفَ قوتا
إننى أخشى عَليـه داءَ سُوءٍ أن يَمـوتا
قَبْلَ أن ينقلبَ الدا ءُ فلا يأتِى ويُؤتى

فقال أبو نواس [من المجتث] :

ألَمْ تَرِقِّى لـصبٍّ يكفيه مِنكِ قُطَيْره

فقالت عنان :

إيّاىَ تَعنى بهـذا عَليك فَاجلدْ عُميرهْ

فقال أبو نواس :

أخافُ إن رُمتُ هذا عَلى يَدِى مِنك غَيره

فقالت عنان :

عليكَ أمَّكَ نِكْها فإنها كندفيرة

ودخل أبو نواس يوما على الناطفى ، وعنان جالسة تبكى وخدُّها على رزة

بلب ، فقال [من السريع] :

بكتْ عنانٌ فجرى دمعها كاللؤلؤ المرفضِّ من خيطه

فقالت عنان والعَبْرَةُ تخنقها :

فليتَ مَنْ يضربُها ظالمًا تجفُّ يُمناهُ على سوطه

وكان الرشيدُ قدهم بشراء عنان جارية الناطفى ، فقيل له : إن أبا نواس قد

هجاها بقوله [من المنسرح] :

إنَّ عنانَ النطاف جاريةٌ قدْ صارَ حرها للأير ميْدانا

لا يشتريها إلا ابْنُ زانيةٍ أو قلطبان يكونُ مَنْ كانا

فقال : لعنه الله ! لا حاجة لنا فيها . فأجابته عنان عن هذين البيتين فقالت

[من مجزوء الرمل] :

عجبا مِنْ حلقىٍّ يدَّعى أصلَ اللواطِ

فاذا صار إلى البيـــت وخسف عن تواطى

فالذى يعلم يدْرى مَنْ يلى وجهَ البساطِ

فقال أبو نواس [من مجزوء الرمل] :

فتحت حرها عنانٌ ثم نادتْ مَنْ ينيك

ثمَّ أبدتْ عن مشق مثلِ صحراء العتيك

فيهِ درَّاجٌ وبطٌ ودجاجات وديكْ

فقالت عنان [من المنسرح] :

إنَّ ابْنَ هانى بِدائهِ كلفٌ يبيتُ عن نفسه يخادعُها

أمسى بروس الحلان يُعرَف فى النـــاس و مِضْمارُه كـوارعُها

ووجهت عنان مرة إلى أبى نواس بوصيفة لها مع رقعة فيها [من المجتث] :

زرنا لتأكلَ معْنا ولاَ تَغيبنّ عنّا
فقدْ عزمنا على الشرْ ب صبْحةً واجتمعنا

فلما وردت الوصيفة على أبى نواس قرأ رقعتها ثم تأملها فاستحلاها فخدعها وقضى وطره منها ، ثم كتب فى جواب الرقعة [من المجتث] :

نكنا رسولَ عنانٍ والرأىُ فيما فعلْنا
فكان خبزاً بملحٍ قَبل الشواء أكلْنا
جذبتُها فتجافَتْ كالغُصْن لما تَثَنَّى
فقلتُ ليس على ذا الفعـال كنا اتّفقنا
قالت فكم تتجنَّى طوأْتَ نكنا وَدَعْنا

فلما قرأت عنان الرقعة قالت : إن كان صادقا فقد زنى ، وهجرته .

ولقد ظرف ابن الأبَّار بمتابعته أبا نواس فى هذا المعنى حيث قال [من الخفيف] :

زَارنى خِيفةَ الرقيب مريباً يتَشكَّى القضيبُ منه الكثيبا
رَشأٌ رَاش لى سهام المنايا من جفُونٍ يُصمِين بهن القلوبا
قال لى ما تَرَى الرقيبَ مُطلاً قُلْتُ ذَرْهُ أتى الجنابَ الرحيبا
عاطِهِ أكؤس المدَامِ دِراكاً وأدِرها عَليه كوباً فكوبا
واسقْنيها بخَمرِ عينيكَ صِرفاً واجعلِ الكأس منك ثغراً شَنيبا
ثم لما نامَ الرقيبُ سَريعاً وتَلَتَّى الكَرى سَميعاً مُجيبا
قالَ لا بُدَّ أن تَدِبَّ إليه قُلتُ أبغى رَشاً وآخذ ذيبا
قال فابدأ بنا وثَنِّ عَليـه قلت كلا لقد دَفعت قَريبا

فوثبنا على الغزال ركوباً ودَبَبْنا إلى الرقيب دبيبا
فهل ٱبْصَرت أو سمعت بصَبّ نَاكَ محبوبه وناك الرقيبا

قال ابن بسّام : ولقد ظرف ابن الأبار ، واستهتر ما شاء ، وأظنه لو قدر على إبليس الذى تولى له نظم هذا المسلك لدب إليه ، ووثب أيضاً عليه . ثم قال: وأبو نواس سَنّ للناس هذا السبيل حيث يقول ، وذكر الأبيات ، انتهى.

ومن أناشيد الثعالبى فى هذا المعنى [من الخفيف] :

لىَ أير أراحنى الله منه صَار همى به عريضاً طويلا
نام إذ زارنى الحبيبُ عناداً ولعهدى به ينيك الرسولا
حسبت زورةً لشِقْوَةِ جَدى فافترقنا وما شفَيْنا غليلا

رجع إلى أخبار أبى نواس .

وأشرف يوماً أبو نواس من دار على منزل عبد الوهاب الثقفى وقد مات بعض أهله ، وعندهم مأتم ، وجنان جارية عبدالوهاب واقفة مع النساء تلطم ، وفى يديها خضاب ، وكانت حسناء أديبة عاقلة ظريفة ، وكان أبو نواس يهواها فقال [من السريع] :

يا قمراً أبرزَه مأتم يَنْدُبُ شَجواً بين أتراب
يبكى فيذرى الدمعَ من نرجسٍ ويلطم الورد بعُناب
لاتبكِ ميتاً حلَّ فى حفرةٍ وابك قتيلاً لكِ بالبابِ
أبرزَه المأتم لى كارهاً برغم دايات وحُجّاب
لا زالَ دأباً موتُ أصحابه ودأبُ أن أُبصِرهُ دابى(١)

وذكرت بالبيت الأول والثانى ما عكسه بعضهم منهما فى هجاء أعور ، وهو [من السريع] :

(١) فى الأغانى (١٨-٦) رواية عجز هذا البيت « ولا تزل رؤيته دابى »

يا أعوَراً أبرزه مأتم يَندُب شَجواً بتخاليط
يَبكي فَيذرى الدمع من كُوةٍ ويلطم الشوكَ بيلُوطِ

وحدث أبو نواس قال : رأيت النابغة الذبيانيّ في منامي ، فقال لي : بماذا حبَاك الرشيد ؟ فقلت له : بقولي [من المنسرح] :

اهْجُ نزاراً وَأفْرِ جِلدَتَها وَهتِّكِ السِّتْرَ عَنْ مَثالبِها

فقال لي : أهل ذاك أنت يابن الزانية فقد استوجبت من كل نزارى عقوبة مثلها بما ارتكبت منها ، فقلت : وأنت بماذا حباك النعمان ؟ قال : ببيت قلته ستره النعمان عن الناس ، قلت : بقولك [من الكامل] :

سَقَطَ النَّصيفُ وَلَم تُرِدْ إسقَاطهُ فَتناولتهُ وَاتَّقتنا باليدِ

فقال : أو هذا مستور ؟ قلت : فبقولك [من الكامل] :

وَإذا لَمستَ لَمستَ أضخَمَ جاثماً مُتحيزاً بِمكانهِ مِلءَ اليدِ

قال : اللهم غفرا ، قلت : فبماذا ؟ قال بقولي [من الكامل] :

فملكت عُلياها وَأسفَلها مَعاً وَأخذتها قَسراً وَقلتُ لها اقعدِي

فحدثت بهذا الحديث اليزيدى ، فألحق البيت بقصيدة النابغة .

وحكى الأصمعي قال : رأيت أبا نواس بعد موته في المنام فقلت : هل نسى من خمرياتك شيء ؟ قال : أجودها ، قلت فاذكره ، فقال [من البسيط] :

اذكى سراجا وساقى الشرب يمزجها فَلاَحَ في البيتِ كالمصباحِ مِصباحُ
كِدْنا على عِلمنا ، بالشكّ نَسألهُ أراحنا نارُنا أمْ نارُنا الرّاح

وحكى عن عبد الله بن المعتز أنه قال : رأيت أبا نواس في المنام ، فقلت له : لقد أحسنت في قولك [من البسيط] :

جاءتْ بابريقها مِنْ بَيتِ تاجرها رُوحاً مِنَ الخمرِ في جِسمٍ مِنَ النّارِ

فقال : لا ، بل أحسنتُ فى قولى [من البسيط] :

يا قابضَ الرُّوحِ مِنْ جسم أسى زمنا وغافرَ الذنبِ زَحزحنى عَن النَّارِ

وقد أحسن أبو نواس ظنه بربه حيث يقول :[من الوافر]

تَكثَّرْ مااستَطعْتَ مِنَ الخطايا فانكَ بالِغٌ رَبًّا غَفُورَا

سَتُبْصر إن وَرَدْتَ عليه عَفْواً وَتلقى سيِّدًا مَلِكاً كبيراً

تَعضُّ نَدامة كَفَّيكَ مِمَّا تَركتَ مخافةَ النَّارِ السُّرُورا

ومن شعره [من الكامل] :

سُبحانَ ذى المَلَكوتِ أيَّة ليلةٍ مخضَتْ صَبيحتَها بيومِ الموقفِ

لوْ أنَّ عَيناً وهمتها نفسها ما فى المعادِ مُحَصَّلاً لم تَطرف

ومنه [من مجزوء الرمل] :

خلِّ جَنبيك لرامٍ وامْضِ عنه بسلامِ

مُتْ بداءِ الصمتِ خيرٌ لكَ من داءِ الكلامِ

إنما العاقلُ مَنْ ألْجَمَ فاهُ بِلِجامِ

شِبْتَ يا هذا وَما تَترُكُ أخلاقَ الغُلامِ

والمنَايا آكِلاتٌ شارِباتٌ للأنَامِ

وأخباره كثيرة ، وديوان شعره مختلف الترتيب لاختلاف جامعيه

وكانت وفاته سنة خمسٍ ، وقيل : ست ، وقيل : ثمانٍ وتسعين ومائة ببغداد ، ودفن فى مقابر الشونيزى ، رحمه الله تعالى !

شواهد المسند إليه

١٥ — * قَالَ لِى كَيْفَ أَنْتَ قُلْتُ عَلِيلُ *

شاهد حذف المسند إليه احترازاً عن العبث

هو من الخفيف ، ولا أعرف قائله ، وتمامه :

* سَهرٌ دَائِمٌ وَحزْنٌ طَوِيلُ *

ومعناه ظاهر ، والشاهد فيه حذف المسند إليه للاحتراز عن العبث مع ضيق المقام ، وهو قوله « عليل » أى أنا عليل ، لحذف المبتدأ لما مرّ

ومثله قول أبى الطَّمَحَان القَيْنى الشاعر الجاهلى ، وقال ابن قتيبة : الصحيح أنه لقيط بن زُرارة [من الطويل] :

أضاءت لهم أحسَابُهم وَوجوهُهُمْ   دُجى اللَّيْلِ حتىَّ نظَّمَ الجزعَ ثاقبهْ

نُجومُ سماءٍ كلما انقضَّ كوكبٌ   بَدا كوكبٌ تأوِى إليه كوا كِبهْ

أى: هم نجوم سماء ، لحذف المسند إليه .

* * *

شاهد تنبيه المخاطب على خطأ ظنه

١٦ — إِنَّ الَّذينَ تروْنَهم إخوانكمْ   يَشفِى غليلَ صُدُورِهم أن تُصرعوا

البيت لعَبَدَةَ بن الطبيب ، من قصيدة من الكامل يعظ فيها بنيه و يوصيهم بما هو المرضى شرعا ، وأولها :

أبنِيَّ إنى قد كبرتُ وَرابَنى   بصرى وَفىَّ لِمُصلحٍ مستمتَعُ[(١)]

فَلئنْ هلكتُ لقدبنَيتُ مَساعيا   تَبقى لكمْ منها مآثرُ أربعُ

ذِكرٌ إذا ذُكِرَ الكرامُ يَزِينكمْ   وَوراثة الحسبِ المُقدَّمِ تنفعُ

وَمقامُ أيامٍ لهُنَّ فَضيلةٌ   عِندَ الحفيظةِ والمجامعُ تَجمعُ

وَلهًا مِنَ الكسبِ الذى يُغنيكمُ   يَوماإذا احتضرَ النفوسَ المطمعُ

أوصيكمْ بتُقَى الإلهِ فإنهُ   يُعطى الرَّغائبَ مَنْ يشاء ويمنعُ

---

(١) فى المطبوعتين « وفى لمنظر مستمتع » وما أثبتناه عن المفضليات

وَبِبِرِّ وَالِدِكُمْ وَطاعةِ أَمْرِهِ ... إِنَّ الأَبَرَّ مِنَ البَنِينَ الأَطوَعُ
إِنَّ الكَبِيرَ إِذا عصاهُ أَهلُهُ ... ضاقَتْ يَدَاهُ بأمرِهِ مايَصنعُ
وَدَعوا الضغائنَ لاتكنْ مِنْ شأنكمْ ... إِنَّ الضغائنَ للقرابةِ توضعُ[1]
يُزجِي عقارِبَهُ ليبعثَ بينكمْ ... حرباً كما بَعَثَ العروقَ الأخدعُ[2]
وَإِذا مَضيتُ إلى سبيلي فابعثوا ... رَجُلاً لهُ قلبٌ حديدٌ أصمعُ
إِنَّ الحوادثَ تختَرِمْنَ وَإِنَّما ... عمرُ الفتى فى أهلِهِ مُستودَعُ
يَسْعَى وَيَجمعُ جاهِداً مُستهتراً ... جِدًّا وَليسَ بآكِلٍ مايَجْمَعُ

وترونهم: من الاراءة المتعدية إلى ثلاثة مفاعيل[3]، وجرى مجرى الظن لبنائه للمفعول، وانتصب «إخوانكم» على أنه مفعول ثان لترونهم، والغليل بالمعجمة: الحقد والضغن، و«أن تصرعوا» فى محل رفع على أنه فاعل يشفى، والصرع: الطرح على الأرض كالمصرع[4]، وهو موضعه

والمعنى: يابنى إن القوم الذين تظنونهم إخوانكم وتعتمدون عليهم فى الشدائد بما ظننتم يشفى مافى صدورهم من غليل العداوة وحرقتها أن تصرعوا وتصابوا بالحوادث، فاياكم واستئمانهم والاعتماد عليهم، وفيه إشعار بقولهم: الحزم سوء الظن، والثقة بكل أحد عجز.

---

(١) فى المفضليات «ودعوا الضغينة» وفيها بين هذا البيت والذى بعده بيت يحتاج إليه البيت التالى، وهو قوله:

واعصوا الذى يزجى النمائم بينكم ... متنصحا، ذاك السمام المنقع

(٢) بين هذا البيت والذى بعده فى المفضليات ثلاثة عشر بيتا منها البيت المستشهد به

(٣) ليس ذلك بلازم، ولا التزمه أحد من الذين كتبوا على التلخيص، بل يجوز أن يكون مضارع رأى بمعنى ظن

(٤) فى المطبوعتين «كالمصروع»

والشاهد فيه: تنبيه المخاطب على الخطأ فى ظنه ، إذ فى قوله « إن الذين » من التنبيه على الخطأ ماليس فى قولك إن القوم الفلانيين

ترجمة عبدة بن الطبيب

وَعَبْدَةُ بن الطبيب[1] شاعر مجيد ، ليس بالمكثر ، والطبيب: لقب لأبيه ، واسمه يزيد بن عمرو ، وينتهى نسبه لتيم ، وهو مخضرم أدرك الاسلام فأسلم، وكان فى جيش النعمان بن مقرّن الذين حاربوا معه الفرس بالمدائن ، وقد ذكر ذلك فى قصيدته التى أولها [من البسيط] :

هل حبل خَوْلةَ بعدَ الهجر موصولُ ... أم أنتَ عنها بعيدُ الدّارِ مشغولُ

حلّتْ خُويلة فى دَارٍ مُجاوِرةً ... أهل المدينة فيها الديكُ والفيلُ (٢)

يقارِعونَ رؤس العجم ضاحيةً ... منهمْ فوارس لا عُزْلٌ ولا مِيلُ (٣)

وقال الأصمعى :أرثى بيت قالته العرب[4] بيت عبدة بن الطبيب[من الطويل] :

وما كان قيسٌ هلكُه هلكُ وَاحدٍ ... ولكنهُ بنيانُ قوم تهدمَا

وقال رجل لخالد بن صفوان : كان عبدة بن الطبيب لا يحسن أن يهجو ، فقال : لاتقل ذلك ، فوالله ما تركه من عىٍّ ، ولكنه كان يترفّع عن الهجاء ويراه ضَعَةً كما يرى تركه مُروءة وشرفاً ، وأنشد [من الوافر] :

---

(١) لعبدة بن الطبيب ترجمة مختصرة فى الأغانى ، وقد وقع فى المطبوعتين فى جميع المواضع « عبدة بن الطيب » وهو تحريف بنقص الباء

(٢) فى المفضليات «أهل المدائن»

(٣) أراد بهذا الاشارة إلى الموقعة التى دارت بين العرب والفرس فى أعقاب القادسية ، ويقارعون : يضاربون ، والعجم - بضم فسكون - الفرس هنا ، والعزل: جمع أعزل، وهو من لاسلاح معه ،والميل: جمع أميل ، وهو الذى ينحرف فى ركوبه ، وأراد به السيء الركبة

(٤) وقال أبو عمرو بن العلاء فى هذا البيت : هذا البيت أرثى بيت قيل، وقال ابن الأعرابى : هو قائم بنفسه ، ماله نظير فى الجاهلية والاسلام .

وأجرأ منْ رَأيتُ بظهر غيبٍ على عيبِ الرجال أخو العيوبِ

وعن(١) ابن الأعرابي أن عبد الملك بن مروان قال يوما لجلسائه : أى المناديل أشرف ؟ فقال قائل منهم : مناديل مصر كأنها غِرْقِىء البيض (٢) وقال آخرون: مناديل اليمن كأنها نَوْرُ الربيع ، فقال عبد الملك : مناديل أخى بنى سعد عبدَة بن الطبيب حيث يقول [من البسيط] :

لما نزَلنَا ضربنَا ظِلَّ أخبيةٍ وفار للقومِ باللحم المراجيلُ(٣)

وَرْد وأشقرُ ما يؤنيـهِ طابخهُ ماغيرَ الغلىُ منه فهوما كولُ(٤)

ثُمَّتَ قمنا إلىَ جُرْدٍ مسوَّمَةٍ أعرافُهنَّ لأيدينـا مناديلُ (٥)

يعنى بالمراجيل المراجل ، فزاد فيها الياء ضرورة .

* * *

شاهد الإخبار إلى وجه بناء الخبر

١٧ — إن الّذى سمكَ السماء بنىَ لنَا بيتاً دعائمـهُ أعزُّ وأطولُ

البيت للفرزدق ، وهو أول قصيدة طويلة من الكامل(٦) تزيد على مائة بيت ، و بعده:

بيتاً بناهُ لنَا المليكُ وما بنىَ ملكُ السماءِ فانه لا ينقلُ(٧)

---

(١) وردت هذه القصة فى العقد الفريد(١-١٩٢ اللجنة)

(٢) غرقىء البيض : قشرته الرقيقة اللاصقة ببياضه

(٣) فى المفضليات « لما وردنا رفعنا ظل أردية » وفى العقد كما هنا ، وفى المفضليات والعقد جميعا « وفار باللحم للقوم »

(٤) فى المفضليات والعقد جميعا « وردا وأشقر لم ينهئه طابخه » وفى العقد وحده « ماقارب النضج منها »

(٥) فى العقد « وقد وثبنا على عوج مسومة »

(٦) اقرأها فى الديوان (٧١٤)

(٧) فى الديوان « حكم السماء »

بيتاً زُرَارةُ محتبٍ بِفنائهِ وَمجاشعٌ وأبو الفوارس نهشلُ
يلجون بيتَ مجاشع فاذا احتبَوْا برزوا كأنهمُ الجبالُ المُثَّلُ

يقال : سَمَكَ الشيء سَمْكاً إذا رفعه . ومعنى البيت ظاهر.

والمراد بالبيت فيه الكعبة ، أو بيت المجد والشرف .

والشاهد فيه : جعل الايماء إلى وجه الخبر وسيلة إلى التعريض بالتعظيم لشأنه، وذلك لقوله « إن الذى سمك السماء » ففيه إيماء إلى أن الخبر المبنى عليه أمر من جنس الرفعة والبناء ، بخلاف ما لو قيل إن الله أو الرحمن أو غير ذلك . ثم فيه تعريض بتعظيم بناءِ بيته لكونه فعلَ من رفع السماء التى لا بناء أرفع منها ولا أعظم .

بعض أخبار الفرزدق

حدث سلمة بن عباس[1] مولى بنى عامر بن لؤى قال : دخلت على الفرزدق فى السجن وهو محبوس، وقد قال قصيدته :

إنَّ الذى سمكَ السماء بنى لنَا بيتاً دعائمهُ أعزُّ وأطولُ

وقد أفحم وأجبَلَ[2]، فقلت له : ألا أرفدك؟ فقال: وهل ذاك عندك ؟ فقلت : نعم ، ثم قلت :

بيتاً زرارةُ محتبٍ بفنائهِ ومُجاشع وأبو الفوارس نهشلُ

فاستجاد البيت ، وغاظه قولى ، فقال لى : ممن أنت ؟ قلت : من قريش ، قال : من أيها ؟ قلت : من بنى عامر بن لؤى ، فقال : لئام، والله رَضَعَةٌ، جاورتهم بالمدينة فما أحمدتهم. فقلت: ألأم والله منهم وأوضع قومُكَ ، جاءك رسول مالك بن المنذر وأنت سيدهم وشاعرهم ، فأخذ بأذنك يقودك حتى حبسك فما اعترضه أحد ولا نصرك . فقال : قاتلك الله ! ما أمكرك ؟ وأخذ البيت وأدخله فى قصيدته

ذكرت بقوله : « بيتا زرارة محتب بفنائه » البيت ، ما ذكره بعض أهل الأدب قال : ماشبهت تأويل الرافضة فى قبح مذهبهم إلا بتأويل بعض مجانين

(١) فى بعض النسخ « سلمة بن عياش» .
(٢) فى المطبوعتين « وأحيل » .

أهل مكة فى الشعر، فانه قال يوماً : ما سمعت بأكذب من بنى تميم ، زعموا أن قول القائل :

بيتاً زرارةُ محتبٍ بفنائه ومجاشع وأبو الفوارس نهشلُ

أن هذه أسماء رجال منهم ، قلت : وما عندك أنت فيه ؟ قال : البيت بيت الله ، والزرارة الحجر زرت حول البيت، ومجاشع زمزم جشعت بالماء ، وأبو الفوارس هو أبو قبيس جبل مكة ، قلت له : فنهشل ؟ ففكر فيه ساعة ثم قال : قد أصبته هو مصباح الكعبة طويل أسود ، فذاك النهشل .

وذكرت أيضاً هنا ما حدثه أبو مالك الراوية قال : سمعت الفرزدق يقول : أبَقَ غلامان لرجل منا يقال له النضر ، فحدثنى قال : خرجت فى طلبهما وأنا على ناقة لى عَيْساء كَوْماء أريد اليمامة ، فلما صرت فى ماء لبنى حنيفة يقال له الصرصران ارتفعت سحابة فأرعدت وأبرقت وأرخَتْ عزاليها، فعدلتُ إلى بعض ديارهم وسألت القِرَى ، فأجابوا ، فدخلت داراً لهم وأنخت الناقة وجلست تحت ظُلة لهم من جريد النخل ، وفى الدار لهم جويرية سوداء، إذ دخلت جارية كأنها سبيكة فضة، وكأن عينيها كوكبان دُرِّيَّان، فسألت الجارية: لمن هذه العيساء؟ تعنى ناقتى ، فقيل : لضيفكم هذا، فعدلت إلى فقالت : السلام عليكم، فرددت عليها السلام، فقالت: ممن الرجل ؟ فقلت: من بنى حنظلة ، فقالت : من أيهم ؟ قلت : من بنى نهشل ، فتبسمت وقالت : أنت إذا ممن عناه الفرزدق بقوله ، وذكرت الأبيات السابقة ، قال : فقلت : نعم جُعلتُ فِداكِ ! وأعجبنى ما سمعت منها ، فضحكت وقالت : إن ابن الخطفَى ، تعنى جريراً ، قد هَدم عليكم بيتكم هذا الذى قد فخرتم به ، حيث يقول[١] :

أخزَى الَّذِى رَفعَ السماء مجاشعاً وَبنَى بِناهُ بِالحضيضِ الأسفل

---

(١) انظرهما فى الديوان (٤٤٤) ضمن قصيدة أولها :

لمن الديـار كأنهـا لم تحـلل بين الكناس وبين طلح الأعزل

يَيتاً يحمُمُ قَينُكم بِهِنائه دنساًمقاعدهُ خَبيثَ المدخلِ(١)

قال : فوجمت ، فلما رأت ذلك في وجهي قالت : لابأس عليك ، فإن الناس يُقال فيهم ويَقولون ، ثم قالت : أين تؤم ؟ قلت : اليمامة . فتنفست الصعداء ثم أنشأت تقول [من الوافر] :

تُذكرني بِلاداً خَيرُ أهلي بِها أهلُ المروءةِ وَالكرامهْ
ألاَ فسقَى الالهُ أجشَّ صوبٍ يَسحُّ بَدرِّه بَلدَ اليمامهْ

قال : فأنست بها ثم قلت : أذات خِدرٍ أم ذات بعل ؟ فأنشأت تقول [من الوافر] :

إذا رَقدَ النيامُ فَانّ عَمراً تُؤرقهُ الهمومُ إلىَ الصباحِ
تُقطعُ قلبهُ الذكرى وَقلبي فلاَ هُوَ بالخليِّ ولا بِصاحِ
سَقىَ اللهُ اليمامةَ دَارَ قوم بِها عَمرٌو يحنُّ إلىَ الرواحِ

قال : فقلت لها : مَن عمرو هذا ؟ فأنشأت تقول [من الوافر]:

سَألتَ ولَوْ علمتَ كففتَ عنهُ وَمَنْ لك بالجوابِ سِوَى الخبيرِ
فإنْ تَكُ ذا قبول إنَّ عَمْرًا لَكالقمرِ المُضيء المستنيرِ
وَمالِي بالتَّبعُّلِ مُستَرَاحٌ وَلوْرَدَّ التبعُّلُ لي أسيري

قال : ثم سكنَتْ سكتَةً كأنها تسمع إلى كلامه، ثم تهافتت وأنشأت تقول :

يُخيَّلُ لي أيا عَمْرَو بن كعبٍ بأنكَ قد حُمِلتَ على سَريرِ
يَسيرُ بِكَ الهوَيْنا القومُ لمَّا رماكَ الحبُّ بالقلقِ اليَسيرِ
فإنْ تَكُ هكذا يا عَمْرُو إنِّي مُبكِّرةٌ عليك إلى القُبورِ

ثم شهقت شهقة فخرت ميتة ، فقلت لهم : مَنْ هذه ؟ فقالوا : هذه عقيلة بنت

---

(١) يحمم : أراد أنه يدخن فيه فيلطخه بسواد الدخان

الضحاك بن عمرو بن محرّق بن النعمان بن المنذر بن ماء السماء ، فقلت لهم : فمن عمرو هذا ؟ فقالوا : ابن عمها عمرو بن كعب بن محرق ، فارتحلتُ من عندهم ، فلما دخلت اليمامة سألت عن عمرو هذا فاذا هو قد دفن فى ذلك الوقت الذى قالت فيه ماقالت

والفرزدق قد تقدم ذكره فى شواهد المقدمة [١]

* * *

شاهد تعريف المسند إليه بالاشارة

١٨ — * هٰذَا أبوالصَّقْرِ فَرْداً فى مَحاسِنِهِ *

قائله ابن الرومى ، وتمامه :

* مِنْ نَسْلِ شَيْبَانَ بَيْنَ الضَّالِ وَالسَّلَمِ *

وهذا البيت من قصيدة من البسيط ، وشيبان بن ذهل وشيبان بن ثعلبة قبيلتان ، والضال والسلم : شجرتان من شجر البادية ، وفردا : منصوب على المدح أو الحال

والمعنى : هذا المشار إليه صاحبُ الاسم المشهور إذا ذكر رجلا فردا فى محاسنه وفضائله من نسل شيبان وأولاد هذه القبيلة المقيمين بالبادية ، والاقامة بها مما تتمدح به العرب لأن فقد العز فى الحضر .

والشاهد فيه : تعريف المسند إليه بايراده اسم إشارة متى صلح المقام له واتصل به غرض ، وصلاحيته بأن يصح إحضاره فى ذهن السامع بواسطة الاشارة إليه حساً ، ثم الغرضُ الموجِب له أو المرجِّح تفصيل يأتى ضمن الشواهد إن شاء الله تعالى ، وتعريفه بالاشارة هنا لتمييزه أكمل تمييز ، وذلك فى قوله «هذا أبوالصقر» لصحة إحضاره فى ذهن السامع بواسطة الاشارة حساً .

---

(١) انظر ترجمته فى أواخر شرح الشاهد رقم ٧

ومثله قول المتنبي [من الطويل] :

أولئكَ قومٌ إن بنوْا أحسنوا البِنا ... وإن عاهدوا أوْفوْا وإن عقدوا شدُّوا

وقول مادح حاتم الطائى [من الكامل] :

وَإذا تأمَّلَ شَخْصَ ضَيفٍ مقبلٍ ... مُتسربلٍ سِربالَ ليلٍ أغبرِ

أوْمأ إلى الكَوماءِ هذا طارقٌ ... نحرَتْنِيَ الأعداء إن لم تُنْحَرِى

ترجمة ابن الرومي

وابن الرومى [1] هو : أبو الحسن على بن العباس بن جُرَيج ، وقيل : هو أبو جرجيس [2] الشاعر المشهور ، صاحب النظم العجيب ، والتوليد الغريب ، يغوص على المعانى النادرة فيستخرجها من مكانها ويُبرزها فى أحسن قالب ، وكان إذا أخذ المعنى لايزال يستقصى فيه حتى لايدع فيه فضلة ولا بقية ، ومعانيه غريبة جيدة .

وحكى ابن دُرُسْتُوَيْهِ وغيره أن لائماً لامه فقال له : لم لاتشبهٌ كتشبيهات ابن المعتز وأنت أشعر منه ؟ فقال له : أنشدنى شيئاً من قوله الذى استعجزتنى عن مثله ، فأنشده قوله فى الهلال [من الكامل] :

انظُر إليهِ كزورقٍ من فِضَّةٍ ... قد أثقلتهُ حُمولة من عَنبرِ

فقال له : زدنى ، فأنشده قوله فى الآذريون ، وهو زهر أصفر فى وسطه خمل أسود ، وليس بطيب الرائحة ، والفُرْسُ تعظمه بالنظر إليه وفرشه فى المنزل [من مجزوء الرجز] :

كأن آذَرْيونَها ... والشمسُ فيهِ كاليَهْ

مَدَاهِنٌ من ذهبٍ ... فيهِ بقَايا غاليه

فصاح : واغوثاه ! تالله لايكلف الله نفساً إلا وسعها ، ذاك إنما يصف ماعون

---

(١) لابن الرومى ترجمة فى ابن خلكان (٢-٤١)

(٢) الذى فى ابن خلكان «وقيل جورجيس»

بيته لأنه ابن خليفة ، وأنا أىّ شىء أصف ، ولكن انظر إذا أنا وصفت ما أعرف أين يقع قولى من الناس ، هل لأحد قط قول مثل قولى فى قوس (١) الغمام وأنشد [من الطويل] :

وَسَاقٍ صَبِيحٍ للصَّبُوحِ دَعَوْتُهُ ... فقَامَ وفى أجفانِهِ سِنَةُ الغَمْضِ
يطوفُ بكاساتِ العُقَارِ كأنجمٍ ... فمِن بين مُنْقَضٍّ علينا ومُنفضِ
وقد نَشَرت أيدى الجَنوبِ مَطارفًا ... على الجوِّ دكنا والحواشى على الأرض
يطَرِّزُها قَوس السحابِ بأخضرٍ ... على أحمرٍ فى أصفرٍ إثرَ مبيض
كأذيالِ خَوْدٍ أقبلَتْ فى غلائِلٍ ... مُصبغَة والبعضُ أقصرُ من بَعض

وبعضهم ينسبها لسيف الدولة بن حمدان ، منهم صاحب اليتيمة . وقولى فى صانع الرقاق [من البسيط] :

إن أنسَ لا أنسَ خبّازًا مررتُ به ... يَدْحوا الرُّقاقَةَ مِثْلَ اللمح بالبصر (٢)
ما بين رُؤيتها فى كفهِ كُرَةً ... وبين رؤيتها قوراء كالقمر
إلا بمقدار ما تَنْداحُ دائِرة ... فى لُجَّةِ الماءِ يُلْقَى فيه بالحجر

وقولى فى قالى الزلابية [من البسيط]:

وَمُستقِرٍّ على كرسيِّهِ تَعِبٍ ... رُوحى الفداء له من منصبٍ نصب
رَأيتهُ سَحرًا يَقلى زَلابيةً ... فى رقةِ القشرِ والتجويف كالقصب
كأنما زَيتُهُ المقلىُّ حينَ بدَا ... كالكيمياءِ التى قالوا وَلم تصبِ

---

(١) هو قوس قزح الذى يظهر فى السماء عقب المطر ، وقد روى صاحب يتيمة الدهر هذه الأبيات ونسبها إلى سيف الدولة الحمدانى (١-٢٤) وقد ذكر المؤلف ذلك هنا .

(٢) فى أصول الكتاب «لا أنس لا أنس» وهو غير المعروف .

يلقي العجينَ لُجيْناً من أناملهِ فيستحيلُ شبابيكاً من الذهبِ

ومن معانيه البديعة قوله [من الكامل] :

وإذا امرؤٌ مدح امرءاً لنوالهِ وأطالَ فيه فقد أرادَ هجاءهُ

لوْ لم يقدّرْ فيه بُعد المستقى عندَ الورودِ لما أطالَ رشاءهُ

وقد كرر ابن الرومى هذا المعنى فى نظمه فقال [من المتقارب] :

إذا عزّ رِفدٌ لمسترفدٍ أطالَ المديحَ له المادحُ

وقدْ ماإذا استبعدَ المستقي أطالَ الرشاءَ لهُ الماتحُ

وقد أخذه السراج الوراق فقال [من المجتث] :

سامحْ بفضلك عبداً مقصراً فى الثناءِ

رأى قليباً قريباً فلمْ يطِلْ فى الرشاءِ

وعلى ذكر أبياته المارة فى صانع الرقاق ذكرت ماحكى عن الأديب أبى عمرو النميرى أن هذه الأبيات أنشدت فى حلقته فقال بعض تلامذته : ماأظن أن يقْدَر على الزيادة فيها ، فقال :

فكنتُ أضرطُ إعجاباً لرؤيتها ومَنْ رأى مثلَ ماأبصرتُ منهُ خرِى

فضحك من حضر ، وقالوا : البيت لائق بالقطعة لولا ما فيه من ذكر الرجيع ، فقال :

نْ كانَ بيتيَ هذا ليسَ يعجبكم فعجلوا محوهُ أوْ فالعقوهُ طرِى

ومن معانى ابن الرومى البديعة قوله يهجو [من السريع] :

لخالدٍ شاعرِنا زوجةٌ لها حرٌ يبلغُ مِثليها

قوّامة بالليلِ لكنها تستغفرُ اللهَ برجليها

وقوله فى هذا المعنى[١] أيضاً [من الرجز] :

مَرفوعة تحتَ الدُّجا رِجلاها كأنما يَستغفرانِ الله

وقد أخذ هذا المعنى أبو محمد البصرى فقال من أبيات [من الوافر] :

وَلا تتزوجنَّ لهمْ بِبنتٍ فَللسودانِ عِنـدهمُ مراحُ
بأرْجلهنَّ يَستغفرنَ دَأباً فأرْجلهنَّ للدعواتِ رَاحُ

رجع إلى شعر ابن الرومى ، فمنه قوله [من الكامل] :

طامن حشَاكَ فلا محالة واقعٌ بِكَ ما تحبُّ منَ الأمورِ وَتكرهُ
وَإذا أتاكَ منَ الأمورِ مُقدَّرٌ وَهربتَ مِنهُ فَنحوهُ تتوجهُ

ومنه قوله يهجو [من الوافر] :

غَضبت وَظلْتَ منْ سَفهٍ وَطيشٍ تُهزهزُ لحيةً فى قَدرِ رقش
فَما افترقتْ لِغضبتكَ الثريا وَلا اجتمعتْ لِذاكَ بناتُ نَعشَ

ومنه قوله أيضاً [من البسيط] :

إنْ كُنتَ مِن جَهل حقى غيْرَ معتذرٍ وكنتَ عنْ ردِّ مدحى غيرَ مُنقلب
فأعطِنى ثمنَ الطِّرسِ الذى كَتبتْ فيهِ القصيدةُ أوْ كفارةَ الكذبِ

وقد تبعه الفاضل على بن مليك الحموى وأخذ غالب ألفاظه فقال [من البسيط] :

مَدحتكمْ طمعاً فيما أؤمِّلهُ فلم أنلْ غيرَ حظ الاثم والوصبِ
إنلم تكن صِلةٌ منكم لذى أدبٍ فأجرةُ الخط أو كفارةُ الكذبِ

ولابن الرومى فى مثله [من الكامل] :

رُدوا على صَحائفاً سوَّدْتها فيكم بلا حقٍّ ولا استحقاق

وقد سبق إلى هذا المعنى أبو تمام بقوله فى المطلب الخزاعى [من السريع] :

أقولُ عدْلا فيكَ فيما أرى إنكَ لا تقبلُ قولَ الكذبْ

---

(١) فى المطبوعتين « وقوله فيها هذا المعنى »

مدحتكم كذباً فجزيتمونى بخلا لقد أنصفت يا مطلب

وقال ابن زيدون [من الكامل] :

قل للوزير وقد قطعت بمدحه عمرى فكان السجن منه ثوابى

لا تخش لائمتى بما قد جئته من ذاك فى ولا توق عتابى

لم تخط فى أمرى الصواب موفقاً هذا جزاء الشاعر الكذاب

ولابن منيك وقد مدح بعض رؤساء العصر بقصيدة فريدة فقوبلت بالحرمان [من البسيط] :

قالوا قصيدك بالحرمان لم رجعت بالله بالله خبرنا عن السبب

فقلت ما قوبلت بالمنع عن خطإ إلا لكثرة ما فيها من الكذب

ومن شعر ابن الرومى يهجو إبراهيم بن المهدى ، وهو قريب من هذا المعنى [من الوافر] :

رددت إلى شعرى بعد مطل وقد دنست ملبسه الجديدا

وقلت امدح به من شئت بعدى ومن ذا يقبل المدح الرديدا

ولا سيما وقد أعلقت فيه مخازيك اللواتى لن تبيدا

وهل للحى فى أثواب ميت لبوس بعد ما امتلأت صديدا

وقال أبو جعفر بن وضاح فى أبى الوليد بن مالك وقد قعد عن بره [من الكامل] :

أبلغ لديك المالكى رسالة مشحوذة مثل السنان اللهذم

ألبست أمداحى كأزهار الربا وجزيتنى بقطيعة وتجهم

فاردد على مدائحى موفورة هذا السوار لغير ذاك المعصم

ولطيف قول أبى المظفر الابيوردى [من الكامل] :

ومدائح تحكى الرياض أضعتها فى باخل أعيت به الأحساب

فإذا تناشدها الرواة وأبصروا الممدوح قالوا : ساحر كذاب

وقول أبي بكر بن مجير الأندلسي [من الوافر] :

وَقائلةٍ تقولُ وَقدْ رَأتنى أقاسى الجدْبَ فى المرْعى الخصيبِ
أماعَطَف الفقيهُ وَأنتَ تشكوُ لهُ شَكوى العليل إلى الطَّبيب
وقدْ مرَّ الثناءُ بعطفيهِ كما مر النسيمُ على القضيبِ
فقلتُ : علىَ شُكرٍ وامتداحٍ وليسَ علىَّ تقليبُ القلوبِ

وما أحسن قول بشار ، وكان قد مدح المهدى بقصيدة فحرمه الثواب ، فقيل له : حرمك أمير المؤمنين ، فقال: والله لقد مدَحته بشعر لو مُدح به الدهر ماخشى صرفه على أحد ، ولكننى كذبت فى العمل فكذبت فى الأمل

واطيف قول ابن جكينا البغدادى [من البسيط] : [1]

تفضلوا وَاعذروهُ فى مُماطلتى أنا أحقُّ وحقِّ اللهِ مَنْ عتبا
وَلاَ تلوموهُ فى وَعدٍ يردِّدُهُ فى وَقتِ مدحى لهعَلَّمتُهُ الكذبا

ولابن جكينا المذكور يعتذر عن بخل الممدوحين لغرض عرض له[من الكامل]:

قدْ بانَ لى عذْرُ الكرام فصدّهم عنْ أكثر الشعراء ليسَ بعارِ
لم يسأموا بذْلَ النوال وإنّما جمَدَ الندى لبرُودَةِ الأشعارِ

وقال بعضهم فى تمهيد عذر الهجائين [من الهزج]:

تدانتْ طرُقُ اليأسِ فطالتْ طرُقُ النُّجْحِ
وأجدى مكسبُ الغشِّ فأكدى مكسبُ النصح

(١) ابن جكينا : هو الحسن بن أحمد بن محمد بن جكيناء الشاعر البغدادى، كان شاعراً ظريفاً خليعاً ، وأكثر أشعاره مقطعات ، توفى سنة ثمان وعشرين وخمسمائة ، وله ترجمة فى فوات الوفيات (١-١٤٨)

وكانَ الاثمُ في الهجوِ فصارَ الاثمُ في المدح

ومن هذا المعنى قول ابن جحظة [من الوافر]:

تساوى الناسُ في فعْلِ المساوى فما يستحسنونَ سوى القبيح

وصارَ الجودُ عندهمُ جنوناً فما يستعقلونَ سوى الشحيح

وكانوا يَهربونَ منَ الأهاجى فصاروا يَهربونَ منَ المديح

ومنه قول الآخر [من البسيط]:

كانَ الكرامُ وأبناء الكرام إذا تسامعُوا بكريمٍ مَسَّهُ عدمُ

تسابقوا فيواسيهِ أخو كرم منهمْ ويرجعُ باقيهمْ وقدْ ندموا

واليومَ لاشكَّ قدْ صارَ النَّدَى سَفهاً وينكرونَ على المعطى إذا علموا

ومدح أبو الحسين بن الفضل أحدَ الوزراء بمراكش، وكان أقرع، فلم يُثبْهُ، فقال [من السريع]:

أهديتُ مدحى للوزير الَّذي دعا به المجدُ فلمْ يسمعِ

فحاملُ الشعرِ إليهِ كمنْ يُهدِى بهِ مُشطاً إلى أقرعِ

وما أحذقَ قول أبى رياش فى الوزير المهلبى وقد مدحه وتأخرت صلته وطال تردُّده إليه [من المتقارب]:

وقائلةٍ قدْ مدحتَ الوزيرَ وهوَّ المؤملُ والمستماحُ(١)

فماذا أفادكَ ذاكَ المديحِ وهذا الغدوُّ وهذا الرواحُ

فقلت لها ليسَ يدرى امرؤ بأى الأمورِ يكونُ الصلاحُ

---

(١) «وهو» بتشديد الواو لاقامة وزن البيت، وقد جاء ذلك فى الشعر العربى المحتج به، وذلك قول الشاعر:

وإن لسانى شهدة يشتفى بها وهــو على من صبه الله علقم

عَلَيَّ التقلُّب وَالاضطرابُ بجهدِى وَليسَ عَلَى النجاح(١)

وهو قريب من معنى أبيات ابن مجير السابقة قريباً .

ولابن الرومى فى ذم الخضاب ، وهو من معانيه المخترعة (٢)[من الطويل] :

إذا رَمَّ المرء الشبابَ وَأخلقتْ شَبيبته ظَنَّ السوادَ خضابَا(٣)

وَكيفَ يظنُّ الشيخُ أنَّ خضابه يُظن سَواداً أو يخالُ شبابَا(٤)

وقد ذكرت بهذين البيتين اعتذار عبدان المعروف بالحوزى عن الخضاب، وهو أحسن شىء رأيته فى معناه [من الخفيف] :

فى مَشيبى شماتةٌ لِعداتى وَهوَ ناع مُنغِّصٌ لِحَياتى

وَيعيبُ الخضابَ قومٌ وَفيه لىَ أنسٌ إلى حُضورِ وَفاتى

لا وَمنْ يَعلمُ السَّرائرَ مِنِّى ما بهِ رُمتُ خُلَّةَ الغانياتِ

إنما رُمتُ أنْ أغيِّبَ عنى ما تُرينيهِ كلَّ يَومٍ مرَاتى

هُوَ ناعٍ إلىَّ نَفسى وَمنْ ذا سَرَّه أنْ يَرَى وُجوهَ النُّعاةِ

وعلى ذكر عبدان هذا فقد كان مع فضله وجزالة شعره خفيفَ الحال متكلِّف المعيشة قاعدا تحت قول أبى الشيص [من الكامل] :

* لَيسَ المقِلُّ عنْ الزَّمانِ براضٍ *

---

(١) «الاضطراب» بقطع همزة الوصل لاقامة الوزن أيضا ، وقد جاء ذلك فى شعر العرب المحتج به عند الضرورة ، فمن ذلك قول الشاعر:

ألا لا أرى إثنين أحسن شيمة على حدثان الدهر منى ومن جمل

(٢) البيتان فى ابن خلكان (٢-٤٢) مع بعض تغيير سنذكره

(٣) ورد صدر هذا البيت فى ابن خلكان * إذا دام للمرء السواد وأخلقت *

(٤) وقع فى ابن خلكان «فكيف يظن» وقد وقع فى أصول الكتاب «أو يحال» - بالحاء المهملة - محرفا

وهو القائل [من الخفيف] :

قلتُ للدّهر مِنْ فُضولىَ قَوْلاً وَحدانى عَليهِ طيبُ الأمانى

أترَانى بخلعةٍ أنا أُحبَى ذات يَوم وَفاخِرِ الحُمْلانِ

قالَ هيهاتَ أنتَ والنّحسُ ترْبا نِ وَقدْ كنتما رَضيعَىْ لِبانِ

لا تؤمّلْ رُكوبَ شيْءٍ سوَى النعــشِ ولاَ خِلعةً سِوى الأكفان

وله من أبيات [من الوافر] :

يُكلفنى التّصبر والتّسلى وَهلْ يُسطاعُ إلاّ المُستطاعُ

وَقالوا قِسمة نَزلتْ بِعدلٍ فقلنا لَيتهُ جَزْرٌ مُشاعُ

وكان أبو العلاء الأسدى عرضة لأهاجيه ، فمن ملحه فيه قوله [من السريع]:

أبَا العلاء اسْكتْ وَلاَ تُؤذنَا بشينِ هَذا النسبِ البارِدِ

وَتدّعِى مِنْ أســدٍ نسبةً لا تثبُتُ الدعوى بِلاَ شَاهدِ

أقمْ لــنا والدةً أولاً وَأنتَ فِى حِل مِن الوالد

وقوله أيضاً [من الـكامل] :

قابلْ هُدِيتَ أبا العلاء نصيحتى بِقبولها و بواجب الشـكر

لا تهجونّ أسنّ منك فربما تهجو أباكَ وَأنتَ لا تدرِى

وقوله [من الـكامل] :

أضحىَ الملومُ أبَا العلاءِ يَسبنِى وأنَا أبوهُ يعقنى وَيعادِى[1]

وَالمنتمونَ إليـهِ مِنْ أولادهِ الله يَعـلمُ أنهمْ أولادى

ولنرجع إلى شعر ابن الرومى

قال فى بغداد وقد غاب عنها فى بعض أسفاره ، وهو معنى جيد [من الـكامل]:

بَلدٌ صَحبتُ بهَا الشبيبةَ والصبَا وَلبستُ ثوبَ اللهو وَهوَ جَديدُ

(١) كذا ، وصوابه عندنا « أضحى الملوم أبو العلاء يسبنى »

فَاذا تَمثَّلَ فى الضميرِ رَأيتهُ وَعليه أغصانُ الشبابِ تميدُ

ومحاسنه كثيرة ، وديوان شعره رتَّبه الصولى على الحروف ، وكان كثير التطير جداً ، وله فيه أخبار غريبة ، وكان أصحابه يعبثون به فيرسلون إليه مَنْ يتطير من اسمه فلا يخرج من بيته أصلا و يمتنع من التصرف سائر يومه ، وأرسل إليه بعض أصحابه يوما بغلام حسن الصورة اسمه حسن ، فطرق الباب عليه ، فقال : من ؟ قال: حسن ، فتفاءل به وخرج ، و إذا على باب داره حانوت خياط قد صلب عليها درفتين كهيئة اللام ألف ، ورأى تحتها نوى تمر ، فتطير وقال : هذا يشير بأن لا تمر ، ورجع ولم يذهب معه .

وكان الأخفش على بن سليمان قد تولع به ، فكان يقرع عليه الباب إذا أصبح فاذا قال : مَنِ القارع ؟ قال: مرة بن حنظلة ، ونحو ذلك من الأسماء التى يتطير بذكرها ، فيحبس نفسه فى بيته ولا يخرج يومه أجمع ، فكتب إليه ينهاه ويتوعده بالهجاء ، فقال [من المنسرح]:

قُولوا لِنحويِّنَا أَبى حَسَنٍ إنّ حُسامِى متى ضربتُ مَضى

وَإنّ نَبلِى إذا هَممتُ به أرْمى غدا نَصلها بجمر غَضا

لاتحسبنَّ الهجاء يَحمِده الـرفعُ ولاَ خَفضُ خافضٍ خَفَضا

ومنها :

عِندى لهُ السَّوْطُ إن تَلاءمَ فى السـيرِ وَعندِى اللّجامُ إنْ رَكَضا

وكان الوزير القاسم بن عبيد الله بن سليمان[1] بن وهب وزير المعتضد يخاف

---

(١) فى الأصول «القاسم بن عبدالله بن سليمان» وما أثبتناه موافق لما فى ابن خلكان

هجوه وفلتات لسانه ، فدس عليه ابن فراس ، فأطعمه خشكنانجة (١) مسمومة ، فلما أكلها أحس بالسم ، فقام ، فقال له الوزير : إلى أين تذهب ؟ فقال : إلى الموضع الذى بعثت بى إليه ، فقال له : سلم على والدى ، فقال : ليس طريقى على النار ، وخرج من مجلسه وأتى منزله وأقام أياما ومات .

وكان الطبيب يتردد إليه ويعالجه بالأدوية النافعة للسم ، فزعم أنه غلط عليه فى بعض العقاقير ، قال نفطويه النحوى : رأيت ابن الرومى وهو يجود بنفسه فقلت : ما حالك ؟ فأنشد [من الكامل] :

غَلِطَ الطَّبيبُ علىَّ غَلطةَ مُوردٍ عَجزتْ مَوارِدُهُ عن الإصدارِ
والناسُ يَلْحَوْنَ الطبيبَ وإنما غَلَطُ الطبيبِ إصابَةُ الأقدار

وقال أبو عثمان الناجم الشاعر : دخلت على ابن الرومى أعوده فوجدته يجود بنفسه ، فلما قمت من عنده قال [من الوافر] :

أبا عثمان أنتَ حَميدُ قَومِكْ وَجُودُكَ للعشيرة دون لُؤمِكْ
تَزودْ من أخيكَ فلا أراه يَراكَ ولا تراه بَعْدَ يومِكْ

وكانت ولادته ببغداد بعد طلوع فجر يوم الأربعاء لليلتين خلتا من رجب سنة إحدى وعشرين ومائتين ، وتوفى فى يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من جمادى الأولى سنة ثلاث وثمانين ، وقيل : أربع وثمانين ، وقيل: وسبعين ومائتين ، ودفن فى مقبرة باب البستان ، رحمه الله !

---

(١) الخشكنان : دقيق الحنطة يعجن بالشيرج ويبسط ويملأ بالسكر واللوز أو الفستق وماء الورد ثم يضم ويخبز ، وأهل الشام يسمونه المكفن قاله داود فى التذكرة . وقد تكلمت به العرب ، قال الراجز :

ياحبذا الكعك بلحم مثرود وخشكنان وسويق مقنود

شاهد الاتيان بالمسند إليه اسم إشارة للتعريض

١٩ — أولئِكَ آبائى فَجِئْنِى بِمِثْلِهِمْ   إذا جَمَعتنا يا جَرِيرُ المجامعُ

البيت للفرزدق، من قصيدة(١) من الطويل، يفتخر بها على جرير، أولها:

مِنَّا الذى اختيرَ الرِّجالَ سَماحَةً   وخيراً إذا هَبَّ الرِّياحُ الزعازع

ومنا الذى أعْطَى الرَّسولُ عَطِيَّةً   أسارى تميم والعُيون دَوامعُ(٢)

ومنا الذى يُعطى المِئِينَ ويَشترى الـ   ـغَوالى ويَعلو فضْلُهُ مَنْ يُدافِعُ

ومنا خَطيبٌ لا يعابُ وحاملٌ   أغَرُّ إذا التفَّتْ عليه المجامعُ(٣)

ومنا الذى أحْيا الوَئِيدَ وغالِبٌ   وعمرو ومنا حاجِبٌ والأقارع(٤)

ومنا غَداةَ الرَّوعِ فتيانُ غارةٍ   إذا امْتَنعتْ بَعدَ الزِّجاجِ الأشاجِعُ(٥)

ومنا الذى قاد الجِيَاد على الوجى   لِنَجران حتى صبَّحتهُ التَّرائِعُ

وبعده البيت، وهى طويلة.

ومعنى البيت التعجيز لأنه قد تحقق عنده أن ليس للمخاطب مثل آبائه.

---

(١) اقرأها فى الديوان (ص ٥١٦) وهى نقيضة لقصيدة لجرير بن عطية مطلعها:

ذكرت وصال البيض والشيب وازع   ودار الصبا من عهدهن بلاقع

(٢) يقصد الأقرع بن حابس، وكان قد خاطب الرسول فى بنى عمرو بن جندب بن العنبر، فرد سبيهم

(٣) أراد بالخطيب شبة بن عقال، وأراد بالحامل عبد الله بن حكيم

(٤) الذى أحيا الوئيد هو جده صعصعة، وغالب هو أبوه، وعمرو هو ابن عمرو بن عدس، والأقارع: الأقرع بن حابس وأخوه فراس

(٥) فى الديوان «إذا منعت تحت الزجاج» ومنعت: ارتفعت، وأراد بالأشاجع الأيدى، وأصلها عصب ظاهر الكف، يعنى إذا ارتفعت الأيدى بالسيوف بعد أن عملت بالرماح

والشاهد فيه : إيراد المسند إليه اسم إشارة للتعريض بغباوة السامع حتى كأنه لا يدرك غير المحسوس ، وذلك ظاهر فى البيت .

* * *

٢٠ —* هَوَاىَ مَعَ الركبِ اليمانينَ مُصعِدُ *

شاهد المجىء بالمسند إليه معرفا بالإضافة

قائله جعفر بن عُلْبة ، من أبيات من الطويل(١) قالها وهو مسجون ، وتمامه :

* جَنيبٌ وَجُثْمانى بِمَكة مُوثَقُ *

والأبيات :

عَجِبتُ لِمسراها وأنَّى تخلصتْ ... إلىَّ وبابُ السجن بالقُفْلِ مُغْلقُ(٢)

ألمتْ فحيّتْ ثم ولت فودعتْ ... فلما تولَّتْ كادت النفسُ تَزهقُ(٣)

فلا تحسبى أنِّى تخشَّعتُ بَعدكمْ ... لِشىء ولاأنِّى مِنَ الموتِ أفرقُ

وَلا أنَّ قلبى يَزدهيه وَعيدُكمْ ... وَلا أننى بالمشى فى القَيد أخرقُ(٤)

وَلكنْ عرَتْنى من هواكِ ضمانة ... كما كنتُ ألقى منك إذ أنامطلقُ(٥)

والركب : ركبان الابل ، اسم جمع ، أو جمع ، وهم العشرة فصاعدا ، وقد يكون

---

(١) رواها أبو تمام فى أوائل ديوان الحماسة (انظر شرح التبريزى بتحقيقنا ١-٥١) ورواها أبو الفرج فى الأغانى (١١-١٤٩) بزيادة بيتين مع حذف بيت الشاهد ، ورواها صاحب الخزانة (٤-٣٢١)

(٢) هكذا فى الأصول والأغانى ، وفى الحماسة والخزانة « وباب السجن دونى مغلق »

(٣) فى الحماسة والأغانى والخزانة «ثم قامت فودعت»

(٤) فى الأغانى «ولا أن قلبى يزدهيه وعيدهم » وفى الحماسة «ولا أن نفسى يزدهيها وعيدكم» وكذا فى الخزانة، وفيها رواية «ولا أنا ممن يزدهيه وعيدكم»

(٥) كذا فى الأصول والخزانة ، وفى الحماسة والأغانى «عرتنى من هواك صبابة »

للخيل، ويجمع على أرْكُب وزكُوب، والأُركوب بالضم أكثر من الركب، والرَّكبة محركة أقل، ومصعد: من أصعد أى ذهب فى الأرض وأبعد. وجنيب: أى مجنوب مستتبع، والجثمان: الجسم والشخص، والجسمان: جماعة البدن والأعضاء من الناس وسائر الأنواع العظيمة الخلق، وذكر الخليل أنهما بمعنى واحد، والموثق: المقيد

والمعنى فيه: هواى منضم إلى ركبان الابل القاصدين إلى اليمن لكون الحبيب معهم، وبدنى مأسور مقيد بمكة

والشاهد فيه: تعريف المسند إليه باضافته إلى شيء من المعارف إذ هى أخصر طريق إلى إحضاره فى ذهن السامع، وهو فى البيت قوله « هواى » أى مَهْوِيّ وهو أخصر من قولهم « الذى أهواه » أو غير ذلك، والاختصار مطلوب لضيق المقام وفرط السآمة لكونه فى السجن وحبيبُه على الرحيل

ترجمة جعفر بن علبة الحارثى

وجعفر بن علبة [١] هو ابن ربيعة بن عبد يغوث بن معاوية بن صلاة بن المعقل بن كعب بن الحرث بن كعب، ويكنى أبا عارم، وعارم: ابن له، وقد ذكره فى شعره، وهو من مخضرمى الدولتين الأموية والعباسية، شاعر مقل غزل فارس مذكور فى فوارس قومه، وكان أبوه عُلْبة بن ربيعة شاعراً أيضاً، ومات جعفر هذا مقتولا فى قصاص أختلف فى سببه

فقيل: إن جعفر بن عُلْبة وعلى بن جعدب الحارثى القنانى [٢] والنضر بن مضارب المعاوى خرجوا فأغاروا على بنى عقيل، وإن بنى عقيل خرجوا فى طلبهم وافترقوا عليهم فى الطرق، ووضعوا عليهم الأرصاد فى المضايق، فكانوا كلما

---

(١) له ترجمة فى الأغانى (١١-١٤٦) وفى الخزانة (٤-٣٢٢) وخبره في شرح الحماسة (١-٥٦)

(٢) فى الأصول «الميابى» وما أثبتناه عن الأغانى، وسماه فى شرح الحماسة «على بن جعدب بن عتى»

أفلتوا من عصبة لقيتهم أخرى ، حتى انتهوا إلى بلاد بنى نَهْد[١] فرجعت عنهم بنو عقيل ، وقد كانوا قتلوا فيهم ، فاستَعْدَتْ عليهم بنو عقيل السريَّ بن عبد الله الهاشمي عاملَ مكة لأبى جعفر المنصور ، فأرسل إلى أبيه عُلْبة بن ربيعة ، فأخذه بهم وحبسه حتى دفعهم وسائر من كان معهم إليه ، فأما النضر فاستقيد منه بجراحة وأما على بن جعدب فأفلت من السجن ، وأما جعفر بن علْبة فأقامت عليه بنو عقيل قَسَامة أنه قتل صاحبهم فقُتل به

وذكر ابن الكلبى أن الذى أثار الحرب بين جعفر بن علبة و بنى عقيل أن إياس بن يزيد الحارثى وإسماعيل بن أحمد[٢] العقيلى اجتمعا عند أمة لشعيب ابن صامت الحارثى، وهى فى إبل لمولاها فى موضع يقال له صمعر من بلاد بلحرث[٣] فتحدثا عندها ، فمالت إلى العقيلى فدخلتهما مؤاسفة حتى تخانقا بالعمائم ، فانقطعت عمامة الحارثى ، وخنقه العقيلى حتى صرعه ، ثم تفرقا ، وجاء العقيليون إلى الحارثيين فحكموهم ، فوهبوا لهم ، ثم بلغهم بيت قيل وهو [من الطويل] :

ألم تَسأَلِ العبدَ الزِّيادى ما رَأى ... بِصَمْعَرَ والعبدُ الزيادى قائم

فغضب إياس من ذلك ، فلقى هو وابن عمه النضر بن مضارب ذلك العقيلى وهو إسماعيل بن أحمد[٢] فشجه شجتين وخنقه ، فصار الحارثيون إلى العقيليين فحكموهم ، فوهبوا لهم ، ثم لقى العقيليون جعفر بن علبة الحارثى ، فأخذوه فضربوه وخنقوه وربطوه وقادوه طويلا ثم أطلقوه ، فبلغ ذلك إياس بن زيد فقال يتوجع لجعفر [من الطويل] :

---

(١) فى المطبوعتين « بنى نمر » وما أثبتناه عن الأغانى و بعض الأصول
(٢) فى الأغانى « إسماعيل بن أحمر »
(٣) بلحرث : أى بنى الحرث

أبا عارم كيف اغتررتَ ولم تكن　　تغرُّ إذا ما كان أمرٌ تحاذره

فلا صلحَ حتى يخفقَ السيفُ خفقةً　　بكفِّ فتى جرَّت عليه جرائره

ثم إن جعفر بن علبة تبعهم هو وابن أخيه جعدب والنضر بن مضارب، و إياس بن يزيد ، فلقوا المهدى بن عاصم وكعب بن محمد بخبرة[(1)] وهوموضع بالقاعة فضربوهما ضربا مبرحا ثم انصرفوا فضلوا عن الطريق ، فوجدوا العقيليين وهم تسعة نفر فاقتتلوا قتالا شديداً فقتل جعفر بن علبة رجلا من عقيل يقال له خشينة [(2)] ، فاستعدى العقيليون إبراهيم بن هشام المخزومى عامل مكة ، فرفع الحارثيين وهم أربعة من نجران حتى حبسهم بمكة ، ثم أفلت منهم رجل فخرج هارباً ، فأحضرت عقيل قسامة حلفوا أن جعفراً قتل صاحبهم، فأقاده إبراهيم بن هشام،وقال إياس وهومحبوس الأبيات السابقة ، وقال لأخيه يحرضه[من الطويل]:

قلْ لأبى عونٍ إذا ما لقيتهُ　　ومن دونه عرْضُ الفلاة يحولُ

تعلَّم وَعدِّ الشكَّ أنِّى تشفُّنى　　ثلاثةُ أحراسٍ معاً وكُبولُ [(3)]

إذا رُمتُ مشياً أوتبوأتُ مضجعاً　　تبيتُ لها فوقَ الكعاب صليلُ

ولوْ بكَ كانت لابتعثتُ مطيتى　　يعودُ الحفا أخفافها ويجولُ

إلى العدل حتى يصدُرالأمرمصدراً　　وتبرأ منكمْ قالةٌ وعدولُ

وفى رواية أن جعفر بن علْبة كان يزور نساء من عقيل بن كعب ، وكانوا

---

(١) فى الأصول «بخيرة» وما أثبتناه عن الأغانى ، والحديث كله منقول منه بالحرف

(٢) فى الأصول « حسينة » وما أثبتناه عن الأغانى

(٣) عد الشك : أى تجاوزه ،يريد اترك الشك وكن على يقين ، وفى أصول هذا الكتاب « وعد الشط» محرفا عما أثبتناه عن الأغانى ، والكبول: جمع كبل ، وهو القيد

متجاورين هم وبنو الحرث بن كعب ، فأخذته عقيل فكشفوا دبر قميصه وربطوه إلى جمته ، وضربوه بالسياط وكتفوه ، ثم أقبلوا به وأدبروا على النسوة اللاتى كان يتحدث إليهن على تلك السبيل ليغيظوهن ويفضحوه عندهن ، فقال لهم : يا قوم ، لا تفعلوا فان هذا الفعل مثلة ، وأنا أحلف لكم بما يثلج صدوركم أن لا أزور بيوتكم أبداً ولا ألجها ، فلم يقبلوا منه ، فقال لهم : فان لم تفعلوا ذلك فحسبكم ما قد مضى ومنوا على بالكف عنى ، فانى أعده نعمة لكم ويداً لا أكفرها أبداً ، أو فاقتلونى وأريحونى فأكون رجلا آذى قومه فى دارهم فقتلوه ، فلم يفعلوا ، وجعلوا يكشفون عورته بين أيدى النساء ويضربونه ويغرون به سفهاءهم حتى شفوا أنفسهم منه ثم خلوا سبيله ، فلم تمض إلا أيام قلائل حتى عاد جعفر ومعه صاحبان له فدفع راحلته حتى أولجها البيوت ، ثم مضى ، فلما كان فى نقرة من الرمل أناخ هو وصاحباه ، وكانت عقيل أقفى [1] خلق الله للأثر ، فتبعوه حتى انتهوا إليه وإلى صاحبيه ، وكان العقيليون مغترين [2] ليس مع أحد منهم عصاً ولا سلاح ، فوثب عليهم جعفر وصاحباه بالسيوف فقتلوا منهم رجلا وجرحوا آخر وافترقوا ، فاستعدت عليهم عقيل السرىَّ بن عبد الله الهاشمى عاملَ المنصور على مكة ، فأحضرهم وحبسهم وأقاد من الجارح ودافع عن جعفر بن علبة وكان يحب أن يدرأ عنه الحد لخؤلة السفاح فى بنى الحرث ، ولأن أخت جعفر كانت تحت السرى بن عبد الله ، وكانت حَظِيَّة عنده ، إلى أن أقاموا عنده قَسامة أنه قتل صاحبهم وتوعدوه بالخروج إلى أبى جعفر المنصور والتظلم إليه ، فحينئذ دعا بجعفر فأقاد منه ، وأفلت على بن جعدب من السجن فهرب ، فلما أخرج جعفر للقود قال

---

(١) القيافة : تتبع أثر السائر حتى يهتدى إلى مكانه ، وهو من علوم العرب التى امتازت بها ولا يزال فى بعضهم إلى اليوم

(٢) مغترين : مأخوذين على غرة

له غلام من قومه: أسقيك شربة من ماء بارد ؟ فقال: اسكت لا أم لك ، إنى إذاً لمهياف ، وانقطع شسع نعله ، فوقف فأصلحه فقال له رجل : أما يشغلك عن هذا ما أنت فيه ؟ فقال [من الوافر] :

أشدُّ قِبالَ نَعلى أن يرانى عدُوى للحوادثِ مُستكينا

وكان الذى ضرب عنق جعفر بن علبة نخبة بن كليب أخو المجنون ، وهو أحد بنى عامر بن عقيل ، فقال فى ذلك [من الطويل] :

شفَى النفسَ ماقال ابنُ علْبةَ جعفرٌ وقولى له اصبر ليسَ ينفعكَ الصبر
هَوى رأسُه من حيثُ كان كما هَوى عُقابٌ تَدلَّى طالباً خانهُ الوكرُ(١)
أبا عارم فينا عُرامٌ وشِدّةٌ وبَسْطةُ أيمانٍ سَواعدها شُعْرُ
همُو ضَربوا بالسيف هَامةَ جَعفرٍ ولم يُنْجه برٌّ عَريضٌ ولا بَحْر
وَقدْناه قَود البكر قَسراً وَعنوةً إلى القبر حتى ضمّ أثوابه القبرُ

وقال علبة يرثى ابنه جعفرا [من الطويل] :

لَعمركَ إنى يومَ أسلمتُ جعفراً وأصحابهُ لِلموت لمَّا أقاتل
لمجتنبٌ حُبَّ المنايا وَإنما يَهيجُ المنايا كلُّ حقٍّ وَباطل
فَراحَ بهمْ قَومٌ ولا قَومَ عندهمْ مُغلَّلة أيديهمُ فى السَّلاسل
وَربَّ أخٍ لى غابَ لو كانَ شاهداً رآهُ التّباليونَ لى غير خاذل

وقال علبة أيضاً لامرأته أم جعفر قبل أن يقتل جعفر [من الطويل] :

لَعمركِ إنَّ اللّيلَ يا أمَّ جعفرٍ علىَّ وَإنْ عَلّلتنى لَطويلُ

---

(١) فى الأغانى « تدلى طالبا جانب الوكر »

أحاذرُ أخباراً من القوم قد دنتْ ... ورجعةَ أنقاضٍ لهنَّ دليلُ (١)

فأجابته امرأته فقالت :

أبا جعفرٍ سلِّمتَ للقومِ جعفراً ... فمُتْ كمداً أو عِشْ وأنتَ ذليلُ

وذكر شداد بن إبراهيم أن بنتا ليحيي بن زياد الحارثى حضرت الموسم فى ذلك العام لما قتل فكفنته واستجادت له الكفن وبكته وجميع من كان معها من جواريها وجعلن يندُبنه بأبياته التى قالها قبل قتله ، وهى [من الطويل] :

أحقًّا عبادَ الله أنْ لستُ رائياً ... صحارى بنجدٍ والرِّياحَ الذواريا (٢)

ولا زائراً شم العرانينِ أنتمى ... إلى عامرٍ يحللْنَ رملاً معاليا (٣)

إذا ما أتيتَ الحارثيات فانعنى ... لهنَّ وخبِّرهنَّ أن لا تلاقيا

وقوِّد قلوصى بينهن فإنها ... ستُبرد أكباداً وتبكى بواكيا

أوصيكم إن مُتُّ يوماً بعارم ... ليُغنى شيئا أو يكون مكانيا

ولم أترك لى ريبةً غيرَ أننى ... وددتُ معاذاً كان فيمن أتانيا

أراد وددت أن معاذاً كان أتانى معهم فقتلته .

فقال معاذ يجيبه عنها بعد قتله ويخاطب أباه ويعرض له أنه قتل ظلماً لأنهم أقاموا قسامة كاذبة عليه حتى قتل ، ولم يكونوا عرفوا القاتل من الثلاثة بعينه ، إلا أن غيظهم على جعفر حملهم على أن ادعوا القتل عليه [من الطويل] :

أبا جعفرٍ سلِّم بنجرانَ واحتسب ... أبا عارم والمسمنَاتِ العواليا (٤)

---

(١) هكذا فى أصول هذا الكتاب وفى الأغانى . وورد فى شرح الحماسة «أحاذر أنباء» و«لهن زليل»

(٢) فى الأغانى « صحارى نجد»

(٣) فى الأصول «رمل معاليا» وما أثبتناه من الأغانى

(٤) فى الأغانى « والمسمنات العواليا »

وقود قَلوصاً أتلف السيفُ ربها ... بغير دم فى القوم إلا تمارِبا
إذا ذَكرتهُ مَعشرٌ حارثية ... جَرى دمعُ عينيها على الخدِّ صافيا
فلا تحسبنِ الدَّين ياعلْبَ مَنسأ ... ولا الثأرَ الحران يَنْسى التقاضِيا
سَنقتلُ منكم بالقَتيلِ ثلاثةً ... ونُغلى و إن كانت دمانا غَواليا (١)
تمنيتَ أن تَلْقى مُعاذاً سَفاهة ... ستَلقى مُعاذاً والقضيبَ اليمانيا

وعن أبى عبيدة قال : لما قتل جعفر بن علبة قام نساء الحى يبكين عليه ، وقام أبوه إلى كل ناقة وشاة فنحر أولادها وألقاها بين أيديها وقال : ابكين معنا على جعفر ، فما زالت النوق ترغو والشياه تثغو والنساء يصحن و يبكين وهو يبكى معهن ، فما رؤى يوم أوجع وأحرق مأتماً فى العرب من يومئذ .

* * *

شاهد تنكير المسند إليه للتعظيم والتحقير

٢١ — لهحاجبٌ عَنْ كلِ أمرٍ يَشينهُ ... وَليسَ له عَن طالبِ العُرفِ حاجبُ

البيت لابن أبى (٢)السمط ، من أبيات من الطويل، منها :

فتىً لايبالى المدْلجونَ بنورهِ ... إلى بابهِ أن لاتُضىءَ الكواكبُ
يصمّ عن الفحشاء حتى كأنه ... إذا ذُكِرَتْ فى مجلسِ القومِ غائبُ

والحاجب المانع ، والشين: العيب ، والعرف والمعروف: الاحسان :

والشاهد فيه : تنكير الحاجب الأول للتعظيم والثانى للتحقير ، أى ليس له حاجب حقير فكيف بالعظيم ، ومثله قول الشاعر [من الطويل] :

وللهِ مِنى جانبٌ لا أضيعهُ ... وللَّهوِ منى والخلاعةِ جانِبُ

وابن أبى السمط(٣) :

(١) فى الأغانى «و إن كانت دماء غواليا» وما هنا خير

(٢) نسبه أبو هلال العسكرى فى ديوان المعانى (١-٢٣) إلى أبى الطمحان مولى ابن أبى السمط، وروى قبله أول البيتين اللذين ذكرهما المؤلف «فتى لا يبالى»

(٣) في المخطوطتين والمطبوعتين بياض ، ويظهر أن المؤلف تركه حتى يجد له ترجمة ، ثم لم يعثر له على ترجمة

٢٢ — الألمعىُّ الذى يَظنُّ بك الـــظنَّ كأنْ قد رأى وقد سمِعَا

البيت لأوس بن حَجَر من قصيدة من المنسرح [١] قالها فى فضالة بن كلدة يمدحه بها فى حياته [٢] ويرثيه بعد وفاته، أولها :

أيتها النفسُ أجملِى جزَعا إنَّ الذى تحذرينَ قَدْ وَقعا
إنَّ الذى جَمَع السَّماحةَ والـــنَّجدةَ والبرَّ والتُّقى جُمَعا [٣]

وبعد البيت، وبعده :

المُخلفَ المُتلفَ المُرزَّأ لمْ يَمتعْ بِضعفٍ ولَم يَمتْ طَبعا [٤]
وَالحافظَ النَّاسَ فى تحوطَ إذا لمْ يُرسلوا تحتَ عائذ رُبعا [٥]
وَعزتِ الشمألُ الرِّياحَ وَقدْ أمسى كَميعُ الفتاةِ مُلتفعا [٦]

الألمعى واليلمعى: الذكى المتوقد ذكاء، وسئل الأصمعى عن معنى الألمعى فأنشد

---

(١) اقرأها فى ذيل الأمالى (٣٤)

(٢) الأدباء على أن هذه القصيدة مرثية قيلت بعد وفاة فضالة بن كلدة

(٣) فى الأمالى «والحزم والقوى جمعا»

(٤) فى الأصول «ولم يمن طبعا» محرفا، وما أثبتناه عن ذيل الأمالى

(٥) فى الأصول «والحافظ الناس من قحوط» وفيها «لم يرسلوا خلف رائد» وكلاهما تحريف عما أثبتناه عن ذيل الأمالى. وتحوط: هى السنة الشديدة المجدبة، والعائذ من الابل: هى الناقة التى ولدت حديثاً، والربع: الذى ولد فى الربيع، يريد لم يتركوا ولد الناقة يرضعها لشدة حاجتهم إلى اللبن، وهذا تأكيد لوصف الجدب

(٦) عزت: غلبت، والشمأل: ريح الشمال، والكميع: الضجيع، يريد اشتداد البرودة، وذلك وقت الشدة والجدب عندهم، وفي ذيل الأمالى «بات كميع الفتاة»

البيت ، ولم يزد عليه ، وهو إما مرفوع خبر إنَّ ، أو منصوب صفة لاسمها ، أو بتقدير أعنى ، وخبرها فى قوله بعد أبيات :

أوْدَى فما تَنفعُ الإشاحةُ مِنْ أمْرٍ لمنْ قَدْ يُحاولُ البِدَعا[1]

والشاهد فيه كون جملة قوله « الذى يظن بك الظن » وصفاً كاشفا عن معنى الألمعى ، لا كونه وصفا للمسند إليه

أشعار فى معنى دلالة الظاهر على الباطن

و بيت أوس هذا تداول معناه الشعراء ، قال أبو تمام [من الكامل] :

ولذاك قيل مِنَ الظنونِ جِبلةً عِلْمٌ ، وفى بعض القلوبِ عُيونُ

وقال المتنبى [من البسيط] :

ماضى الْجنَانِ يُرِيهِ الحزمُ قبل غدٍ بقلبهِ ماترى عيناهُ بعد غدِ

وقال أيضا [من الطويل] :

ذكىٌّ تظنّيهِ طليعةُ عينهِ يَرى قلبُه فى يومهِ مايَرى غدَا

وقال أيضا [من المنسرح] :

وَيعرفُ الأمرَ قَبلَ موقعهِ فمالهُ بعْد فِعلِهِ ندمُ

وقال أيضا [من الكامل] :

مُستنبطٌ من علمه مافى غدٍ فكأنَّ ماسيكونُ فيه دُوّنا

وهذا المعنى يقرب منه قول أبى نواس [من الكامل] :

ماتنطوى عنه القلوبُ بنجوةٍ إلاَّ تُحدِّثُه بِهِ العينانِ

وقول على بن الخليل [من السريع] :

كَلَّمنى لحظُكَ عن كلِّ ما أضمرهُ قلبُكَ من غدرِ

وقول الخليع [من الهزج] :

---

(١) الاشاحة : الجد فى الأمور

أما تقرأُ في عينيَّ عنوانَ الذي عندِي

وقد سبق إليه المتقدمون ، قال الثقفي [من الطويل] :

تُخَبِّرُني العينانِ ما القلبُ كاتمٌ ولا حُبَّ بالبغضاءِ والنظرِ الشَّزْرِ

وقال يزيد بن الحكم الثقفي [من الطويل] :

تُكاشِرُني كُرْهاً كأنك ناصح وعينكَ تُبدي أنَّ قلبكَ لي دَوِي

وما أحسن قوله بعده :

عَدُوِّيَ يخشى صَولتي إن لقيتهُ وأنتَ عَدُوِّي ليس هذا بمستوى

تُصافحُ مَنْ لاقيتَه ذا عداوَةٍ صِفاحاً وعَنِّي بينَ عينيكَ مُنْزَوِي(١)

وقال المتنبي في معناه [من الكامل] :

يُخفي العداوةَ وهي غيرُ خفيةٍ نَظَرُ العدوِّ بما أسرَّ يبوحُ

وقال غيره [من البسيط] :

عيناكَ قد دلَّتا عينيَّ منك على أشياء لولاهُما ما كنتُ أدْرِيها

والعينُ تعلمُ من عَيْنَيْ محدِّثِها إن كان من حِزْبِها أو من أعاديها

ولمؤلفه من أبيات [من الطويل] :

وَيُظْهِرُ وُدّاً تشهدُ العينُ زُورَهُ ويقضي بذاكَ القلبُ والقلبُ أخبرُ

وله في معناه [من الكامل] :

من كانَ في لُقياهُ لا يتودَّدُ فأنا الذي في وُدِّهِ أتَرَدَّدُ

فالقلبُ عما قد أجنَّ ضميرُهُ لصديقهِ عندَ التلاقي يُرْشِدُ

وإذا خفي حالٌ وأشكلَ أمرُهُ فالعينُ تُخبر بالخفي وتشهدُ

---

(١) في الأصول «وعيني بين عينيك» وهو محرف عما قد أثبتناه

وما أحسن قول أبى نصر بن نُباتة [من الطويل] :

ألا إنّ عينَ المرء عُنوانُ قلبهِ تُخبّرُ عن أسرارهِ شاءَ أمْ أبَى

وبديع قول عمارة بن عقيل [من البسيط] :

تُبدى لك العينُ مافى نَفسِ صاحبها مِن الشَّناءَةِ والوُدّ الذى كانا

إنّ البغيضَ لهُ عينٌ يَصُدُّ بها لا يستطيعُ لِما فى القلبِ كِتْمَانا

وعينُ ذى الوُدّ لاتنفكُّ مقبلةً تَرى لها محجراً بَشّاً وإنسانا(١)

والعينُ تنطقُ والأفواهُ صامتةٌ حتى ترى من ضمير القلب تِبيانا

وقول الآخر [من البسيط] :

تُريكَ أعيُنُهم ما فى صدورهم إن الصُّدور يؤدى غَيبَها البصرُ

وقول المعتمد بن عباد صاحب الأندلس [من البسيط] :

تَمَيَّزُ البغضَ فى الألفاظِ إن نطقوا وتعرفُ الحقدَ فى الألحاظِ إن نظروا

وقول الآخر [من الطويل] :

ستُبدى لك العينان فى اللحظ ماالذى يُجِنُّ ضميرُ المرءِ والعينُ تَصدُقُ

وقول محمد بن أيدمر صاحب كتاب الدر الفريد [من الوافر] :

صديقُك من عدوك ليس يخفى وعنوانُ الدعاوَى فى العيون

تُخبرُك العيونُ بما أجَنَّتْ ضمائرُها من السر المصُونِ

وقول محمد بن شبل من قصيدة [من الكامل] :

فالعينُ تقرأ من لِحاظِ جليسها ما خُطَّ منه فى ضمير الخاطرِ

ولكم قُطوبٍ عن وِدادٍ خالصٍ وتبسمٍ عن غل صدرٍ واغرِ

---

(١) محجر العين ـ بفتح الميم وكسر الجيم ـ ما أحاط بها

يكادُ الندى منها يفيض على العدَا   لَدَى الحربِ في ثنيَيْ قنا وقوَاضبِ

والصاعقة : الموت ، وكل عذاب مهلك ، وصيحة العذاب ، والمخراق الذى بيد الملك سائِقِ السحاب ، ولا يأتى على شىء إلا أحرقه ، أو نار تسقط من السماء ، والانكفاء : الانقلاب ، والأرؤس : جمع رأس ، والأقران: جمع قرن ، وهو الكفء.

والشاهد فيه : مجىء القرينة معانى ملتئمة ، مربوطة بعضها ببعض ، يكون الجميع قرينة ، لا كل واحد ، فهنا أراد بخمس سحائب أنامل الممدوح الخمس التى هى فى الجود وعموم العطاء سحائب : أى يَصُبُّهَا على أ كفائه فى الحرب فيهلكهم بها ، وأراد بأرؤس الأقران جمع الكثرة بقرينة المدح ، لأن كلا من صيغة جمع القلة والكثرة يستعار للآخر ، فهنا لما استعار السحائب لأنامل الممدوح ذكر أن هناك صاعقة وَبيَّن أنها من نصل سيفه ، ثم قال «على أرؤس الأقران » ثم قال « خمس » ، فذكَرَ العدد الذى هو عدد الأنامل ، فظهر من جميع ذلك أنه أراد بالسحائب الخمس الأنامل .

* * *

شاهد الاستعارة الغريبة

١٠٢ — * وإذَا احْتَبَى قَرَبُوسهُ بِعِنَانِهِ *

قائله يزيد بن مَسلمة بن عبد الملك بن مروان ، من قصيدة من الكامل يصف فرسا له بأنه مؤدب ، وأنه إذا نزل عنه وألقى عنانه فى قربوس سرجه وقف مكانه إلى أن يعود إليه ، وتمامه :

* عَلكَ الشَّكِيمَ إلى انْصِرَافِ الزائِرِ *

والقربوس — بفتح الراء ، ولا تسكن إلا فى ضرورة الشعر — وهو حِنْوُ السَّرْجِ ، وهما قربوسان ، والعنان — بكسر العين — سير اللجام الذى تمسك

به الدابة ، والشكيم ، والشكيمة : الحديدة المعترضة فى فم الفرس فيها الفأس ، وأراد بالزائر نفسه بدليل ما قبله ، وهو :

عَوَّدْتهُ فيما أَزُورُ حَبَائبى ... إِهْمَالَه وَكَذَاكَ كلُّ مُخاطِرِ

والشاهد فيه : الاستعارة الخاصة ، وهى : الغريبة ، والغرابة قد تكون فى نفس الشبه كما فى البيت ، فانه شبه هيئة وقوع العنان فى موقعه من قربوس السرج ممتدا إلى جانبى فم الفرس بهيئة وقوع الثوب موقعه من ركبة المحتبي ، ممتدا إلى جانبى ظهره وساقيه بثوب[1] أو غيره كوقوع العنان فى قربوس السرج فجاءت الاستعارة غريبة كغرابة المشبه .

أبيات من الاستعارات الغريبة

ومن الاستعارات الغريبة قول طُفَيل الغَنَوى [من الكامل] :

وجَعَلْتُ كُورى فوقَ ناجيةٍ ... يقْتَاتُ شَحْمَ سنامِهَا الرَّحْلُ

وكذا قول الأستاذ ابن المعتز [من الرجز] :

حتى إذا ما عرَفَ الصَّيْدَ انْصَارْ ... وأذنَ الصُّبحُ لنا بالابْصَارْ

وقول جرير [من الكامل] :

تُحْيِى الرَّوَامِسُ رَبْعَهَا فَتُجِدُّهُ ... بعدَ البِلَى وتُميتُهُ الأمطارُ

وقول أبى نواس [من السريع] :

بِصَحْنِ خَدٍّ لم يَغِضْ ماؤهُ ... ولم تَخُضْهُ أعينُ الناسِ

وقوله أيضاً [من الكامل] :

---

(١) كتب مصحح مطبوعة بولاق هنا ما نصه « قوله بثوب إلى قوله السرج ثابت فى جميع النسخ ، وهو زائد بلا فائدة ، فلعل الصواب إسقاطه » اهـ

حتى إذا كان بأرض بنى أسد بين شرج وناظرة ، فبينا هو يسير ظلاما إذ جالت به ناقته فصرعته فاندقت فخذه[١] فبات مكانه ، حتى إذا أصبح غدت جوارى الحى يجتنين الكمأة وغيرها من نبات الأرض والناسُ فى ربيع ، فبينما هن كذلك إذ أبصرن ناقته تجول وقد علق زمامها بشجرة، وأبصرنه ملقى،ففزعن منه وهربن ، فدعا بجارية منهن ، فقال لها : من أنتِ ؟ قالت : أنا حليمة بنت فضالة بن كلدة ، وكانت أصغرهن ، فأعطاها حجراً وقال لها : اذهبى إلى أبيك فقولى : إن ابن هذا يقرئك السلام ، فأتته فأخبرته ، فقال : يا بنية ، لقد أتيت أباك بمدح طويل أو هجاء طويل ، ثم احتمل هو وأهله حتى بنى عليه بيتا حيث صرع ، وقال : لا أتحول أبداً حتى تبرأ ، وكانت حليمة تقوم عليه حتى استقل ، فقال أوس فى ذلك [من المتقارب] :

خذلت على ليلة ساهرة ... بصحراء شَرْجٍ إلى ناظرَهْ
تُزَادُ ليالىَّ مِنْ طولها ... فليستْ بِطَلْقٍ ولاشاكرهْ
أنوء برجلٍ بها وهْيُها ... وأعيتْ بها أختُها العاثره

وقال فى حليمة [من الطويل] :

لَعمْرُكَ ماملّتْ ثواء ثويها ... حليمة إذ ألقت فراشى ومقعدى
وَلكنْ تلقتْ باليدينِ ضمانتى ... وَملّ بشَرْجٍ مِالقَبَائِلِ عُوَّدِى
ولم تُلهها تلك التكاليفُ إنَّها ... كما شئتَ من أكرومةٍ وتخرد
سأجزيك أو يجزيك عنى مثوِّب ... وقصرك أن يثنى عليك وتحمدى

ثم مات فضالة بن كلدة ، وكان يكنى أبا دليجة ، فقال فيه أوس يرثيه [من البسيط] :

ياعينُ لابدَّ منْ سكبٍ وتَهمالِ ... على فضالةَ ، جَلِّ الرُّزْءِ والعالى

(١) فى الأغانى «فخذاه» بالتثنية

وهى طويلة ، وله فيه عدة قصائد : ومما يستجاد من شعره قوله [من الطويل] :

وإنّى رأيتُ الناسَ إلا أقلهمْ خفافَ العهود يُكثرون التنقلا

بَنى أمٍّ ذى المالِ الكثير يَرونهُ وإن كان عبداً سيدَ الأمر جحفلا[1]

وهم لِمُقِلِّ المالِ أولادُ عَلَّةٍ وإن كان محضاً فى العمومةِ مُخولا

وليس أخوكَ الدائمُ العهدِ بالذى يَسوءك إن ولّى ويرضيك مقبلا

ولكن أخوكَ النّاءِ ما كنتَ آمناً وصاحبُكَ الأدنى إذا الأمرُ أعضلا

ويستجاد له من هذه القصيدة قوله فى السيف :

كأن مَدَبَّ النمل تَتَّبعُ الرُّبا ومَدْرَجَ ذَرٍّ خاف بَرْداً فأسْهَلا

* * *

شاهد تقد المسند إ

٢٣ - وَالّذِى حَارَتِ البريةُ فِيه حَيَوانٌ مُسْتَحدَثٌ من جَمادِ

البيت لأبى العلاء المعرّى ، من قصيدة من الخفيف يرثى بها فقيهاً حنفياً أولها :

غَيرُ مُجْدٍ فى ملّتى واعتقادى نَوحُ باكٍ ولا ترنُّم شادى

وَشبيهٌ صَوْتُ النَّعىِّ إذا قيـ ـسَ بصوتِ البَشير فى كل نادى

أبكَتْ تلكُمُ الحمامة أم غَنَّـ ـتْ على فرعِ غُصْنِها المَيّاد

صاحِ هذى قُبورُنا تَملأُ الرُّحـ ـبَ فأين القُبورُ من عَهد عاد

خَفِّفِ الوطءَ ما أظُنُّ أديمَ الـ أرضِ إلا من هذه الأجْساد

وقَبيحٌ بنا وإن قَدُم العَهْـ ـدُ هَوانُ الآباءِ والأجداد

سِرْ إنِ اسْطَعْتَ فى الهواءِ رُوَيداً لا اختيالاً على رفات العباد

رُبَّ لحدٍ قد صارَ لحداً مراراً ضاحِكٍ من تَزاحُم الأضداد

وَدفينٍ على بقايا دفينٍ فى طويلِ الأزمان والآباد

فاسألِ الفَرقَدين عمن أحسَّا من قَبيلٍ وآنسا من بلاد

(١) فى الأصول « بلى أمر ذى المال » محرفا عما اثرناه عن ابن قتيبة

كم أقاما على زوالِ نهارٍ وأنارا لِمُدلجٍ فى سواد
تعبٌ كلها الحياةُ وما أعْـجبُ إلا من راغبٍ فى ازدياد
إنّ حزناً فى ساعةِ الموتِ أضعا فُ سرورٍ فى ساعةِ الميلاد
خُلقَ الناسُ للبقاء فضلّتْ أمةٌ يحسبونهمْ للنفاد
إنما ينقلونَ من دارِ أعما لٍ إلى دارِ شقوةٍ أو رَشاد

وهى طويلة ، ومنها :

بانَ أمرُ الإلهِ واختلفَ النا سُ فداعٍ إلى ضلالٍ وهادِى

و بعده البيت ، و بعده :

فاللبيبُ اللبيبُ مَنْ ليسَ يغتـرُّ بكونٍ مصيرُهُ للفسادِ

يقول : تحيرت البرية فى المعاد الجسمانى والنشور الذى ليس بنفسانى ، وفى أن أبدان الأموات كيف تحيا من الرفات ، و بعضهم يقول به ، و بعضهم ينكره ، وبهذا تبين أن المراد بالحيوان المستحدث من الجماد ليس آدم عليه السلام ، ولا ناقة صالح ، ولا ثعبان موسى ، عليهما السلام ، إذ لا يناسب السياق ، وقال الامام أبو محمد بن السيد البطليوسى حين شرح سقط الزند فى هذا البيت : يريد أن الجسم موَاتٌ بطبعه ، و إنما يصير حساسا متحركا باتصال النفس به ، فاذا فارقته عند الموت عاد إلى طبعه ، فالحياة للنفس جوهرية ، والجسم عرَضية ، فلذلك يعدم الجسم الحياة إذا فارقته النفس ولا تعدمها النفس .

والشاهد فيه : تقديم المسند إليه على المسند لتمكن الخبر فى ذهن السامع لأن فى المبتدإ تشويقاً إليه .

ترجمة أبى العلاء المعرى

وأبو العلاء : هو أحمد[1] بن عبد الله بن سليمان المعرى التنوخى ، من أهل

---

(١) تجد لأبى العلاء المعرى ترجمة فى ابن خلكان (١-٥٨) وفى « نكت الهميان فى نكت العميان لصلاح الدين الصفدى »

معرة النعمان ، العالم المشهور ، صاحب التصانيف المشهورة ، ولد يوم الجمعة عند مغيب الشمس لثلاث بقين من شهر ربيع الأول سنة ثلاث وستين وثلثمائة بالمعرة وجدر[1] فى السنة الثالثة من عمره فعمى منه ، وكان يقول : لا أعرف من الألوان إلا الأحمر ، لأنى ألبست فى الجدرى ثوبا مصبوغاً بالعصفر ، لا أعقل غير ذلك .

وعن ابن غريب الايادى أنه دخل مع عمه على أبى العلاء يزوره ، فوجده قاعداً على سجادة لبد وهو شيخ فان ، قال : فدعا لى ومسح على رأسى ، قال : وكأنى أنظر إليه الساعة و إلى عينيه إحداهما نادرة والأخرى غائرة جداً [2] وهو مجدور الوجه ، نحيف الجسم .

وعن المصيصى الشاعر قال : لقيت بمعرة النعمان عجباً من العجب ، رأيت أعمى شاعراً ظريفا يلعب بالشطرنج والنرد ، و يدخل فى كل فن من الهزل والجد ، يكنى أبا العلاء ، وسمعته يقول : أنا أحمد الله على العمى كما يحمده غيرى على البصر

وهو من بيت علم وفضل و رياسة ، له جماعة من أقاربه قضاة وعلماء وشعراء قال الشعر وهو ابن إحدى عشرة سنة ، أو اثنتى عشرة سنة ، و رحل إلى بغداد ، ثم رجع إلى المعرة ، وكان رحيله إليها سنة ثمان وتسعين وثلثمائة ، وأقام بها سنة وسبعة أشهر ، ودخل على المرتضى أبى القاسم فعثر برجل فقال : من هذا الكلب؟ فقال أبو العلاء : الكلب من لا يعرف للكلب سبعين اسما ، وسمعه المرتضى وأدناه واختبره فوجده عالما مشبعا بالفطنة والذكاء ، فأقبل عليه إقبالا كثيراً ، وله معه نكتة تأتى فى التلميح إن شاء الله تعالى .

---

(١) جدر – بالبناء للمجهول – أصيب بمرض الجدرى

(٢) نادرة : بارزة ، وغائرة : منخسفة داخلة

ولما رجع المعرى إلى بلده لزم بيته وسمى نفسه رَهِينَ المحبسين[1] يعنى حبس نفسه فى منزله ، وحبس بصره بالعمى .

وكان عجيباً فى الذكاء المفرط والحافظة. ذكر تلميذه أبو زكريا التبريزى أنه كان قاعداً فى مسجده بمعرة النعمان بين يدى أبى العلاء يقرأ شيئاً من تصانيفه ، قال : وكنت قد أقمت عنده سنين ولم أر أحدا من أهل بلدى ، فدخل المسجدَ بعضُ جيراننا للصلاة ، فرأيته فعرفته وتغيرت من الفرح ، فقال لى أبو العلاء : أى شىء أصابك ؟ فحكيت له أنى رأيت جاراً لى بعد أن لم ألق أحدا من أهل بلدى سنين ، فقال لى : قم فكلمه ، فقلت: حتى أتمم النسق ، فقال لى : قم وأنا انتظر لك ، فقمت وكلمته بلسان الأذربيجانية شيئاً كثيراً ، إلى أن سألت عن كل ما أردت ، فلما رجعت وقعدت بين يديه قال لى : أى لسان هذا ؟ قلت : هذا لسان أذربيجان ، فقال لى : ما عرفت اللسان ولا فهمته ، غير أنى حفظت ما قلتما ، ثم أعاد علىَّ اللفظَ بعينه من غير أن ينقص منه أو يزيد عليه ، بل جميع ما قلت وما قال جارى ، فتعجبت غاية العجب من كونه حفظ مالم يفهمه .

وللناس حكايات يضعونها فى عجائب ذكائه ، وهى مشهورة ، وغالبها مستحيل ، وكان قد رحل أولا إلى طرابلس ، وكان بها خزائن كتب موقوفة ، فأخذ منها ما أخذ من العلم ، واجتاز باللاذقية ونزل ديراً كان به راهب له علم بأقاويل الفلاسفة ، فسمع كلامه ، فحصل له شكوك ، وكان اطلاعه على اللغة وشواهدها أمرا باهرا .

اختلاف الناس فى أبى العلاء

والناس مختلفون فى أمره ، والأكثرون على إلحاده وإكفاره ، وأورد له الرازى فى الأربعين قوله [من مخلع البسيط] :

قُلْتُمْ لَنا صَانِعٌ قَدِيم ... قُلنا صَدَقتمْ كَذَا نَقول
ثُمَّ زَعمتمْ بِلاَ مَكانٍ ... وَلاَ زَمانٍ ، ألاَ فَقولوا

(١) فى المطبوعتين « رهين الحبسين » ناقص الميم

هـذا كلامٌ له خَبِيءٌ مَعناهُ لَيستْ لَنا عقولُ

ثم قال الرازى : وقد هذى هذا فى شعره . وقال ياقوت : كان متهما فى دينه يرى رأى البراهمة ، لايرى إفساد الصورة ، ولا يأكل لحما ، ولا يؤمن بالرسل ولا البعث ولا النشور . انتهى

ومكث مدة خمس وأربعين سنة لا يأكل اللحم تدينا ولا ماتولد من الحيوان رحمة له وخوفا من إزهاق النفوس ، وإلى ذلك أشار علىّ بن همام حين رثاه فقال من قصيدة طويلة [من الكامل] :

إنْ كنتَ لم تُرِقِ الدماء زَهادةً فلقد أرقْتَ اليومَ مِن عينىَ دَما

سَيرتَ ذِكركَ فى البلاد كأنهُ مِسكٌ فسامِعةً يُضَمِّخُ أو فما(١)

وَأرى الحجيجَ إذا أرادُوا ليلةً ذِكراكَ أوْجبَ فِديةً من أحرما(٢)

ولقيه رجل فقال له: لِم لم تأكل اللحم؟ فقال: أرحم الحيوان ، قال : فما تقول فى السباع التى لاطعام لها إلا لحوم الحيوان ، فان كان لذلك خالق فما أنت بأرأف منه ، وإن كانت الطبائع المحدِثةَ لذلك فما أنت بأحذق منها ولا أتقن ، فسكت

وقال القاضى أبو يوسف عبد السلام القزوينى : قال لى المعرى : لم أهج أحدا قط ، قلت له : صدقت إلا الأنبياء عليهم السلام ! فتغير لونه ، أو قال وجهه

ودخل عليه القاضى المنازى ، فذكر له مايسمعه عن الناس من الطعن عليه ثم قال : مالى وللناس وقد تركت دنياهم ؟ فقال له القاضى : وأخراهم ، فقال :

(١) فى الأصول وفى ابن خلكان «فسامعه» بدون نقط الهاء ، واضطر مصحح نسخة ابن خلكان أن يكتب على هامشها ما صورته «قوله مسك إلخ فى بعض النسخ * مسك يضمخ منه سمعا أو فما * ولعل ذلك أوفق ، تأمل » وما قرأنا عليه ما هنا صحيح مستقيم

(٢) فى ابن خلكان « أخرج فدية من أحرما»

ياقاضى وأخراهم ، وجعل يكررها

وعن أبى زكريا الرازى قال : قال لى المعرى: ماالذى تعتقد ؟ فقلت فى نفسى : اليوم يتبين لى اعتقاده ، فقلت له : ما أنا إلا شاك ، فقال لى : وهكذا شيخك

وحكى عن الشيخ كمال الدين الزملكانى أنه قال فى حقه : هو جوهرة جاءت إلى الوجود وذهبت

وعن الشيخ فتح الدين بن سيد الناس أن الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد كان يقول فى حقه : هو فى حيرة

قال الصلاح الصفدى : وهذا أحسن مايقال فى أمره ، لأنه قال[من الخفيف]:

خُلِقَ الناسُ للبقاءِ فَضلَّتْ أُمَّةٌ يَحسبونَهم للنفادِ

إنّما يُنقلون من دارِ أعما لٍ إلى دارِ شقوة أو رَشاد

ثم قال [من الطويل] :

ضَحِكنا وكان الضِّحك مِنّا سفاهةً وحُقَّ لِسكانِ البسيطةِ أن يَبكوا

يُحطِّمنا الأيامُ حتّى كأنّنا زُجاج ولكنّ لايُعادُ لنا سبكُ

وهذه الأشياء كثيرة فى كلامه ، وهو تناقض منه ، و إلى الله ترجع الأمور

قال السِّلفى : ومما يدل على صحة عقيدته ماسمعت الحافظ الخطيب حامد ابن بختيار النميرى يحدث بالسمسانية ـ مدينة بالخابور ـ قال : سمعت القاضى أبا المهذب عبد المنعم بن أحمد السروجى يقول : سمعت أخى القاضى أباالفتح يقول : دخلت على أبى العلاء التَّنوخى بالمعرة ذات يوم فى وقت خلوة بغير علم منه ، وكنت أتردد إليه وأقرأ عليه ، فسمعته ينشد من قيله [من مخلع البسيط] :

كم بُودرتْ غادةٌ كَعابٌ وَعُمِّرَتْ أُمُّها العجوزُ[1]

---

(١) بودرت : أعجلت ، يريد أنها ماتت فى اقتبال عمرها وميعة شبابها . والكعاب : الجارية حين يكعب ثديها ، بزنة سحاب ، وفى المطبوعتين « كعوب » وأحسبه محرفا

أحرزها الوالدان خوفا والقبر حرز لها حريز
يجوز أن تبطىء المنايا والخلد فى الدهر لا يجوز

ثم تأوه مرات ، وتلا (إن فى ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة ، ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود ، وما نؤخره إلا لأجل معدود ، يوم يأتى لاتكلم نفس إلا باذنه فمنهم شقى وسعيد) ثم صاح ، وبكى بكاء شديدا ، وطرح وجهه ، وقال : سبحان من تكلم بهذا فى القدم ! سبحان من هذا كلامه! فصبرت ساعة ثم سلمت عليه ، فرد على وقال : متى أتيت ؟ فقلت : الساعة ، ثم قلت : ياسيدى أرى فى وجهك أثر غيظ ، فقال : لا ياأبا الفتح ، بل أنشدت شيئا من كلام المخلوق وتلوت شيئاً من كلام الخالق ، فلحقنى ماترى ، فتحققت صحة دينه وقوة يقينه

وقال السلفى أيضا : سمعت أبا المكارم بأبهر ـ وكان من أفراد الزمان ثقة مالكى المذهب ـ قال : لما توفى أبو العلاء اجتمع على قبره ثمانون شاعراً ، وختم عند قبره فى أسبوع واحد مائتا ختمة

وعن أبى اليسر المعرى أن أبا العلاء كان يرمى من أهل الحسد له بالتعطيل ، ويعمل تلامذته وغيرهم على لسانه الأشعار يضمنونها أقاويل الملحدة قصداً لهلاكه وإيثاراً لاتلاف نفسه ، وفى ذلك يقول [من السريع] :

حاول إهوانى قوم فما واجهتهم إلا بأهوان
يحرشونى بسعاياتهم فغيروا نية إخوانى
لو استطاعوا الوشو ابى إلى المريخ والشهب وكيوان

قال الصلاح الصفدى : أما الموضوع على لسانه ، فلعله لايخفى على ذى لب وأما الأشياء التى دونها وقالها فى «لزوم مايلزم» وفى «استغفر واستغفرى» فما فيه حيلة ، وهو كثير من القول بالتعطيل واستخفافه بالنبوات ، ويحتمل أنه ارعوى

ونلب بعد ذلك كله ، وكان أكله العدس ، وحلاوته التين ، ولباسه القطن ، وفراشه اللباد ، وحصيره برديه ، وتصانيفه كثيرة جداً ، وشعره كثير إلى الغاية ، وأحسنه « سقط الزند »

من غزل أبي العلاء

ومن نظمه فى الغزل [من البسيط] :

يا ظبية علقتنى فى تصيدها أشراكها وهى لم تعلق بأشراكى
رعيت قلبى وما راعيت حرمته فلم رعيت وما راعيت مرعاك
أتحرقين فؤاداً قد حللت به بنار حبك عمداً وهو مأواك
أسكنته حيث لم يسكن به سكن وليس يحسن أن تسخى بسكناك
ما بال داعى غرامى حين يأمرنى بأن أكابد حر الوجد ينهاك
وكم غدا القلب ذا يأس وذا طمع يرجوك أن ترحميه وهو يخشاك

ومن شعره قوله [من الطويل] :

إلى الله أشكو أننى كل ليلة إذا نمت لم أعدم خواطر أوهام
فإن كان شرًّا فهو لا شك واقع وإن كان خيراً فهو أضغاث أحلام

ومنه قوله [من البسيط] :

اضرب وليدك تأديباً على رشد ولا تقل هو طفل غير محتلم
فرب شق برأس جر منفعة وقس على شق رأس السهم والقلم

ومن شعره وقد أهدى كتابا من تصانيفه [من الطويل] :

قبول الهدايا سنة مستحبة إذا هى لم تسلك طريق تحابى
وما أنا إلا قطرة من سحابة ولو أننى صنفت ألف كتاب

مما أخذ على أبي العلاء

ومن شعره المؤاخذ به قوله [من الطويل] :

إذا ما ذكرنا آدما وفعاله وتزويجه بنتيه لابنيه فى الخنا

علمنا بأنَّ الخلقَ منْ نَسل فاجرٍ وأنَّ جميعَ الخلقِ منْ عُنصرِ الزِّنى

فأجابه القاضى أبو محمد الحسن اليمنى بقوله [من الطويل] :

لَعَمْرِى أمَّا فيكَ فالقولُ صادقٌ وتكذبُ فى الباقِينَ منْ شطَّ أوْدنا

كذلكَ إقرارُ الفتى لازمٌ لَهُ وفى غيرِهِ لغوٌ ، كذا جاء شرعُنا

ومنه قوله [من البسيط] :

يدٌ بخمس مِئينٍ عَسجدٍ وُدِيَتْ ما بالُهَا قُطعتْ فى رُبعِ دينارِ

تحكُّمٌ مالنا إلاَّ السكوتُ لهُ وأنْ نَعوذَ بِمولانا منَ النَّارِ

فأجابه علم الدين السخاوى بقوله [من البسيط] :

عِزُّ الأمانةِ أغلاها ، وأرخصها ذُلُّ الخيانةِ ، فافهمْ حِكمةَ البارى

ومنه قوله [من الكامل] :

هفَت الحنيفةُ ، والنَّصارى ما اهتدتْ ، ومجوسُ حارتْ ، واليهودُ مُضَلَّلَهْ

اثنانِ أهلُ الأرض : ذُو عقلٍ بلاَ دينٍ ، وآخرُ دَيِّنٌ لاَ عقلَ لهْ

فقال ذو الفضائل الاخسيكتى رادًّا عليه [من الكامل] :

الدِّين آخــذهُ وتاركهُ لمْ يخفَ رُشدُهما وغيهما

اثنانِ أهلُ الأرضِ قُلتَ ، فقلْ يا شيخَ سُوءٍ أنتَ أيُّهما

ومنه أيضا قوله [من البسيط] :

دِينٌ وكفرٌ وأنباء تُقالُ وفُرْ قانٌ يُنصُّ وتوراة وإنجيلُ

فى كل جيلٍ أباطيلٌ يُدانُ بها فهلْ تفردَ يوْماً بالهدَى جيلُ

فأجابه شيخ الاسلام الحافظ الذهبي بقوله [من البسيط] :

نعمْ أبو القاسمِ الهادى وأمتهُ فزادكَ اللهُ ذُلاًّ يادُجَيْجيلُ

ومنه أيضا قوله، وهو الطامة الكبرى [من الوافر] :

قِرانُ المشترى زُحلاً يُرَجى ... لايقاظ النَّواظرِ مِن كَرَاها

تَقَضَّى الناسُ جيلاً بعدَ جيلٍ ... وخُلفتِ النجومُ كما تَرَاها

تَقدمَ صاحبُ التوراةِ موسى ... وأوقعَ فى الخسارِ مَن افترَاها

فقالَ رِجالُه وحىٌ أتاهُ ... وقالَ الآخرونَ بل افتراها

ومَا حَجِّى إلى أحجار بيتٍ ... كؤوسُ الخمرِ تُشربُ فى ذَرَاهَا

إذا رَجعَ الحكيمُ إلى حِجاهُ ... تَهاوَن بالشرائع وازْدَرَاهَا

لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ! اللهم إنى أستغفرك من نظير هذه الأباطيل التى تشمئز منها القلوب، وتنفر عنها الخواطر، وأسألك التوفيق لى ولسائر المسلمين

من جيد شعر أبى العلاء

ومن جيد شعره قوله [من الوافر] :

رَدَدْتُ إلى مليكِ الخلقِ أمرى ... فلم أسألْ متى يقعُ الكسوفُ

وكم سلِم الجهولُ مِنَ المُنايا ... وعُوجِلَ بالحِمامِ الفيلسوفُ

وهو أخذه من قول أبى الطيب المتنبى [من السريع] :

يَموتُ راعى الضأنِ فى جهلِه ... ميتةَ جالينوسَ فى طِبِّهِ

ورُبَّما زَادَ على عُمْرِهِ ... وزاد فى الأمْنِ على سِرْبِهِ

وقد تلاعب الشعراء بهجائه، وممن هجاه أبو جعفر البجائى الزوزنى بقصيدة أوّلها [من الكامل] :

كلبٌ عَوَى بمعَرَّةِ النعمانِ ... لما خلا عَنْ ربقةِ الايمانِ

أمعرةَ النُّعمانِ ما أنجبتِ إذْ ... أخرجْتِ مِنْك معرةَ العُميانِ

وقصته مع وزير محمود بن صالح صاحب حلب شهيرة فلا حاجة إلى التطويل بذكرها

وكانت وفاته ليلة الجمعة ثالث ، وقيل : ثانى شهر ربيع الأول ، وقيل : ثالث عشره ، سنة تسع وأربعين وأربعمائة

قال ابن غرس النعمة : وأذكر عند ورود الخبر بموته وقد تذاكرنا إلحاده ومعنا غلام يعرف بأبى غالب بن نبهان من أهل الخير والعفة ، فلما كان من الغد حكى لنا قال : رأيت فى منامى البارحة شيخاً ضريراً وعلى عاتقه أفعيَانِ متدلِّيان إلى فخذيه ، وكل منهما يرفع فمه إلى وجهه فيقطع منه لحما يزدرده ، وهو يستغيث فقلت وقد هالنى : مَنْ هذا ؟ فقيل لى : هذا المعرى الملحد

وقال القفطى : أتيت قبره سنة خمسين وستمائة ، فاذا هو فى ساحة من دور أهله وعليه باب ، فدخلت فاذا القبر لا احتفال به ، ورأيت عليه خبَّازى يابسة والموضع على غاية مايكون من الشعث والاهمال

قال الذهبىّ : وقد رأيت أنا قبره بعد مائة سنة من رؤية القفطى فرأيت محوا مما حكى ، انتهى

ويقال : إنه أوصى أن يكتب على قبره [من مجزوء الكامل] :

هذا جَناهُ أبى علَـــىَّ وما جَنَيتُ على أحدْ

وهو أيضاً متعلق باعتقاد الحكماء ، فانهم يقولون : إيجاد الولد وإخراجه إلى العالم جناية عليه ، لأنه يعرض للحوادث والآفات ، والله تعالى أعلم بأمره

* * *

شاهد تأخرت ... من أدا...

٢٤ — ما كلُّ ما يَتَمَنَّى المرْءُ يُدْرِكُهُ

قائله المتنبى ، من قصيدة من البسيط يمدح بها كافورا الاخشيدى صاحب مصر ولم ينشدها له ، وكان اتصل به أن قوما نعوه فى مجلس سيف الدولة ، وأولها [(١)]

بِمَ التعلّلُ لا أهلٌ ولا وطنُ ولا نديمٌ ولا كأسٌ ولا سكنُ

(١) انظرها فى الديوان (٤ـ ٢٣٣)

أريدُ من زَمَنى ذا أن يبلغَنى ما ليسَ يبلغُهُ فى نفسه الزمنُ
لاتلقَ دهرَكَ إلاغيرَ مكترثٍ مادام يَصْحَبُ فيه رُوحَكَ البدنُ
فما يدومُ سرورُ ما سُرِرْتَ به ولا يَرُدُّ عليكَ الفائتَ الحزَنُ
مما أضرَّ بأهل العشقِ أنهمُ هَوَوْا وما عرَفوا الدنيا ومافطِنوا
تفنى عيونُهُم دمعاً وأنفسُهم فى إثْرِ كلِّ قبيحٍ وجهُهُ حسَنُ
تحمّلوا حملتكم كلُّ ناجيةٍ فكلُّ بَيْنٍ علىَّ اليومَ مؤتمنُ
مافى هَوادجكم من مُهجتى عِوَضٌ إن مُتُّ شوقاً ولا فيها لها ثمنُ
يا من نُعيتُ على بعدٍ بمجلسِهِ كلٌّ بما زعم الناعونَ مرتَهَنُ
كم قد قُتِلت وكم قد مُتُّ عندكم ثم انتفضت فزال القبر والكفنُ
قد كان شاهَدَ دفنى قبل قولهم جماعةٌ ثم ماتوا قبل مَنْ دَفنوا
ما كلُّ مايتمنىَّ المرءُ يدرِكُهُ تجرى الرِّياحُ بِما لا تشتهى السفنُ

وهى طويلة بديعة

والشاهد فى البيت : أن « كل » إذا تأخرت عن أداة النفى سواء كانت معمولة لها أولا ، وسواء كان الخبر فعلا كما فى البيت أو غير فعل ، توجّه النفى إلى الشمول خاصة ، لا إلى أصل الفعل ، وأفاد الكلام ثبوت الفعل أو الوصف لبعض ما أضيف إليه « كل » إن كانت فى المعنى فاعلا للفعل أو الوصف الذى حمل عليها ، أو عمل فيها أو تعلق الفعل أو الوصف ببعض إن كانت « كل » فى المعنى مفعولا للفعل أو الوصف المحمول عليها أو العامل فيها

ومعنى شطر البيت مأخوذ من قول طرفة بن العبد البكرى [من الطويل] :

فيالكَ مِنْ ذى حاجةٍ حِيلَ دونها وما كُلُّ ما يَهوى امرؤ هو نائِلُهْ

وقد أخذه بعضهم وضمنه فى قصيدة مدح بها يزيد بن حاتم فخرج إليه وهو بمصر ليأخذ جائزته فوجده قد مات ، فقال [من الطويل] :

أَبن مصر فاتتنى بما كنت أرتجى ... وأخلفنى منها الذى كنت آملُ

فيالك منْ ذى حاجة حيل دونها ... وما كل مايهوى امرؤ هو نائل

وما كان بينى لوْ لقيتُكَ سالمًا ... وبين الغِنى إلا ليالٍ قلائلُ

وهذا البيت بعينه للحطيئة فى علقمة بن عُلاثة [1] والظاهر أنه ضمنه أيضاً

وقد تقدم ذكر أبى الطيب المتنبى فى شواهد المقدمة[2]

* * *

شاهد ما إذا تقدمت كل أداة النفى

٢٥ — قد أصبحتْ أمُّ الخيار تَدعى * علىّ ذنباً كلهُ لم أصنع

البيت لأبى النجم العجلى المتقدم ذكره ، وهو أول أرجوزته السابقة[3] وأم الخيار هذه زوجته

والشاهد فيه أن « كل » إذا تقدمت على النفى لفظا ولم تقع معمولة للفعل المنفى عم النفى كل فرد مما أضيف إليه كل ، وأفاد نفى أصل الفعل عن كل فرد ، ومن ثم أتى بكل مرفوعة عادلا عن نصبها الغير المحتاج إلى تقدير ضمير ، لأنه لايفيد نفى عموم ما ادعته أم الخيار عليه ، والله أعلم

* * *

شاهد وضع المظهر موضع المضمر

٢٦ — كم عاقل عاقل أعيتْ مذاهبهُ * وجاهل جاهل تلقاهُ مَرْزوقا

هذا الذى تركَ الأوهامَ حائرةً * وصيَّر العالم النِّحريرَ زِنديقا

البيتان لابن الراوندى ، من البسيط ، وقبلهما

---

(١) البيت الذى يشير إليه هو قول الحطيئة :

فما كان بين الخير لو جاء سالما ... أبو حجر إلا ليال قلائل

أراد فما كان بين الخير وبينى ، فحذف الواو وما عطف بها .

(٢) انظر شرح الشاهد (رقم ٤)

(٣) انظر شرح الشاهد (رقم ٣)

سُبحان مَنْ وضع الأشياء مَوْضِعَها وفَرَّقَ العزَّ والاذْلال تفريقا

وعاقل الثانى صفة لعاقل الأول بمعنى كامل العقل مُتناهٍ فيه ، كما يقال مررت برجل رجل ، أى كامل فى الرجولية ، ومعنى « أعيت مذاهبه » أعجزته وصعبت عليه طرق معايشه ، والنحرير ـ بكسر النون ـ الحاذق الماهر العاقل المجرب المتقن الفطن البصير بكل شىء لأنه ينحر العلم نحراً ، والزنديق ـ بكسر الزاى ـ من الثنوية أو القائل بالنور والظلمة ، أو مَنْ لا يؤمن بالآخرة وبالربوبية ، أو مَنْ يُبطن الكفر ويظهر الايمان ، أو هو معرب « زن دين » أى دين المرأة

والشاهد فيه : وضع المظهر الذى هو اسم الاشارة موضع المضمر لكمال العناية بتمييز المسند إليه لاختصاصه بحكم بديع عجيب الشأن ، وهو هنا جعل الأوهام حائرة والعالم المتقن زنديقا

وما أحسن قول الغزى فى معنى البيتين [من البسيط] :

كم عالم لم يلج بالقرعِ بابَ مُنىً وجاهلٍ قبل قرع الباب قد ولجا

وما أحسن قول الحكيم أبى بكر الخسروىّ السرخسى ، وهو كالرد على قول ابن الراوندى [من السريع] :

عجبت من ربّى وربّى حكيم أن يَحرِم العاقل فضل النعيمْ
ما ظلمَ البارى ولكنه أراد أن يُظهِرَ عجز الحكيمْ

وقول أبى الطيب غاية فى هذا الباب ، وهو [من الطويل] :

وما الجمع بين الماء والنار فى يدٍ بأصْعَبَ من أن أجمع الجدّ والفَهْمَا

وهو ينظر إلى قول أبى تمام [من الطويل] :

ولم يجتمع شرق وغرب لقاصدٍ ولا المجد فى كف امرئٍ والدراهمُ

وما أحسن قول أبى تمام أيضا [من الطويل] :

ينال الفتى من دهره وَهْوَ جاهلٌ ويُكْدِى الفتى من دهره وهو عالم

ولو كانت الأرزاق تأتى على الحجا إذنْ هلكتْ من جهلهن البهائم

ومثله قول أبى الخير المروزى الضرير [من الهزج] :

تنافى العقلُ والمالُ فما بينهما شكلُ
هما كالورد والنرجس لا يحويهما فصل
فعقلٌ حيث لا مالٌ ومالٌ حيث لا عقل

ومثله قول أبى إسحاق الصابى [من الطويل] :

إذا جَمعتْ بين امرأيْنِ صِناعَةٌ فأحببتَ أن تدرى الذى هو أحْذَقُ
فلا تَتَفقَّدْ منهما غيرَ ما جرَتْ به لهُما الأرزاق حين تُفرَّقُ
فحيثُ يكون الجهلُ فالرزق واسعٌ وحيثُ يكونُ العلم فالرزق ضيِّقُ

ومثله قول عبد الجليل بن وَهْبون المرسى [من الطويل] :

يَعِزُّ على العَلياءِ أنىَ خاملٌ وأن أبصرَت منى خُمُودَ شِهابى
وَحيثُ ترى زَندَ النجابةِ وارِياً فَثَمَّ ترى زند السعادة كابى

ولطيف قول بعضهم أيضاً [من المجتث] :

كم من غَبِىٍّ غَنِىٌّ ومن فَقِيهٍ فَقيرٌ

وبديع قول أبى بكر بن محمد المازنى [من الكامل] :

ثنتَانِ من سِيَرِ الزمان تحيرتْ لهُما عُقول ذوى التَّفلُسفِ والنهى
مُثْرٍ من الأموال مَبخوس الحِجا ومُوفَّر الآدابِ منقُوص الغنى

وما أحسن قول ابن لنكك [من المنسرح] :

فعاقلٌ ما تُبَلُّ أنمُلُهُ وجاهلٌ باليدين يَغترِفُ

وقول الآخر [من المتقارب] :

زمانٌ تَحيرتُ في أمره كثيرُ التعدي على حُرهِ
فللوَغْدِ ماشئتَ من نَفعهِ وللحرِّ ما شئت من ضُرهِ
وأعجبُ ما في تصاريفه صيالُ البعوضِ على صَقْرهِ

وقول الآخر [من المنسرح] :

وَغْدٌ له نِعمةٌ مُؤثَّلة وَسَيدٌ لا يزالُ يقترِضُ

ومدار ذلك جميعه على الحظّ وعدمهِ ، وما أحسَنَ قولَ ابن الخياط الدمشقي فيه أيضاً [من الطويل] :

وَمازَالَ شُؤمُ الحظِّ مِنْ كلِّ طَالبٍ كَفيلاً ببعدِ المَطلبِ المتدانى
وَقد يُحرَمُ الجلْدُ الحريصُ مَرامهُ وَيُعطَى مُناهُ العاجِزُ المتَواني

وقول الآخر [من البسيط] :

قَد يُرزقُ المرءُ لا مِنْ حُسنِ حيلتهِ وَيُصرَفُ المالُ عَنْ ذِي الحيلةِ الدَّاهِي

وقول الآخر أيضاً [من السريع] :

إنَّ المقاديرَ إذَا ساعَدَتْ أَلحَقتِ العاجِزَ بالقادِرِ

وما أحسن قولَ عبيد الله بن عبد الله بن طاهر [من المجتث] :

يا مِحْنَةَ الدَّهْرِ كُفِّي إنْ لَمْ تكُفِّي فخِفِّي
ما آنَ أنْ ترحَمِينَا مِنْ طول هٰذا التشَفِّي ؟
فلا عُلومِيَ تُجْدِي وَلاَ صِناعة كَفِّي
ثَورٌ ينال الثريَّا وعَالِمٌ متخفِّي
ذَهَبْتُ أطْلبُ بختِي فقيل لي قد توفِّي

ومن الغايات في هذا الباب قول الإمام الشافعي رحمه الله تعالى [من الكامل] :

لو أنَّ بالحيَلِ الغنى لوجدتني بنجومِ أفلاكِ السماء تعلُّقي
لكنَّ من رُزِق الحجا حُرِمَ الغنى ضدَّان مفترقان أيُّ تفرُّقِ

فاذا سمعتَ بأنّ محروماً أتى ماءً ليشربه فغاضَ فصدِّق
أو أنّ محظوظاً غدا فى كفه عُودٌ فأورقَ فى يديه فحقِّقِ
ومنَ الدليل على القضاء وكونه بؤسُ اللبيب وطيبُ عيش الأحمق

ولبعضهم فى معناه [من الخفيف] :

لو وردتُ البحارَ أطلبُ ماء جفَّ عند الورود ماء البحارِ
أو رُمى باسمىَ النجومُ الدرارى لانزوى ضوؤها عن الأبصار
أو لمستُ العودَ النضيرَ بكفى لذَوى بعدَ نعمةٍ واخضرارِ
ولو أنى بعتُ القناديلَ يوماً أدْغمَ الليلُ فى بياضِ النهارِ

ومثله قولُ بعضهم [من الطويل] :

ولما لمستُ الرزق فانجذ حبلهُ ولم يصفُ لى من بحره العذبِ مشربُ
خطبت إلى الاعدام إحدى بناته فزّجنيها الفقرُ إذ جئتُ أخطبُ
فأولدتها الحزنَ الشقىّ فماله على الأرض غيرى والدٌ حين ينسبُ
فلو تهتُ فى البيداء والليلُ مسبلٌ علىّ جناحيه لما لاح كوكبُ
وَلو خفتُ شراً فاستترتُ بظلمةٍ لأقبلَ ضوءُ الشمس من حيث تغربُ
وَلو جادَ إنسانٌ علىّ بدرهمٍ لرُحْتُ إلى رحلى وَفى الكف عقربُ
ولو يُمْطَرِ الناسُ الدنانير لم يكنْ بشيءٍ سوى الحصباء رأسىَ يُحْصَبُ
وإن يَقْترف ذنباً ببرقةَ مذنبٌ فانَّ برأسى ذلك الذنبَ يُعْصَبُ
وإن أرَ خيراً فى المنام فنازحٌ وإن أرَ شراً فَهْوَ منِّى مقرَّبُ
أمامى من الحرمان جيشٌ عرمرَمٌ ومنه ورائى جحفل حينَ أركبُ

وقول الآخر [من الخفيف] :

لوركبتُ البحارَ صارت فجاجاً لا ترَى فى متونها أمواجَا
ولو أنى وضعتُ ياقوتةً حمــــراءَ فى راحتى لصارت زجاجَا

ولو أنى وردْتُ عذباً فراتاً عاد لا شكَّ فيه ملحاً أجاجَا

وما أحسن قول أبى الأسود الدؤلى [من الكامل] :

المرء يحمد سعيه من جده حتى يُزَيَّن بالذى لم يَعملِ

وترى الشقى اذا تكامل جده يرمى ويقذفُ بالذى لم يفعَلِ

وبديعٌ قولُ أبى العلاء المعرّى [من الطويل] :

سيطلبنى رزقى الذى لو طلبتهُ لمَا زادَ والدنيا حظوظ و إقبالُ

إذا صدقَ الجدُّ افترى العمُّ للفتى مكارم لا تكرى و إن كذب الخالُ

الجدُّ هنا : الحظ ، والعمُّ : الجماعة ، وتكرى : من كرى الزاد إذا نقص ، افترى : كذب ، والخال : المخيلة .

وظريف هنا قولُ ابن شرف القيروانى [من الوافر] :

إذا صحبَ الفتى سعدٌ وجَدٌّ تحامتـه المكاره والخطوبُ

ووافاه الحبيبُ بغيرِ وعدٍ طُفَيْلياً وقادَ له الرقيبُ

وعدّ الناس ضرطته غناء وقالوا إن فسا قد فاح طيب

وقد أخذه ابن النقيب فقال [من السريع] :

لو لَحَنَ الموسر فى مجلس لقيل عنـه إنه يُعْرِب

ولو فَسَا يوماً لقالوا له من أينَ هذا النَّفَسُ الطيبُ

وقول أبى العلاء المعرى غاية هنا ، وهو [من الكامل] :

لا تطلبنّ بآلةٍ لك رتبةً قلم البليغ بغيرِ حظٍّ مغزَل

سكن السِّماكانِ السماء كلاهما هذا له رمحٌ وهذا أعزلُ

وقد أخذ أبو إسحاق الغزى هذا المعنى ، فقال [من البسيط] :

الحسن والقبح . قد تحويهما صفةٌ شان البياض وزان الشيب والشنبا

ظُبَا ٱلمُحَارَفِ أقلامٌ مكسرةٌ   رؤوسهنّ وأقلام السعيد ظبا (١)

وله أيضاً [من المنسرح] :

لا تعتبنّ الزمان إن ذهبت   نيوب ليث ٱلعَرِين مِنْ نُوَبه

فالحول لولا الجدود ماقصرت   أيْدِى جُمَاداه عن علا رَجبه

وقد أخذ هذا المعنى الصلاح الصفدى ، فقال [من الطويل] :

لئن رُحْتُ مَعْ فضلى منَ الحظ خالياً   وغيرِى على نقص به قد غدا حالى

فإنى كشهر الصوم أصبح عاطلا   وطَوْقُ هلال العيد فى جيد شوال

بل ربما أخذه من قول ابن قلاقس فانه أصرح منه حيث قال [من الخفيف] :

إن تأخَّرْتُ فالمحرم عـطل   من حُلى العيدِ وهى فى شوّالِ

وقال ابن قلاقس أيضا [من الكامل] :

لولا الجُدودُ لما نمت لمسافر   كفُّ الغنَى وتعلقت بمُقيم

والحظُّ حتى فى الحرُوف مؤثر   يُختصُّ بالترقيق والتفخيم

وقال مهيار الديلمى [من البسيط] :

لا تحسَبِ الهمَّةَ العَليـاءَ موجبةً   رزقاً على قِسمةِ الأرزاق لم يجب

لو كانَ أفضَلُ ما فى الناس أسْعَدَهم   ما انحطّتِ الشمس عن عالٍ من الشهب

أو كان أيسرُ ما فى الأفق أسلَمَه   دامَ الهلالُ فلم يُمحق ولم يَغب

وقال الطغرائى [من الطويل] :

وأعْظَم ما بى أنَّنى بفضائلى   حُرمتُ ومالى غَيرهنَّ ذَرَائع

إذا لم يزدنى مَوردِى غيْرَ علّةٍ   فَلا صَدَرتْ بالواردين مَشارِعُ

---

(١) الظبا : جمع ظبة ــ بضم الظاء وتخفيف الباء ــ وهى حد السيف . والمحارف ــ بفتح الراء المهملة ــ الذى انحرف الحظ والرزق عنه

وقال القاضي الفاضل [من مجزوء الكامل] :

ما ضَرَّ جَهلُ الجاهليـــنَ ولا انتفعتُ أنا بحِذقي

وزيادتي في الحذقِ فهْـــيَ زيادةٌ في نقصِ رزقي

وقال ابن دانيال [من الخفيف] :

قد عقلنا والعقلُ أيُّ وثاقِ | وصبرنا والصبرُ مرُّ المذاقِ
كلُّ من كانَ فاضلاً كان مثلي | فاضلاً عندَ قسمةِ الأرزاقِ

وقال ابن عنين [من الوافر] :

كأنّي في الزمانِ اسمٌ صحيحٌ | جرى فتحكّمتْ فيهِ العواملْ
مَزيدٌ في بَنيهِ كواو عمرو | ومُلْغَى اللفظِ فيه كراءِ واصلْ[1]

وقال السراج الوراق [من مخلع البسيط] :

يمنعُني باخلٌ وسمحٌ | وليسَ لي منهما نَصيرُ
وغايتي أن ألومَ حظي | وحظِّيَ الحائطُ القصيرُ

وقال ابن سناء الملك [من الطويل] :

وربَّ مليحٍ لا يُحَبُّ وضدُّهُ | تُقَبَّلُ منه العَينُ والخدُّ والفمُ
هوَ الجَدُّ خذهُ إن أردتَ مسلَّماً | ولا تَطلبِ التعليلَ فالأمرُ مبهمُ

وما أرشق قول ابن رشيق [من الكامل] :

أشقى لِعقلكَ أن تكونَ أديباً | أو أن يرى فيكَ الوَرى تهذيبا
ما دمتَ مُستوياً ففعلُكَ كلُّه | عِوَجٌ وإن أخطأتَ كنتَ مُصيبا

---

(١) يريد واصل بن عطاء ، أحد الألسن المقاويل ، وكان ألثغ بالراء فكان يتجنبها في كلامه

كالنقش ليسَ يصحُّ معنى ختمه حتى يكونَ بناؤهُ مقلوبا[1]

وما ألطف قول السراج الوراق [من البسيط] :

الباء والخاء من بخلٍ قد اقترَنا بالباء والحاء من بحلٍ لانسانِ

واللامُ والتاء من هٰذا وَذاكَ هما لتّ المسائلِ عن أسبابِ حِرمانِ

وهذا الباب واسع جدا ، والاختصار فيه أولى .

ترجمة ابن الراوندى الزنديق

وابن الراوندى[2] : هو أحمد بن يحيى بن إسحاق أبو الحسين من أهل مرو الروذ ، وراوند بفتح الراء والواو بينهما ألف وسكون النون و بعدها دال مهملة ، قرية من قرى قاسان — بالسين المهملة — بنواحي أصبهان ، وهي غير قاشان التي بالمعجمة المجاورة لقُمّ . سَكن المذكور بغداد ، وكان من متكلمي المعتزلة ثم فارقهم وصار ملحداً زنديقاً ، وقال القاضي أبو علي التنوخي : كان أبو الحسين ابن الراوندى يلازم أهل الالحاد ، فاذا عوتب في ذلك قال : إنما أريد أن أعرف مذاهبهم ، ثم إنه كاشف وناظر ، و يقال : إن أباه كان يهودياً فأسلم ، وكان بعض اليهود يقول لبعض المسلمين : ليفسدن عليكم هذا كتابكم كما أفسد أبوه التوراة علينا ، ويقال : إن أبا الحسين قال لليهود : قولوا إن موسى قال لا نبي بعدي .

وذكر أبو العباس الطبرى أن ابن الراوندى كان لا يستقر على مذهب ، ولا يثبت على حال ، حتى إنه صنف لليهود كتاب البصيرة ردا على الاسلام لأربعمائة درهم أخذها فيما بلغني من يهود سامرّا ، فلما قبض المال رام نقضها حتى أعطوه مائة درهم أخرى ، فأمسك عن النقض .

---

(١) في الأصل «معنا» وهو خطأ كتابي ، يريد أن من أراد أن ينقش كلاما على ختم كتبه مقلوبا ليكون عند الختم به صحيحا مستقيما

(٢) تجد لابن الراوندى ترجمة في ابن خلكان

وحكى البلخى فى كتاب محاسن خراسان أن ابن الراوندى هذا كان من المتكلمين، ولم يكن فى زمانه أحذق منه بالكلام، ولا أعرف بدقيقه وجليله، وكان فى أول أمره حسن السيرة، حميد المذهب، كثير الحياء، ثم انسلخ من ذلك كله لأسباب عرضت له، وكان علمه أكثر من عقله، فكان مثله كما قال الشاعر [من البسيط] :

ومن يُطيقُ مُزكى عند صَبوته   ومن يَقومُ لمستورٍ إذا خَلَعا

قال : وقد حكى جماعة أنه تاب عند موته مما كان منه، وأظهر الندم، واعترف بأنه إنما صار إليه حميةً وأنفةً من جفاء أصحابه له وتنحيتهم إياه من مجالسهم

وأكثر كتبه الكفريات ألفها لأبى عيسى اليهودى الأهوازى، وفى منزله هلك، ومما ألفه من كتبه الملعونة كتاب «التاج» يحتج فيه لقدم العالم، وكتاب «الزمردة» [1] يحتج فيه على الرسل ويبرهن على إبطال الرسالة، وكتاب «الفريد» فى الطعن على النبى صلى الله عليه وسلم، وكتاب اللؤلؤة فى تناهى الحركات، وقد نقض هو أكثرها وغيره. ولأبى على الجبائى وغيره ردود عليه كثيرة : فمما قاله فى كتاب الزمردة أنه إنما سماه بالزمردة لأن من خاصية الزمرد أن الحيات إذا نظرت إليه ذابت وسالت أعينها، فكذلك هذا الكتاب إذا طالعه الخصم ذاب، وهذا الكتاب يشتمل على إبطال الشريعة الشريفة، والازدراء على النبوات المنيفة، فمما قاله فيه لعنه الله وأبعده «إنا نجد فى كلام أكثم بن صيفى شيئا أحسن من إنا أعطيناك الكوثر، وإن الأنبياء كانوا يستعبدون الناس بالطلاسم» وقال «قوله — يعنى نبينا عليه الصلاة والسلام — لعمار رضى الله عنه تقتلك الفئة الباغية، كل المنجمين يقولون مثل هذا» ولقد كذب لعنه الله وأخزاه!

(١) سماه ابن خلكان «كتاب الزمرد» بغير تاء الوحدة

وجعل النار مستقره ومثواه ، فان المنجم إن لم يسأل الانسان عن اسمه واسم أمه ، ويعرف طالعه ،لا يقدر أن يتكلم على أحواله،ولا يخبره بشيء من متجدداته ، وخطاه أكثر من صوابه ، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يخبر بالمغيبات من غير أن يعرف طالعاً أو يسأل عن اسم أو نسب،ولم يعهد عنه غير ماذكر، صلى الله عليه وسلم فبان الفرق . وقال فى كتاب الدامغ « إن الخالق سبحانه وتعالى ليس عنده من الدواء إلا القتل ، فعل العدو الحنقِ الغضوب ، فما حاجته إلى كتاب ورسول » قال « و يزعم أنه يعلم الغيب فيقول : وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ، ثم يقول : وما جعلنا القبلة التى كنت عليها إلا لنعلم . وقال فى وصف الجنة : فيها أنهار من لبن لم يتغير طعمه ، وهو الحليب ، ولا يكاد يشتهيه إلا الجائع ، وذكر العسل ، ولا يُطلب صِرْفا ، والزنجبيل وليس من لذيذ الأشربة ، والسندس يفترش ولا يلبس ، وكذلك الاستبرق وهو الغليظ من الديباج ، ومَن تخايل أنه فى الجنة يلبس هذا الغليظ و يشرب الحليب والزنجبيل صار كعروس الأكراد والنبط » ولعمرى لقد أعمى الله بصره و بصيرته عن قوله تعالى (وفيها ما تشتهى الأنفس وتلذ الأعين) وعن قوله عز وجلّ (ولحم طير مما يشتهون) ومع ذلك ففيها اللبن والعسل ، وليس هو كلبن الدنيا ولا عسلها ، وغليظ الحرير يريد به الصفيق الملتحم النسج ، وهو أفخر ما يلبس ، ولو ذهَبْتُ أورد ما ذكره هذا الملعون وتفوه به من الكفر والزندقة والإلحاد لطال الأمر ، والاشتغال بغيره أولى ، والله تعالى منزه سبحانه عما يقول الكافرون والملحدون علوّا كبيرا ، وكذلك كتابه ورسوله صلى الله عليه وسلم . ولقد سرد ابن الجوزىّ من زندقته أكثر من ثلاث ورقات ، وأنا أعوذ بالله من هذا القول ، وأستغفره مما جرى به قلمى مما لا يرضاه ولا يليق بجنابه وجناب رسوله عليه الصلاة والسلام وكتابه الحكيم

واجتمع ابن الراوندىّ هو وأبو علىّ الجبائى يوما على جسر بغداد فقال له :

يا أبا علي ، لا تسمع شيئاً من معارضتي للقرآن ونقضي له ، فقال له : أنا أعلم بمخازي مذهبك ، وعوار أهل دهرك ، ولكن أحاكمك إلى نفسك ، فهل تجد في معارضتك له عذوبة وهشاشة وتشاكلاً وتلازماً ، ونظماً كنظمه ، وحلاوة كحلاوته ؟ قال لا : والله ، قال : قد كفيتني ، فانصرف حيث شئت .

ومن شعره [من الكامل] :

محن الزمان كثيرة لا تنقضي   وسروره يأتيك كالأعياد
ملك الأكارم فاسترق رقابهم   وتراه رقاً في يد الأوغاد

ومنه ، وقيل : أنشده لغيره [من المتقارب] :

أليس عجيباً بأن امرءاً   لطيف الخصام دقيق الكلم
يموت وما حصلت نفسه   سوى علمه أنه ما علم

وذكر أبو علي الجبائي أن السلطان طلب ابن الراوندي ، وأبا عيسى الوراق ؟ فأما أبو عيسى فحبس حتى مات ، وأما ابن الراوندي فهرب إلى ابن لاوي اليهودي ، ووضع له كتاب « الدامغ » في الطعن على النبي صلى الله عليه وسلم ، وعلى القرآن الكريم ، ثم لم يلبث إلا أياماً يسيرة ، حتى مرض ومات .

وذكر أبو الوفاء بن عقيل : أن بعض السلاطين طلبه ، وأنه هلك وله ست وثلاثون سنة مع ما انتهى إليه من المخازي .

وذكر ابن خلكان أنه هلك في سنة خمس وأربعين ومائتين برحبة مالك ابن طوق ، وقيل : ببغداد ، وتقدير عمره : أربعون سنة ، ويقال : إنه عاش أكثر من ثمانين سنة ، وقيل : إنه هلك سنة خمسين ومائتين ، وقال ابن النجار : بلغني أنه هلك سنة ثمان وتسعين ومائتين ، لعنه الله وأخزاه إن كان مات على اعتقاده هذا ! .

* * *

٢٧ – تعاللتِ كي أشجى وما بكِ علةٌ ... تريدين قتلي قد ظفرتِ بذلكِ

من وضع اسم الاشارة موضع المضمر

البيت لابن الدُّمَيْنة ، من قصيدة من الطويل ، أولها :

قفي يا أميمَ القلبِ نقضِ لبانةً ... ونشكو الهوى ثم افعلي ما بدا لكِ

سقى البانةَ الغنَّاء بالأجرع الذي ... به البانُ هل حيَّيتُ أطلالَ دارِكِ

وهل قمتُ في أطلالهنَّ عشيَّةً ... مقامَ أخي البأساء واخترتُ ذلكِ

وهل كفكفت عيناي بالدار عبرةً ... فرادى كنظم اللؤلؤ المتهالكِ

ويروى أن أولها :

قفي قبل وشكِ البين يا ابنةَ مالكِ ... ولا تحرمينا نظرةً من جمالكِ

وبعده البيت ، وبعده :

وقولكِ للعوَّاد كيف ترونه ... فقالوا قتيلاً قلتِ أيسرُ هالكِ

لئن ساءني أن نلتني بمساءةٍ ... لقد سرَّني أني خطرتُ ببالكِ

ليهنكِ إمساكي بكفيَّ على الحشا ... ورقراقُ دمعي رهبةً من مطالكِ

فلو قلتِ طأ في النار أعلمُ أنه ... رضًا لكِ أو مدنٍ لنا من وصالكِ

لقدَّمتُ رجلي نحوها فوطئتُها ... هدًى منكِ لي أو ضلَّةً من ضلالكِ

أرى الناس يرجون الربيعَ وإنما ... رجائي الذي أرجوه خيرُ نوالكِ

أبيني أفي يُمنى يديكِ جعلتِني ... فأفرحَ أم صيَّرتني في شمالكِ

ومعنى أشجى : أحزن ، من شَجِيَ يَشْجَى ، وأما شجا يشجو فهو متعدٍّ ، وإنما قال : قد ظفرت بذلك ، ولم يقل بهذا ، لادعائه أن قتله ظهرَ ظهورَ المحسوس بالبصر المشار إليه باسم الإشارة .

والشاهد فيه : وضعُ اسم الإشارة موضع المضمر ، لادعاء كمال ظهوره ، وإن كان من غير باب المسند إليه .

ترجمة ابن الدمينة

وابن الدمينة[1] : اسمه عبد الله بن عبيد الله ، أحد بنى عامر بن تيم الله ، والدمينة : أمه ، وهى[2] سلولية ، ويكنى ابن الدمينة أبا السرى ، وهو شاعر مشهور ، له غزل رقيق الألفاظ ، دقيق المعانى . وكان الناس فى الصدر الأول يستحلون شعره ويتغنون به . حدث إسحاق بن إبراهيم الموصلى ؛ قال : كان العباس بن الأحنف إذا سمع شيئاً يستحسنه أطرفنى به ، وأنا أفعل مثل ذلك ، فجاءنى يوماً فوقف بين الناس ، وأنشد لابن الدمينة[3] [من الطويل] :

ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد … لقد زادنى مسراك وجداً على وجد

أإن هتفت ورقاء فى رونق الضحى … على فنن غض النبات من الرند[4]

بكيت كما يبكى الوليد ولم تكن … جزوعاً وأبديت الذى لم تكن تبدى[5]

وقد زعموا أن المحب إذا دنا … يمل وأن النأى يشفى من الوجد

بكل تداوينا فلم يشف ما بنا … على أن قرب الدار خير من البعد[6]

على أن قرب الدار ليس بنافع … إذا كان من تهواه ليس بذى ود

ثم ترنح ساعة ترنح النشوان ودبح أخرى[7] ، ثم قال : أنطح العمود برأسى من

---

(١) تجد لابن الدمينة ترجمة فى الأغانى (١٥-١٥١) وقد اختار له أبو تمام فى باب الغزل من الحماسة ست قطع فانظرها فى الجزء الثالث من شرح التبريزى بتحقيقنا (٢٠٢ و ٢٣١ و ٢٥٦ و ٣٠٥ و ٣١٧ و ٣٢٠)

(٢) هى الدمينة بنت حنيفة السلولية

(٣) هى من مختار أبى تمام فى الحماسة (٣-٢٥٦ من شرح التبريزى) وفى الأغانى (١٥-١٥٦) بزيادة بيت

(٤) فى المطبوعتين «لئن هتفت» محرفا وما أثبتناه عن الحماسة والأغانى

(٥) فى المطبوعتين «ولم أكن جزوعا» وأثبتناما يلتئم مع سابقه ولاحقه عن الحماسة والأغانى

(٦) فى الحماسة وحده «على ذاك قرب الدار خير من البعد»

(٧) دبح تدبيحا . طأطأ رأسه وذل

حسن هذا ، فقلت : لا ، ارفق بنفسك .

وحدث ابن زبيح[1] راوية ابن هَرْمَة قال : لقى ابن هَرْمَة بعض أصحابه بالبلاط ، فقال له : من أين أقبلت ؟ قال : من المسجد ، قال : فأى شىء صنعت هناك ؟ قال : كنت جالساً مع إبراهيم بن الوليد المخزومى ، قال : فأى شىء قال ؟ قال : أمرنى أن أطلق امرأتى ، قال : فأى شىء قلت له ؟ قال : ما قلتُ شيئاً ، قال : فوالله ما قال لك هذا إلا لأمر أظهرته عليه وكتمتنيه ، أفرأيتَ لو أمرته بطلاق امرأته أكان يطلقها ؟ قال : لا والله ، قال : فابنُ المعينة كان أنصفَ منك ، كان يَهوى امرأة من قومه ، فأرسلت إليه إن أهلى قد نهونى عن لقائك ومراسلتك ، فأرسل إليها يقول [من الوافر] :

أرَيْتِ الآمِرِيكِ بقطع حبلى مُريهم فى أحِبَّتِهم بذاكِ[2]

فإن هم طاوعوكِ فطاوعيهم وإنْ عاصَوْكِ فاعصِى من عصاكِ

أما وَالرّاقصاتِ بكل فجٍّ وَمَنْ صلى بنَعْمانِ الأراكِ

لقد أضمرتُ حبَّكِ فى فؤادى وَما أضمرتُ حبّاً من سواكِ

ومثل هذا الخبر ما حكاه الأصمعى قال : مررت بالكوفة وإذا أنا بجارية تطلع من جدار إلى الطريق وفتى واقف وظهره إلى ، وهو يقول : أسهر فيك وتنامين عنى ، وتضحكين منى وأبكى ، وتستريحين وأتعب ، وأمحضك المحبة وتمذقينها[3] وأصدقك وتناقضينى[4] ، ويأمرك عدوى بهجرى فتطيعينه ويأمرنى

---

(١) فى الأغانى « ابن زبنج » محرفا

(٢) فى الأغانى « قطعت الآمريك »

(٣) أمحضك المحبة : يريد أحبك حبا لا أخلطه بشىء من الصدود والهجران والتدلل وغير ذلك من عوارض الحب

(٤) كذا بحذف نون الرفع ، وهو أحد ثلاث لغات فى كل فعل مضارع مرفوع بثبوت النون وقد اتصلت به نون الوقاية ، وثانيها إثبات النون من غير إدغام ، وثالثها إثباتها مع إدغام إحداها فى الأخرى ، ووردت اللغات الثلاث فى التنزيل الكريم

فصيحو بذلك فأعصيه ، ثم تنفس وأجهش باكياً ، فقالت له : إن أهلي يمنعوني منك[1] وينهوني عنك ، فكيف أصنع ؟ فقال لها [من الوافر] :

أريتِ الآمريكِ بقطعِ حبْلي ... مُرِيهِمْ في أحِبَّتِهِمْ بذاكِ
فإنْ هُمْ طاوعوكِ فطاوِعيهِمْ ... وإنْ عاصَوْكِ فاعصي مَنْ عصاكِ

ثم التفت فرآني ، فقال : يافتى ماتقول أنت فيما قلت ؟ فقلت له : والله لو عاش ابن أبي ليلى[2] ماحكم إلا بمثل حكمك

وحدث ابن أبي السرى عن هشام قال : هَوِيَ ابن الدمينة امرأة من قومه يقال لها أميمة فهاج بها مدة ، فلما وصلته تجنى عليها ، وجعل ينقطع عنها ، ثم زارها ذات يوم فتعاتبا طويلا ، ثم أقبلت عليه فقالت والشعر لها[3] [من الطويل] :

وأنتَ الذى أخلفتني ماوعدتَني ... وأشمتَّ بي من كان فيكَ يلومُ
وأبرزتني للناس ثم تركتَني ... لهم غرضاً أُرْمَى وأنتَ سليمُ
فلو أنّ قولاً يَكْلِمُ الجسمَ قد بَدَا ... بجسمِيَ من قولِ الوُشاةِ كُلومُ

قال : فأجابها ابن الدمينة فقال [من الطويل] :[4]

وأنتِ التي كلَّفْتِني دَلَجَ السُّرى ... وَجُونُ القَطا بالجَلْهَتَيْنِ جُثُومُ

---

(١) في المطبوعتين «يمنعوني» بحذف نون الرفع كما ذكرناه في الكلمة السابقة ، وأثبتنا هنا ماجاء في الأغاني، إذ كانت القصة بطولها منقولة عنه

(٢) ابن أبي ليلى : فقيه عالم قاض ورع في العصر العباسي الأول

(٣) ثلاثة الأبيات في الحماسة (٣-١٨٣من شرح التبريزي) وفي الأغاني (١٥-١٥٤) منسوبة إلى أمامة في الحماسة وإلى أميمة في الأغاني

(٤) الأبيات في الحماسة على ترتيبها هنا ، وهي في الأغاني بتقديم الثاني على الأول

وأنتِ التى قَطّعتِ قلبى حَزَازةً ومزّقت جُرْحَ القلب فهوَ كليمُ (١)
وأنت التى أحْنَقْت قومى فَكلّهم بعيد الرضا دانى الصُّدودِ كظيمُ

قال: ثم تزوجها بعد ذلك، وقتل وهى عنده كما سيأتى.

وحدث أبو الحسن الينبعى قال: بينا أنا وصديق لى من قريش نمشى بالبلاط ليلا فاذا بظل نسوة فى القمر، فالتقينا فاذا بجماعة نسوة، فسمعت واحدة منهن تقول: أهو هو؟ (٢)، فقالت الأخرى: نعم والله إنه لهو هو، فدنت منى ثم قالت: يا كهل، قل لهذا الذى معك [من البسيط]:

ليستْ لياليكَ فى خاخ بِعَائدةٍ كما عَهِدتَ ولا أيامُ ذى سَلَمِ

فقلتُ له: أجب فقد سمعت، فقال: قد والله قطع بى وأرتِجَ على فأجب عنى، فالتفت إليها ثم قلت [من الطويل]:

فقلتُ لها ياعزَّ كلُّ مُصيبةٍ إذا وُطِّنت يوماً لها النفسُ ذلتِ

فقالت المرأة: أواه، ثم مضت ومضينا، حتى إذا كنا بمفرق طريقين مضى الفتى إلى منزله ومضيت إلى منزلى، فاذا بجارية تجذب طرف ردائى، فالتفت إليها فقالت: المرأة التى كلمتك تدعوك، فمضيت معها حتى دخلت داراً ثم صرت إلى بيت فيه حصير، وثنيت لى وسادة فجلست، ثم جاءت جارية بوسادة مثنية فطرحتها، ثم جاءت المرأة فجلست عليها وقالت لى: أأنت المجيب؟ قلت: نعم، قالت: ما كان أفظَّ جوابَكَ وأغلظه! قلت: والله ما حضرنى غيره، فبكت ثم قالت لى: والله ما خلق الله خلقاً أحب إلى من إنسان كان معك، قلت: وأنا الضامن عنه،

---

(١) فى الحماسة «قطعت قلبى حزازة» وفى الأغانى «ومزقت قرح القلب» وفى الحماسة «وقرفت قرح القلب» وقرفت: قشرت ولم يكن قد برأ

(٢) فى المطبوعتين «أهو أهو» وأثبتنا ما فى الأغانى.

لك ماتحبين، قالت : أوتفعل ؟ قلت : نعم ، فوعدتها أن آتيها به فى الليلة القابلة ، وانصرفت فاذا الفتى ببابى ، فقلت: ماجاء بك ؟ قال : علمت أنها سترسل إليك وسألت عنك فلم أجدك ، فعلمت أنك عندها ، فجلست أنتظرك ، فقلت له : قد كان كل ماظننت ، ووعدتها أن آتيها بك فى الليلة القابلة ،فمضى ، ثم أصبحنا فتهيأنا ورحنا، فاذا الجارية تنتظرنا ، فمضت أمامنا حتى دخلنا الدار ، فاذا برائحة الطيب ، وجاءت فجلست مَلياً ، ثم أقبلت عليه فعاتبته طويلا ثم ذكرت الأبيات التى أنشدتها امرأة ابن الدمينة ، ثم سكتت، فسكت الفتى هنيهة ثم قال [من الطويل] :

غَدَرتِ ولم أغدر وخُنْتِ ولم أخُنْ   وفى دون هٰذا للمُحِبِّ عزاءُ
جَزَيتُكِ ضِعفَ الوُد ثم صَرَمتِنى   فحبك فى قلبي إليك أداءُ[1]

فالتفتت إلى وقالت : ألا تسمع ما يقول ، قد أخبرتك ، قال : فغمزته ، فكفَّ ، ثم قالت [من الطويل] :

تجاهَلْتَ وَصلى حين لجَّتْ عَمايتى   فهلا صَرَمْتَ الحبْلَ إذ أنا مُبصرُ
ولى من قُوَى الحبْلِ الذى قد قطعتَهُ   نَصيبٌ وإذ رأيى جَميع مُوَفَّرُ
وَلكنَّما آذنْتُ بالصبر بَغتــةً   ولسْتُ على مثل الذى جئْتَ أقدرُ

فقال الفتى مجيباً لها [من الطويل] :

لقد جعلَتْ نفسى وأنت اجترَمتِه   وكنْتِ أحَبَّ الناس عنك تَطيبُ

فبكت ثم قالت : أو قد طابت نفسك ؟ لا والله ما فيك خير بعدها ، فعليك السلام ، ثم التفتت إلى وقالت : قد علمتُ أنك لا تفى بضمانك عنه ، وانصرفنا

مقتل ابن الدمينه

وكان السبب فى قتل ابن الدمينة أن رجلا من سلول يقال له مزاحم بن عمرو كان يرمى بامرأة ابن الدمينة ، وكان اسمها حماء — وقيل حمادة — فكان

---

(١) في المطبوعتين «أذاء» محرفا ، وما أثبتناه عن الأغاني

يأتيها و يتحدث إليها ، حتى اشتهر ذلك ، فمنعه ابن الدمينة من إتيانها ، واشتد عليها ، فقال مزاحم يذكر ذلك [من البسيط] :

يا ابن الدُّمَيْنَةِ والأخبارُ يرفعها ... وَخْدُ النَّجائبِ والمحقورُ يخفيها

يا ابن الدمينة إن تغضب لما فعلت ... فطالَ خزيُكَ أوتغضبْ مَواليها

أو تُبغضونى فكم من طعنةٍ نَفَذَتْ ... يَغذوخِلالَ اختلاجِ الجوفِ غاذيها[(١)]

جاهدْتُ فيها لكم إنى لكم أبداً ... أبغى معايبَكم عَمْداً فآتيها

فذاك عندى لكم حتى تُغَيِّبَنى ... غبراءُ مظلمةٌ هارٍ نواحيها

أغشى نِساءَ بنى تَيْمٍ إذا هَجَعَتْ ... عنى العيونُ ولا أبغى مقاريها

كم كاعبٍ من بنى تيم قعدْتُ لها ... وعانسٍ حين ذاق النومَ حاميها

كقعدةِ الأعسر العُلفوف منتحياً ... مَتينةً مِنْ مَتين النبل يَرميها[(٢)]

علامةٌ كيَّةٌ مابينَ عانتِها ... وبينَ سُبّتها لاشلَّ كاويها[(٣)]

وَشهقةٌ عندَ حِسّ الماءِ تَشهقُها ... وَقولُ رُكبتها قِضْ حين تثنيها[(٤)]

---

(١) في المطبوعتين «يغدو . . . غاديها» بإهمال الدال ، وهو تحريف . وتقول : غذا الماء ، أى سال ، وغذا العرق يغذو غذوا ، أى سال منه الدم .

(٢) فى المطبوعتين « الحلصوق » وكتب مصحح الأميرية يقول «هكذا فى بعض النسخ ، وفى بعضها الأعسر العلصوف ، وفى بعضها الأعسر القلصوف ، ولم يظهر لى معناه بعد المراجعة ، وليحرر اهـ» وما أثبتناه عن الأغانى ، والعلفوف : الضخم الكثير اللحم والشعر ، وشيخ علفوف : أى كبير السن ، ومنه قول الشاعر

مأوى اليتيم ومأوى كل نهبلة ... تأوى إلى نهبل كالنسر علفوف

(٣) السبة – بضم السين وتشديد الباء – الدبر

(٤) قض – بكسر القاف وسكون الضاد – اسم صوت يحكى به صوت الركبة

وَتعدلُ الأيرَ إنْ زاغَتْ فتبعثه حتىَّ يقيمَ برفقٍ صدْرَهُ فيها
بين الصفوقين فى مُستهدفٍ وَمِدٍ ذى حرَّة ذاق طعمَ الموتِ صاليها(١)
ماذا ترى ياعُبيدَ الله فى امرأةٍ ليستْ بمُحصنةٍ عذراء حاويها
أيامَ أنتَ طريدٌ لا تُقاربُها وَصادفَ القوسَ فى الغرَّاتِ باريها
ترَى عجوزَ بنى تيمٍ مُلفعةً شُمطاً عوارضُها رُبْداً دَواهيها
إذ تجعل الدفنس الورهاء عذرتها قشارة من أديم الأرضِ تفريها
حتىَّ يظلَّ هدانُ القوم يحسبها بكراً وقبل هوى فى الدَّار هاويها

ولما بلغ ابن الدمينة شعر مزاحم أتى امرأته فقال لها: قد قال فيك هذا الرجل ماقال، وقد بلغك، قالت: والله مارأى منى ذلك قط، قال: فمن أين له العلامات؟ قالت: وصفتهن له النساء، قال: هيهات والله أن يكون ذلك كذلك، ثم أمسك مدة وصبر حتى ظن أن مزاحما قد نسى القصة، ثم أعاد عليها القول، وأعادت الحلف أن ذلك مما وصفه له النساء، فقال لها: والله لئن لم تمكنينى منه لأقتلنك فعلمت أنه سيفعل ذلك، فبعثت إليه وواعدته ليلا، وقعد له ابن الدمينة وصاحب له، فجاءها للموعد، فجعل يكلمها وهى مكانها فلم تكلمه، فقال لها: ياحماء، ماهذا الجفاء الليلة؟ قال: فتقول له هى بصوت ضعيف: ادخل، فدخل، فأهوى بيده ليضعها عليها، فوضعها على ابن الدمينة، فوثب عليه هو وصاحبه وقد جعل له حصا فى ثوب، فضرب به كبده حتى قتله، وأخرجه فطرحه ميتاً، فجاء أهله فاحتملوه، ولم يجدوا به أثر السلاح، فعلموا أن ابن الدمينة قتله، وقد قال ابن الدمينة فى تحقيق ذلك [من البسيط]:

---

(١) « الصفوقين » كذا فى الأصول جميعا، وفى الأغانى « الصفوفين » والمستهدف: المرتفع، والومد – بفتح فكسر – الشديد الحر

قالوا هَجتك سَلولُ اليومَ مُخفيةً فاليوم أهجو سَلولاً لا أخافيها(١)

قالوا هَجالكَ سَلوليٌّ فقلتُ لهمْ قد أنصفَ الصخرةَ الصماءَ راميها

رجالهم شرُّ مَنْ يمشي ونسوتُهم شرُّ البريَّةِ استَاذلَ حاميها(٢)

يَحككنَ بالصخر أستاهاً لها نَقَبٌ كما يَحك نقابَ الجرْبِ طاليها(٣)

وقال أيضا يذكر دخول مزاحم ووضع يده عليه [من الطويل] :

لكَ الخيرُ إن وَاعدتَ حماء فالقها نهاراً ولا تُدْلج إذا الليلُ أظلما

فانَّكَ لا تَدري أبَيْضاءَ طَفْلَةً تُمانقُ أمْ ليثاً مِنَ القوم قَشْعَمَا

فلما سرى عن ساعِدِيَّ ولحيتي وَأيقنَ أنِّى لستُ حماء جَمْجَمَا

ثم أتى ابن الدمينة امرأته فطرح على وجهها قطيفة ثم جلس عليها حتى قتلها ، فلما ماتت قال [من البسيط]:

إذا قَعدْتُ على عِرْنينِ جاريةٍ فوقَ القطيفةِ فادعوا لىَ بحفارِ

فبكت بنتٌ له منها ، فضرب بها الأرض فقتلها أيضاً ، وقال متمثلا :

* لا تَغذوا مِنْ كلْبِ سَوْءٍ جَرْوَا *(٤)

فخرج جناح أخو المقتول إلى أحمد بن إسماعيل ، فاستعداه على ابن الدمينة فبعث إليـه فحبسه ، وقالت أم أبان والدة مزاحم المقتول ، وهي من بنى خثعم ترثى ابنها وتحرض(٥) مصعبا وجناحا أخويه [من الطويل] :

---

(١) فى الأغانى « هجتك سلول اللؤم » وهى خير مما هنا

(٢) فى الأغانى «شر البرية واستذل حاميها»

(٣) فى الأغانى «بها نقب»

(٤) فى الأغانى «لا تتخذن من كلب سوء جروا»

(٥) فى الأغانى «وتحضض» وهما بمعنى

بأهلى ومالى بل بجلّ عشيرتى قتيلُ بنى تيم بغير سلاحِ(١)
فهلاَّ قتلتم بالسلاح ابنَ أختكم فتظهرَ فيه للشهود جراحُ
فلاتطمعوا فى الصلح مادُمت حيةً وما دام حياً مُصعبٌ وجناحُ
ألمْ تعلموا أنَّ الدوائر بيننا تدور ، وأن الطالبينَ شحاحُ

ولما طال حبس ابن الدمينة ولم يجد عليه أحمد بن إسماعيل سبيلا ولا حجة خلّاه ، وقتلت بنو سلول من خثعم (٢) رجلا مكان المقتول ، وقتلت خثعم بعد ذلك نفرا من سلول ، ولهم قصص وأخبار كثيرة ، ثم إن ابن الدمينة أقبل حاجا بعد مدة فنزل بتَبَالَةَ فعدا عليه مصعب أخو المقتول لما رآه ، وكانت أمه حرضته وقالت له : اقتل ابن الدمينة فانه قتل أخاك وهجا قومك وذم أختك ، وقد كنت أعذرك قبل هذا لأنك كنت صغيرا ، والآن قد كبرت ، فلما أكثرت عليه خرج من عندها و بصر بابن الدمينة واقفا يُنشد الناسَ ، فغدا إلى جزار فأخذ شفرته وعدا على ابن الدمينة فجرحه بها جراحتين ، فقيل : إنه مات لوقته ، وقيل: بل سلم من تلك الدفعة ومر به مصعب بعد ذلك وهو فى سوق العبلاء ينشد أيضا فعلاه بسيفه حتى قتله ، وعدا ، وتبعه الناس حتى اقتحم داراً وأغلقها عليه ، فجاءه رجل من قومه فصاح به : يامصعب ، إن لم تضع يدك فى يد السلطان قتلتك العامة ، فاخرج ، فلما عرفه قال له : أنا فى ذمتك حتى تسلمنى إلى السلطان ، فقذفه السلطان فى سجن تَبَالَةَ ، قال : ومكث ابن الدمينة جريحا ليلة ثم مات فى غد ، وقال فى تلك الليلة يحرض قومه و يوبخهم [من الوافر] :

---

(١) هكذا فى جميع أصول الكتاب وفى نسخ الأغانى بكسر روى هذا البيت ورفع مابعده ، وهو عيب من عيوب القافية

(٢) هكذا فى الأصول والأغانى ، ولعله محرف عن تيم ، وكذلك قوله وقتلت خثعم لعل صوابه تيم كما يؤخذ من سياق القصة

هنئتَ بأكلبٍ ودعوتَ قيساً فلا خذُلاً دَعوتَ ولا قليلاً (١)
ثأرتَ مُزاحِما وَسررت قيساً وَكنتَ لِما هممْتَ به فعولاً
فلا تَشْلَلْ يداكَ وَلا تَزالا تُفيدانِ الغنائِمَ وَالجزيلا
فلوْ كان ابن عبدِ اللهِ حياً لَصبَّحَ فى منازِلِها سَلولاَ

و بلغ مصعباً أخا المقتول أن قوم ابن الدمينة يريدون أن يقتحموا عليه سجن تبالة فيقتلوه ، فقال يحرض قومه [من الوافر] :

لقيتُ أبا السَّرىّ وَقد تكالا لهُ حقُّ العداوةِ فى فؤادى
فكادَ الغيظُ يفرِطُنى إليهِ بطعنٍ دُونهُ طعنُ الشدادِ (٢)
إذا نبحَتْ كِلابُ السجنِ حولى طمعت هَشاشةً وَهفا فؤادى
طِماعا أنْ يدُقَّ السجنَ قومى وَخوفاً أنْ تُبَيِّتنى الأعادى (٣)
فما ظنى بقومى شرّ ظنّ وَلا أن يُسلمونى فى البلادِ
وَقدْ جدَّلتُ قاتلَهمْ فأمسى يَمجُّ دَمَ الوتين على الوساد

فجاءت بنو عقيل إليه ليلا فكسروا السجن وأخرجوه منه، فهرب إلى صنعاء
ومن شعر ابن الدمينة الأبيات المشهورة (٤) [من الطويل] :

(١) في المطبوعتين «ولا قتيلا» محرفا ، وما أثبتناه موافق لما فى الأغانى ، وأكلب : جد من جدود ابن الدمينة

(٢) يفرطنى : يتقدمنى ويسبقنى ، وبابه ضرب ، وفى الأغاني «دونه طعن السداد» بالسين المهملة

(٣) فى الأغانى «طماعة أن يدق»

(٤) نسب أبو الفرج هذه الأبيات الثلاثة إلى ابن الدمينة ، وعنه نقل المؤلف كل ماهنا فى ترجمة ابن الدمينة، وقد روى ثلاثتها أبو على القالى فى الأمالى (٢-٣١٤ دار الكتب) ضمن قصيدة طويلة نسبها لقيس بن ذريح ؟ وروى هذه القصيدة وفيها أول هذه الأبيات وثانيها في تزيين الأسواق (١-٦٠) منسوبة إلى قيس أيضاً

أقضى نهارى بالحديث وبالمنى ويجمعنى والهمّ بالليل جامعُ
نهارى نهارُ الناس حتى إذا بدا لىَ الليلُ شاقتنى إليكِ المضاجعُ(١)
لقدْ ثبتتْ فى القلبِ منكِ محبة كما ثبتت فى الراحتين الأصابعُ(٢)

وهى من قصيدة طويلة يخلطها النـاس كثيراً بقصيدة لمجنون ليلى ، لأنها توافقها فى الوزن والقافية .

* * *

٢٨ — * إلهى عبدُكَ العاصى أتاكَ *

من وضع الظاهر موضع المضمر

هو من الوافر ، ولا أعلم قائله ، وتمـامهُ :

* مقرًّا بالذنوبِ وقدْ دعاكَ *

فإنْ تغفرْ فأنتَ لذاكَ أهلٌ وإنْ تطرُدْ فمنْ يرْحَمْ سواكَ

والطرد : الابعاد .

والشاهد فيه : وضع المظهر ـ وهو « عبدك » ـ موضع المضمر ، وهو أنا للاستعطاف ، وهو : طلب العطف والرحمة ، إذ ليس فيـه ما فى المظهر من استحقاق الرحمة وترقب الرأفة ، وإن كان من غير باب المسند إليه أيضاً .

* * *

٢٩ — * تطاوَلَ ليلُكَ بالأثمدِ *

شاهد الالتفات

قائله امرؤ القيس الـكندى(٣) الصحابىّ رضى الله تعالى عنهُ ، وهو أولُ

(١) حفظى * هزتنى إليك المضاجع * وهو كذلك فى رواية الأمالى
(٢) يروى * لقد نبتت . . . كما نبتت * بالنون فى الموضعين مكان الثاء
(٣) يختلف الرواة فى نسبة هذا الشعر ، فالأصمعى وأبو عمرو وأبو عبيدة وابن الأعـرابى ينسبونه إلى امرىء القيس بن حجر الـكندى ، وابن دريد ينسبه إلى امرىء القيس بن عابس ، وهو كندى أيضا ، يمت بالنسب إلى امرىء القيس الأول ، وقد استشهد صاحب الـكشاف بثلاثة الأبيات الأولى

قصيدة من المتقارب ، وتمامه :

* ونامَ الخليُّ ولمْ تَرْقُدِ *

وبعده :

وباتَ وَباتَتْ لهُ لَيلةٌ   كلَيْلَةِ ذِى العَائِرِ الأرْمَدِ
وذلكَ مِنْ نبأٍ جاءنى   وأُنبئتُهُ عن أبى الأسوَدِ
ولوْ عنْ نَثَا غيرِهِ جاءنى   وَجُرْحُ اللسانِ كَجُرْحِ اليد
لَتَلْتُ مِنَ القولِ مَالاَ يَزَا   لُ يُؤْثَرُ عنى يَدَ المسنَدِ[1]
بأى عَلاقتنَا ترْغبونَ   أعَنْ دَمِ عَمْرٍو على مَرْثَدِ
فانْ تَدْفنوا الداء لا نُخفهِ   وإنْ تَبْعثوا الداء لا نَقْعُدِ
وإن تقتُلونَا نُقاتِلكُمُو   وإنْ تقصدوا لدمٍ نَقْصدِ
مَتى عَهِدْتُنَا بِطعَانِ الكُمَا   ةِ والمجدِ والحمدِ والسودَدِ
وَبَنْى القِبَابِ ومَلْءِ الجِفَا   نِ والنَّارِ وَالْحَطَبِ الْمُوقَدِ[2]

والأثمُد ــ بفتح الهمزة وضم الميم ، وروى بكسرهما ــ اسم موضع . والعائر ــ بالمهملة ــ هو القذى يقع فى العين ، وقيل : هو نفس الرمد .

والشاهد فيــه : الالتفات ، وهو فى قوله « ليلك » لأنه خطاب لنفســه ، ومقتضى الظاهر « ليلى » بالتــكلم .

---

(١) فى الأصول « لقلبت فى القول » محرفا ، ولا يستقيم معه الوزن ، وما أثبتناه عن شرح ديوان امرىء القيس للسندوبي ، وبــد المسند : يد الدهر يريد طول الدهر

(٢) فى الديوان (٩٢) « والحطب المفأد »

ترجمة امرىء القيس بن عانس

وامرُؤ القيس هو ابن عانس ـ بنون[١] وسين مهملة — ابن المنذر، ابن امرىء القيس بن السمط بن عمرو بن معاوية بن الحرث، ينتهى نسبه لكندةَ، الكندى الشاعر، له صحبة، وشهد رضى الله عنه فتح النجير باليمن؛ وهو حصن قرب حضرموت، ثم حضر الكنديين حين ارتدوا، فثبت على إسلامه، ولم يكن فيمن ارتد، ثم نزل الكوفة، ولما خرجوا ليقتتلوا وثَبَ على عمه فقال له: ويحك يا امرأ القيس! أتقتل عمك؟ فقال له: أنت عمى، واللهُ عز وجل ربى، وهو الذى خاصم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ربيعة بن عِيدان ـ بكسر العين والياء التحتية، ويقال فيه: عبدان، بالباء الموحدة مكسورة مع تشديد الدال، ويقال: بفتح العين وسكون الباء ـ وكانت المخاصمة فى أرض، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم «بَيِّنَتَكَ» قال: ليس لى بينة، فقال صلى الله عليه وسلم «يمينه» وهو القائل رضى الله عنه [من مجزوء الكامل]:

قِفْ بِالدِّيَارِ وُقُوفَ حَابِسْ ... وَتَأَنَّ إِنَّكَ غيرُ آيِسْ[٢]

لَعِبَتْ بِهِنَّ العَاصِفَا ... تُ الرَّائحَاتُ إلى الروامِسْ[٣]

ما ذَا عليكَ مِنَ الوقو ... فِ بِهَامِدِ الطَّلَلَيْنِ دَارِسْ

يا رُبَّ باكيةٍ عَلَىَّ ... وَمُنْشِدٍ لِى فى المجالِسْ

أَوْ قَائِلٍ يا فارساً ... ماذا رُزِئْتَ مِنَ الفوارِسْ

لاَ تَعجبوا أَنْ تسمعُوا ... هَلَكَ امرؤُ القيسِ بنُ عانِسْ[٤]

---

(١) ويقال «عابس» بالباء فى مكان النون

(٢) فى الأصول «غير آنس» بالنون، وما أثبتناه موافق لما فى الديوان

(٣) فى الديوان «الغاديات الرائحات من الروامس»

(٤) فى الديوان «بن عابس»

وفى الصحابة أيضاً امرؤ القيس بن أبى الأصبع الكلابى ، وامرؤ القيس ابن الفاخر بن الطماح الخولانى .

* * *

من شواهد الالتفات

٣٠ – طَحَا بِكَ قَلْبٌ فى الحِسَانِ طَرُوبُ
بُعَيْدَ الشَّبَابِ عَصْرَحَانَ مَشِيبُ

يُكَلِّفُنِى لَيْلَى وقدْ شطَّ وَلْيُهَا وعَادَتْ عَوَادٍ بيننَا وخُطُوبُ

البيتان لعلقمة بن عَبَدَة الفحل ، من قصيدة(١) من الطويل ، يمدح بها الحارث بن جبلة بن أبى شمر ، الغسانى ، وكان أسر أخاه شاساً ، فرحل إليه يطلب فكه ، وبعد البيتين :

منعَّمةٌ لا يستطَاعُ كلامهَا على بابهَا من أن تزارَ رَقيبُ
إذاغابَ عنهَا البعْلُ لم تفشِ سره وتُرضى إيابَ البعل حين يؤبُ
فلا تَعْدِلِى بينى و بين مُغَمَّرٍ سقتك روايا المزن حين تصوبُ(٢)
سقاك يمانٍ ذو حنينٍ وعارضٍ تروحُ به جنْحَ العشى جَنوبُ(٣)
وما أنتَ أمْ ماذ كرُها رَبَعيةَ يخط لها من ثَرمدَاء قليبُ(٤)
فانْ تسألونى بالنساءِ فاننى خبيرٌ بأدواء النساءِ طبيبُ

---

(١) عدتها فى الديوان تسعة وعشرون بيتا ، فانظرها ثمة (ص١٧ –٣٩ طبع باريس) وانظرها فى المفضليات

(٢) فى الديوان «حيث تصوب»

(٣) فى الديوان «ذوحبى» وقال الأعلم فى شرحه «والحبى : سحاب اتصل بعضه ببعض»

(٤) القليب : البئر ، وخطه : حفره ، وكنى بذلك عن إقامتها فى ثرمداء ، ويروى صدر هذا البيت * أبى القلب إلا ذكرها ربعية *

إذا شابَ رأسُ المرء أوقلّ مالُهُ ... فليسَ له منْ وُدِهنّ نصيبُ

يُرِدْنَ ثراء المـال حيثُ علمنهُ ... وشَرْخُ شبابٍ عندهن عجيبُ

وهى طويلة ، يقول فى غرضه منها :

وفى كل حى قد خبَطْتَ بنعمة ... فحق لشَأسٍ من نداكَ ذَنوبُ

فلما سمع الحارث هذا البيت ، قال « نعم وأذْنِبَه » ، ولما سمع قوله فى وصف النساء ، قال: صدق فوك ، للهِ أبوكَ ، أنتَ طبيبهن، والخبير بأدوائهن .وقد أخذه من قول امرىء القيس [من الطويل] :

أراهن لا يحببن من قل مالهُ ... ولا من رأين الشيب فيه وقوَّسَا

ومن لطيف ما يذكر من كراهة النساء للشيب قول محمد بن عيسى المخزومى [من الكامل] :

قالتْ أحبك قلتُ كاذبة ... غُرِى بذا مَنْ ليس ينتقدُ

لو قلتِ لى أشناكَ قلتُ نعمْ ... الشيب ليس يحبُّـهُ أحدُ

ومعنى « طحابك » أى اتسع وذهب بك كل مذهب ، و « طروب » : مأخوذ من الطرب ، وهو استخفاف القلب فى الفرح ، أى له طرب فى طلب الحسان ونشاط فى مراودتهن ، ومعنى « بعيد الشباب » حين ولى وكاد ينصرم، ومعنى « عصرحان مشيب » أى زمان قرب المشيب و إقباله على الهجوم ، ومعنى « شط » بعد ، والوَلْىُ : القرب ، والعـوادى : الصوارف ، وعوادى الدهر : عوائقه ، والخطوب : جمع خطب ، وهو الأمر العظيم .

والشاهد فيه : الالتفات من الخطاب فى « طحابك » إلى التكلم فى « يكلفنى » وفاعله ضمير القلب ، و « ليلى » مفعوله الثانى ، وروى بالتاء الفوقانية على أنه مسند إلى ليلى ، والمفعول محذوف ، أى تكلفنى شدائدفراقها ، أوعلى أنه خطاب للقلب ففيه التفات آخر من الغيبة إلى الخطاب ، وفى « طحابك » التفات آخر عند السكاكى ، لا عند الجمهور .

وأشار علقمة بصدر البيت الذى قبل الأخير هنا إلى أن المال يستر شَيْنَ الشيب ويحسن قبيحه كما قال بعضهم [من المتقارب] :

وخودٌ دعَتنى إلى وصْلها وعصرُ الشَّبيبةِ منى ذَهَبْ

فقلتُ مَشيبِيَ ما يَنطلى فقالت بلَى يَنْطلى بالذَّهبْ

وذكرت بهذين البيتين واقعة ظريفة ، وهى أنهما أنشدا فى مجلس كان فيه بعض ظرفاء الأدباء فقال : ما أعرف القافية فى هذين البيتين إلا بحرف الراء ، فقال له المنشد : كيف ؟ فقال « وعصر الشبيبة منى سَرَى » فقال : وكيف تصنع فى البيت الثانى ؟ فقال « فقالت بلى ينطلى بالخرا » فاستحى المنشد وانصرف من المجلس خجلا

ترجمة علقمة الفحل

وعلقمة بن عَبَدَةَ [1] بن عبد المنعم النعمانى [2] ينتهى نسبه إلى نزار ، وكان يقال له الفحل ، لأنه خلف على امرأة امرئ القيس لما حكمت له عليه بأنه أشعر منه ، وكان من خبر ذلك ما حكاه أبو عبيدة قال : كان تحت امرئ القيس امرأة من طيئ تزوجها حين جاور فيهم ، فنزل بهم علقمة الفحل التميمى ، فقال كل واحد منهما لصاحبه : أنا أشعر منك ، فتحاكما إليها ، فأنشدها امرؤ القيس قوله [من الطويل] :

---

(١) تجد ترجمة علقمة فى خزانة الأدب (١-٥٦٥) وفى الأغانى (٢١-١٧٢ الساسي) وفى الاشتقاق لابن دريد (١٣٣) وفى الاصابة لابن حجر (٣-١١١) وفى الشعر والشعراء لابن قتيبة (١٠٧)

(٢) فى الخزانة نقلا عن الجمهرة لابن الكلبي والمؤتلف والمختلف للآمدي: علقمة بن عبدة بن ناشرة بن قيس بن عُبيد بن ربيعة بن مالك بن زيد مناة ابن تميم . وفى الأغانى : علقمة بن عبدة بن النعمان بن قيس أحد بنى عبيد ابن ربيعة بن مالك بن زيد مناة بن تميم »

خَلِيلى مُرَّا بى على أم جُنْدَبِ   لنَقضى لُبانات الفؤاد المعَذَّبِ(١)

حتى مر بقوله منها :

فللسوطِ أُلهُوبٌ وللساقِ درَّةٌ   وَللزَّجْرِ مِنهُ وَقْعُ أهوجَ مِنْعَبِ(٢)

وأنشدها علقمة قوله [من الطويل] :

* ذَهبتَ مِنَ الهجرانِ فى غير مَذْهَبِ *

حتى انتهى إلى قوله :

فأدركهنَّ ثانياً مِن عِنــانهِ   يَمُرُّ كغيثٍ رائحٍ مُتَحَلِّبِ

فقالت له: علقمة أشعر منك ، قال : وكيف ؟ قالت : لأنك زجرت فرسك وحركته بساقك وضربته بسوطك ، وإنه جاء هذا للصيد ثانياً من عنانه ، فغضب امرؤ القيس وقال: ليس كما قلت ، ولـكنك هَوِيتِهِ ، فطلقها ، فتزوجها علقمة بعد ذلك ، فسمى علقمة الفحل ، ومازالت العرب تسميه بذلك ، قال الفرزدق [من الـكامل] :

والفحلُ علقمةُ الذى كانتْ لهُ   حُلَلُ الملوكِ كلامَهُ نتنحَّلُ(٣)

وعن حماد الراوية قال : كانت العرب تعرض أشعارها على قريش ، فما قبلوا

---

(١) يروى «لنقضى حاجات الفـؤاد» ويروى « نقض لبانات الفؤاد » وكلتاهما خير مما هنا ، والظاهر أن ما هنا تلفيق من الروايتين ويروى «لتقضى لبانات » ببناء تقضى للمجهول

(٢) فى الأصول « أهوج متعب » بالتاء ، وهو تحريف ، وما أثبتناه عن اللسان (ن ع ب) وعن ديوان امرىء القيس ، وعن الخزانة ، والمنعب ـ بزنة المنبر ـ الأحمق المصوت . وفى الشعراء « وقع أخرج مهذب » والأخرج : ذكر النعام ، والمهذب كالمسرع وزنا ومعنى

(٣) يروى « كلامه يتنحل» برفع كلامه وبناء يتنحل للمجهول

منه كان مقبولا وما ردوا منه كان مردوداً ، فقدم عليهم علقمة بن عبدة ، فأنشدهم قصيدته التى أولها [من البسيط] :

هلْ ماعَلمتَ وما استُودعْتَ مكتوم أمْ حَبلها إذ نأتْكَ اليومَ مصرومُ

فقالوا : هذا سِمْطُ الدهر . ثم عاد إليهم فى العام القابل فأنشدهم قوله [من الطويل] :

طَحا بكَ قلبٌ فى الحسان طروبُ بُعيدَ الشبابِ عصرَ حانَ مشيبُ

فقالوا : هذان سمطا الدهر

وعن حماد بن إسحاق قال : سمعت أبى يقول : سرق ذوالرمة قوله [من البسيط]:

* يَطفو إذَا مَاتلقتْهُ الجرَاثيمُ[1] *

من قول العجاج [من الرجز] :

* إذا تلقتهُ العقاقيلُ طفَا *

وسرقه العجاج أيضا من علقمة بن عبدة حيث يقول [من البسيط] :

* يَطفو إذا ما تَلَقتهُ العَرانينُ *[2]

وحدث العمرى عن لقيط قال : تحاكم علقمة بن عبدة التميمى والزبرقان ابن بدر السعدى والمخبَّل وعمرو بن الأهتم إلى ربيعة بن جدّان الأسدى فقال : أما أنت يازبرقان فشعرك كلحم لا أنضج فيؤكل ولا ترك فينتفع به ، وأما أنت ياعمرو فشعرك كبرد حبرة يتلألأ فيه البصر فكلما أعدته نقص ، وأما أنت

---

(١) يطفو : يعدو ويسرع ، وأراد بالجراثيم أصول الرمل والتراب المجتمعة ، يصف ثوراً وحشيا ، وصدر البيت قوله :

ذو سفعة كشهاب القذف منصلت

(٢) الذى فى ديوان علقمة وفى عدة مصادر رواية هذا العجز هكذا : * يطفو إذا ما تلقته العقاقيل * والعقاقيل : جمع عقنقل ، وهو ما عظم واتسع من الأودية

يلخبل فانك قصرت عن الجاهلية ولم تدرك الاسلام ، وأما أنت يا علقمة فان شعوك كمزادة أحكم خرزها فليس يقطر منها شىء .

* * *

شاهد القلب

٣١ — ومَهْمَهٍ مُغْبرة أرْجاؤهُ كأنَّ لونَ أرْضه سَماؤهُ

البيت لرؤبة بن العجاج ، من الرجز .

والمهمه: المفازة البعيدة والبلد المقفر ، والجمع مهامه . والمغبرة : المتلونة بالغبرة . والأرجاء : الأطراف والنواحى ، جمع رَجًا مقصوراً .

والشاهد فيه : القلب ، وهو أن يجعل أحد أجزاء الكلام مكان الآخر والآخر مكانه ، وهو هنا فى المصراع الثانى ، ومعناه كأن لون سمائه لغبرتها لون أرضه ، وفيه من الاستعارة ما ليس فى تركه ، لاشعاره بأن لون السماء قد بلغ من الغُبرة إلى حيث يشبه به لون الأرض فيها .

ومن القلب قول الشاعر [من الكامل] : (١)

كانت فَرِيضَةَ ما تقُولُ كما كانَ الزِّناء فريضةَ الرجم

ومنه قول أبى تمام يصف قلم الممدوح [من الطويل] :

لُعابُ الأفاعى القاتِلاتِ لُعابُهُ وأرْىُ الجَنى اشْتارتْهُ أيْدٍ عواسِلُ

وقول الآخر [من الوافر] :

* فَدَيت بنفسه نفسى ومالى *

وقول الآخر [من الكامل] :

* يمشى فَيَقْعِسُ أو يُكِبُّ فَيعثرُ *

ورؤبة بن العجاج تقدم ذكره فى شواهد المقدمة .

---

(١) نسبه فى اللسان (زن ا) للجعدى

٣٢ — * كما طَيَّنْتَ بالفَدَنِ السِّياعا *

قائله القطامى من قصيدة(١)، من الوافر، يمدح بها زُفر بن الحارث الكلابى حين أحاطت به قيس بنواحى الجزيرة وأرادوا قتله فحال زفر بينه و بينهم وحماه ومنعه، وكساه وأعطاه مائة ناقة وخلّى سبيله، فقال يمدحه، وأول القصيدة:

قفى قَبلَ التفرق يا ضُباعا ولا يَكُ موقفٌ منك الوَداعا

قفى فافدى أسيرَكِ إن قومى وقومَكِ لا أرَى لهُم اجتماعا(٢)

إلى أن قال يمدح زفر بن الحارث:

ومن يَكُنِ استلَامَ إلى ثَوِيٍّ فقَدْ أحسنْتَ يا زُفَرُ المتاعا(٣)

أكُفراً بعد ردِّ الموتِ عنى وبعْدَ عَطائك المائةَ الرِّتاعا(٤)

فلما أن جرَى سِمَنٌ عليها كما طينت بالفدن السياعا(٥)

أمَرْتُ بها الرجال ليأخُذُوها ونحنُ نظُن أن لن تُستَطاعا

فلأياً بعد لأيٍ أدرَكوها على ما كان إذ طرَحُوا الرِّقاعا

فلو بِيدَىْ سِواكَ غَدَاةَ زلَّتْ بىَ القدمانِ لم أرجُ اطِّلاعا(٦)

---

(١) انظرها فى الديوان (٣٧ ليدن)

(٢) فى الديوان « قفى فادى »

(٣) استلام: فعل ما يوجب اللوم، والثوى: الضعيف، والمتاع: الزاد

(٤) الرتاع: التى ترتع وترعى، ويروى «الرباعا» وهي التى تنتج فى زمن الربيع. وبين هذا البيت وما ذكره المؤلف بعده ثمانية عشر بيتا

(٥) فى الديوان « كما بطنت »

(٦) فى الديوان «فلو بيدى سواك وجهوها» وهذا البيت والثلاثة بعده تقع فى الديوان تالية لقوله «أكفرا»

إذن لهَلَكتُ لو كانت صغاراً من الأخلاق تُبْتَدعُ ابتداعا[١]
فلم أرَ مُنْعِمِينَ أقلَّ منا وأكرَمَ عندمااصطنعوااصطناعا
مِنَ البيضِ الوجوهِ بنى نُفَيْلٍ أبَتْ أخلاقُهُمْ إلا اتساعَا

وهى طويلة .

والفدن محركة : القصْر المشيد ، والسياع بفتح السين المهملة : الطين بالتبن ، يُطينُ بهِ .

والشاهد فيه : القلب أيضاً ، ومعناه كما طينت الفدنَ بالسياع ، وهذا من قبيل القلب المردود ، لأن العدول عن مقتضى الظاهر من غير نكتة تقتضيه خروجٌ عن تطبيق الكلام لمقتضى الحال .

ترجمة القطامي

والقطامى[٢] بفتح القاف وضمها — اسمه عُمَير بن شُيَيْم ، والقطامى : لقب غلب عليه ، وكان نصرانياً وأسلم ، قاله ابن عساكر فى تاريخ دمشق ، وهو شاعر إسلامى مقل فحل مُجيد .

وعن الشعبى رحمه الله قال : قال عبد الملك وأنا حاضر للأخطل : يا أبا مالك ، أتحب أن لك بشعرك شعر شاعر من العرب ؟ قال : اللهم لا إلا شاعراً منَّا ، مغدف القناع ، خامل الذكر ، حديث السن ، إن يكن فى أحد خير فسيكون فيه ، ولَوَدِدْتُ أنى سبقته إلى قوله[٣] [من البسيط] :

---

(١) فى الأصول «من الأخلاف» مكان «من الأخلاق» وما أثبتناه عن الديوان والأغانى ، وفى الأغانى « تنتزع انتزاعا » وأحسبه محرفا عما هنا ، مماثلا لما فى الديوان

(٢) تجد ترجمة القطامى فى الأغانى (٢٠ — ١١٨) وفى خزانة الأدب (١ — ٣٩٢)

(٣) انظرهما فى الديوان (٨)

يقتلننى بحديثٍ ليسَ يعلمهُ مَنْ يتقين ولا مكنونهُ بادى[١]

فهنّ ينبذنَ من قول يُصبنَ بهِ مواقعَ الماء من ذى الغُلّةِ الصادى

وحدّث محمد بن صالح بن النطاح قال : القطامى أولُ من لقبَ صريعَ الغوانى بقوله [من الطويل] :

صريعُ غوَانٍ راقهنّ ورُقنهُ لَدُنْ شبّ حتى شابَ سُودُ الذوائبِ

ونزل القطامىّ فى بعض أسفاره بامرأة من محارب قيس فنسبها ، فقالت : أنا من قوم يشتوون القدّ من الجوع ، قال : ومَن هؤلاء ويحك ؟ قالت : محارب ولم تَقْره ، فبات عندها بأسوإ ليلة ، فقال فيها قصيدة ، أولها[٢] [من الطويل]:

تَأَتْكَ بليلى نيـةٌ لم تقاربِ وماحُبُّ ليلى من فؤادى بذاهبِ

إلى أن قال فيها :

ولا بدّ أن الضيفَ يُخبرُ ماراى مُخَبِّرُ أهلٍ أو مخبرُ صاحبِ[٣]

سأخبرُكَ الأنباء عن أمّ منزلٍ تَضيفتُها بين العُذَيْبِ فراسبِ[٤]

تَلفَفْتُ فى طلّ وريح تلفنى وفى طِرْمِساءَ غيرِ ذاتِ كواكبِ[٥]

إلى حَيْزَبونٍ تُوقدُ النارَ بعدَما تلفّعَتِ الظلماء من كل جانبِ

تصلى بهَا بردَ العشاءِ ولم تكن تخالُ وميض النار يبدو لراكبِ[٦]

---

(١) فى الديوان «يقتلننا»
(٢) انظرها فى الديوان (٤٩)
(٣) فى الديوان «مخبر رأى»
(٤) فى الديوان « سأخبر بالأنباء »
(٥) فى الديوان « تلفعت فى طل » والطرمساء : الليلة المظلمة
(٦) فى الديوان «وبيص النار» ووبيص النار :ضوؤها

فما راعها إلا بغام مطية تريح بمحسور من الصوت لاغب
تقول وقد قربت كورى وناقتى إليك فلا تذعر على ركائبى
فلما تنازعنا الحديث سألتها من الحى قالت معشر من محارب
من المشتوين القد مما تراهم جياعاً وريف الناس ليس بعازب (١)
فلما بدا حرمانها الضيف لم يكن على مناخ السوء ضربة لازب
ألا إنما نيران قيس إذا اشتووا لطارق ليل مثل نار الحباحب (٢)

وإلى هذه العجوز ، أشار عبد الصمد بن المعذل فى هجاء أخيه أحمد ، إذ يقول [من مجزوء الخفيف] :

ليت لى منك يا أخى جارة من محارب
نارها كل شتوة مثل نار الحباحب

وسيأتى ذكر عبد الصمد بن المعذل وأخيه عند ترجمة أبيهما المعذل فى شواهد الاطناب إن شاء الله تعالى .

قال أبو عمرو رحمه الله : أول ما حرك من القطامى فرفع ذكره ، أنه قدم فى خلافة الوليد بن عبد الملك دمشق ليمدحه ، فقيل له : إنه بخيل لا يعطى الشعراء ، وقيل : بل قدمها فى خلافة عمر بن عبد العزيز ؛ فقيل له : إن الشعر لا ينفق عند هذا ولا يعطى عليه شيئاً ، وهذا عبد الواحد بن سليمان فامدحه ،

---

(١) عازب : بعيد ، يعنى أنهم معدمون ليس عندهم خير ، وإن يكن الريف قريبا منهم . وفى الديوان « وريف الناس ليس بناضب »

(٢) فى الديوان « إذا شتوا » اى صاروا فى الشتاء ، وهو أوفق بما قاله ابن المعذل

فمدحه بقصيدته التي أولها[1] [من البسيط] :

إنا محيّوك فاسلم أيها الطلل وإن بليت وإن طالت بك الطيل

فقال له : كم أملت من أمير المؤمنين ؟ قال : أملت أن يعطيني ثلاثين ناقة ، قال : قد أمرت لك بثلاثين ناقة موقورة براً وتمراً وثياباً ، ثم أمر بدفع ذلك إليه .

وقال أبو عمرو الشيباني : لو قال القطامي بيته [من البسيط] :

يمشين رهواً فلا الأعجاز خاذلة ولا الصدور على الأعجاز تتكل[2]

في صفة النساء[3] لكان أشعر الناس ، ولو قال كثير عزة [من الطويل] :

فقلت لها يا عز كل مصيبة إذا وطنت يوماً لها النفس ذلت

في مرثية أو صفة حزن لكان أشعر الناس .

وقال رجل كان يديم الأسفار : سافرت مرة إلى الشام على طريق البر ، فجعلت أتمثل بقول القطامي [من البسيط] :

قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل

ومعي أعرابي قد استأجرت منه مركبي ، فقال : ما زاد قائل هذا الشعر على أن ثبط الناس عن الحزم ، فهلا قال بعد قوله هذا :

وربما ضر بعض الناس حزمهم وكان خيراً لهم لو أنهم عجلوا

---

(١) انظرها في مطلع ديوانه ، وفي جمهرة أشعار العرب (١٥١)

(٢) في الديوان والجمهرة « يمشين رهوا » بالراء المهملة ، ومعناه أنهن يمشين في سكون يتبع بعضهن بعضا . ويروى « يمشين هونا » وهو بمعناه ، ولما هنا وجه صحيح

(٣) البيت في وصف النوق

والقطامى أخذ معنى بيته هـذا من قول عدى بن زيد العبادى [من السريع] :

قد يدركُ المبطىء من حظِّهِ والخير قد يسبق جهد الحريص(١)

وعدىّ نظر إلى قول جمانة الجعفىّ [من الطويل] :

ومستعجل والمكثُ أدنى لرشدهِ ولم يدرِ فى استعجاله ما يبادرُ

وما أحسن قولَ ابن هند [و] رحمه الله [من مخلع البسيط] :

تأنَّ فالمرء إنْ تأنّى أدْركَ لاشكَّ ماتمنى

وما لمستوفِزٍ عَجُولٍ حظّ سوى أنه تعَنَّى

ومن أحسن ماقيل فى عيب الأناة قولُ ابن الرومى [من البسيط] :

عيبُ الأناة وإن سرَّت عواقبُها أن لا خلودَ وأن ليس الفتى حجرَا

وللقطامى عدة قصائد فى مدح زفر بن الحرث الـكلابى ، سيأتى منها شىء فى أثناء الـكتاب إن شاء الله تعالى .

---

(١) هـكذا ورد فى أصول الـكتاب ، وفى الشعراء لابن قتيبة (١١٦) . والذى أحفظه « والحين قد يسبق جهد الحريص »

شواهد المسند

شاهد ترك المسند

٣٣ — * فانى وقيَّارٌ بهَا لغرِيبُ *

قائله ضابىء بن الحارث البرْجمى ، وهو من قصيدة من الطويل ، قالها وهو محبوس فى المدينة المنورة ، فى زمن عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وهى[1] :

ومن يَكُ أمْسى بالمدينةِ رحلُهُ ... فانى وقَيَّارٌ بها لَغرِيبُ

وربَّ أمور لاتَضيرُكَ ضَيْرَةً ... وللقلب من مَخْشاتِهن وجيب

وماعاجلاتُ الطيرتُدنى من الفتى ... نجاحاً ، ولا عن رَيْثِهِنَّ يخيب

ولاخيرَ فيمن لا يُوَطن نَفسهُ ... على نائبات الدَّهرِ حين تَنوب

وفى الشك تَفْريط وفى الحزْم قُوَّة ... ويُخطىءُ فى الحَدْس الفتى ويُصيب[2]

ولَسْتَ بمستبقٍ صَديقاً ولا أخاً ... إذا لم تُعِدَّ الشىء وهو مُرِيب[3]

ومعنى البيت : التحسر على الغربة . والرحل : السكن وما يستصحبه من الأثاث . وقيار : جمل ضابىء أو فرسه .

والشاهد فيه : ترك المسند وهو « غريب » ـ والمعنى : إنى لغريب وقيار أيضاً ـ لقصد الاختصار والاحتراز عن العبث فى الظاهر مع ضيق المقام بسبب التحسر ومحافظة الوزن .

ولا يجوز أن يكون « غريب » خبراً عنهما بانفراده ، لامتناع العطف على

---

(١) روى هذه الأبيات كلها البغدادى فى الخزانة (٤ ـ ٢٢٧) والبيت الاول منها وهو بيت الشاهد من شواهد سيبويه ، وروى الثلاثة بعده بتقديم ثانيها المبرد فى الكامل ،وروى ابن قتيبة فى الشعراء ماعدا الأخيرمنها

(٢) في الخزانة نقلا عن الشعراء « وفى الحزم قوة » و « يخطى الفتى في حدسه »

(٣) في الخزانة نقلا عن أبى تمام فى مختار أشعار القبائل «وهو يريب »

محل اسم إن قبل مضى الخبر ، وقيار : مرفوع إما عطفاً على محل اسم [1] إن ، أو بالابتداء والمحذوف خبره ، والسر فى تقديم « قيار » على خبر إن قصد التسوية بينهما فى التحسر على الاغتراب ، كأنه أثر فى غير ذوى العقول أيضاً ، إذ لو أخر لجاز أن يتوهم مزيته عليه فى التأثر عن الغربة ، لأن ثبوت الحكم أولا أقوى

ترجمة ضابىء البرجمى

وضابىء - بالضاد المعجمة ، و بعد الألف باء موحدة ثم همزة - ابن الحرث البرجمى [2] ينتهى نسبه إلى تميم ، وذكر فيمن أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم إنه جنى جناية فى زمن عثمان رضى الله عنه ، فحبسه ، فجاء ابنه عمير وأراد الفتك بعثمان رضى الله عنه ، ثم جبن عنه ، وفى ذلك يقول [من الطويل] :

هَمَمتُ ولم أفعل وكِدتُ وليتنى تَرَكْتُ على عثمانَ تبكى حلائلُه [3]

ويقول فيها أيضاً :

وقائلةٍ لا يُبعِدِ الله ضابئاً ولا تَبعَدَنْ أخلاقه وشمائله [4]

إلى أن يقول فيها أيضاً :

---

(١) هذا هو الذى قرر امتناعه من قبل ، وخلاصة القول فى تخريج هذا البيت عربية ، أن الفراء والكسائى جعلا « وقيار » معطوفا على اسم إن ، وأجازا أن يعطف المرفوع على المنصوب بأن باعتبار أن أصله مبتدأ ، وأطلق هذا الجواز فلم يقيده ، وأن سيبويه والمبرد أجازا أن تعطف المرفوع على المنصوب بأن بشرط أن تكون إن قد استكملت خبرها قبل العطف ، ورويا هذا البيت بنصب قيار ، ويخرج على مذهبهما فى رواية الرفع بأنه مبتدأ حذف خبره لدلالة خبر إن الآتى بعده

(٢) روى له الأصمعى قصيدة لامية فى الأصمعيات (ص ٥٦) وسماه ضابىء بن الحارث بن أرطاة البرجمي

(٣) هكذا فى الأصول وكامل المبرد (١-٢٢٩) وفى حماسة البحترى (١١ بيروت) « فعلت فكان المعولات حلائله » وسيذكر المؤلف هذا البيت مرة أخرى فى شرح الشاهد (رقم ٦٣)

(٤) فى الكامل للمبرد « وقائلة لا يبعدن ذلك الفتى »

ولا تقربنْ أمرَ الصَّريمَةِ بامرئٍ ... إذا رَام أمراً عوَّقَتْهُ عواذلُهْ(١)

فلاالفَتْكُ ما أمَّرتَ فيه ولاالذى ... تُحَدِّثُ مَنْ لاقيتَ أنك قاتله

وما الفتك إلالامرئٍ ذى حَفيظةٍ ... إذا هَمَّ لم تُرْعَدْ عليه مفاصِلُهْ

ثم لما قتل عثمان رضى الله عنه ، وثب عليه عمير المذكور فكسر ضلعين من أضلاعه ، ثم إن الحجاج قتله كما سيأتى مشروحا فى شواهد الايجاز عند قوله « أنا ابن جلا » إن شاء الله تعالى .

وكان السبب فى حبس عثمان لضابئ أنه كان استعار من بعض بنى حنظلة كلبا يصيد به ، فطالبوه به ، فامتنع من إعطائه ، فأخذوه منه قهراً ، فغضب ورمى أمهم بالكلب وهجاهم بقوله [من الطويل] : (٢)

تجشَّمَ نحوى وفدُ قُرحانَ شُقَّةً ... تَظَلُّ به الوَجناءُ وهى حَسيرُ(٣)

فأردَفتهُم كلباً فراحوا كأنما ... حَباهُمْ بتاج الهُرمزانِ أميرُ

وقلّدتهم ما لو رميتُ مُتالِعاً ... به وَهْوَ مُغْبر لكاد يَطير

فيا راكباً إما عرَضْتَ فبلّغَنْ ... أمامَةَ عنى والأمورُ تدورُ

فأمَّكمُ لاتترُكُوها وكلبَكم ... فان عقوقَ الوالدين كَبير(٤)

فانك كلبٌ قد ضَريتَ بما ترى ... سَميع بما فوقَ الفِراشِ بصير

إذا عَبَقَتْ من آخر الليل دُخْنَةٌ ... يَبيت له فوْقَ الفراش هَريرُ

فاستعدَوْا عليه أمير المؤمنين عثمان رضى الله تعالى عنه فحبسه ، وقال : والله لو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان حياً لنزلت فيك آية ، وما رأيت أحداً رمى قوماً بكلب قبلك .

---

(١) فى حماسة البحترى «فما القتل ما شاورت فيه ولا الذى * تخبر – إلخ»
(٢) أنشد هذه الأبيات ابن قتيبة فى الشعراء (٢٠٣)
(٣) فى الأصول «سربخا» مكان «شقة» وما أثبتناه موافق لما فى الشعراء
(٤) روى هذا البيت المبرد فى الكامل (١ – ٢٣٨)

وحدث أبو بكر بن عياش قال : كان عثمان رضى الله عنه يحبس فى الهجاء فهجا ضابئ قوماً فحبسه عثمان رضى الله عنه ، ثم استعرضه ، فأخذ سكيناً فجعلها فى أسفل نعله ، فأعلم عثمان بذلك فضربه ورده إلى الحبس .

* * *

من شواهد ترك المسند

٣٤ ــ نَحنُ بما عِندَنا وأنتَ بما عِندَكَ راضٍ والرأى مُختَلِفُ

البيت لقيس بن الخطيم ، من قصيدة (١) من المنسرح ، أولها :

رَدَّ الخليطُ الجمالَ فانصرفوا ماذا عليهم لوأنَّهم وَقفوا

لو وقفوا ساعةً نُسائِلُهم رَيْثَ يُضحى جِماله السلَفُ

فيهم لَعوبٌ لَعْساءُ آنسةُ الـــدَّل عَروبٌ يَسوءها الخُلُفُ (٢)

بين شُكولِ النساءِ خِلقتُها قَصْدٌ فلا جَبْلة ولا قَضَفُ (٣)

تَنامُ عن كُبْرِ شأنِها فاذا قامت رُوَيدًا تَكاد تنعطفُ (٤)

(١) قد خلط المؤلف فى هذه الأبيات بين ثلاث كلمات على هذا الروى : إحداها لمالك بن العجلان ، وثانيتها لدرهم بن زيد الأوسى ، وثالثتها لقيس بن الخطيم ، وهذه الكلمات قيلت فى حادث واحد وإن يكن قيس قال كلمته بعد الحادث بزمان ولم يكن حاضره ، فانظر الأغانى (٢ ــ ١٦٨) يظهر لك هذا الخلط وقد روى أبو زيد فى جمهرة أشعار العرب (ص ١٢٧) قصيدة فيها بيت الشاهد وكثير من الأبيات التى رواها المؤلف هاهنا ونسبها إلى عمرو بن امرىء القيس . وخمسة الأبيات الأولى من مطلع قصيدة فى ديوان قيس بن الخطيم برواية وشرح ابن السكيت (١٦) وهى الأول والثانى والثالث والرابع والسابع منها ، وفيها من الأبيات التى بعدها الثلاثة الأول منها على غير ترتيبها هنا ، وألحق ناشره من الأبيات الأخيرة بزيادات الديوان على نحو ما يروى هنا

(٢) فى الأغانى « فيهم لعوب العشاء »

(٣) شكول النساء : ضروبها ، وفى الأصول «خلقها خدوا» محرفا ، وما أثبتناه من الأغانى والديوان واللسان ، والجبلة ــ بالمثلثة ــ الضخمة الغليظة ، وفى الأغانى «فلاجبلة» بالباء الموحدة ــ وهى الغليظة . والقضف : الدقة وقلة اللحم

(٤) حفظى « تكاد تنقصف » وفى الأغانى والديوان « تكاد تنغرف »

إلى أن قال منها أيضا :

أَبْلِغْ بنى مَذْحِجٍ وقَومَهمُ خَطيم أنا وَراءهم أُنُفُ[1]
إنا وإن قَلَّ نَصْرُنا لهُم أَكبادُنا من وَرائِهم تجِفُ[2]
وإننا دون ما يَسومهُم الـ أَعْدَاء من ضيم خُطةٍ نُكُفُ
الحافظو عَورَةَ العشيرة لا يأْتيهُم من ورائنا وَكَفُ
يامالِ والسيد المعَمَّم قد يَطرأُ فى بعض رأْيه السَّرَفُ
نحنُ المكيثونَ حيثُ يحمَدُ بالمُكثِ ونحن المصالِتُ الأُنفُ
يا مال والحقُّ إن قَنعت به فالحق فيه لأمرنا نَصَفُ
خالفْتَ فى الرأى كلَّ ذى فَخَرٍ والبَغْىُ يا مال غير ما تَصِفُ
إنّ بُجيراً مولًى لقومكم والحق نوفى به ونعترف[3]

والرأى : الاعتقاد ، و يجمع على آراء وأرآء.

والشاهد فيه : ترك المسند — وهو راضون — فقوله « راض » خبر المبتدأ الثانى ، وخبر الأول محذوف ، على عكس البيت السابق.

ومثله قول الشاعر [من الطويل] :

رمانى بأمر كنت منه ووالدى بريًّا ، ومن أجل الغوى رمانى

وقول المتنبي [من الكامل] :

قالت وقد رأت اصفرارى مَن به وتنهدت ، فأجبتها المتنهد

---

(١) فى الأغانى « بنى جحجبى وإخوتهم زيد » وفى الخزانة (٢–١٩٢) « أبلغ بنى جحجبى وقومهم خطمة » وكذلك هو فى الديوان

(٢) صدر هذا البيت فى الديوان * إنا ولو قدموا التى علموا *

(٣) فى الأغانى « إن بجيرا عبد لخذمتنا » وفيه فى عجزه « يوفى به ويعترف » على البناء للمجهول ، والبيت فيه من كلمة درهم بن زيد

أي : المتنهد هو المطالب به .

وقيس بن الخطيم [١] بالخاء المعجمة شاعر جاهلي ، وابنه ثابت رضى الله عنه مذكور في الصحابة رضى الله عنهم ، وشهد مع على كرم الله وجهه صفين والجمل والنهروان .

ترجمة قيس بن الخطيم

وقيس هذا قتل أبوه وهو صغير ، فلما بَلَغَ قتل قاتل أبيه ، ونشأت بسبب ذلك حروب بين قومه و بين الخزرج ، في خبر يطول ذكره .

وكان قيسُ بن الخطيم مقرونَ الحاجبين ، أدعج العينين ، أحمر الشفتين ، براق الثنايا كأن بينها برقاً ، ما رأته حليلة رجلٍ قط إلا ذهب عقلها .

وقال حسان بن ثابت رضى الله عنه للخنساء : اهجى قيسَ بن الخطيم ، فقالت : لا أهجو أحداً حتى أراه ، فجاءته يوماً فرأته في مَشْرُبة ملتفاً بكساء له فنخسته برجلها ، وقالت : قم ، فقام ، فقالت : أقبل ، فأقبل ، ثم قالت : أدبر ، فأدبر ، ثم قالت : أقبل ، فأقبل ، قال : والله لكأنها والية تعترض عبداً تشتريه ، ثم عاد إلى حاله نائماً ، فولت ، وقالت : والله لا أهجو هذا أبداً

وقال حسان بن ثابت رضى الله عنه : قدم النابغة السوق ، فنزل عن راحلته ثم جثا على ركبتيه واعتمد على عصاه ، ثم أنشأ يقول [من الوافر] :

عرَفتُ منازلا بعُريتنات ٍ فأعلى الجزعِ للحَيِّ ألمُبِنٌّ [٢]

فقلتُ : هلك الشيخ ، ورأيته تبع قافية منكرة ، قال : ويقال : إنه

(١) اقرأ ترجمة قيس بن الخطيم في الأغاني (٢ - ١٥٩)

(٢) وقع في الأصول « بعرنتنات » محرفا ، ووقع فيها « للحي المبين » محرفا أيضا ، وما أثبتناه موافق لما في الأغاني (٢ - ١٦٢) وديوان النابغة ، وعريتنات : موضع ، والمبن : المقيم ، وفعله أبن على مثال أكرم ، والبيت مطلع قصيدة رواها الطوسي ولم يروها الأصمعي في شعر النابغة

أسفاره ، وكانوا يواصلونه ويَصِلونه . قال : وأنشدنى دعبل لنفسه فى بعد أسفاره [من الطويل] :

حللتُ محلاً يَقْصُر البرقُ دونهُ ويعجز عنه الطيفُ أن يتجشَّما

وحدث محمد بن عمر الجرجانى قال: دخل دعبلٌ الرى فى أيام الربيع ، فجاءهم ثلج لم ير مثله فى الشتاء ، فجاء شاعر من شعرائهم ، فقال شعراً ، وكتبه فى رقعة وهو [من الخفيف]

جاءنا دِعبلٌ بثلج من الشعـــر فجادت سماؤنا بالثلوج

نزل الرى بعد ما سكن البر دُ وقد أينعت رياضُ المروجِ

فكسانا ببرده لا كساه الله ثوباً من كرسفٍ محلوجِ

وألقى الرقعة فى دهليز دعبل ، فلما قرأها ارتحل عن الرى .

وحدث أحمد بن خالد ، قال : كنا يوما عند دار رجل ، يقال له صالح [ابن على](١) ابن عبد القيس ببغداد ، ومعنا جماعة من أصحابنا ، فسقط على كنيسة فى سطحها ديك طار من بيت دعبل ، فلما رأيناه قلنا هذا صيد ، فأخذناه ، فقال صالح: ما نصنع به ؟ قلنا: نذبحه ، فذبحناه وشويناه يومنا ، وخرج دعبل فسأل عن الديك ، فعرف أنه سقط فى دار صالح ، فطلبه منا فجحدناه ، وشربنا يومنا ، فلما كان من الغد خرج دعبل ، فصلى الغداة ، ثم جلس على باب المسجد ، وكان ذلك المسجد مجمع الناس ، يجتمع فيه جماعة من العلماء ، ونبهاء الناس ، فجلس دعبل على باب المسجد ، وقال [من الكامل] :

أَسَرَ المؤذّنَ صالحٌ وضيوفُهُ أَسْرَ الكميِّ هفا خلالَ المأقط

---

(١) زيادة عن الأغانى (١٨ ـ ٣٣) وقال فى رواية أخرى لهذا الخبر : وهو صالح بن بشر بن صالح بن الجارود العبدى

بَعثُوا عليه بناتهمْ وبنيهمُ ... مابينَ ناتفةٍ وآخر سامطِ
يتنازعون كأنهم قد أوثقوا ... خاقان أوهزموا كتائب ناعطِ
نهشوه فانتزعتْ له أسنانهمْ ... وتهشمتْ أقفاؤهمْ بالحائطِ

قال : فكتبها الناس عنه ومضوا ، فقال لى أبى ، وقد رجع إلى البيت : ويحكم ! ضاقت عليكم المآكل ، فلم تجدوا شيئاً تأكلونه سوى ديك دعبل ثم أنشدنا الشعر ، وقال لى : لا تدع ديكا ولا دجاجة تقدر عليها إلا اشتريت ذلك لدعبل و بعثت به إليه ، و إلا أوقعنا فى لسانه ، ففعلتُ ذلك .

قال : وناعط : قبيلة من همدان ، وأصله جبل نزلوا به فنسبوا إليه .

وقال دعبل : كنا يوما عند سهل بن هارون الكاتب البليغ ، وكان : شديد البخل ، فأطلنا الحديث واضطره الجوع إلى أن دعا بغَدَاء له ، فأُتى بقصعة فيها ديك جاسٍ هَرِم ، لا تخرقه سكين ولا يؤثر فيه ضرس ، فأخذ كسرة خبز ، فخاض بها مرقته وقلب جميع مافى القصعة ففقد الرأس ، فبقى مطرقا ساعة ثم رفع رأسه ، وقال للطباخ : أين الرأس ؟ فقال : رميت به ، فقال : ولم ؟ قال : ظننتك لا تأكله ، قال : بئس ما ظننت ! والله إنى لأمقُتُ من يرمى برجليه ، فكيف من يرمى برأسه ، والرأس رئيس ، وفيه الحواسّ الأربع ، ومنه يصيح ولولا صوته لما فضل ، وفيه فرقه الذى يتبرك به ، وفيه عيناه اللتان يضرب بهما المثل ، فيقال : شَرابُ كعين الديك ، ودماغه عجب لوجع الكليتين ، ولم ير عظم قط أهشّ من عظم رأسه ، أوماعلمت أنه خير من طرف الجناح ، ومن الساق ، ومن العنق ، فان كان قد بلغ من نبلك أنك لا تأكله [فانا نأكله][1] ، فانظر أين هو ؟ قال : لا أدرى والله أين هو، رميتُ به ، قال : لكنى أدرى أين هو ، رميت به فى بطنك فالله حَسيبُكَ .

وحدّث إبراهيم بن المدبر ، قال : لقيت دعبل بن علىّ ، فقلت له : أنت

(١) زيادة لابد منها .

غَنَاء النفسِ مَا عمرتْ غناءٌ ... وفقرُ النفس ما عُمرَتْ شقاء

وليس بِنافع ذا البخل مالٌ ... ولاَ مُزْرٍ بِصاحبه السخاء

وبعضُ القول ليسَ لهُ عناجٌ ... كَمَخضِ الماء ليس له إتاء (١)

وبعضُ الداء مُلْتَمَسٌ شِفَاهُ ... وداء النَّوْكِ ليس له دواء

***

شاهد حذف المسند

٣٥ — * إنَّ محلاً وإنَّ مُرْتَحَلاَ *

قائله الأعشى الأكبر ، من قصيدة من المنسرح (٢) يمدحُ بها سَلاَمَةَ ذا فايش ، واسمه : سلامة بن يزيد اليحصبى ، وكان يظهر للناس فى العام مرّة مبرقعا (٣)

حدّث سماك بن حرب قال : قال الأعشى : أتيتُ سلامة ذا فايش ، فأطلت المقام ببابه حتى وصلت إليه بعد مدة طويلة ، فأنشدته :

إنّ محلا وإنّ مرتحلا ... وإن فى شِعرٍ مَنْ مضى مَثَلاَ (٤)

---

(١) فى المطبوعتين «ليس له عياج» وأثبتنا ما أنشده فى اللسان عن الليث ويقال : ليس لهذا القول عناج ، والمراد أنه أرسل على غير روية ، ويقال : ليس لعهد هؤلاء القوم عناج ، والمعنى أنه لاوفاء لعهدهم ، والأصل فى هذا عناج الدلو — بكسر العين — وهو عروة تجعل فى أسفل الدلو من باطن تشد بوثاق إلى أعلى الكرب فاذا انقطع الحبل أمسك العناج الدلو أن يقع فى البئر وفى اللسان مرة «كسيل الماء» ومرة كما هنا ، والمراد بالاناء الزبد

(٢) انظرها فى ديوان الأعشى (ص ١٥٥ طبع بيانه)

(٣) فى شرح ديوان الأعشى لثعلب « وكان يظهر لقومه فى كل سنة مترفعا » وأحسبه محرفا عما هنا

(٤) رواية سيبويه « وإن فى السفر إذ مضوا مهلا » ورواية الديوان « وإن فى السفر إذ مضى مهلا »

استأثرَ اللهُ بالوفاء وبالعـدلِ وأوْلَى الملامةَ الرجلا(١)
والأرضُ حمالة لما حملَ اللـهُ وما إنْ يُردُّ ما فعلا(٢)
يوماً تراهَا كشبه أرديةِ الـعَصبِ ويوماً أديمُهَا نَغِلا(٣)
الشعرُ قلدتُهُ سلامةَ ذَا فايشَ والشيء حيثما جُعلا(٤)

فقال : صدقت الشيء حيثما جعل ، وأمرَ لى بمائة من الابل ، وكسانى حللا ، وأعطانى كرشا مدبوغة مملوءة عنبراً ، وقال لى : إياك أن تخدع عما فيها ، قال : فأتيتُ الحيرة فبعتها بثلثمائة ناقة حمراء .

والمحل - بفتح الحاء المهملة : المنزل(٥) ، والمرتحل - بالفتح أيضا : المكان المرتحل عنه .

والشاهد فيه : حذف المسند الذى هو هنا ظرف .

والمعنى : إن لنا فى الدنيا حلولا ، ولنا عنها إلى الآخرة ارتحالا .

وقد اختلف فى حذف خبر إن ، فأجازه سيبويه إذا عُلم ، سواء كان الاسم معرفة أو نكرة ، وهو الصحيح ، وأجازه الكوفيون إن كان الاسم نكرة . وقال الفراء : لا يجوز ، معرفة كان أو نكرة ، إلا إذا كان بالتكرير كهذا البيت .

---

(١) فى الديوان « وولى الملامة »
(٢) فى الديوان «وما إن ترد »
(٣) فى الديوان «أردية الخمس» وذكر فى شرحه عن أبى عبيدة «القصب»
(٤) بين هذا البيت والذى قبله فى الديوان ثلاثة عشر بيتا ، ورواية هذا البيت هناك :

قلدتك الشعر ياسلامة ذا التـفضال والشيء حيثما جعلا

(٥) لا يتفق هذا مع ما يذكره فى بيان معنى البيت ، والصواب أن المحل مصدر ميمي بمعنى الحلول والمرتحل مصدر بمعنى الارتحال

ترجمة الأعشى ميمون

والأعشى (١) اسمه ميمون بن قيس بن جندل بن شراحيل، ويكنى أبا بصير، وكان يقال لأبيه قتيل الجوع، سمي بذلك لأنه دخل غاراً ليستظل فيه من حر، فوقعت صخرة من الجبل فسدت فم الغار فمات فيه جوعاً. ففيه يقول جهنام، واسمه عمرو، وكان يهاجي هو والأعشى [من الطويل]:

أبوك قتيلُ الجوعِ قيسُ بنُ جندلٍ   وخالك عبدٌ من خماعة راضعُ

وكان الأعشى يكنى أبا بصير، وهو: أحد الأعلام من شعراء الجاهلية وفحولها.

وسئل يونس (٢) النحوي: من أشعر الناس؟ قال: لا أومىء إلى رجل بعينه، ولكني أقول: امرؤ القيس إذا ركب (٣)، والنابغة إذا رَهِبَ، وزهير إذا رغبَ، والأعشى إذا طرب.

وقال أبو عبيدة: من قدّمَ الأعشى احتج بكثرة طواله الجياد، وتصرفه في المديح والهجاء، وسائر فنون الشعر، وليس ذلك لغيره، ويقول (٤): هو أول من سأل بشعره، وانتجع به أقاصي البلاد، وكان يغنى بشعره، فكانت العرب تسميه صَنّاجةَ العرب (٥).

---

(١) تجد ترجمة الأعشى ميمون في الأغاني (٨ ـ ٧٧) وفي الشعراء لابن قتيبة (١٣٥) وخزانة الأدب (١ ـ ٨٣)

(٢) يونس بن حبيب شيخ سيبويه

(٣) « في الأغاني « امرؤ القيس إذا غضب » والمحفوظ هو ما هنا. ويراد بهذا الكلام أن امرأ القيس أجود الشعراء شعرا في وصف الخيل والصيد، وأن النابغة أشعرهم في الاعتذار، وأن زهيرا أجودهم شعرا في المديح، وأن الأعشى أشعرهم في وصف الخمر

(٤) في الأغاني « وقال »

(٥) في اللسان: « وكان أعشى بكر يسمى صناجة العرب لجودة شعره »

وحدث يحيى بن سليم الكاتب قال: بعثنى أبو جعفر المنصور بالكوفة إلى حمّاد الراوية أسأله مَنْ أشعر الناس؟ قال: فأتيت حماداً، فاستأذنت وقلت: يا غلام، فأجابنى إنسان من أقصى بيت فى الدار، قال: من أنت؟ قلت: يحيى بن سليم رسول أمير المؤمنين، قال: ادخل رحمك الله، فدخلت أتسمّت الصوت حتى وقفت على باب البيت، فإذا حماد عريان وعلى سوءتيه شاهشفرم[1] - قلت: وهو الريحان - فقلت له: إن أمير المؤمنين يسألك عن أشعر الناس، قال: نعم ذلك الأعشى صنَّاجها.

وحدث رجل من أهل البصرة أنه حَجَّ قال: إنى لأسير فى ليلة أضحيانة إذ نظرت إلى رجل شاب راكب على ظليم[2] قد زمَّه وخطمه[3]، وهو يذهب عليه ويجىء، قال: وهو مع ذلك يرتجز ويقول [من الرجز]:

هل يُبْلِغَنِّيهِم إلى الصَّبَاحْ هِقْلٌ[4] كأنَّ رأسهُ جُمَّاح

فعلمت أنه ليس بإنسى، فاستوحشت منه، فتردد علىّ ذاهباً وراجعاً حتى أنست به، فقلت: من أشعر الناس؟ قال: الذى يقول[5] [من الطويل]:

= اهـ، وذلك مأخوذ من الصنج - بفتح الصاد وسكون النون - وهو آلة من آلات اللهو ذات قطعتين تتخذان من صفر تضرب إحداهما بالأخرى

(١) فى الأغانى «على فرجه دستجة شاهسفرم»

(٢) الظليم: ذكر النعام

(٣) فى الأغانى «قد زمه بخطامه»

(٤) البيت فى اللسان (ج م ح) وفيه «هيق» مكان «هقل» والهقل - بكسر الهاء وسكون القاف - الفتى من النعام، وقيل: هو الظليم، والجماح - بضم الجيم وتشديد الميم - سهم صغير بلا نصل، مدور الرأس، يتعلم به الصبيان الرمى. ويقال له جباح أيضا. والهيق - بفتح الهاء - الظليم أيضا سمى بذلك لطوله

(٥) البيت لامرىء القيس بن حجر، من قصيدته المعلقة

وما ذَرَفَتْ عيناكِ إلا لتضربى بِسَهْمَيْكِ فى أعشارِ قلبٍ مُقَتَّلِ

فقلت : ومن هو ؟ قال : امرؤ القيس ، قلت : ومن الثانى ؟ قال : الذى يقول [من الرمل] :

تَطْرُدُ القُرَّ بحرٍّ ساخنٍ وعَكِيكَ القَيْظِ إن جاء بِقُر (١)

قلت : ومن يقوله ؟ قال [طرَفَة ، قلت : ومن الثالث ؟ قال الذى يقول [من المتقارب] :

وَتَبْرُدُ بَرْدَ رداء العرو س بالصيف رَقْرَقْتَ فيه العَبيرا

قلت : ومَنْ يقوله ؟ قال](٢) : الأعشى ، ثم ذهب .

وقال الشعبى رحمه الله : الأعشى أغزل الناس فى بيت واحد ، وأخنث الناس فى بيت واحد ، وأشجع الناس فى بيت واحد : فأما أغزل بيت فقوله [من البسيط] :

غَرَّاء فَرْعاء مصقولٌ عوارضها تَمشى الهُوَينا كما يمشى الوجى الوَجِل (٣)

وأما أخنث بيت فقوله [من البسيط]:

قالت هُرَيرة لما جِئْتُ زائرها ويلى عَلَيكَ وويلى منك يارَجُلُ

وأما أشجع بيت فقوله [من البسيط] :

قالوا الطِّرادُ فقلنا تلك عادَتُنا أو تَنْزِلونَ فانا مَعْشَر نُزُلُ

---

(١) القيظ : شدة الحر ، ويقال : حر عكيك ، أى شديد ، والبيت فى اللسان (ع ك ك) منسوبا إلى طرفة بن العبد

(٢) هذه الزيادة عن الأغانى الذى نقل عنه المؤلف هنا كل ما ذكره عن الأعشى ، ولا يستقيم الكلام إلا بهذه الزيادة

(٣) فى شرح القصائد العشر للتبريزى « كما يمشى الوجي الوحل » بالحاء المهملة فى « الوحل » وقال التبريزى فى شرحه « والوجى : الذى يشتكى حافره ولم يحف وهو — على ذلك — وحل فهو أشد عليه » اه .

وهذه الأبيات من قصيدة للأعشى طنانة مطلعها :

وَدِّعْ هريرةَ إن الرَّكب مُرتحلُ وهل تُطيقُ وداعاً أيها الرَّجُلُ

وقد ذكرت بها ما أنشده السراج الوراق [1] مداعباً لشخص يدعى النجم وكان اشترى جارية اسمها زبيدة من سيد لها جميل الوجه يسمى فخر الدين بن عثمان ، فحملت سيدها النجم على أن أزارها بيت سيدها الأول [من البسيط] :

ذَابتْ زُبَيدة من شَوقٍ لسَيدها عثمانَ والنَّجم بالنيرانِ مشتعلُ
وما تلام ونيلُ الفخرِ يُعجبها وبالزيارة لم يبرَح لها شُغُلُ
فقلْ لطائر عقَل قد أتاهُ بها ويلى عليك وويلى منك يا رجل
لوكنتَ ياسطْلُ ذا أذْنٍ تُصيخ إلى عَذْلٍ عذلتُك لو يجدى لك العَذَلُ
تَقود ظبيــة آرام إلى أسَدٍ لو التقى لمَضَتْ أنيابهُ العُصلُ
ومن يرى ذلك الوجهَ الجميلَ ولا يَوَدُّ من قُبحكَ المشهور ينفصلُ
هٰذى بُثينةُ والمجنون قائدُها إلى جميلٍ أجاد المح ياجمـل
وهبهُ عفَّ أما تبقى محاسنها فى قلبه يالَـكاع الوقت يازُحَل
أفقْ لعقالكَ يامتبوعُ إنك ذو رأس خفيفٍ وذاك الطوْدُ والجبل
والويلُ ويلك إن ذاقتْ عُسَيلته وبات يجتمعان الزبدُ والعَسلُ
لأنشدَنك إن ودعتها سَفَهاً ودِّع هريرة إن الركب مرتحل
وإن يكن ذاك أعشى كُنتَ أنت إذاً أعمى فلا اتَّضحت يوماً لك السُّبلُ

رجع إلى أخبار الأعشى :

قدم الأخطل الكوفة ، فأتاه الشعبى يسمع من شعره ، قال : فوجدته يتغدى

---

(١) لسراج الدين الوراق ترجمة فى فوات الوفيات (٢–١٤٥) وصف فيها ديوان شعره بأنه فى سبعة أجزاء كبار ضخمة .

فدعانى إلى الغداء فأبيت ، فقال : ما حاجتك ؟ قلت : أحب أن أسمع من شعرك فأنشدنى [من الكامل] :

* صرمت أمامة حبلها ورعوم * [١] .

فلما انتهى إلى قوله :

وإذا تَعاوَرت الأكُفُّ خِتامَها نفحت فَنالَ رياحَها المزكُومُ [٢]

قال لى : ياشعبى ، ناك الأخطل أمهاتِ الشعراء بهذا البيت ، فقلت : الأعشى فى هذا أشعر منك يا أبا مالك ، قال : وكيف ؟ قلت : لأنه قال [من الكامل] :

من خَمْرِ عانةَ قد أنى لختامِهِ حَوْلٌ تَسُلُّ غمامةَ المزكومِ [٣]

فقال ، وضرب بالكأس الأرضَ : هو والمسيح أشعر منى ، ناك والله أمهات الشعراء إلا أنا .

وحدث هشام بن القاسم الغزى [٤] ، وكان علامة بأمر الأعشى ، أنه وفد

---

(١) هذا صدر مطلع قصيدة للأخطل (الديوان – ٨٢) وعجزه قوله :

* وبدا المجمجم منهما المكتوم *

ويروى الصدر :

* صرمت حبالك زينب ورعوم *

و « رعوم » – بالراء المهملة – كما فى الديوان ، ويروى بالزاى — وهو اسم امرأة .

(٢) أنشد فى الأغانى هذا البيت:

فاذا تعاورت الأكف زجاجها نفحت فشم رياحها المزكوم

وكذلك هو فى الديوان . وقد أخذ ابن الفارض معنى هذا البيت فى قوله :

ولو عبقت فى الشرق أنفاس طيبها وفى الغرب مزكوم لعاد له الشم

(٣) فى الأغانى وشرح ديوان الأخطل « قد أتى لختامها » والبيت ثانى بيتين فى قائمة شعر الأعشى (٢٥٨).

(٤) فى الأغانى « هشام بن القاسم الغنوى » .

إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد مدحه بقصيدته التي أولها [من الطويل] :

ألم تَـكتحلْ عيناك ليلةَ أرمدَا وعادَك ما عادَ السليمَ المسهَّدا !

وما ذاكَ من عِشق النساءِ و إنما تَناسيت قبلَ اليوم خُلَّةَ مَهْدَدا

وفيها أيضا يقول لناقته :

فآليتُ لا أرثى لها من كلالةٍ ولا من حَفًى حتى تزورَ محمدا

نَبِيٌّ يرى ما لا ترَوْن وذكرُه أغارَ لعمرى فى البلاد وأنجدَا

متى ما تُناخى عندباب ابن هاشم تُراحِي وتَلْقَىْ من فواضلهِ نَدَى(١)

فبلغ خبره قريشاً فرصدوه على طريقه ، وقالوا : هذا صناجة العرب ، ما يمدح أحدا قط إلا رفع من قدره (٢) فلما ورد عليهم قالوا : أين أردت يا أبا بصير؟ قال : أردت صاحبكم هذا لأسلم على يديه ، قالوا : إنه ينهاك عن خلال و يحرمها عليك ، وكلها بك رافق (٣) ولك موافق ، قال : وما هن ؟ قال أبو سفيان بن حرب : الزنى ، قال : لقد تركنى الزنى وما تركته ، قال : ثم ماذا ؟ قال : القمار ، قال : لعلي إن لقيته أصبت منه عوضاً من القمار ، قال : ثم ماذا ؟ قال : الربا ، قال : ما دِنْتُ وما ادَّنْتُ قط ، قال : ثم ماذا ؟ قال : الخمر ، قال : أوه أرجع إلى صُبَابة بقيت لى فى المهراس فأشربها ، فقال له أبو سفيان : فهل لك فى شيء خير لك مما هممت به ؟ قال : وما هو ؟ قال : نحن وهو الآن فى هُدْنة ، فتأخذ مائة من الابل وترجع إلى بلدك سنتَكَ هذه حتى تنظر مايصير إليه أمرنا ، فان ظهرنا عليه كنت قد أخذت خلفاً ، و إن ظهر علينا أتيته ، قال : ما أكره ذاك ، قال :

(١) رواية الأغانى « تراحي وتلقى من فواضله يدا » ورواية الديوان (١٠٣) « تريحى وتلقى » .

(٢) فى الأغانى « إلا رفع فى قدره »

(٣) فى الأغانى « وكلها بك رفق » .

أبو سفيان : يامعشر قريش ، هذا الأعشى ، فوالله لئن أتى محمداواتبعه ليُضرِمَنَّ عليكم نيران العرب بشعره ، فاجمعوا له مائة من الابل ، ففعلوا ، فأخذها وانطلق إلى بلده ، فلما كان بقاع منفوحة رماه بعيره فقتله .

وحدث محمد بن إدريس بن سليمان بن أبي حفصة قال : قبر الأعشى بمنفوحة وأنا رأيته ، فاذا أراد الفتيان أن يشربوا خرجوا إلى قبره فشربوا عنده وصبُّوا عليه فضلات الأقداح ، انتهى والله أعلم .

***

شاهد حذف المسند لوقوع الكلام بعد استفهام

٣٦ — * لِيُبْكَ يَزِيدُ ضَارِعٌ لِخُصُومَةٍ *

قائله ضِرَار بن نَهْشَل (١) يرثي أخاه يزيد ، من قصيدة من الطويل ، أولها :

لَعَمرِي لَئِنْ أمْسى يَزِيدُ بنُ نَهْشَلٍ حَشَا جَدَثٍ تَسفِي عَلَيهِ الرَّوائحُ

لَقَد كانَ ممنْ يَبسُطُ الكفَّ بالنَّدى إذا ضَنَّ بالخيرِ الأكفُّ الشَّحائحُ

فَبعدكَ أبدَى ذُو الضَّغينةِ ضِغنهُ وسَدَّ دلى الطَّرفَ العيونُ الكواشحُ (٢)

ذَكرتُ الذِي ماتَ النَّدَى عِندَ موْتهِ بِعافيةٍ إذْ صَالحُ القومِ صَالحُ (٣)

---

(١) نسبت بعض هذه الأبيات إلى الحارث بن نهيك ، وإلى لبيد بن ربيعة ، وإلى مزرد بن ضرار ، وإلى الحارث بن ضرار ، وإلى نهشل بن حري ، وانظر شرحنا على الأشموني (٢ — ١٥٥)

وستة الأبيات الأولى في الخزانة (١ — ١٥٠) بترتيبها هنا ، وهناك سابع غير سابع هذه الأبيات ونسبه إلى نهشل به حري

(٢) في الخزانة « وسد » بدال واحدة ، وفي مطبوعتي هذا الكتاب « وشد » بالشين معجمة ، وما أثبتناه أدق ، وهو رواية ذكرها صاحب الخزانة .

(٣) في الخزانة « بعاقبة إذ صالح العيش طالح »

إذا أرقى أفنى من الليل ما مضى ... تمطى به ثنى من الليل راجح[1]
ليبك يزيد ضارع لخصومة ... ومختبط مما تطيح الطوائح
عرى بعد ما جف الثرى عن نقابه ... بعصماء تدرى كيف تمشى المنائح

والضارع: الخاضع المستكن[2] من الضراعة وهى الخضوع والتذلل، والجار والمجرور متعلق بضارع، وإن لم يعتمد على شىء لأن الجار والمجرور تكفيه رائحة الفعل[3] أى يبكيه من يذل لأجل خصومة لأنه كان ملجأ وظهيراً للأذلاء والضعفاء، وتعليقه بيبكى ليس بقوى. والمختبط: الذى يأتيك للمعروف من غير وسيلة، وأصله من الخبط، وهو ضرب الشجر ليسقط ورقهـا للابل. والطوائح: جمع مطيحة[4] وهى القواذف[5] على غير قياس كلوا قح جمع ملقحة، يقال: طوحته الطوائح: أى نزلت به المهالك، ولا يقال المطوحات وهو نادر.

والشاهد فيه: وقوع الكلام جوابا لسؤال مقدر مشتمل على المسند، وعدل عن بنائه للمفعول لتكرير الاسناد إجمالا وتفصيلا، إذ هو أوكد وأقوى فى النفس، والله أعلم.

---

(١) فى الخزانة «إذا أرق» بدون ياء المتكلم

(٢) هكذا فى المطبوعتين، وأحسبه «المسكين»

(٣) إنما يشترط اعتماد اسم الفاعل على نفي أو استفهام عند جمهور النحاة لأجل نصبه المفعول به، أما رفعه الفاعل وتعليق الجار والمجرور والظرف به فلا يشترط له شىء من ذلك باجماع النحاة، وهذا ما يشير إليه المؤلف

(٤) هذا قول أبى على الفارسى. ونقل ابن خلف عن الأصمعي أنه يقال: طاح الشىء، وطاحه غيره، وعلى هذا يكون الطوائح جمع طائحة من المتعدى ويكون الوصف والجمع جاريين على القياس ولا شذوذ فيهما.

(٥) فى المطبوعتين «وهى القواذق»

شاهد مجىء المسند فعلا ليفيد التجدد

٣٧ – أَوَ كلما وَرَدَتْ عُكَاظَ قَبِيلَةٌ بَعَثُوا إلىَّ عَرِيفَهُمْ يَتَوَسَّمُ

البيت لطريف بن تميم العنبرى[1] من أبيات من الكامل، و بعده :

فَتَوَسَّمُونِى إننى أنا ذَلِكُمْ شَاكِى سِلَاحِى فى الحَوادِثِ مُعْلَمُ

تَحتِى الأَغَرُّ وفوقَ جِلْدِى نَثْرَةٌ زَغْفٌ تَرُدُّ السَّيْفَ وَهوَ مُثَلَّمُ[2]

حَوْلِى أُسَيِّدُ والهجيمُ وَمَازِنٌ وَإذا حَلَلتُ فَحَوْلَ بَيْتِى خَضَّمُ[3]

وعكاظ : سوق بصحراء بين نخلة والطائف، كانت تقوم هلالَ ذى القعدة وتستمر عشرين يوما تجتمع فيها قبائل العرب، فيتعاكظون : أى يتفاخرون و يتناشدون، ومنه الأديم العُكَاظىّ. والقبيلة : بنو أب واحد، والعريف : رئيس القوم، لأنه عرف بذلك، أو النقيب وهو دون الرئيس، والتوسم : التخيل والتفرس.

والمعنى : إن لى على كل قبيلة جناية، فمتى وردوا عكاظ طلبنى النقيم بأمرهم. وكانت فرسان العرب إذا كان أيام عكاظ فى الشهر الحرام وأَمِنَ بعضُهم

---

(١) سماه فى اللسان عن ابن برى (خ ض م) طريف بن مالك العنبرى وقال مرة أخرى (ع رف) : « وقال طريف بن مالك العنبرى، وقيل: طريف ابن عمرو * أوكلما وردت عكاظ ... البيت » وقد روى الأصمعى هذه الأبيات الاربعة وزاد خامسا (أنظر الأصمعيات ٦٧).

(٢) الأغر : اسم فرس له، والنثرة : الدرع، وزغف : لينة واسعة محكمة، أو دقيقة حسنة السلاسل.

(٣) يروى صدر هذا البيت :

* حولى فوارس من أسيد شجعة *

ويروى فى عجزه «وإذا غضبت» كما يروى «وإذا نزلت» ويروى البيت

حولى فوارس من أسيد جمة وبنى الهجيم وحول بيتى خضم

وانظر لسان العرب (خ ض م).

بعضا تقنعوا ، حتى لا يعرفوا ، وذكر عن طريف هذا ـ وكان من الشجعان ـ أنه كان لا يتقنع كما يتقنعون ، فوافى عكاظ سنةً ، وقد حشدت بكر بن وائل ، وكان طريف هذا قبل ذلك قد قتل شراحيل الشيبانى ، فقال حصيصة[١] بن شراحيل : أرونى طريفا ، فأروه إياه ، فجعل كلما مر به طريف تأمله ونظر إليه ، حتى فطن له طريف ، فقال له : مالك تنظر إلى مرة بعد مرة ؟ فقال : أتوسمك لأعرفك فلله على إن لقيتك فى حرب لأقتلنك أو لتقتلنى ، فقال طريف عند ذلك الأبيات المارة

والشاهد فيه : مجىء المسند فعلا ليفيد حدوث التجدد حالا بعد حال ، وهو هنا « يتوسم » أى يتفرس الوجوه ويتصفحها ، يحدث منه ذلك شيئا فشيئا ولحظة فلحظة .

مقتل طريف العنبرى

ثم إن بنى عائذة حلفاء بنى ربيعة من ذهل بن شيبان ، خرج منها رجلان يصيدانِ ، فعرض لهما رجل من بنى شيبان فَذَعر عليهما صيدهما ، فوثبا عليه فقتلاه فثارت بنو مرة بن ذهل بن شيبان يريدون قتلهما ، فأبت بنو ربيعة عليهم ذلك فقال هانىء بن مسعود ـ وهو رئيسهم ـ : يا بنى ربيعة ، إن إخوانكم قد أرادوا ظلمكم فانحازوا عنهم ، ففارقوهم ، فساروا حتى نزلوا بمبايض[٢] ماء لهم ، فأبق عبد لرجل من بنى ربيعة وسار إلى بلاد تميم فأخبرهم أن حيا جريدا من بنى بكر بن وائل نزل على مبايض وهم بنو ربيعة ، والحى الجريد : المنتقى من قومه ، فقال طريف بن

---

(١) فى معجم البكرى « حمصيصة » بزيادة ميم بعد الحاء .

(٢) مبايض : ماء من مياه بنى تميم ، وانظر حديثه فى كامل ابن الأثير (١ ـ ٣٦٨) وفى العقد الفريد وفى معجم البكرى ومعجم ياقوت وكان فى الأصول « منابض » محرفة عما ذكرناه ، قال ياقوت فى ترجمة « مبايض » ما نصه « مبايض بالضم وآخره معجمة : موضع كان فيه يوم للعرب قتل فيه طريف بن تميم فارس بنى تميم ، قتله حمصيصة بن جندل ، وقتل فيه أبو جدعاء الطهوى وكان من فرسان تميم » اهـ

العنبرى : هؤلاء ذرى يا آل تميم ، إنما هم أكلة رأس ، وأقبل فى بنى عمرو بن تميم فأنذرت بهم بنو ربيعة ، فانحاز بهم هانىء بن مسعود رئيسهم إلى علم مبايض ، وأقاموا عليه وسرحوا بالأموال والسرح وصبحتهم تميم ، فقال لهم طريف: افرغوا من هؤلاء الأكاب يصف لكم ما وراءهم ، فقال له بعض رؤساء قومه : أنقاتل أكلبا أحرزوا أنفسهم ونترك أموالهم ؟ ما هذا برأى ، وأبوا عليه ، وقال هانىء لأصحابه : لا يقاتل رجل منكم ، فلحقت تميم بالنعم والعيال فأغاروا عليهما ، فلما ملأوا أيديهم من الغنيمة ، قال هانىء لأصحابه : احملوا عليهم ، فهزموهم ، وقتل يومئذ طريف بن العنبرى ، قتله حصيصة الشيبانى بن شراحيل ، وقال فى ذلك (١)

وَلَقدْ دَعوتَ طَرِيفُ دَعوةَ جاهلٍ سَفَهًا وَأنت بِمعلمٍ قدْ تَعلم
وَأتيتَ حَيًّا فى الحروبِ مَحلهمْ وَالجيشُ باسمِ أبيهمُ يُستهزمُ (٢)
فوجدتَ قَومًا يمنعونَ ذِمارهمْ بُسْلًا إذَا هابَ الفوارسُ أقْدموا
وإذا دَعوْا بِبنى رَبيعةَ شمرُوا بكتائبٍ دُونَ النِّساءِ تَلَمْلَمُ (٣)
حَشدُوا عَليك وَعجلوا بِقِراهمُ وَحموْا ذِمارَ أبيهمُ أنْ يُشتمُوا
سَلبوكَ دِرعكَ وَالأغرّ كليهما وَبنُو أُسَيِّدٍ أسلموكَ وخَضّمُ

* * *

(١) نسبها الأصمعى فى الأصمعيات (٦٨) إلى عمرو بن حى التغلبى ورواها خمسة أبيات تتفق فى أربعة من هذه الستة .

(٢) فى الأصمعيات « ولقيت حيا فى الحروب »

(٣) فى الأصمعيات « وإذا دعوا بأبى ربيعة » وفى أصول هذا الكتاب « دور النساء تلمم » وهو محرف عما أثبتناه موافقا لما فى الأصمعيات وأصل تلملم تتلملم فحذف إحدى التاءين تخفيفا

شاهد مجىء المسند اسما ليفيد الثبوت

٣٨ — لاَ يألَفُ الدِّرْهمُ المضْرُوبُ صُرَّتَنَا
لكِنْ يَمُرُّ عَلَيْهَا وَهْوَ مُنْطَلِقُ

البيت للنضر بن جؤيّة [أوجؤية] (١) بن النضر، من أبيات من البسيط، وقبله:

قالتْ طَرِيفَةُ ما تَبقى دَراهِمنا وَما بِنا سَرفٌ فِيها ولا خُرقُ
إنا إذا اجتمعتْ يوْماً دَراهِمنا ظَلَّتْ إلى طُرقِ المعروفِ تَستبقُ

و بعدهما البيت، و بعده:

حتى يَصيرَ إلى نَذْلٍ يُخلِّدهُ يَكادُ مِنْ صَرِّهِ إيَّاهُ يَنمزقُ

ونسبه صاحب المغرب لملك إفريقية يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب الأزدى

والشاهد فيه: مجىء المسند اسما لافادة الثبوت والدوام لا التقييد والتجدد، يعنى أن الانطلاق (٢) ثابت له من غير اعتبار تجدد.

وفى معنى البيت قول المتنبى (٣) [من البسيط]:

وكلَّما لقىَ الدينارُ صاحبهُ فى مِلْكهِ افترقَا من قبلِ يصْطحبَا
مالٌ كأنَّ غرابَ البينِ يرقبهُ فكلما قيلَ هذا مجتدٍ نعبَا

وما أحسن قول ابن النقيب فى معناه [من الطويل]:

ومَا بين كفِى والدراهم عامر ولستُ لها دونَ الورى بخليل
وما استوْطَنَتْهَا قطُّ يوماً وإنما تمرُّ عليها عابراتِ سبيلِ

(١) هذه الزيادة فى اوحدها وقد خلت منها جميع النسخ، ويؤيد هذه الزيادة أن العكبرى روى فى شرح ديوان المتنبى قوله «إنا إذا اجتمعت — البيت» ونسبه إلى جؤية بن النضر! وذكر بيت الشاهد غير منسوب انظره «١-١١٦».

(٢) فى المطبوعتين «يعنى أن الاطلاق» وليس بشىء، إنما الانطلاق الذى أخذ منه قول الشاعر «منطلق»

(٣) من قصيدة له يمدح فيها المغيث بن على بن بشير العجلى (الديوان ١-١٠٩ - بشرح العكبرى).

وما ألطفَ قولَ السراج الوراق [من مجزوء الكامل] :

إنّ الدراهمَ مسَّهَا ألمٌ يشق على الكرام
الضربُ أول أمرهَا والحبسُ فى أيدى اللئام
ما ذا على شؤم الدرَا هِمِ من مقاساةِ الأنَامِ
ويخوفها مِنْ ذَا وذَا كَ تفرُّ من أيدى الكرام

ولطيفٌ قولُ بعضهم [من المتقارب] :

رأيتُ الدراهِمَ أبغَضْنَنِى كأنى قتلتُ أبا الدِّرهَمِ

* * *

شاهد تقديم المسند

٣٩ — * لَهُ هِمَمٌ لاَ مُنْتَهَى لِكِبَارِهَا *

قائله حسان بن ثابت الأنصارى (١) رضى الله عنه ، يمدح النبى صلى الله عليه وسلم ، من قصيدة من الطويل ، وتمامُهُ :

* وهِمَّتُهُ الصُّغْرَى أجلُّ من الدهرِ *

وذكر بعضهم أنه لبكر بن النطاح فى أبى دُلف العجلى ، ولعل الحامل له على هذا ما حكى أن أبا دُلف لحق أكرادا قطعوا الطريق فى عمله ، وقد أردفَ فارسٌ منهم رفيقاً له خلفهُ ، فطعنهما جميعاً ، فأنفذهما ، فتحدث الناس أنه أنفذ بطعنة واحدة فارسين ، فلما قدم من وجهه دخل عليه ابن النطاح ، فأنشده قوله فيه (٢) [من الكامل] :

قالوا و ينظمُ فارسين بطعنةٍ يومَ اللقاء ولا يراهُ جليلاَ
لاتعجبُوا فلوَ أن طولَ قناتهِ ميلٌ إذَن نظمَ الفوارسَ ميلاَ

(١) لا يوجد فى ديوان حسان ، ولا له كلمة على هذا الروى .
(٢) انظر هذه القصة والأبيات التى رواها المؤلف فى الأغانى (١٧ – ١٥٥)

فأمر له أبو دُلَفٍ بعشرة آلاف درهم، فقال بكر فيه أيضاً [من الطويل]:

لَهُ راحةٌ لو أن معشارَ جودِها ... على البر كان البرُّ أندى من البحر

ولو أن خالقَ اللهِ فى جسمِ فارسٍ ... وبارَزَهُ كان الخلىُّ من العُمْرِ

أبا دُلَفٍ بورِكْتَ فى كل بلدةٍ ... كما بورِكَتْ فى شهرها ليلةُ القدرِ

فلما كانت هذه الأبيات موافقة لذلك البيت فى الوزن والقافية، نسب لبكر بن النطاح المذكور، والذى يقوى أنه ليس لبكر بن النطاح أنه لم يوجد فى أخباره إلا الأبيات الثلاثة المذكورة، وهذا البيت جليل بالنسبة إليها، فلو كان منها لنص عليه بالذكر. ونقل بعضهم أن أعرابياً دخل على أمير فقال يمدحه [من الطويل]:

فتى تَهْرُبُ الأموالُ من جود كفِّهِ ... كما يَهْرُبُ الشيطانُ من ليلة القدرِ

لَهُ هِمَمٌ لا مُنْتَهَى لكبارِهَا ... وهِمَّتُهُ الصغرى أجلُّ من الدهرِ

لهُ راحة لو أن معشار جودِهَا ... على البرِّ كان البرُّ أندى من البحرِ

فقال له الأمير: احتكم، أو فوِّض إلىَّ الحكم، فقال الأعرابى: بل أحتكم بكل بيت ألف درهم، فقال الممدوح: لو فوضت إلينا الحكم لكان خيراً لك، فقال: لم يكن فى الدنيا ما يسع حكمك، فقال: أنت فى كلامك أشعر من شعرك، وأمر مكان كل ألف بأربعة آلاف.

والهمم: واحدها همة، بالكسر وتفتح، وهى ماهمَّ به من أمر ليفعل.

والشاهد فيه: تقديم المسند، وهو «له» للتنبيه من أول وَهْلة على أنه خبر لهمم، لا نعت له، إذ لو تأخر لتوهم أنه نعت له لا خبر.

ترجمة حسان ابن ثابت

وحسان (١) بن ثابت بن المنذرَ بن حرام الخزرجى رضى الله عنه، وأمُّه

(١) تجد ترجمة حسان بن ثابت فى الأغانى (٢ : ٢ - ١٧) وفى تاريخ دمشق (٤ : ١٢٥).

الفريعة [١] . ويكنى أبا الوليد ، وهو من فحول الشعراء ، وقد قيل : إنه أشعر أهل المدن [٢] ، وكان أحد المعمرين المخضرمين ، عُمِّرَ مائة وعشرين سنة : منها ستون فى الجاهلية ، وستون فى الاسلام .

وعن سليمان بن يسار قال : رأيت حسان بن ثابت رضى الله عنه ، وله ناصية قد سدلها بين عينيه .

وعن محمد النوفلى رحمه الله قال : كان حسان بن ثابت يخضب شاربه وعنفقته بالحناء ، ولا يخضب سائر لحيته ، فقال له ابنه عبد الرحمن : يا أبت لم تفعل هذا ؟ قال : لأكون كأنى أسد ولغَ فى دم .

وعن أبى عبادة قال : فضل حسان بن ثابت الشعراء بثلاثة : كان شاعر الأنصار فى الجاهلية ، وشاعر النبى صلى الله عليه وسلم فى النبوة ، وشاعر اليمن كلها فى الاسلام .

وعن سعيد بن المسيب رحمه الله قال : جاء حسان رضى الله عنه إلى نفر فيهم أبو هريرة ، فقال : أنشدك اللهَ أسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : أجب عنى ، ثم قال : اللهم أيدهُ بروح القدس ! قال أبو هريرة : اللهم نعم .

وحدث سماك بن حرب قال : قام حسان فقال : يا رسول الله ، إيذن لى فيه ، يعنى أبا سفيان بن حرب [٣] . وَكان يهجو النبى صلى الله عليه وسلم . وأخرج له لساناً أسود ، وقال : يا رسول الله ؛ لو شئت لفريت به المزاد ؛

(١) هى الفريعة بنت خالد بن قيس بن لوذان ، خزرجية أيضا .
(٢) فى الأغانى « وقد قيل إنه أشعر أهل المدر » . وما هنا فى جملته منقول عنه .
(٣) الذى كان يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم هو أبو سفيان ابن الحارث بن عبد المطلب ، وهو ابن عم النبى صلوات الله وسلامه عليه

يإذن لى فيه ، قال : اذهب إلى أبى بكر ليحدثك حديث القوم وأيامهم ، وأحسابهم ، ثم اهجهم وجبريل معك ، فأتى أبا بكر ، فأعلمه بما قال النبى صلى الله عليه وسلم، فقال : كف عن فلانة ، واذكرْ فلانة ، وكف عن فلان، واذكر فلانا ، فقال [من الوافر] :

هجوتَ محمداً فأجبتُ عنهُ وعند الله فى ذاكَ الجزاء

فان أبى ووالدتى وعرضى لعرضِ محمدٍ منكم وقاء[1]

أتهجوهُ ولستَ لهُ بند فشركما لخيركما الفداء

وحدث جويرية بن أسماء قال : بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أمرتُ عبد الله بنَ رواحةَ فقال وأحسن ، وأمرت كعب بن مالك فقال وأحسن ، وأمرتُ حسان بن ثابت فشفى وأشفى .

وعن جابر رضى الله عنه قال : لما كان عام الأحزاب وردّ اللهُ الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً ، قال النبى صلى الله عليه وسلم : مَنْ يَحْمِي أعراضَ المسلمين ؟ فقال كعب رضى الله عنه : أنا يارسول الله ، وقال عبد الله ابن رواحةَ : أنا يا رسول الله ، وقال حسان بن ثابت : أنا يارسول الله ، قال عليه السلام : نعم اهجهم أنت فانه سيعينك الله بروح القدس .

وعن سعيد بن جُبَير رحمه الله قال : جاء رجل إلى ابن عباس رضى الله عنهما فقال : قد جاء اللعينُ حسانُ من الشام ، فقال ابن عباس : ما هو بلعين ، لقد نَصَرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بلسانه وَنفسه .

وعن مسروق قال : دخلت على عائشة وعندها حسان ، وهو يقول [من الطويل] :

حَصَانٌ رَزَانٌ مَا تُزَنُّ بريبةٍ وتُصْبِحُ غَرْثَى من لحومِ الغَوَافِلِ

---

(١) فى الأغاني والديوان وتاريخ دمشق « فان أبى ووالده » .

فقالتْ له عائشة رضى الله عنها : لكن أنت لست كذلك ، فقلتُ لها : أيدخل هذا عليك وقد قال الله عز وجل (والذى تولى كِبرَهُ منهمْ لهُ عذابٌ عظيمٌ) فقالت : أما تراه فى عذاب عظيم وقد ذهب بصره .

وحدث مالك بن عامر قال : بينا نحن جلوس عند حسان بن ثابت وحسان مضطجعٌ مسندٌ رجليه إلى فارع[1] قد رفعهما عليه إذ قال : مَهْ ، ما رأيتم ؟ ما مر بكم الساعة ؟ قال مالك : فقلنا : لا والله ، وما هو ؟ فقال حسان : فاختة[2] مرت بكم الساعة بينى وبين فارع ، فصدمتنى ، أو قال فزحمتنى ، قال : فقلنا وما هى ؟ قال[3] [من الطويل] :

ستأتيكمُ غداً أحاديثُ جمةٌ فأصغوا لها آذانكمْ وَتسمَّعوا

قال مالك بن عامر : فصبِّحنا من الغد حديثُ صفين .

وحدث العلاء بن جزء العنبرى قال : بينا حسان بن ثابت بالخيف ، وهو مكفوفٌ إذ زفرَ زفرةً ، ثم قال [من الكامل] :

وكأنَّ حافرها بكل خميلة صاع يكيلُ به شحيحٌ معدمُ

عارى الأشاجع من ثقيف أصله عبدٌ ويزعمُ أنهُ من يقدمُ

قال : والمغيرة بن شعبة الثقفى جالس قريباً ، فسمع ما يقول ، فبعث إليه

---

(١) فارع : حصن حسان .

(٢) الفاختة : طائر .

(٣) وقع هذا فى المطبوعتين كأنه كلام منثور ، وهو بيت من الشعر من الطويل . وفي الأغانى « ستأتيكم غدوا » وهو الأصل في غد ، ومنه قول الراجز :

* إن مع اليوم أخاه غدوا *

وقول لبيد بن ربيعة العامرى :

وما الناس إلا كالديار وأهلها بها يوم حلوها وغدوا بلاقع

بخمسة آلاف درهم ، فقال : من بعث إلى بهذه ؟ فقالوا: المغيرة بن شعبة سمع ماقلت ، فقال : واسوأتاه ، وقبلها .

وحدث الأصمعي قال: جاء الحارث بن عوف إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال:أجرني من شعر حسان ، فلومُزِجَ البحر بشعره لمزجه ، وكان السبب فى ذلك أن الحارث بن عوف أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له : ابعث معي من يدعو إلى دينك فانى له جار ، فأرسل صلى الله عليه وسلم معه رجلا من الأنصار فغدرت بالحارث عشيرته ، فقتلوا الأنصاريَّ ، فقدم الحارث على النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان صلى الله عليه وسلم لايؤنب أحدا فى وجهه ، فقال : ادعوا لى حسان ، فلما رأى الحارث أنشده [من الكامل] :

يا حارِ مَنْ يَغدرْ بِذمَّةِ جارِه ... مِنكمْ فإن محمداً لم يَغدِرِ
إنْ تَغدرُوا فالْغدرُ مِنكم شِيمة ... والغدرُ يَنبتُ فى أصُولِ السُّخبرِ

فقال الحارث : اكففه عنى يا محمد وأؤدى إليك دية الخفارة ، فأدى إلى النبي صلى الله عليه وسلم سبعين عُشَرَاء ، وكذلك كانت دية الخفارة ، وقال : يا محمد إنى عائذ بك من شعره فلو مزج البحر بشعره لمزجه .

وحدث يوسف بن ماهك عن أمه قالت : كنت أطوف مع عائشة رضى الله عنها ، فذكرت حسان فسببته ، فقالت : بئس ما قلت تسبينه وهو الذى يقول [من الوافر] :

فانَّ أبى وَوالدَتِى وَعِرضى ... لِعرضِ محمدٍ مِنكمْ وِقاء

فقالت : أليس ممن لعنه الله فى الدنيا والآخرة بما قال فيك ؟ قالت : لم يقل شيئا ولكنه الذى قال [من الطويل] :

حَصانٌ رَزانٌ ما تُزَنُّ بِرِيبةٍ ... وتُصبحُ غَرْثَى مِنْ لُحومِ الغوافِلِ
فإنْ كانَ ما قدْ جاءَ عنىَّ قلتهُ ... فلاَ رَفعتْ سَوطِى إلىَّ أنامِلى

وكان حسان رضى الله عنه جبانا ، حدث عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما

قال : كانت صفية بنت عبد المطلب فى فارع حصن حسان بن ثابت يوم الخندق قالت : وكان حسان معنا فيه مع النساء والصبيان ، فمر بنا رجل من اليهود، فجعل يطوف بالحصن ، وقد حاربَتْ بنو قريظة وقطعت ما بينها و بين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليس بيننا و بينهم أحد يدفع عنا ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون فى نحور عدوهم لا يستطيعون أن ينصرفوا إلينا ، إن أتانا آت ، قالت فقلت : ياحسانُ إن هذا اليهودى كما ترى يطوف بالحصن ، و إنى والله ما آمنه أن يدلَّ على عوراتنا مَن وراءَنا من يهود ، وقد شُغل عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانزلْ إليه فاقتله ، فقال : يغفر الله لك يا ابنة عبد المطلب لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا ، قالت : فلما قال ذلك ولم أر عنده شيئاً اعتجَرْتُ ثم أخذت عموداً ونزلتُ إليه من الحصن فضربته بالعمود حتى قتلته ، فلما فرغت منه رجعت إلى الحصن ، فقلتُ : ياحسان انزل إليه فاسلبه فانه لم يمنعنى من سلبه إلا أنه رجل ، قال : مالى إلى سلبه حاجة ياابنة عبد المطلب .

وروى أن حسان أنشد رسول الله صلى الله عليه وسلم [من البسيط] :

لَقَدْ غدَوْتُ أمامَ القَوْم مُنْتَطِقاً ... بِصَارِمٍ مثلِ لونِ المِلْحِ قطّاعِ[١]

تَحفِزُ عنى نجادَ السيف سابغةٌ ... فَضْفَاضةٌ مثلُ لونِ النِّهى بالقاع[٢]

فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فظن حسان أنه ضحكَ من صفته نفسه مع جبنه .

---

(١) «منتطقا بصارم» أراد أنه شد سيفه إلى وسطه مكان النطاق وأراد أنه أبيض كلون الملح

(٢) تحفز : تدفع ، ونجاد السيف : حمائله ، وأراد بالسابغة الدرع ، والفضفاضة : الواسعة ،والنهي - بكسر النون وسكون الهاء - الغدير ، ووقع فى المطبوعتين «مثل لون النهر» وأثبتنا ما فى الديوان والأغانى ، وفى تاريخ دمشق «مثل لون الهى» محرفا

وكانت وفاته بالمدينة المنورة سنة أربع وخمسين من الهجرة، رضى الله عنه !

* * *

٤٠ — ثَلَاثَةٌ تُشْرِقُ الدُّنيا بِبَهْجَتِهَا ... شَمْسُ الضحَى وأبو إسْحاقَ والقَمَرُ

شاهد تقديم المسند التشويقي

البيتُ لمحمد بن وهيب ، من البسيط يمدح المعتصم ، وأبو إسحاق : كُنْيته ، واسمه محمد .

حدث أبو محلم قال : اجتمع الشعراء على باب المعتصم ، فبعث إليهم محمد ابن عبد الملك الزيات ، فقال لهم : إن أمير المؤمنين يقول لكم : من كان منكم يحسن أن يقول مثل قول النميرى فى الرشيد [من البسيط] :

خليفةَ الله إن الجودَ أودية ... أحلَّكَ الله منها حيثُ تجتمعُ

من لم يكن ببنى العباسِ معتصما ... فليس بالصلوات الخمس ينتفعُ(١)

إن أخلف القَطْر لم تخلف مخايلهُ ... أو ضاق أمر ذكرناهُ فيتسعُ

فليدخل وإلا فلينصرف ، فقام محمد بن وهيب ، فقال : فينا من يقول مثله ، قال : وأى شىء قلت ؟ فقال [من البسيط] :

ثلاثةٌ تشرقُ الدنيا ببهجتها ... شمسُ الضحى وأبو إسحاق والقمرُ

فالشمس تحكيه فى الاشراق طالعةً ... إذا تقطَّعَ عن إدراكها النظرُ

والبدرُ يحكيه فى الظلماء منبلجاً ... إذَا استنارت لياليه به الغررُ

يحكى أفاعيلَهُ فى كل نائبة ... الغيثُ والليث والصمصامة الذَّكرُ

فالغيث يحكى نَدَى كفَّيْه منهمراً ... إذا استهلَّ بصَوْب الديمةِ المطرُ

وربما صالَ أحيانا على حنقٍ ... شبيهُ صولتهِ الضرغامة الهصر

والهندُوانىُّ يحكى من عزائمه ... صريمةَ الرأى منهُ النقضُ والمرَرُ

(١) فى الأغانى (١٧ — ١٤٢) « من لم يكن بأمين الله معتصما »

وكأنها مشبهٌ شيئاً على حدةٍ ... وقد تخالف فيها الفعلُ والصُّوَرُ
وأنتَ جامعُ مافيهنّ من حسنٍ ... فقد تكامل فيك النفعُ والضررُ
فالخلقُ جسمٌ له رأسٌ يدبّرُهُ ... وأنتَ جارحتاهُ السمعُ والبصرُ

فأمر بادخاله وأحسن جائزته ·

ومما يشبه ذلك قولُ القاسم بن هانىء يمدح جعفراً صاحب (١) المسيلة [من الكامل] :

المدنفانِ من البريّة كلها ... جسمى وطَرفٌ بابلىٌّ أحْوَرُ
والمُشرقاتُ النّيرات ثلاثة ... الشمس والقمرُ المنيرُ وجعْفَرُ

ومثله فى الحسن قول محمد بن شمس الخلافة [من الكامل] :

شيئانِ حدّث بالقَساوة عنهما ... قلْبُ الفتى يهواهُ قلبى والحجر
وثلاثةٌ بالجودِ حدّث عنهُمُ ... البحرُ والملك المعظم والمطرْ

و يقرب منه قول ابن مطروح فى الناصر داود [من السريع] :

ثلاثة ليسَ لهم رَابعٌ ... عليهمُ مُعتمَدُ الجودِ
الغيْثُ والبحر وعزّزْها ... بالمَلِكِ الناصر داود

وقول أبى محمد اليافى [من المنسرح]:

ثلاثةٌ ما اجتمعْنَ فى رَجُلٍ ... إلاّ وأسلمنهُ إلى الأجَلِ
ذُلُّ اغترابٍ وفاقَة وهوىً ... وكُلها سائقٌ على عجلِ

---

(١) ذكرا فى الديوان (٦١ بولاق) وذكر أنهما فى وصف سيف يحيى بن على ولا يظهر ذلك فيهما ، وقد أنشدهما ابن خلكان فى ترجمة أبى على جعفر بن على ابن أحمد بن حمدان الأندلسى صاحب المسيلة وأمر الزاب من أعمال إفريقية (١ـ ١٩٩ النيل)

يا عاذِلَ العاشِقِين إنك لو عذَرتهم كنتَ تبتَ من عذَل

وقول ابن سكرة [من المنسرح] :

في وجهِ إنسانةٍ كلِفْتُ بها أربعةٌ ما اجتمعن في أحَدِ
الوَجهُ بَدرٌ والصُّدغ غاليةٌ والرِّيقُ خمرٌ والثَّغرُ من برَد

وما أصدق قول السراج الوراق [من الرجز] :

ثلاثَةٌ إن صَحِبَتْ ثلاثةً أعْيَتْ علاجَ بَدْوِها والحضَرِ
عداوةٌ مَعْ حسَدٍ ، وفاقةٌ مع كَسَلٍ ، وعلة مَعْ كِبَرِ

و بديع قول ابن نباتة المصري [من السريع] :

تناسَبَتْ فيمن تعشَّقتُهُ ثلاثةٌ تُعجب كل البَشَرْ
من مُقلةٍ سهمٌ ومن حاجِبٍ قَوْسٌ ومن نَغْمة صَوْتٍ وَتَرْ

ومما يناسب هذا المقام ما حكاه المدايني قال : بينا سكينة بنت الحسين رضي الله عنهما تسير ذات ليلة إذ سمعت حاديا يحدو و يقول [من الرجز] :

* لولا ثلاثٌ هُنَّ عيشُ الدهرِ *

فقالت لقائد قطارها (١) : الحق بنا هذا الرجل حتى نسمعَ منه ما هذه الثلاثة ، فطال طلبه لذلك حتى أتعبها ، فقالت لغلام لها : سر أنت حتى تسمع منه ، فرجع إليها فقال : سمعته يقول :

* الماءُ والنومُ وأُم عمرو *

فقالت : قبحه الله ! أتعبني منذ الليلة .

(١) القطار – بكسر القاف – الجماعة من الابل على نسق واحد ، ويجمع على قطر ، بزنة كتاب وكتب ، وقد تجمع القطر على قطرات

ومما يجرى من ذلك مجرى الملح ما أنشده الخليل فى كتاب العين ، وهو [من الخفيف] :

إن فى دارنا ثلاث حبَالى فوَدِدنا لو قد وَضَعن جميعا
جارتى ، ثم هِرّتى ، ثم شاتى فإذا ما وَلَدْنَ كُنَّ رَبيعا
جارتى للرّضاع ، والهرُّ للفا رِ ، وشاتى إذا اشْتَهَينا مَجيعا[١]

ومن هذا الباب قول جرجيس يهجو طبيباً [من السريع] :

عَلِيله المسكينُ من شُؤمِهِ فى بحر هُلْكٍ ما له ساحِلُ
ثلاثة تدخلُ فى دَفعَةٍ طلعتُهُ والنعشُ والغـاسِلُ

وقول الآخر [من السريع] :

ثلاثة طابَ بها المجلِسُ الوَردُ والتفاح والنَّرجس

وقول الآخر [من السريع] :

ثلاثة طاب بهـا العمر وجْهُكَ والبستانُ والخمر

وقول الآخر [من السريع] :

ثلاثة عن غيرها كافيهْ هى المُنَا والأمنُ والعافيهْ[٢]

وقول أبى بكر البلخى [من مخلع البسيط] :

ثلاثة فَقْدُها كبيرُ الخبزُ واللحمُ والشَّعيرُ
والبيتُ من كلّها خلاء تَجْـهد بها أيها الأميرُ

---

(١) المجيع : التمر يعجن باللبن ، أو اللبن يشرب على التمر

(٢) فى هامش مطبوعة بولاق ما نصه «قوله هى المنى إلخ هكذا فى النسخ والمحفوظ * الأمن والاسلام والعافية * » اهـ

وقول الآخر [من الرجز] :

ثلاثة ليسَ بها اشتراكُ المُشْطُ والمرآةُ والسِّواكُ

وقول أبى الحسن العلوى [من الرجز] :

ثلاثة مَوْصوفَةٌ تجلو البَصرْ الماء والوجهُ الجميلُ والخُضَرْ

وقول الآخر [من الرجز] :

ثلاثة تُذْهِبُ عن قلبى الحزَنْ الماء والخضرةُ والوجهُ الحسَنْ

وقول ابن لنكك بديع هنا [من الطويل] :

أعدَّ الورى للبَردِ جُنْداً من الصَّلا ولاقيتُهُ من بينهم بجنودْ

ثلاثةُ نيرانٍ فنارُ مُدامةٍ ونارُ صَبَاباتٍ ونار وَقُود

وفى معناه قول الصنوبرى [من الخفيف] :

نار راحٍ ونار خدٍّ ونار لحشا الصبِّ بينهنَّ استعارْ

ما أبالى ما كانَ ذا الصيفُ عندى كيف كان الشتاء والأمطار

وظريف قول بعضهم [من مخلع البسيط] :

ثلاثة يُمْنَةً تدور الطَّستُ والكأس والبَخور

وقول غانم المالقى [من السريع] :

ثلاثة يُجهَلُ مقدارُها الأمن والصحَّةُ والقوتُ

فلا تَثِقْ بالمال من غيرِها لو أنه درٌّ وياقوتُ

وظريف قول عبد الرحمن بن محمد الواسطى [من الكامل] :

ما العيشُ إلا خمسةٌ لا سادس لهُم وإن قَصرت بها الأعمارُ

زمَنُ الرَّبيع وشَرْخُ أيام الصبا والكأس والمعشوقُ والدينارُ

وأنشد ثعلب النحوى [من الطويل] :

ثلاث خلال للصديق جعلتها مضارعة للصوم والصلوات
مواساته والصفح عن كل زلة وترك ابتذال السر فى الخلوات

والشاهد فى البيت : تقديم المسند وهو « ثلاثة » للتشويق إلى ذكر المسند إليه ، وهو « شمس الضحى » وما عطف عليه .

ومثله قول أبى العلاء المعرى [من الوافر] :

وكالنارِ الحياةُ فمِنْ رَمادٍ أواخرُها وأوّلُها دُخانُ

فتقديم « كالنار » و « من رماد » كلاهما للتشويق .

ترجمة محمد بن وهيب الحميري

ومحمد بن وهيب [1] حميرى شاعر من أهل بغداد من شعراء الدولة العباسية وأصله من البصرة ، وكان يستميح الناس بشعره ويتكسب بالمديح ، ثم توصل إلى الحسن بن سهل برجاء بن أبى الضحاك ومدحه فأوصله إليه وسمع شعره فأعجب به واقتطعه إليه ، وأوصله إلى المأمون حتى مدحه وشفع له فأسنى جائزته ، ثم لم يزل منقطعاً إليه حتى مات ، وكان يتشيع ، وله مراثٍ فى أهل البيت رضوان الله عليهم وهو متوسط بين شعراء طبقته .

حدث عن نفسه قال : لما تولى الحسن بن رجاء بن أبى الضحاك الجبل قلت فيه شعرا وأنشدته أصحابنا دعبل بن على الخزاعى وأبا سعيد المخزومى وأبا تمام الطائى فاستحسنوا الشعر ، وقالوا : هذا لعمرى من الأشعار التى تلقى بها الملوك ، فخرجت إلى الجبل فلما صرت إلى همذان أخبره الحاجب بمكانى فأذن لى فأنشدته الشعر فاستحسن منه قولى [من الطويل] :

أجارَتنا إنَّ التعففَ باليأسِ وَصبراً على استدرارِ دُنيا بإبساسِ [2]

(١) له ترجمة فى الأغانى (١٧ - ١٤٢)

(٢) فى المطبوعتين «وصبرا على استدرار دنياى بالباس» وقد أثبتنا ما فى الأغانى إذ كان لا يتجه لما فى الأصل معنى مستقيم ، والإبساس : أن تدهو الناقة للحلب

حَرَّيان أنْ لا يَقذِفا بِمذلةٍ كَريماً وأنْ لا يُحوجاهُ إلى النّاسِ (١)
أجارَتنا إنْ ٱلقِدَاحَ كَوَاذبٌ وَأَكثرُ أسبابِ النّجاحِ مَعَ الياسِ

فأمر حاجبه باضافتى ، فأقمت بحضرته ، كلما دخلت إليه لم أنصرف إلا بحملان وخلعة وجائزة حتى انصرم الصيف فقال لى : يا محمد ، إن الشتاء عندنا علج فأعد يوماً للوداع ، فقلت : خدمة الأمير أحب إلى ، فلما كاد الشتاء أن يشتد قال لى : هذا يوم الوداع ، فأنشدنى الثلاثة الأبيات فلقد فهمت الشعر كله فلما أنشدته :

أجارَتنا إنْ ٱلقِداحَ كَوَاذبٌ وَأَكثرُ أسبابِ النّجاحِ مَعَ ٱلياسِ

قال : صدقت ، ثم قال : عدوا أبيات القصيدة وأعطوه بكل بيت ألف درهم ، فعدت فكانت اثنين وسبعين بيتا فأمر لى باثنين وسبعين ألف درهم ، وكان فيما أنشدته فى مقامى واستحسنه قولى [من المتقارب] :

دِماءُ المحِبِّينَ ما تَعقِلُ أما فى الهوَى حَكَمٌ يَعدِلُ
تَعبَّدنى حَوَرُ الغانياتِ وَدانَ الشّبابُ لهُ الأخضلُ
وَنظرة عَينٍ تَمَلّتها غِراراً كما يَنظرُ الأحولُ
مُقَسَّمة بَينَ وَجهِ الحبيبِ وَطرفِ الرّقيبِ مَتى يَغفلُ

وحدث خالُ أبى هفان قال : كنت عند أبى دلف فدخل عليه محمد بن وُهَيب الشاعر فأعظمه جداً ، فلما انصرف قال معقل أخوه : يا أخى ، فعلت بهذا مالم يستأهله ، ما هو فى بيت من الشرف ولا فى كمال من الأدب ولا بموضع من السلطان ، فقال : بلى يا أخى إنه لحقيق بذلك ، أولا يستحقه وهو القائل [من المتقارب] :

(١) فى الأغانى «حريان ألا يقذيا»

يَدُلُّ على أنَّــهُ عاشقٌ مِنَ الدَّمعِ مُستشهِدٌ ناطقُ
وَلِى مالكٌ أنا عَبــدٌ لهُ مُقِــرٌّ بأنِّى لهُ وَامِقُ
إذا ما سَموتُ إلى وَصلِهِ تَعرضَ لى دُونَهُ عائقُ
وَحارَبنى فِيهِ رَيبُ الزَّمانِ كأنَّ الزمانَ لهُ عاشقُ

وحدث الحسن بن رجاء قال : كان محمد بن وهيب الحميرى لما قدم المأمون من خراسان مضاعا مطرحا إنما يتصدى للعامة وأوساط الكتاب والقواد بالمديح ويسترفدهم ويحظى باليسير ، فلما هدأت الأمور واستقرت واستوثقت جلس أبو محمد الحسن بن سهل يوماً منفرداً بأهله وخاصته وذوى مودته ومن يقرب من أنسه ، فتوسل إليه محمد بن وهيب بأبى حتى أوصله إليه مع الشعراء ، فلما انتهى إليه القول استأذنه فى الانشاد ، فأذن له ، فأنشد قصيدته التى أولها [من الطويل]:

وَدائعُ أسْرارٍ طَوتها السَّرائرُ وَباحت بمكتوماتهن النَّواظرُ
تمكنَ فى طَىِّ الضَّمير وتحته شبا لوعةٍ عَضبُ الغِرارين باترُ(١)
فأعجمَ عنها ناطقٌ وَهوَ مُعربٌ وَأعربت العجمُ الجفونُ النَّواظرُ

إلى أن قال فيها :

تَعَظَّمهُ الأوهامُ قَبلَ عِيانِهِ وَيَصدرُ عَنهُ الطَّرفُ وَالطرفُ حاسرُ(٢)
بهِ تجتدَى النُّعما وَيستدركُ المُنى وَتستكملُ الحسنى وَترْعَى الأواصرُ
أصات بنا دَاعى نَوالكَ مُؤذناً بجودكَ إلاَّ أنَّهُ لاَ يحاوِرُ(٣)

---

(١) فى الأغانى «ملكت لها طي الضمير»

(٢) فى الأغانى «تعطفه الأوهام» وما هنا أتم معنى

(٣) فى الأغانى «أهاب بنا» وفيه «بدونك» مكان «بجودك» وهو محرف عما هنا

قَسمتَ صُروفَ الدَّهر بأساً وَنائلاً فمالُكَ مَوتورٌ وَسيفُكَ وَاترُ

إلى أن قال فى آخرها :

وَلوْ لم تَكنْ إلاّ بنفسِكَ فاخراً لما انْتسبتْ إلاّ إليكَ المفاخرُ

قال : فطرب أبو محمد حتى نزل عن سريره إلى الأرض ، وقال أحسنت : والله وأجملت ، ولو لم تقل قط ولا قلت فى باقى دهرك غير هذا لما احتجت إلى القول وأمر له بخمسة آلاف دينار ، فأحضرت ، واقتطعه إلى نفسه ، فلم يزل فى كنفه أيام ولايته و بعد ذلك إلى أن مات ما تصدى لغيره .

وحدث ميمون بن هارون قال : كان محمد بن وهيب الشاعر قد مدح على بن هشام وتردد إلى بابه دفعات ، فحجبه ، ولقيه يوماً فى طريق فسلم عليه فلم يرجع إليه طرفه ، وكان فيه تيه شديد ، فكتب إليه رقعة يعاتبه فيها ، فلما وصلت إليه مزقها وقال : أى شىء يريد هذا الثقيل السيىء الأدب ، فقيل له ذلك ، فانصرف مغضبا وقال : والله ما أردت ماله ، و إنما أردت التوسل بجاهه وسيغنى الله عنه ، والله لينمَّن مغبة فعله ، وقال يهجوه [من البسيط] :

أَزْرَتْ عليه بجود خيفةَ العدمِ فصدَّ منهزماً عن شأوِ ذى الهممِ (١)

لوكان من فارسٍ فى بيتِ مكرُمةٍ أو كان من ولد الأملاكِ والعجمِ

أو كان أولهُ أهْلَ البطاح أو الـ ـركبَ الملبِّين إهلالا إلى الحرمِ

أيامَ تتخذُ الأصنام آلهـةً فلا ترى عا كفاً إلا على صنمِ

لشجعتهُ على فعلِ الملوكِ لهمْ طبائعٌ لمْ ترُعها خيفةُ العدمِ

لم تندَ كفاكَ من بذلِ النوالِ كما لمْ يندَ سيفكَ مذْ قلدْتهُ بدمِ

كنت امرأً رفعته فتنة فعلاَ أيامها غادراً بالعهد والذممِ

---

(١) فى الأغانى «أزرت بجود على» .

حتى إذا انكشفتْ عنا عمايتها ورتب الناسُ بالأحساب والقدمِ (١)
ماتَ التخلق وارتادتك مرتجماً طبيعةٌ نذلةُ الأخلاق والشيمِ (٢)
كذاكَ من كانَ لا رأساً ولا ذنباً كدُّ اليدين حديثَ العهدِ بالنعمِ (٣)
هيهاتَ ليسَ بحمال الدياتِ ولا معطى الجزيل ولا المرهوب ذى النقم (٤)

فلما بلغت الأبياتُ على بن هشام ندم على ما كان منه وجزع لها ، وقال : لعن الله اللجاج فانه شر خلق تخلقه الناس ، ثم أقبل على أخيه الخليل بن هشام وقال : الله يعلم إنى لأدخل على الخليفة وعلىّ السيف وأنا مستحى منه أذكر قولَ محمد بن وهيب فىّ :

لم تندَ كفاكَ من بذل النوالِ كما لم يندَ سيفُكَ مذ قلّدته بدمِ

وسمعَ ابن الأعرابى وهو يقول : أهجى بيت قاله المحدثون قولُ محمد ابن وهيب ، وأنشد البيتَ .

وحدث الحسن بن رجاء عن أبيه قال : لما قدم المأمون ، ولقيه أبو محمد الحسن [ابن سهل (٥)] دخلا جميعاً فعارضهما ابن وهيب فقال [من البسيط] :

اليومَ جُدِّدتِ النعماء والمِنَنُ فالحمدُ لله حلّ العقدةَ الزمنُ (٦)

---

(١) فى الأغانى «حتى إذا انكشفت عنا غيابتها»

(٢) فى الأغانى «وارتدتك مرتجما» وهو خير مما هنا

(٣) فى المطبوعتين « لارأس ولا ذنب » وأثبتنا الصواب والموافق لما فى الأغانى

(٤) فى المطبوعتين «ولا الموهوب ذى النعم» محرفا مما أثبتناه موافقا لما فى الأغانى

(٥) زيادة عن الأغاني ، والخبر منقول عنه

(٦) فى الأغانى «اليوم جردت النعماء»

اليومَ أظهرتِ الدنيا محاسنَهَا   للناس لما التقى المأمونُ والحسنُ

قال : فلما جلسا سأله المأمون عنه ، فقال : هذا رجل من حِمْير شاعر مطبوع اتصل بى متوسلا إلى أمير المؤمنين وطالبا الوصول مع نظرائه ، فأمر المأمون بإيصاله مع الشعراء ، فلما وقف بين يديه وأذن له فى الانشاد أنشد قوله [من الكامل] :

طللانِ طالَ عليهما الأمدُ   دثَرا فلا عَلَمٌ ولا نضدُ

لبسَا البلَى فكأنما وجدَا   بعدَ الأحبةِ مثلَ ما أجدُ

حُيِّيتما طَللين حالُهمَا   بعدَ الأحبَّة غيرُ ما عهدُوا

إمّا طواكَ سُلوّ غانيةٍ   فهواكَ لا مللٌ ولا فندُ(١)

إنْ كنتِ صادقةَ الهوى فرِدِى   فى الحبِّ منهلَهُ الذى أردُ

أدمى أرقتِ وأنتِ آمنة   أن ليسَ لى عَقْلٌ ولا قودُ(٢)

إنْ كنت فتّ وخاننى نشب   فلربما لم يحظ مجتهدُ(٣)

حتى انتهى إلى مدح المأمون ، فقال :

يا خيرَ منتسب لمكرمةٍ   فى المجد حيث تنحنح العددُ(٤)

فى كل أنملةٍ لراحتهِ   نَوْء يَسحُّ وعارضٌ حشدُ

(١) فى الأصول « إن ما طلوك » محرفا ، وما أثبتناه موافق لما فى الأغانى

(٢) فى الأغانى «أدمى هرقت» بإبدال الهمزة هاء ، والعقل هاهنا : الدية وهى الابل التى يأخذها أهل القتيل ، سميت بذلك لأنهم كانوا يعقلون الابل بساحة أهل القتيل

(٣) فى الأغانى «وخاننى سبب» وفيه «فلربما يخطىء مجتهد»

(٤) فى الأغانى « حتى تنتج العدد»

وإذا القنا رَعفت أسنَّتها علقاً وصمَّ كعوبها قِصَدُ(١)
فكأن ضوء جبينه قمرٌ وكأنه فى صولةٍ أسدُ
وكأنهُ روحٌ تُدبّرنا حركاتهُ وكأننا جسدُ

فاستحسنها المأمون ، وقال لأبى محمد : احتكم له ، فقال : أمير المؤمنين أولى بالحكم ، ولكن إن أذن لى فى المسألة سألت ، فأما الحكم فلا ، فقال : سَلْ ، قال : تُلْحقه بجوائز مروان بن أبى حَفْصَةَ ، فقال : ذلك والله أردت ، وأمر أن تعد الأبيات ، فكانت خمسين ، فأعطاه خمسين ألف درهم .

وعن أحمد بن أبى كامل قال : كان محمد بن وُهيب تيَّاهاً شديد الزهاء بنفسه ، فلما قدم الأفشينُ ، وقد قتل بابك ، مدحه بقصيدته التى أولها ، [من الهزج] :

طُلُولٌ ومغانيها تناجيها وتَبْكيها

يقول فيها :

بعثتُ الخيلَ والخيرُ عقيدٌ بنواصيها (٢)

وهى من جيد شعره ، فأنشدنا إياها ، ثم قال : ما بها عيب سوى أنها لا أخت لها ، قال : وأمر المعتصم للشعراء الذين مدحوا الأفشين بثلثمائة ألف درهم جرَتْ تفرقتها على يد ابن أبى دُوَادٍ ، فأعطى منها محمد بن وهيب ثلاثين ألفاً ، وأعطى أبا تمام عشرة آلاف ، قال ابن أبى كامل : فقلت لعلى بن يحيى ابن المنجم : أو لا تعجب من هذا الحظ ، يُعْطَى أبو تمام عشرة آلاف درهم وابن وهيب ثلاثين ألفاً ، وبينهما كما بين السماء والأرض ، فقال : لذلك علة .

---

(١) فى الأغانى «رعفت أسنته» وفيه «وضم كعوبه»
(٢) مأخوذ من الحديث «الخيل معقود بنواصيها الخير»

لا تعرفها . كان ابن وهيب مؤدبَ الفتح بن خاقان ، فلذلك وصل إلى هذا الحال .

وحدث أحمد بن أبي كامل أيضاً قال : كنا في مجلس ومعنا أبو يوسف الكندى ، وأحمد بن أبي فنن ؛ فتذاكرنا شعر محمد بن وهيب ، فطعن عليه ابن أبي فنن وقال : هو متكلف حسود ، إذا أنشد شعراً لنفسه قرّظه ووصفه في نصف يوم ، وشكا أنه مظلوم منحوس الحظ ، وأنه لا يقصر به عن مراتب القدماء حال ، و إذا أنشد شعر غيره حسد ، و إن كان على نبيذ عربَدَ عليه ، و إن كان صاحياً عاداه واعتقد فيه كل مكروه ، فقلت له : كلاكما لى صديق ، وما أمتنع من وصفكما جميعاً بالتقدم وحسن الشعر ، فأخبرنى عما أسألك عنه إخبارَ منصف ، أيعدّ متكلفاً منْ يقول [من الطويل] :

أبى لىَ إغضَاء الجفُونِ على القَذَى يقيِنيَ أنْ لاَ عُسْرَ إلا مُفَرَّجُ
ألاَ ربّمَا ضَاقَ الفضَاءُ بأهله فيظهرُ ما بينَ الأسنةِ مخرجُ

أو يعدّ متكلفا من يقول [من الطويل] :

رأت واضحًا فى مفرقِ الرأسِ راعهَا شَرِيجَيْنِ مبيضّ به وبهيم

فأمسك ابن أبي فنن ، واندفع الكندى فقال : كان ابن وهيب ثَنَوِيًّا ، فقلت له : من أين علمت ذلك ؟ أ كلمكَ على مذهب الثنويه قط ؟ قال : لا ، ولكنى استدللت من شعره على مذهبه ، فقلت : ما ذا ؟ قال : حيث يقول :

* طَلَلاَنِ طالَ عليهمَا الأمَدُ *

وحيثُ يقولُ :

* تَفْتَرُّ عنْ سِمْطينِ منْ ذَهبٍ *

إلى غير ذلك مما يستعمله في شعره ، من ذكر الاثنين ، فشغلنى والله

الضحك عن جوابه ، وقلت له : يا أبا يوسف مثلكَ لا ينبغى أن يتكلم فيما لم ينفذ فيه علمهُ .

ودخل محمد بن وهيب على أحمد بن هشام يوما وقد مدحه ، فرأى بين يديه غلمانا روقة مرْدًا ، وخدما بيضا فُرَّهًا ، فى غاية الحسن والجمال والنظافة ، فدُهشَ لما رأى وبقى متحيراً متبلبلاً لا ينطق حرفا واحداً ، فضحك أحمد منه ، وقال له : ويحك ! مالك ؟ تكلم بما تريد ، فقال [من الكامل] :

قدْ كانتِ الأصنامُ وهى قديمةٌ كسرَتْ وجَدَّعَهُنَّ إبراهيمُ
ولديكَ أصنامٌ سلمنَ منَ الأذى وُصفَتْ لَهُنَّ نضَارةٌ ونعيمُ
وَبنَا إلى صنمٍ نلوذُ بركنـهِ فقرٌ وأنتَ إذا هُزِزتَ كريمُ

فقال له : اخترْ من شئتَ ، فاختار واحداً منهم ، فأعطاه إياه ، وقال يمدحه [من الكامل] :

فضلَتْ مكارمُهُ عَلى الأقوامِ وعَلاَ فحازَ مكارمَ الأيامِ
وعلتهُ أبهةُ الجمَالِ كأنهُ قمرٌ بدَا لكَ منْ خِلاَلِ غمَامِ
إنَّ الأميرَ على البريةِ كلهَا بعدَ الخليفةِ أحمدُ بنُ هشَامِ

وحدثَ محمد بنُ وهيب ، قال : جلستُ بالبصرة إلى عطار ، فإذا أعرابية سوداء قد جاءت ، فاشترتْ من العطار[1] خَلُوقا ، فقلت له : تجدها اشترته لابنتها ، وما ابنتها إلا خنفساء ، فالتفتت إلى متضاحكة وقالت : لا ، والله إلا مَهَاةٌ جَيْدَاء ، إن قامَتْ فَقَنَاة ، وإنْ قَعَدَتْ فَحَصَاة ،

---

(١) الخلوق — بفتح الخاء بزنة صبور — ضرب من الطيب

وإنْ مشَتْ فقَطَاة ، أسفلها كثيب ، وأعلاها قضيب ، لا كفتياتكم اللواتى تسمنونهن بالقَتُوت[1] ، ثم انصرفت وهى تقول [من الرجز] :

إن القَتوتَ للفَتـاةِ مَضرطه   يَكربُها فى البطن حتى تثلُطه[2]

فلا أعلم أنى ذكرتها إلا أضحكنى ذكرها .

وبلغ محمد بن وهيب أن دعبلا الخزاعى قال : أنا ابن قولى [من الكامل] :

لا تعجبى يا سلْم من رجـل   ضَحِكَ المشيبُ برأسه فبكى

وأن أبا تمام قال : أنا ابن قولى [من الكامل] :

نَقّلْ فؤادكَ حيثُ شئتَ من الهوى   ما الحبُّ إلا للحبيبِ الأولِ

كم منزلٍ فى الأرض يألفُه الفتى   وحنينُهُ أبداً لأول منزلِ

فقال ابن وهب : وأنا ابن قولى [من المديد] :

ما لمن تمّتْ محاسنُهُ   أن يعادى طرْفَ من رَمَقا

لك أن تبـدى لنـا حُسُناً   ولنا أن نُعملَ الحدَقا

وحدث أبو ذكوان قال : حدثنى من دخـل إلى محمد بن وهيب يعوده وهو عليل ، قال : فسألته عن خبره ، فتشكى ما به ثم قال [من الطويل] :

نفوس المنايا بالنفوس تَشَعّبَتْ   وكلٌّ له من مذهبِ الموتِ مذهبُ

نُراع لذكرِ الموْتِ ساعةَ ذكرِهِ   وتعترضُ الدنيا فنلهو ونلعبُ

وآجالُنا فى كلِّ يوم وليلةٍ   إلينا على غرّاتنـا تتقرب

---

(١) القتوت : الأفاويه

(٢) فى الأغانى «يكر بها بالليل»

أأيقن أن الشيب ينفى حياته   وهوّ لأخلاق الخطيئة يذهب[١]
يقين كأن الشك أغلب أمره   عليه وعرفانٌ إلى الجهل يُنسبُ
وقد ذمّتِ الدنيا إلىّ نَعيمها   وخاطبنى إعجامُها وهو معْرِبُ
ولكننى منها خُلقْتُ لغيرها   وما كنتُ منهُ فهو عندى مُحَبَّبُ

وسأل محمد بن وهيب محمد بن عبد الملك الزيات حاجةً فأبطأ فيها ، فوقف عليه ثم قال له [من الكامل] :

طُبِعَ الكريمُ على وفائِه   وعلى التَّفضلِ فى إخائِه
تغنى عنايتُهُ الصديـ   ـقَ عن التَّعرُّضِ لاقتضائه
حَسْبُ الكريم حياؤه   فَكِلِ الكريم إلى حيائه

فقال له : حسبك فقد بلغت إلى ما أحببت والحاجة تسبقك إلى منزلك.

ومن شعره الجيد قوله [من الخفيف]:

أىُّ خير يرجو بَنُو الدَّهرِ فى الدهـ   ـرِ وما زالَ قاتلاً لبنيه
من يُعمَّرْ يُفجع بفقدِ الأحبَّا   ءِ ومن مات فالمصيبة فيه

ومثله قول الآخر [من السريع] :

من يتَمَنَّ العمرَ فليدَّرِعْ   صبراً على فَقْدِ أحبائِهِ
ومن يعمَّرْ يلْقَ فى نفسهِ   ما يتمنَّاهُ لأعدائِهِ

---

(١) أتى بالواو من « هو » مشددة كما جاء بها الذى يقول :
وإن لسانى شهدة يشتفى بها   وهـو على من صبه الله علقم
وهو مما يجىء فى ضرورات الشعر .

شواهد أحوال متعلقات الفعل

شاهد تنزيل الفعل المتعدى منزلة اللازم

٤١ — شَجوُ حُسَّادِهِ وغَيْظُ عِدَاهُ أَنْ يَرَى مُبْصِرٌ وَيَسْمَعَ وَاعِ

البيت للبحترى ، من قصيدة(١) من الخفيف ، يمدح بها المعتز بالله بن المتوكل على الله ، و يعرض بالمستعين بالله أحمد بن المعتصم ، أولها [من الخفيف] :

لَكِ عهْدٌ لَدَىَّ غيرُ مُضَاع باتَ شوقى طَوعاً له ونزَاعى (٢)
وهَوًى كلما جرى منه دَمعٌ أَيِسَ العاذِلونَ من إقلاعى (٣)
لو توَليتُ عنهُ خيفَ رُجوعى أو تجوَّزتُ فيه خيفَ ارتجاعى

إلى أن يقول فى مديحها :

يبهت الوفدُ فى أسرة وَجْهٍ ساطع الضوءِ مُستنيرِ الشُّعاع
من جَهِير الخطابِ يُضعِف فَضلاً عندَ حالَىْ تأمّلٍ واستماع

و بعده البيت ، وهى طويلة .

والشاهد فيه : جعل الفعل مطلقاً كناية عنه متعلقاً بمفعول مخصوص ، وهو هنا « يرى و يسمع » فانه كما قال التفتازانى رحمه الله تعالى نزلهما منزلة اللازم : أى تصدر منه الرؤية والسماع من غير تعلق بمفعول مخصوص ، ثم جعلهما كنايتين عن الرؤية والسماع المتعلقين بمفعول مخصوص ، هو محاسنه وأخباره ، بادعاء الملازمة بين مطلق الرؤية ورؤية آثاره ومحاسنه ، وكذلك بين مطلق السماع وسماع أخباره ، للدلالة على أن آثاره وأخباره بلغت من الكثرة والاشتهار إلى حيث يمتنع خفاؤها فيبصرها كل راء و يسمعها كل واع ، بل لا يبصر الرائى

(١) انظرها فى الديوان (٢ : ٨٠ — ٨٢ طبع هندية)
(٢) فى الأصول «بات شوقى طوعا له ويراعى» وما أثبتناه موافق لما فى الديوان
(٣) فى الديوان « جرى عنه دمع آيس العاذلين »

إلا آثاره ، ولا يسمع الواعى إلا أخباره ، فذكر الملزوم وأراد اللازم ، على ماهو طريق الكناية ، ولا يخفى فوات هذا المعنى عند ذكر المفعول وتقديره ، لما فى التغافل عن ذكره والاعراض عنه من الابدان بأن فضائله يكفى فيها أن يكون ذو بصر وسمع حتى يعلم أنه المنفرد بالفضل .

ومثاله قول عمرو بن معدى كرب الزبيدى (١) [من الطويل] :

فلو أن قومى أنطقتنى رماحهم　　نطقتُ ولكنّ الرّماح أجَرّتِ

يريد أن يثبت أنه كان من الرماح إجرار وحبس للألسن عن النطق بمدحهم والافتخار بهم ، حتى يلزم منه بطريق الكناية مطلوبه ، وهى أنها أجَرَّته أى شقّت لسانه .

ومثاله قول طفيل الغنوى (٢) [من الطويل] :

جزى الله خيراً جِيرةً حين أزلقت　　بنا نعلنا فى الواطئينَ فزَلّتِ (٣)

أبَوا أن يملّونا ولو أن أمّنا　　تُلاقى الذى يلقَوْن منا لَمَلّتِ

همُ خلطونا بالنفوس وألجأوا　　إلى حجراتٍ أدفأتْ وأظلّتِ (٤)

---

(١) استشهد بهذا البيت الشيخ عبد القاهر الجرجانى فى دلائل الاعجاز (١٢٢) ونسبه أيضا إلى عمرو بن معديكرب ، ومثل هذا البيت والأبيات التى بعده قول جرير بن عطية بن الخطفى :

أمنيت المنى وخلبت حتى　　تركت ضمير قلبى مستهاما

(٢) فى الأصول «العنزى» محرفا ، وما أثبتناه موافق لما فى دلائل الاعجاز والأبيات لطفيل الغنوى يقولها فى بنى جعفر بن كلاب

(٣) فى دلائل الاعجاز «جزى الله عنا جعفراً حين أزلقت» وهو الموافق للغرض الذى قيلت فيه الأبيات

(٤) يروى « أدفأت وأكنت »

أراد ملتنا وأدفأتنا وأظلتنا ، إلا أنه حذف المفعول من هذه المواضع ليدل على مطلوبه بطريق الكناية .

ترجمة البحترى

والبحترى (١) هو الوليد بن عبيد (٢) بن يحيى ، ينتهى نسبه إلى طيء ، ويكنى أبا عبادة ، وهو شاعر فصيح فاضل ، حسن المشرب والمذهب ، نقى الكلام مطبوع ، وله تصرف فى ضروب الشعر سوى الهجاء فان بضاعته فيه نزرة ، وجيده منه قليل . وكان ابنه أبو الغوث يزعم أن السبب فى قلة بضاعته فى هذا الفن ، أنه لما حضره الموت دعا به وقال له : اجمع كل شيء قلته فى الهجاء ، ففعل ، فأمره باحراقه . (٣)

وكان البحترى يتشبه بأبى تمام فى شعره ، ويحذو حذو مذهبه ، وينحو نحوه فى البدائع التى كان أبو تمام يستعملها ، ويراه صاحباً وإماماً ، ويقدمه على نفسه ، ويقول فى الفرق بينه وبينه قولَ منصف : إن جيد أبى تمام خير من جيده ووسطه ورديئه خير من وسط أبى تمام ورديئه ، وكذا هو حكم لنفسه .

وسئل أبو العلاء المعرى : أى الثلاثة أشعر : أبو تمام أم البحترى أم المتنبى ؟ فقال : هما حكيمان ، والشاعر البحترى .

---

(١) للبحترى ترجمة فى الأغانى (١٨ ـ ١٦٧ ـ ١٧٥) وفى تاريخ ابن خلكان (٣ ـ ٩٦)

(٢) فى الأغانى « بن عبيد الله »

(٣) فى الأغانى زيادة على ذلك « ثم قال له : يابنى ، هذا شيء قلته فى وقت فشفيت به غيظى ، وكافأت به قبيحا فعل بى ، وقد انقضى أربى فى ذلك ، وإن بقى وروى وللناس أعقاب يورثونهم العداوة والمودة ، وأخشى أن يعود عليك من هذا شيء فى نفسك أو معاشك ، لافائدة لك ولا لى فيه . قال : فعلمت أنه قد نصحنى واشفق على ، فأحرقته »

وقد شرح المعرى[١] دواوين الثلاثة ، فسمى شرح ديوان أبى تمام «ذكر[٢] حبيب» وشرح ديوان البحترى «عبث الوليد» وشرح ديوان المتنبى «معجز أحمد»

وحدث محمد بن يحيى قال : سمعت عبد الله بن الحسين يقول للبحترى — وقد اجتمعا فى دار عبد الله بالخلد ، وعنده المبرد ، وذلك فى سنة ست وسبعين ومائتين ، وقد أنشد شعراً لنفسه قد كان أبو تمام قال فى مثله — : أنت والله أشعر من أبى تمام فى هذا الشعر ، قال : كلا والله ، إن أبا تمام الرئيسُ والأستاذ ، والله ما أكلت الخبز إلا به ، فقال له المبرد : لله درك ياأبا الحسن — وكان يكنى به أيضاً — فانك تأبى إلا شرفاً من جميع جوانبك .

وحدث البحترى قال : كان أول أمرى فى الشعر ونباهتى أن صرت إلى أبى تمام ، وهو بحمص ، فعرضت عليه شعرى ، وكان الشعراء يعرضون عليه أشعارهم ، فأقبل على وترك سائر من حضر ، فلما تفرقوا قال لى : أنت أشعر مَنْ أنشدنى ، فكيف حالك ؟ فشكوت إليه خَلّة ، فكتب إلى أهل معرة النعمان ، وشهد لى بالحذق فى الشعر ، وشفع لى إليهم ، وقال : امتدحهم ، فسرت إليهم ، فأكرمونى بكتابه ، ووظفوا لى أربعة آلاف درهم ، فكانت أول مال أصبته .

وحدث البحترى قال : أول ما رأيت أبا تمام أنى دخلت على أبى سعيد محمد بن يوسف ، وقد مدحته بقصيدتى التى مطلعها[٣]

---

(١) لم يشرح أبو العلاء ثلاثة الدواوين ، وإنما اختار من كل ديوان منها كلمات أو أبياتا من كلمات وتكلم عنها ، وقد ينتقدها ، وقد طبع من هذه الكتب الثلاثة كتابه عن البحترى المسمى «عبث الوليد»

(٢) المعروف أن اسم الكتاب «ذكرى حبيب»

(٣) انظرها فى الديوان (٢ — ١٤٥) ثم انظر هذه القصة فى الأغانى أثناء ترجمته وفى الموازنة (٦ بتحقيقنا) وفى ابن خلكان (٣ — ٩٧)

أأفاق صبٌّ من هوى فأفيقا أوخانَ عهداً أو أطاع شفيقَا

فسرّ بها أبو سعيد ، وقال : أحسنت والله يافتى ! وكان فى مجلسه رجل نبيل رفيع المجلس منه فوق كل من حضر فى مجلسه ، تكاد تمس ركبته ركبته ، فأقبل على وقال : يا فتى ، أما تستحيى منى ؟ هذا شعرى وتنتحله وتنشده بحضرتى ، فقال له أبو سعيد: أحقاً ما تقول ؟ قال: نعم ، وَ إنما علقه منى فسبقنى به إليك وزاد فيه ، ثم اندفع فأنشد أ كثر القصيدة حتى شككنى علم الله فى نفسى و بقيت متحيراً ، فأقبل على أبو سعيد فقال لى : يا فتى لقد كان فى قرابتك منا وودك لنا ما يغنيك عن هذا ، فجعلت أحلف بكل محرّجة من الأيمان ، أن الشعر لى ، وما سبقنى إليه أحد ، ولا سمعته ، ولا انتحلته ، فلم ينفع ذلك شيئاً وأطرق أبوسعيد ، وقطع بى حتى تمنيت أنى سختُ فى الأرض ، فقمت منكسر البال أجرّ رجلى ، فخرجت ، فما هو إلا أن بلغت باب الدار ، حتى خرج الغلمان فردونى ، فأقبل على الرجل ، فقال: الشعرُ لك يا بنى ، والله ماقلته قط ، ولا سمعت به إلامنك ، ولكننى ظننت أنك تهاونت بموضعى ، فأقدمت على الانشاد بحضرتى من غير معرفة كانت بيننا، تريد بذلك مضاهاتى ومكاثرتى ، حتى عرّفنى الأمير نسبك وموضعك ، ولوددت أن لاتلد طائية إلامثلك ، وجعل أبو سعيد يضحك ، فدعانى أبو تمام فضمنى إليه وعانقنى ، وأقبل يقرظنى ، ولزمته بعد ذلك ، وأخذتُ عنه ، واقتديت به .

ثم إن البحترىّ اختص بأبى سعيد ، وكان مداحاً له طول أيامه ولابنه من بعده ، ورثاهما بعد مقتلهما وأجاد ، ومراثيه فيهما أجود من مدائحه . وروى أنه قيل له فى ذلك ، فقال: من تمام الوفاء أن تفضل المراثى المدائح ، لا كما قال الآخر ـ وقد سئل عن ضَعْفِ مراثيه ـ فقال: كنا نعمل للرجاء ، ونحن الآن نعمل

للوفاء ، و بينهما بعد (١) .

وكان البحترى من أوسخ خلق الله ثوباً وآلة ، وأبخلهم على كل شىء .

وكان له أخ وغلام معه فى داره ، فكان يقتلهما جوعاً ، فاذا بلغ منهما الجوع أتياه يبكيان ، فيرمى إليهما بثمن أقواتهما مضيقاً مقتراً ، ويقول : كُلاَ ، أجاع الله أكبادكما ، وأعرى أجلادكما ، وأطال اجتهادكما .

وحدث محمد بن بحر الأصبهانى الكاتب ، قال: دخلت على البحترى يوماً فاحتبسنى عنده ، ودعا بطعام له ، ودعانى إليه ، فامتنعت من أكله ، وعنده شيخ شامىّ لا أعرفه ، فدعاه إلى الطعام فتقدم ، فأكل معه أكلا عنيفا ، فغاظه ذلك ، ثم إنه التفت إلى ، فقال لى : أتعرف هذا الشيخ ؟ قلت : لا ، قال : هذا شيخ من بنى الهجيم الذين يقول فيهم الشاعر [من الكامل] :

وبَنُو الهُجيم قبيلةٌ ملعونةٌ حُصُّ اللحى متناسبو الألوانِ (٢)

لو يسمعون بأكلة أو شربة بعمان أضحى جمعهم بعمان

قال : فجعل الشيخ يشتمه ونحن نضحك .

ومن شعره يهجو إنسانا فى لسانه حبسة [من المنسرح] :

أنت كما قد علمت مضطرب الـــهيئة والقدّ ظاهرُ الخلف (٣)

---

(١) روى أن محمد بن يوسف سأل الخريمي أبا يعقوب الشاعر : مابال مدائحك فى منصور بن زياد خيرا من مراثيه ؟ فقال الخريمى : لأن المدح للرجاء والمراثى للوفاء ، و بينهما بون بعيد (انظر الوزراء والكتاب للجهشيارى ٢٦٨) وستأتى هذه القصة فى ترجمة الخريمى صاحب الشاهد رقم ٤٢ الذى يلى هذا

(٢) فى الأغانى «حص اللحى»

(٣) فى الديوان (٢ - ١١٩) «ظاهر الجلف»

وزنة تحت غنة قدرتْ من هالك الراء ذامر الألفِ
كأن فى فيه لقمة عقلتْ لسانه فالتوى على حنفِ
محركٌ رأسهُ توهمهُ قدْ قامَ من عطسة على شرفِ

وهو بليغ التشبيه فى معناه .

وأنشد البحترىّ شيئاً من شعر أبى سهل بن نوبخت ، فجعل يحرك رأسه، فقيل له : ما تقول فيه ؟ فقال: هو يشبه مضغ الماء ليس له طعم ولا معنى .

وقد نظمت هذا لغرض عرض لى فقلت [من المديد] :

ربّ خُذ للشعر من زَمَرٍ أسمعونا منه ما أضنى
مثلُ طعم الماء ليس لهُ فى فمٍ طعمٌ ولا معنى

ورأيت بعد ذلك بيتاً آخر فى المعنى ، وهو [من الوافر] :

حديثٌ مثلُ لعق الماء بحتاً وليس للعق بحت الماء طعمُ

والبحتُ ـ بالمثناة فوقـ الصِّرْفُ .

وذكرتُ بأبيات البحترى فى الحبسة ما نظمته قديما ، وهو [من الرجز] :

إن قالَ شعرا خلته علكا قوياً يعلك
وإنَ شدا فصوتهُ صوت دجاج يمسكُ

واجتازت جاريةٌ بالمتوكل معها كوز ماء ، وهى أحسن من القمر ، فقال: ما اسمك؟ قالت :برهان ، قال : ولمن هذا الماء ؟ قالت: لستى قبيحة ، قال: صبيه فى حلقى ، فشربه عن آخره ، ثم قال للبحترى : قل فى هذا شيئاً ، فقال [من البسيط] .

ماقهوةٌ من رحيق كأسها ذهبٌ جاءت بها الحور من جنات رضوانِ
يوماً بأطيب من ماء بلا عطشٍ شربته عبثاً من كف برهانِ

وحدث أبو الغوث ابن البحترى قال : كتبت إلى أبى يوما أطلب منه نبيذاً ، فبعث إلى بنصف قنينة دردى وكتب إلىّ : دونكها يا بنى فانها تكشف القحط وتقوت الرهط .

وحدث جحظة قال : سمعت البحترى يقول : كنت أتعشق غلاما من أهل منبج ، يقال له شقران ، فاتفق لى سفر فخرجت فيه وأطلت الغيبة ثم عدت وقد التحى ، فقلت فيه ـ وكان أول شعر قلته ـ [من مجزوء الرمل] :

نبتت لحيـة شـقرا ... نَ شقيق النفس بَعْدِى
حلفت كيف أتته ... قبل أن ينجز وعدى

وحدث جحظة قال : كان نسيمٌ غلامُ البحترىِّ الذى يقول فيه : [من الطويل] :

دعا عَبْرتِى تجرى على الجور والقصد ... أظنُّ نسيما فارقَ الهجر من بعدى
خلا ناظرى من طيفه بعد شخصه ... فوا عجباً للدهر فقداً على فقدِ(١)

غلاماً رومياً(٢) ليس بحسن الوجه ، وكان قد جعله باباً من أبواب الحيل على الناس ، فكان يبيعه و يعتمد أن يصير إلى ملك بعض أهل المروءات ومن ينفق عنده الأدب ، فاذا حصل فى ملكه شبب به وتشوقه ومدح مولاه حتى يهبه له فلم يزل ذلك دأبه حتى مات نسيم فكفى الناس أمره .

وقد قال ابن نباتة المصرى مشيراً إلى ذلك [من الوافر] :

وغانيةٍ توافقنى إذا ما ... صَبَوْتُ لها بِذا العقلِ السليم
وأعذرُ إن بَكَيْتُ على رياضٍ ... بكاء البُحترِىِّ على نَسِيمِ

---

(١) فى الأغانى « فقد على فقد »

(٢) « غلاما روميا » هذا خبر كان فى قوله « كان نسيم إلخ »

وحدث الأخفش قال : كتب البحترى إلى محمد بن القاسم (١) القمى يستهديه نبيذاً ، فبعث إليه مع غلام له أمرد ، فجمّشه البحترى ، فغضب الغلام غضباً شديداً ظن البحترى أنه سيخبر مولاه بما جرى ، فكتب إليه [من المتقارب] :

أبا جعفر كان تجميشنا ... غلامك إحدى الهنات الدنيه

بعثت إلينا بشمس المدام ... تضىء لنا مع شمس البريه

فليت الهدية كان الرسول ... وليت الرسول إلينا الهديه

فبعث محمد بن القاسم بالغلام إليه هدية ، فانقطع البحترى بعد ذلك عنه مدة خجلاً مما جرى ، فكتب إليه محمد بن القاسم [من الطويل] :

هجرت كأن البر أعقب حشمة ... ولم أر براً قبل ذا أعقب الهجرا

فقال فيه قصيدة يمدحه [من الكامل] :

إنى هجرتك إذ هجرتك حشمة ... لا العود يذهبها ولا الإبداء

أخجلتنى بندى يديك فسوّدت ... ما بيننا تلك اليد البيضاء

وقطعتنى بالبر حتى إننى ... متوهم أن لا يكون لقاء

صلة غدت فى الناس وهى قطيعة ... عجب وبر راح وهو جفاء (٢)

ليواصلنك ركب شعر سائر ... يرويه فيك لحسنه الأعداء (٣)

---

(١) فى المطبوعتين « البقمى » وكتب بهامش مطبوعة بولاق « فى نسخة القمرى » وكلاهما تصحيف ، وما أثبتناه موافق لما فى الأغانى ، وهو فيه « محمد بن على القمى » وهو الموافق لما فى الديوان (١ - ٦)

(٢) فى الأغانى « عجبا » وهى فى الديوان بالرفع كما هنا ، وكلاهما صحيح فى العربية

(٣) فى المطبوعتين « يرويك فيه » وأثبتنا ما يوافق الديوان ، ووقع فى الأغانى رواية البيت هكذا :

لأوصينك ركب شعرى سائر ... تهذى به فى مدحك الأعداء

حتى يتم لك الثناء مخلداً أبداً كما تمت لك النعماء[١]
فتظل تحسدك الملوك الصيد بي وأظل تحسدني بك الشعراء

وحدث البحتري قال : أنشدت أبا تمام شيئاً من شعري فتمثل ببيت أوس ابن حجر [من الطويل] :

إذا مقرمٌ منا ذرى حدُّ نابه تخمّط منا ناب آخر مقرم[٢]

ثم قال لي : نعيت والله إليّ نفسي ، فقلت : أعيذك بالله من هذا القول ، فقال : إن عمري لن يطول ، وقد نشأ في طيئ مثلك ، أما علمت أن خالد بن صفوان رأى شبيب بن شيبة وهو بين رهطه يتكلم ، فقال : يابني لقد نعي إليّ نفسي إحسانُكَ في كلامك ، لأنا أهل بيت ما نشأ فينا خطيب قط إلا مات الذي من قبله ، قلت : بل يبقيك الله و يجعلني فداك ، قال : ومات أبو تمام رحمه الله بعد سنة

وحدث أبو عنبس[٣] الصيمري قال : كنت عند المتوكل والبحتري ينشده قوله [من مجزوء الكامل] :

عن أي ثغر تبتسم وبأي طرف تحتكم

حتى بلغ إلى قوله فيه :

قل للخليفة جعفر الـــمتوكل بن المعتصم
والمجتدى ابن المجتدى والمنعم ابن المنتقم
اسلم لدين محمد فاذا سلمت فقد سلم

---

(١) في الديوان « كما تمت لي النعماء »

(٢) وقع هذا البيت في المطبوعتين :

إذا مقدم منا ذوى حد نابه تخمط منا ناب آخر مقدم

وهو تحريف في عدة مواضع ، وفي الأغاني « مقدم » في الموضعين

(٣) في الأغاني « أبو العنبس » بالألف واللام

قال : وكان البحترى من أبغض الناس إنشاداً ، يتشادق و يتزاور فى مشيته مرة جانبا ، ومرة القهقرى ، ويهز رأسه مرة ، ومنكبه أخرى ، و يشير بكمه ويقف عند كل بيت ، ويقول : أحسنتُ والله ، ثم يقبل على المستمعين فيقول : مالكم لاتقولون لى أحسنت ؟ هذا والله مما لا يحسن أحد أن يقول مثله ، فضجر المتوكل من ذلك ، وأقبل علىّ فقال : أما تسمع ما يقول يا صيمرى ؟ فقلت : بلى ياسيدى ، فمرنى فيه بما أحببت ، فقال : بحياتى أهجه على هذا الروى الذى أنشدنيه ، فقلت : تأمر ابن حمدون أن يكتب ما أقول ، فدعا بدواة وقرطاس وحضرنى على البديهة [من مجزوء الكامل] :

أدخلتَ رأسكَ فى الرَّحِمْ وعلمتَ أنك تنهَزِم[1]
يابحترىُّ حذار ويحـك من قَضاقضة ضغم
فلقد أسَلْتَ بوالديـك من الهجا سَيْلَ العرم
فبأى عِرْضٍ تَعتصم وبهتكه جَفَّ القلم
والله حلفةَ صادقٍ وبقبرِ أحمد والحرم
وبحق جعفرٍ الاما م ابن الامام المُعْتَصِمْ
لأصيرنك شهرة بين المَسيل إلى العَلَم

فى أبيات أخر من هذا النمط[2] ، قال : فخرج مغضباً يعدو ، وجعلت أصيح به :

أدخلت رأسك فى الرحم وعلمت أنك تنهزم

(١) فى المطبوعتين «أدخلت رأسك فى الحرم» محرفا، وما أثبتناه موافق لما فى الأغانى

(٢) اقرأ تمامها فى الأغانى (١٨ ـ ١٧٣)

والمتوكل يضحك و يصفق بيديه حتى غاب عنه ، وأمر لى بالصلة التى أعدت للبحترى .

وقال أحمد بن يزيد[(١)] : حدثنى أبى ، قال : جاءنى البحترى فقال لى : يا أبا خالد ، أنت عشيرى وابن عمى وصديقى ، وقد رأيت ما جرى على ، أفترى أنى أخرج الى منبج بغير إذن فقد ضاع العلم وهلك الأدب ، فقلت له : لا تفعل من هذا شيئاً فان لى علماً بأن الملوك تمزح بأكثر من هذا ، ومضيت معه إلى الفتح بن خاقان فشكا إليه ذلك ، فقال له نحوا من قولى ، ووصله وخلع عليه ، وسكّن منه ، فسكن إلى ذلك .

وقد ذكرت بحال البحترى فى إنشاده فصلا ذكره الصاحب بن عباد فى وصف أبى الحسن المنجم الشاعر فأحببت إثباته وهو[(٢)] .

لما قتل المتوكل قال أبو العنبس الصيمرى يرثيه [من السريع] :

يا وَحشة الدنيا على جعفر   على الهمام الملك الأزهرِ
على قتيل من بنى هاشم   بين سرير الملك والمنبر
والله ربِّ البيت والمشْعَر   والله لو أن قتل البحترى
لثارَ بالشام له ثائرٌ   فى ألف بغل من بنى عضخرى[(٣)]
يَقْدُمهم كلُّ أخى ذلة   على حمارٍ دبرٍ أعورِ

---

(١) فى الأغانى «أحمد بن زياد»

(٢) سقط هذا الفصل من أصول هذا الكتاب كلها

(٣) فى المطبوعتين « من بنى عصخر » وقال مصحح مطبوعة بولاق فى هامش النسخة : « قوله عصخر كذا فى النسخ التى بأيدينا ولم أقف عليه » وقد أثبتنا ما فى الأغانى

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

---

(١) [illegible] ٢ [illegible] ١٠٠ [illegible]

(٢) في [illegible]

[illegible]

سنة ثلاث ـ وقيل: سنة أربع ، وقيل : خمس — وثمانين ومائتين ، رحمه الله تعالى ! .

***

شاهد ذكر مفعول فعل المشيئة

٤٢ — ولوشئتُ أنْ أبكي دماً لبكيتهُ عليه ولكن ساحةُ الصبرِ أوسعُ

البيت للخريمي[1] من قصيدة من الطويل يرثى بها أبا الهيذام ، وأولها :

قضى وَطراً منك الحبيب المودِّعُ وحلَّ الذى لا يستطاع فيُدْفَعُ

إلى أن قال فيها :

وأعددتهُ ذخرا لكل ملمَّةٍ وسهمُ الرزايا بالذخائر مُولَعُ[2]

وإني وإن أظهرتُ منى جلادة وصانعتُ أعدائى عليه لموجعُ

ملكتُ دموعَ العين حتى رددتها إلى ناظرى إذ أعينُ القلب تدمعُ

وبعده البيت .

والساحة : الفضاء بين الدور .

والشاهد فيه : ذكرُ المفعول ـ وهو « دماً » ـ لكون تعلق فعل المشيئة به غريباً .

أشعار فى بكاء الدم

وقد تفنّن الشعراء فى بكاء الدم ، وتشعبت مسالكهم فى إيراده ، فمن ذلك قول أبى القاسم بن كيكس [من الطويل] :

بكيتُ دماً حتى بقيتُ بلا دمٍ بكاء فتى فردٍ على سكنٍ فردِ

---

(١) وهو من شواهد دلائل الاعجاز (ص ١٢٦) وفى الأصول «الخزيمي» بالزاى محرفا

(٢) هذا البيت وحده فى الأغانى (١٨ - ١١٤) منسوبا للخريمى فى رثاء أبى الهيذام

أأبكى الذى أهواه بالدمع وحده لقد جلّ قدر الدمع فيه إذًا عندى

وقول الشريف الرضى [من الطويل] :

ويوم وقفنا للوداع فكلّنا يَعُدُّ مطيعَ الشوق مَنْ كانَ أحزما

فصرتُ بقلب لا يعنفُ فى الهوى وعينٍ متى استمطرتها أمطرتْ دَمَا

ومثله قول مهيار الديلمىّ [من الطويل] :

بكيتُ على الوادى فحرّمتُ ماءه وكيف يَحِلُّ الماء أكثره دمُ

وقولُ أبى الحسين الباخرزى [من مخلع البسيط] :

عجبتُ من دَمْعَتى وعينى من قبل بَيْنٍ وبعدِ بَيْنٍ

قد كان عينى بغير دمع فصار دمعى بغير عين

ومثله قول مؤلفه فى مطلع قصيدة [من السريع] :

أوّاهُ من دمع بلا عينِ يجرى على الخدين من عينى

وما أحسن قول بعضهم [من الطويل] :

وَلما التقينا للوداع عشية وقد راعها صبرى لدى موقف البينِ

أتت بصِحَاح الجوهرىّ دموعها فعارَضْتُ من دمعى بمختصر العين(١)

ولأبى الفتح البكتمرى [من مجزوء الكامل] :

قالوا بكيتَ دماً فقلـــت مسحت من خدى خَلُوقَا

أبصرتُ لؤلؤ ثغرهِ فنثرتُ من جفنى عقيقَا

لو لا التمسك بالهوى لحملتُ من دمعى غريقَا

ولابن حمديس [من الخفيف] :

---

(١) صحاح الجوهرى: فيه تشبيه الدمع باللؤلؤ، والتورية بكتاب الصحاح الذى ألفه الجوهرى، كما أن فى قوله «مختصر العين» تورية أخرى بمؤلف الزبيدى اختصر فيه كتاب العين للخليل بن أحمد

غشيتْ حِجزَها دموعيَ حُمْراً ... وَهْيَ من لوعة الهوى تتحدّرْ
فانزوتْ بالشهيق خوفاً وَظنتْ ... حَبَّ رمّانِ صدرِها قد تنثرْ
قلتُ عند اختبارها بيديها ... ثمراً صانَهن جيب مزرَّرْ
لم يكن ما ظننتِ حقّاً ولكن ... صبغة الوجد صبغ دمعِيَ أحمر

وهو ينظر إلى قول المنازى يصف وادياً [من الوافر] :

وقانا لفحة الرمضاء وادٍ ... سقاهُ مضاعف الغيث العميمِ
نزلنا دَوْحَهُ فحنا علينا ... حُنُوَّ المرضعات على الفطيم
وأرشَفَنَا على ظمإٍ زلالاً ... أرقَّ من المدامة للنديمِ
يصدّ الشمسَ أنّى واجهتْنَا ... فيحجبها ويأذَنُ للنسيم
يروع حَصَاه حالية العذارى ... فَتَلْمسُ جانبَ العقد النظيم

أردتُ البيت الأخير .

وقد قلب الشيخ بدر الدين بن الصاحب غالب هذه الأبيات هجواً فى حمام فقالَ [من الوافر] :

وحمّامٍ قليـلِ المـاء داجٍ ... وفيـهِ ألفُ شيطانٍ رجيمِ
ولا غيرُ المُزَاحم من رفيقٍ ... ولا غيرُ المُـدَافع من حَمِيمِ
طلبنا ماءهُ فحنـا علينا ... حنوَّ المرضعات على الفطيم
ونقّطنا برَشْـحٍ بعد رشـح ... كمصٍّ من أباريق النديم
يصدّ الحرّ عنـا فى شتاء ... فيحجبهُ ويأذنُ للنسيمِ
يروعُ بهولهِ مَنْ حلّ فيـه ... فيحسب أنهُ هولُ الجحيم

رجع إلى وصف الدمع .

ولأبى بكر الخالدىّ فيه [من البسيط] :

بكى إلىَّ غداةَ البين حين رأى دمعي يفيض وحالي حالُ مبهوت
فدمعتي ذَوْبُ ياقوت على ذهب ودمعُه ذَوْبُ دُرّ فوق ياقوتِ

وللوَأْوَاء الدمشقي في معناه [من الخفيف] :

كلُّ دمع فبالتكلف يَجْرِي غيرَ دمع المحبِّ والمهجور
وَرَّدَ البينُ دمع عيني فأضحى كعقيق أذيب في بَلُّور

وله أيضاً في مثل ذلك [من الكامل] :

فامزج بمائك نار كأسك واسقني فلقد مزجتُ مدامعي بدمائي

ولابن نباتةَ المصري [من الخفيف] :

يا غزالا رنا وغصناً تثنى وهلالا سما وصبحاً أنارا
كان دمعي على هواك لجيناً فأحالَتْهُ نارُ قلبي نُضارا

وما أبدع قوله بعده مع حسن التضمين :

حِليةٌ لا أُعيرُها لمحِبٍّ شَغَلَ الحَلْيُ أهلَهُ أن يعارا

ولابن قلاقس [من الطويل] :

مضى معهم قلبي فلله دَرُّهُ لقد سَرَّني إذ مر مع من يَسُرُّهُ
وأطوَلُ من هجرِ الحبيبِ وصَبْوتي ويومِ النَّوَى ليلي وهمِّي وشَعْرُه
وليس دَماً ماء الجفونِ وإنما فؤادي بماء الدَّمع قد ذابَ جَمْرُهُ

وما أحسن قول أسعد بن إبراهيم بن أسعد بن بليطة [من المنسرح] :

ظَلْتُ به والدموعُ جاريةٌ أُقَبِّلُ الخدَّ منه والليتا
تقطرُ دُرا حتى إذا وَرَدَتْ روْضَةَ خديه عُدْنَ ياقوتا

وقوله أيضاً [من السريع] :

ليسَ ليوم البيْنِ عندي سوى مدامعٍ تجيعُها سَكْبُ

كأنما فُضَّ بأجفانها رُمّانةً فانتثر الحَبُّ

وللمطوعي أيضاً [من البسيط] :

لما استقلَّتْ بهم عِيرُ النوى أُصُلاً وشتتّهم صُروف البين تشتيتا

جعلتُ أنظِمُ في وصف النوى درراً والعينُ تنثر من دمعي يواقيتا

وما أحسن قول المسعودي [من المجتث] :

قالت عهدتك تبكي دماً حِذَارَ التنائي

فما لعينك جادتْ بعد الدماء بماء

فقلت : ما ذاك مني لِسَلْوَةٍ وَعَزَاء

لكن دموعيَ شابت من طول عُمْرِ بكائي

وهو يشبه قول القائل أيضاً [من الكامل] :

قالوا ودمعي قد صفا لفراقهم إنا عَهِدْنَا منك دمعاً أحمرا

فأجبتهم إن الصبابة عُمِّرَتْ فيكم وشاب الدمع لما عُمِّرا

وأحسن منه قول الآخر [من الطويل] :

وقائلةٍ ما بالُ دمعك أبيضا فقلت لها يامَيُّ هذا الذي بَقِي

ألم تعلمي أن النَّوَى طال عمرُه فشابت دموعي مثل ماشاب مَفْرِقي

ومثله أيضا قول ابن الغويرة [من البسيط] :

كانت دموعيَ حمراً قبل بينهمُ فمذ نَأَوْا قَصَّرَتْهَا لوعةُ الحرق

قطفت للحظ ورداً من خدودهم فاستقطر البعدُ ماء الورد من حدقي

ومثله قول محمد بن هبة الله الشهير بأبي دلف الكاتب ويروى لعبد الكافي اليهودي الهاروني [من البسيط] :

يا من يقرِّب وَصْلي منه موعدُهُ لولا عوائق من خُلْفٍ تُباعدهُ

لا تحسبن دموعى البيضَ غيرَ دَمِي ... وإنما نَفَسى الحامى يُصَعِّدُهُ

وقول أبى القاسم بن العطار بديع، وهو [من الكامل]:

ما أدمعى تنهلُّ سَحّاً إنما ... هى مُهجتى سالَتْ من الآماق

وهذا الباب واسع جداً، وفيما أوردناه مقنع.

ترجمة أبى الهيذام

وأبو الهيذام (١) المرثيُّ هنا: هو عامر بن عمارة بن خريم، وهو والد المحدث موسى بن عامر صاحب الوليد بن مسلم وراوى كتبه، وكان أمير عرب الشام وزعيم قيس وفارسها المشهور، وهو قائد العرب المضرية فى الفتنة العظمى الكائنة بدمشق بين القيسية واليمانية فى دولة الرشيد، وهى التى من أجلها قال الرشيد لجعفر بن يحيى البرمكى: ليس لهذا الأمر إلا أنا وأنت، فإما أن تتوجه أو أتوجه أنا، فمضى جعفر إلى الشام، وأخمد الفتن، وكان قد خرج على الرشيد لكونه قتل أخاه، فظفر به وحُمل إليه مقيداً، فلما مثل بين يديه أنشده أبياتاً يستعطفه بها، منها [من الطويل]:

فأحسن أميرَ المؤمنينَ فإنهُ ... أبى اللهُ إلَّا أن يكونَ لك الفضلُ

فمنَّ عليه وعفا عنه.

ومن شعره فى أخيه [من الطويل]:

سأبكيك بالبيض الرِّقاق وبالقَنا ... فإنَّ بها ما يطلُبُ الماجدُ الوَترا (٢)

ولستُ كمن يبكى أخاهُ بعبرةٍ ... يُعَصِّرها فى جَفْنِ مُقلتِه عَصَرا (٣)

---

(١) لأبى الهيذام عامر بن عمارة بن خريم الناعم ترجمة فى تاريخ دمشق (٧-١٧٦) وفيها الأبيات التى يذكرها المؤلف هنا، وفيه حديث الفتنة مفصلا

(٢) فى تاريخ دمشق * فإن بها مايدرك الطالب الوترا *

(٣) في تاريخ دمشق * يعصرها من ماء مقلته عصرا * وذكر بيتا بين هذا والذى بعده، وهو:

ولكننى أشفى الفؤاد بغارة ... ألهب فى قطرى كتائبها جمرا

وإنا أناسٌ ما تفيضُ دموعُنا على هالكٍ منا وإن قَصَمَ الظهرا

وقيل: إنه توفى سنة اثنتين وثمانين ومائة.

ترجمة الخريمى الشاعر

والخريمى هو إسحاق بن حسان، ويكنى بأبى يعقوب، وهو من العجم، وكان مولى ابن خريم(١)، الذى يقال لأبيه خريم الناعم، وهو خريم بن عمرو من بنى مرة بن عوف بن سعيد بن ذبيان، وكان لخريم ابن يقال له عمارة، ولعمارة ابنان يقال لهما عثمان وأبو الهيذام؛ وفى عثمان هذا يقول الخريمى [من الطويل]:

جَزَى اللهُ عثمانَ الخُرَيْمِىَّ خيرَما جَزَى صاحباً جَزْلَ المواهب مُفْضِلاَ

كَفَى جَفْوَةَ الإِخوانِ طُولَ حَياتِهِ وَأَوْرَثَ مِمّا كانَ أَعْطَى وأَخْوَلاَ

وكان عظيم القدر، وأحد القواد. وعمى الخريمى بعدما أسن، وكان يقول فى ذلك، فمنه قوله [من المتقارب]:

فإنْ تَكُ عَيْنى خَبَا نورُها فَكَم قَبلَها نورُ عينٍ خَبَا(٢)

فلَمْ يَعمَ قَلبي وَلكنَّما أَرَى نورَ عَيْنى إليهِ سرَى

فأَسْرَجَ فيهِ إلى نورهِ سِراجاً مِنَ العِلمِ يَشْفى العَمى

وأخذ هذا من قول حبر الأمة عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، وكان عمى فقال [من البسيط]:

إنْ يأخُذِ اللهُ مِنْ عَيْنَىَّ نورَهُما فَفى لِسانِى وقَلبى مِنهما نورُ

قَلبى ذَكِىٌّ وعَقْلى غَيرُ ذِى دَخَلٍ وَفى فَمى صارمٌ كالسَّيفِ مأثورُ

---

(١) ابن خريم هذا هو عمارة والد أبى الهيذام، وخريم الناعم جد أبى الهيذام المرئى، والخريمى منسوب إليه. وفى الأصول «خزيم» بالزاى فى جميع المواطن، وهو تحريف.

(٢) فى الأصول «نور عينى خبا» محرفا بزيادة الياء

وكان أبو يعقوب الخريمى متصلا بمحمد بن منصور بن زياد كاتب البرامكة ، وله فيه مدائح جياد ، ثم رثاه بعد موته ، فقيل له : يا أبا يعقوب ، مراثيك لآل منصور بن زياد أحسن من مدائحك وأجود ، فقال : كنا يومئذ نعمل على الرجاء[١] ونحن الآن نعمل على الوفاء ، و بينهما بون بعيد .

وهو القائل فى عمى عينيه [من المنسرح] :

أصغى إلى قائدى ليخبرنى ... إذا التقينا عمّن يحيينى
أريد أن أعدل السلام وأن ... أفصل بين الشريف والدون
أسمع مالا أرى فأكره أن ... أخطىء والسمع غير مأمون
لله عينى التى فجعت بها ... لو أنّ دهرا بها يواتينى
لو كنت خيّرت ماأخذت بها ... تعمير نوح فى ملك قارون
حقّ أخلاّى أن يعودونى ... وأن يعزّوا عينى ويبكونى

وهو القائل أيضاً [من الوافر] :

إذاما مات بعضك فابك بعضاً ... فانّ البعض من بعض قريب
يمنّينى الطبيب شفاء عينى ... وهل غير الاله لها طبيب

ومن جيد شعره قوله [من البسيط] :

الناس أحلامهم شتى و إن جبلوا ... على تشابه أرواح وأجساد
للخير والشرّ أهل وكلوا بهما ... كلّ له من دواعى نفسه هادى
منهم خليل صفاء ذو محافظة ... أرسى الوفاء أواخيه بأوتاد
ومشعر الغدر يحنى أضالعه ... على سريرة غمر غلّها بادى
مشاكس خدع جمّ غوائله ... يبدى الصفاء ويخفى ضربة الهادى
يأتيك بالبغى فى أهل الصفاء ولا ... ينفك يسعى باصلاح لافساد

(١) أحسب فى العبارة قلبا

ومن جيِّد شعره أيضاً قوله [من الطويل] :

أُضاحِكُ ضيفى قبل إنزالِ رَحلِهِ ... وَيُخصِبُ عندى والمحلُّ جديب
وَماالخصبُ للأضيافِ أنْ يكثرَ القِرى ... وَلكنما وَجهُ الكريم خَصيبُ

وهو القائل [من الطويل] :

وَإنَّ أشدَّ النَّاسِ فى الحشر حَسرةً ... لمورثُ مالٍ غيرَهُ وَهوَ كاسِبهُ
كَفى سَفهاً بالكهل أنْ يتبعَ الصبا ... وَأن يأتِىَ الأمرَ الذى هُوَ عائبهُ

وهو القائل أيضاً [من السريع] :

ما أحسنَ الغيرةَ فى حِينها ... وَأقبحَ الغيرةَ فى كلِّ حِينْ
مَنْ لمْ يزَلْ مُتَّهماً عرسهُ ... مناصبا فيها لِريبِ الظُّنونْ
أوْشك أنْ يُغريها بالذى ... يَخافُ أنْ يُبرزها لِلعيونْ
حَسبكَ مِنْ تحصينها وَضْعُها ... مِنكَ إلى عِرضٍ صَحيحٍ وَدِينْ
لاَ تَطَّلعْ مِنكَ على رِيبةٍ ... فيتبعَ المقرونُ حبلَ القَرِينْ

* * *

مد ذكر
ل المشيئة
م القرينة

٤٣ — وَلَمْ يُبْقِ مِنِّى الشَّوْقُ غيرَ تفَكُّرِى
فَلَوْ شِئْتُ أنْ أبْكِى بَكَيْتُ تفَكُّرا

البيت لأبى الحسن على بن أحمد الجوهرى ، من قصيدة من الطويل .

والشوق : نزاع النفس وحركة الهوى

والشاهد فيه: أن عدم حذف المفعول فيه لانتفاء القرينة لا لغرابة المفعول ، لأن المراد بالبكاء الأول فى البيت البكاء الحقيق ، لا الفكرى ، فكأنه يقول : أفنانى الشوق فلم يبق منى غير التفكر ، فلو شئت البكاء وعصرت عينى ليسيل دمعها لم يخرج منها دمع وخرج بدله التفكر ، فالبكاء الذى أراد إيقاع المشيئة عليه بكاء مطلق مبهم غير مُعَدًّى إلى الفكر البتة ، والبكاء الثانى مقيد مُعَدًّى إلى

التفكر فلا يصلح تفسيرا للأول وبيانا ، كذا قاله التفتازانى نقلا عن دلائل الأعجاز [١] .

والجوهرى هو [٢] .

***

شاهد حذف المفعول لدفع توهم غير المراد

٤٤ — وَكَم ذُدْتَ عَنِّى مِنْ تَحَامُلِ حَادِثٍ
وَسَوْرَةِ أَيَّامٍ حَزَزْنَ إِلَى الْعَظْمِ

البيت للبحترى ، من قصيدة من الطويل ، يمدح أبا الصقر [٣] ، وأولها :

أعَنْ سَفهٍ يوْمَ الأبيْرِقِ أمْ حلمِ ... وُقوفٌ بربعٍ أو بكاءٌ على رسمِ
وما يُنْذِرُ الموسومُ بالشَّيبِ أن يُرَى ... مُعارَ لباسٍ للتصابى وَلا وَسْمِ
تخبِّر أيامى الحديثـاتُ أننى ... تركتُ السرُورَ عِندَ أيامىَ القُدْمِ [٤]
وَأولعتُ بالكتمانِ حتى كأننى ... طُويتُ على ضِغنٍ من الدَّيْنِ أو وغمِ
فإنْ تلقنى نِضوَ العظامِ فإنها ... جريرَة قلبى منذ كنتُ على جسمى

وهى طويلة ، فمنها فى المديح :

كأنك من جِذْمٍ من الناسِ مُفْرَدٍ ... وسائرُ من يأتى الدَّنيَّات من جِذم
كأنا عَدُوًّا مُلْتَقَى ما تقاربتْ ... بنا الدارُ إلا زادَ غرمكَ فى غُنمى

وبعده البيت، وبعده :

أحاربُ قوماً لا أُسَرُّ بسوئهم ... ولكننى أرمى منَ الناس من ترْمى

---

(١) اقرأ عبارة الشيخ فى دلائل الاعجاز (١٢٨)عن بيت الشاهد
(٢) سقطت ترجمة الجوهرى من أصول هذا الكتاب كلها
(٣) ارجع إليها فى الديوان (٢ ـ ٢٣٦ مصر)
(٤) في الديوان * تخبرنى أيامى الحدث *

والذود : الطرد والدفع . والتحامل : تكليف الأمر المشق[1] ، يقال : تحامل على فلان ، إذا كلفه مالا يطاق . وسورة الأيام : شدتها وصولتها واعتداؤها . والحز : القطع

والشاهد فيه :حذف المفعول لدفع توهم إرادة غير المراد من الكلام ابتداء وهو هنا « اللحم » إذ لو ذكر لتوهم قبل ذكر العظم أن الحز لم ينته إليه ، فترك دفعاً لهذا الوهم .

وتقدم ذكر البحترى قريباً .

* * *

٤٥ — قَدْ طَلَبْنَا فَلَمْ نجد لك فى السُّؤْ دَدِ وَالمجد والمكارِمِ مِثْلا

البيت للبحترى ،من قصيدة من الخفيف، يمدح بها المعتز لدين الله[2] وأولها:

إن سير الخليطِ حين استَقَلَّا كانَ عوْناً للدمع لما استَهَلا

فالنَّوى خُطَّةٌ من الهجر ما يَنْـ ـفَكُّ يَشْجَى بها المُحِبُّ ويَبْلَى[3]

فأقلَّا فى غُلْوَةِ اللوم إنى زائدٌ فى الغرام إن لم تُقِلاَّ

وهى طويلة ، فمنها فى المديح :

لم يزَلْ حقُّكَ المُقَدَّم يمحو باطِلَ المستعارِ حتى اضمَحَلا

و بعده البيت ، و بعده :

أنتَ أندى كَفًّا ، وأشرفُ أخلا قًا ، وأزكى قولاً ، وأكرم فِعلاَ

يعرض بذم المستعين .

---

(١) الصواب أن يقول « تكليف الأمر الشاق»

(٢) اقرأها فى الديوان (٢ – ١٧٩ مصر)

(٣) فى الديوان « والنوى خطة »

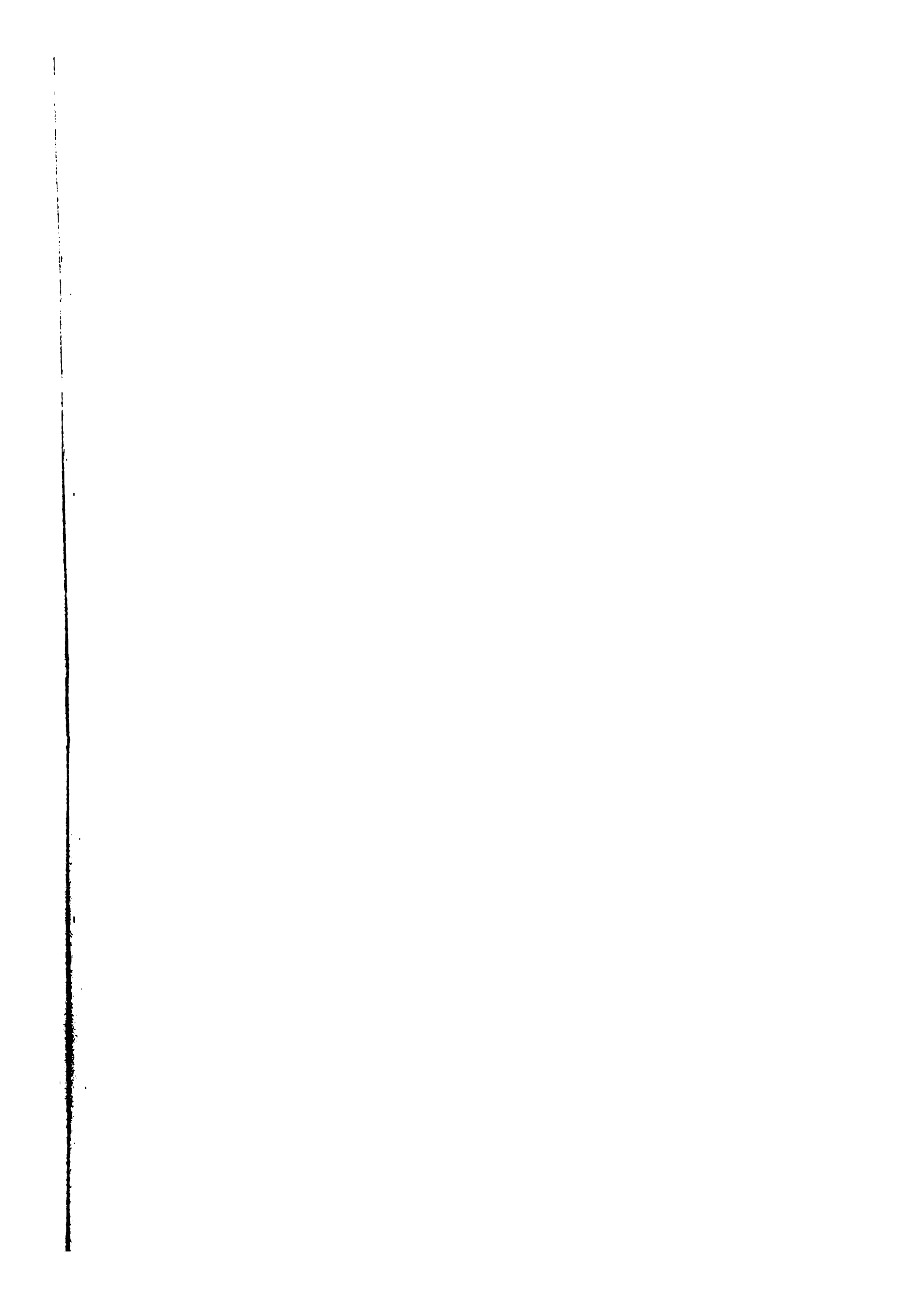
والسؤدد، بالهمز: السيادة. والمجد: نيل الشرف والكرم، أولا يكون إلا بالآباء، والمكارم: فعل الكرم، والمِثْل: الشبه.

والشاهد فيه: حذف المفعول لإرادة ذكره ثانياً على وجه يتضمن إيقاع الفعل على صريح لفظ المفعول، إظهاراً لكمال العناية بوقوع الفعل عليه وترفعا عن إيقاعه على ضميره، وإن كان كناية عنه، لأنه لو قال « قد طلبنا لك مثلا» لناسب أن يقول فلم نجده، وفيه تفويت غرض إيقاع نفى الوُجْدَان على صريح لفظ المثل، لكمال العناية بعدم وجدانه، ولهذا المعنى بعينه عكس ذو الرمة فى قوله [من الوافر]:

ولم أمدح لأرْضِيَهُ بشِعْرِى لئيما أن يكون أصاب مالا

فانه أعمل الفعل الأول الذى هو « أمدح » فى صريح لفظ اللئيم، لا الثانى الذى هو « أرضى »، إذ كان غرضه إيقاع نفى المدح على اللئيم صريحاً، دون الارضاء

ويجوز أن يكون سبب حذف المفعول: ترك مواجهة الممدوح بطلب مثل له مبالغةً فى التأدب، إذ التصريح بطلب المثل يُجَوِّز وجوده، لأن طلب العاقل مبنىٌّ عليه.



شواهد القصر

٤٥ — أنا الذائدُ الحامي الذِّمارَ وإنما يدافع عن أحسابهم أنا أو مثلي

البيت للفرزدق ، من قصيدة من الطويل ، وسببها أن نساء بني مجاشع بلغهن فُحْشُ جرير بهن ، فأتَيْنَ الفرزدقَ وهو مقيد ، وقد تقدم في ترجمته أنه قيد نفسه لحفظ القرآن ، فقلن : قبح الله قيدك ، وقد هتك جرير عورات نسائك فلُحِيتَ شاعرَ قومٍ ، فأحفَظْنَه ، ففك القيد ، وقال[1] :

ألا استهزأت مني سُوَيدة إذ رأتْ أسيراً يداني خطوه حلقُ الحجل[2]

ولو علمتْ أن الوَثاقَ أشدُّه إلى النار قالت لي مقالة ذي عقل

لعمري لئن قَيَّدْتُ نفسي لطالما سعيت وأوْضَعْتُ المطية في الجهل[3]

ثلاثين عاماً ما أرى من عَمَاية إذا برقت إلا أشُدُّ لها رَحْلي[4]

أتتني أحاديثُ البَعِيثِ ودونهُ زرود فشاماتُ العقيق من الرمل[5]

فقلت : أظنَّ ابنُ الخبيثة أنني غفلتُ عن الرامي الكنانةَ بالنبل[6]

فإنْ يكُ قيدي كان نذراً نذرتهُ فمالىَ عن أحساب قوميَ من شغلِ[7]

وبعده البيت ، وبعده :

---

(١) اقرأها في الديوان (٧١١ مصر)

(٢) يروى «ألا هزئت مني هنيدة» وهنيدة : اسم امرأة ، وفي الديوان « أن رأت »

(٣) في الديوان « وأوضعت المطية للجهل »

(٤) في الديوان « إلا شددت لها رحلي »

(٥) في الديوان « فشامات الشقيق إلى الرمل »

(٦) في الديوان « شغلت عن الرامي »

(٧) في الديوان « فما بي عن أحساب قومي »

ولوْ ضاع ماقالوا ارْعَ منَّا وجدتُهمْ شِحَاحاً على الغالى من الحسب الجزلِ

وهى طويلة .

والذمار — بكسر المعجمة — ما يلزمك حفظه وحمايته . والأحساب : جمع حَسَب ، وهو ما يُعد من مفاخر الآباء ، أو هو المال أو الدين ، أو الكرم أو الشرف فى الفعل ، أو الشرف الثابت فى الآباء ، وقد يكون الحسب والكرم لمن لا آباء له شرفاء ، بخلاف المجد كما تقدم .

ومثل قول الفرزدق قول عمرو بن معدى كرب [من السريع] :

قدْ علمَتْ سلمى وجاراتُها ما قَطَّرَ الفارسَ إلا أنا

والشاهد فيه : صحة انفصال الضمير مع « إنما » إلا أنه لما كان غرضه أن يخص المدافِعَ لا المدافَعَ عنه فصل الضمير ، وهو « أنا » ، وأخَّره إذ لو قال وإنما أدافع عن أحسابهم ، لصارت المدافعة مقصورة على أحسابهم دون غيرها ، وليس هذا معناه ، بل معناه أن المدافع عن أحسابهم هو لا غيره .

وجرير[١] هو ابن: عطية بن الْخَطَفَى ، وهو لقبه ، واسمه حذيفة بن بدر بن سلمة[٢] بن عوف بن كليب بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ابن مرة ، ينتهى نسبه لنزار ، ويكنى أبا حَزْرَةَ بفتح الحاء المهملة وسكون الزاى وفتح الراء وبعدها هاء ساكنة ، وهى المرة الواحدة من الحزر

وهو والفرزدق والأخطل المقدمون على شعراء الاسلام الذين لم يدركوا الجاهلية جميعاً ، ومختلَفٌ فى أيهم المقدم ، ولم يبق أحد من شعراء عصرهم إلا تعرض لهم فافتضح وسقط

وكان أبو عمرو يشبه جريرا بالأعشى ، والفرزدق بزهير ، والأخطل بالنابغة

وقد حكم مروان بن أبى حفصة بين الثلاثة بقوله [من الكامل] :

ذهب الفرزدقُ بالفخار ، وإنما حُلْوُ الكلام ومرُّهُ لجرير

ولقد هجا فأمضَّ أخطلُ تغلبٍ وحوى اللُّهى[٣] بمديحه المشهورِ

كلُّ الثلاثةِ قد أبرَّ بمدحهِ وهجاؤه قد سارَ كلَّ مسيرِ

فهو كما تراه حكم للفرزدق بالفخار ، وللأخطل بالمدح والهجاء ، وبجميع فنون الشعر لجرير .

وقال أبو العلاء بن جرير العنبرى ، وكان شيخا قد جالس الناس : إذا لم يجىء الأخطل سابقا فهو سُكَيْتٌ ، والفرزدق لا يجىء سابقا ولا سكيتا ، وجرير يجىء سابقا ومصليا وسكيتا

وحدث مولى لبنى هاشم قال : امترى أهل المجلس فى جرير والفرزدق أيهما

---

(١) تجد ترجمة جرير فى الأغانى (٧ : ٣٨ – ٧٧) وفى الشعراء لابن قتيبه (٢٨٣)

(٢) فى الأصل «بن سلم» وأثبتنا ما فى الأغانى

(٣) اللهي : العطايا .

أشعر ، فدخلت على الفرزدق فما سألني عن شيء حتى نادى : يا نوَار ، أدركت برنيتك يا نوار ؟ قالت : قد فعلت أو كادت ، قال : فابعثي بدرهم فاشترى لحما ، ففعلت وجعلت تشرحه وتلقيه على النار ويأكل ، ثم قال : هات برنيتك ، فشرب قدحاً ثم ناولني ، وشرب آخر ثم ناولني ، ثم قال : هات حاجتك يا ابن أخي ، فأخبرته ، فقال : أعن ابن الخطفى تسألني ؟ ثم تنفس حتى انشقت حيازيمه ، ثم قال: قاتله الله فما أحسن ناجيته (١) ، وأشرد قافيته ، والله لو تركوه لأبكى العجوز على شبابها ، والشابة على أحبابها ، ولكنهم هرُّوه فوجدوه عند الهراش نابحا ، وعند الجد قادحا ، ولقد قال بيتا لأن أكون قلتُه أحبُّ إلى مما طلعت عليه الشمس ، وهو [من الوافر] :

إذا غضبَتْ عليك بنو تميم لقيت القومَ كلهمُ غضابا(٢)

وقال إسحاق بن يحيى بن طلحة : قدم علينا جرير المدينة ، فحشدنا له ، فبينا نحن عنده ذات يوم إذ قام لحاجته ، فجاء الأحوص فقال : أين هذا ؟ فقلنا: قام آنفا ، ما تريد منه ؟ قال: أخزيه، والله إن الفرزدق لأشعر منه وأشرف، فأقبل جرير علينا، وقال : من الرجل؟ قلنا : الأحوص بن محمد بن عاصم بن ثابت ابن أبي الأفلح ، قال : هذا الخبيث بن الطيب ، ثم أقبل عليه فقال : قد قلت [من الطويل] :

يقر بعيني ما يقر بعينها وأحسن شيء ما به العينُ قَرَّت

فانه يقر بعينها أن يدخل فيها مثل ذراع البكر ، أفيقر ذلك بعينك ؟ قال: وكان الأحوص يرمى بالأبنة ، فانصرف وأرسل إليه بتمر وفاكهة

---

(١) فى الأغانى « فما أخشن ناحيته » ولعله محرف عما هنا ، وناجيته : مناجاته يريد أن غزله عذب مستحسن

(٢) المحفوظ * رأيت القوم كلهم غضابا *

٤٦ — * ألاَ أيُّهَا الليلُ الطويلُ ألاَ انجلى *

قائله امرؤ القيس بن حُجْرٍ الكندى ، من قصيدته المشهورة السابقة فى شواهد المقدمة ، وقبله :

وليلٍ كموج البحر أرخى سدوله على بأنواع الهموم ليبتلى

فقلتُ لهُ لما تمَطَّى بصُلبهِ وأردفَ أعجازاً وناء بكلكل

ألاَ أيُّهَا الليلُ الطويلُ ألاَ انجلى بصبحٍ وما الاصباحُ منكَ بأمثلِ

فيالكَ من ليلٍ كأنَّ نجومه بكل مُغَار الفَتْل شُدَّتْ بيَذْبُلِ

والاصباح : الصبح ، وهو الفجر أو أول النهار . والانجلاء : الانكشاف . ومعناه أنه تمنى زوالَ ظلام الليل بضياء الصبح ، ثم قال : وليس الصبح بأمثل منك عندى ، لاستوائهما فى مقاساة الهموم ، أو لأن نهاره يُظْلم فى عينه لتوارد الهموم ، فليس الغرض طلب الانجلاء من الليل ، لأنه لا يقدر عليه ، لكنه يتمناه تخلصا مما يعرض له فيه ولاستطالته تلك الليلَةَ كأنه لا يرتقب انجلاءها ولا يتوقعه ، فلهذا يحمل على التمنى دون الترجى .

والشاهد فيه : استعمال صيغة الأمر للتمنى .

وقد أخذ الطِّرِمَّاح هذا البيت وغير قافيته ، فقال [من الطويل] :

ألاَ أيها الليل الطويلُ ألاَ اصبحِ بيومٍ وما الاصباحُ منكَ بأرْوَحِ

أشعار فى طول الليل

وَما أحسن قول أبى العلاء المعرى فى طول الليل [من الطويل] :

وليْلينِ حالٍ بالكواكب جَوْزُهُ وآخَرُ من حَلْىْ الكواكب عاطلُ

كأنَّ دجاهُ الهجرُ والفجرُ موعدٌ بوصلٍ وضوء الصبح حِبٌّ مماطلُ

دطعْتُ به بحراً يعبُّ عُبابُهُ وليسَ لهُ إلا التبلُّجَ ساحلُ

وللوأواء الدمشقى فيه أيضاً [من مخلع البسيط] :

أطالَ لَيلُ الصُّدودِ حتى أيِستُ مِنْ غُرةِ الصَّباحِ
كأنهُ إذْ دَجا غُرابٌ قَدْ حَضَنَ الأرضَ بالجناحِ

وما أحسن قول الخطيرى [من البسيط] :

شابتْ ذَوائبُ صَبرى يا مُعذِّبتى في لَيلتى وَعِذَارُ اللَّيلِ لمْ يَشِبِ
وَدونَ صُبحىَ سِترٌ مِنْ زُمردَةٍ مُسمرٌ بِمسامير مِنَ الذَّهبِ

ولبعضهم فيه من قصيدة وأحسن ما شاء [من الطويل] :

تَراهُ كَمَلْكِ الزَّنجِ مِنْ فَرطِ كِبرهِ إذا رَامَ مَشياً فى تَبخترهِ أبْطا
مُطِلاً على الآفاقِ والبدرُ تاجهُ وَقدْ عَلّقَ الجوزاء فى أذْنهِ قُرطا

ولشرف الدين بن منقذ فيه أيضاً [من الكامل] :

ولرُبَّ لَيلٍ تاهَ فِيه نَجمهُ فَقطعتهُ سَهراً فَطالَ وعَسْعسا
وَسألتهُ عَنْ صُبحهِ فأجابنى لوْ كانَ فى قَيدِ الحياةِ تَنفَّسا

ومثله قول الآخر [من المجتث] :

ماتَ الصَّباحُ بِلَيْلٍ أحْيَيتهُ حِينَ عَسعسْ
لوْ كانَ لِلَّيلِ صُبحٌ يَعيشُ كانَ تَنفّسْ

ولابن منقذ أيضاً [من الكامل] :

لما رَأيتُ النّجمَ ساهٍ طَرفُهُ والقطبُ قَدْ ألقى عَليهِ سُباتا
وَبناتُ نَعْشٍ فى الحِدادِ سَوَافراً أيقنتُ أنَّ صَباحهمْ قَدْ ماتا

وللوأواء الدمشقى [من الوافر] :

وليلٍ مثل يوم البينِ طولاً إذا أفَلَتْ كواكبُهُ تعودُ
بدائعُ نومِها فيه انتباهٌ فأعيُنُهـا مُفَتَّحَةٌ رُقودُ

وله أيضاً [من الوافر] :

وليلٍ مثل يومِ الحشرِ طولاً كأنَّ ظلامَهُ لونُ الصدودِ
بياضُ هلالهِ فيهِ سوادٌ كأثرِ اللطمِ فى يَقَقِ الخدودِ

وما أحسن اعتذار الأرَّجانىّ عن طول الليل [من الكامل] :

لا أدَّعى جَوْرَ الزَّمان ولا أرَى ليلى يزيدُ على الليالى طولا
لكنَّ مرآةَ الصباحِ تنفَّسى للهمِّ أصدأ وجهَهَا المصقولا

وقد أخذه من قول علىّ بن هشام [من السريع] :

لا أظلمُ الليلَ ولا أدَّعِي أنَّ نجومَ الليلِ ليستْ تغورْ
ليلى كما شاءتْ ، فإن لم تَجُدْ طالَ ، وإنْ جادَت فليلى قَصيرْ

وهو من قول علىّ بن الخليل [من السريع] :

لا أظلمُ الليلَ ولا أدَّعى أنَّ نجومَ الليلِ ليستْ تَزُولْ
ليلى كما شاءتْ قصيرٌ إذا جادتْ، فإن صدَّت فليلى يطولْ

وأورد ابن الصولىّ لابن الخليل أيضاً قوله [من الطويل] :

يقولونَ طالَ الليلُ والليلُ لم يَطُلْ ولكنَّ مَنْ يَهوَى مِنَ الشوقِ يَسهرُ
أنامُ إذَا ما الليلُ مهَّدَ مَضجعى وأفقدُ نومى حينَ أجفَى وأهجَرُ
فكم لَيلةٍ طالتْ علىَّ لِصدِّها وأخرَى ألاقيها بوصلٍ فتَقْصُرُ

وفى معناه قول الأديب الحرَّانى [من البسيط] :

جاءتْ تُسائلُ عنْ لَيلى فقلتُ لها وَسورةُ الهمِّ تَمحو سِيرةَ الجذلِ
لَيلى بكفّيكِ فاغنَىْ عنْ سُؤالكِ لى إنْ بنتِ طالَ وإنْ واصلتِ لمْ يطُلِ

وقول بعض المتأخرين [من البسيط] :

لَيلى ولَيلىْ نفى نَومى خلافُهما حتى لقدْ صيَّرانى فى الهوَى مَثلاَ
يجودُ بالطُّولِ لَيلى كلَّما بخلتْ بالطُّولِ لَيلى وإنْ جادتْ بهِ بَخلاَ

وقول ابن أبي حصينة [من البسيط] :

يا ليلُ ما طُلتَ عمَّا كُنتُ أعرِفهُ ... وإنما طالَ بي فيكَ الذي أجِدُ

وما أحسن قول بعضهم فيه [من البسيط] :

سَهِرتُ لَيلاتِ وَصلي فَرحةً بِهِمُ ... وَليلةُ الهجرِ كَمْ قَضَّيتُها سَهَرا

إذا تَقضَّى زَماني كلُّهُ سَهَراً ... فما أُبالي أطالَ الليلُ أمْ قَصُرا

ومثله قول الآخر [من المنسرح] :

في الهجرِ وَالوصلِ ما تَذوقُ كَرَى ... عَيني فما يَنقضي تَسهُّدُها

فَليلةُ الهجرِ لاَ رُقادَ بِها ... وَليلةُ الوصلِ كَيفَ أرقُدُها

وقول أبي الحسن البصري [من المتقارب] :

ولما تعرَّضَ لي زائراً ... وما كانَ عِندي له مَوْعِدُ

سَهِرت اغتناماً لِليل الوِصالِ ... لِعلمي به أنه يَنفَدُ

فَقالَ وقد رقَّ لي قلبُهُ ... وأيقن أني به مكمد

إذا كنتَ تَسهرُ ليلَ الوِصالِ ... ولَيْلَ النَّوى فمتى تَرقُدُ

وقد أكثر الشعراء في هذا المعنى ، وفيما أوردته مقنع.

قال : فوثب إلى أبى ليضربنى ، وعَدَوْتُ من بين يديه ، فجعل يشتمنى وأصحابه يضحكون

رجع إلى بقية أخبار جرير

حدث أبو العراف قال : قال الحجاج لجرير والفرزدق وهو فى قصره بجرين البصرة : ائتيانى بلباس أبيكما فى الجاهلية ، فلبس الفرزدق الديباج والخز وقعد فى قبة، وشاور جرير دهاة بنى يربوع ، فقالوا له : ما لباس آبائنا إلا الحديد فلبس جرير درعا وتقلد سيفا وأخذ رمحا وركب فرسا لعباد بن الحصين يقال له المنحاز ، وأقبل فى أربعين فارساً من بنى يربوع ، وجاء الفرزدق فى هيئته ، فقال جرير [من الطويل] :

لبست سلاحى والفرزدق لعبة عليه وشاحا كُرَّجٍ وجلاجلُهْ (١)

أعِدُّ مع الحلى المَلَابَ فانما جرير لكم بعل وأنتم حلائله (٢)

ثم رجعا ، فوقف جرير فى مقبرة بنى حصن ، ووقف الفرزدق فى المربد ونُعِي الفرزدق إلى المهاجر بن عبد الله وجرير عنده، فقال [من الكامل] :

مات الفرزدق بعدما جدعتُهُ ليت الفرزدق كان عاش قليلا

فقال له المهاجر: بئس لعمر الله ما قلت فى ابن عمك! أتهجو ميتا؟ أما والله لو رثيته لكنت أكرم العرب وأشعرها ، فقال : إن رأى الأمير أن يكتمها على فانها سوءة ، ثم قال من وقته البيتين السابقين فى ترجمة الفرزدق فى شواهد المقدمة ، ثم بكى ، وقال : أما والله إنى لأعلم أنى قليل البقاء بعده ، ولقد كان نجمنا واحدا ، وكل واحد منا مشغول بصاحبه ، وقلما مات ضد أو صديق إلا تبعه صاحبه ، فكان كذلك ، مات بعد سنة

---

(١) كرج — بزنة سكر — لعبة كهيئة المهر ، ووقع فى الأصل « كرجى وخلاخله » وأثبتنا ما فى النقائض واللسان (كرج)

(٢) فى النقائض « اعدوا مع الحلى »

قال ابن الجوزى : مات سنة إحدى عشرة ومائة ، وكانت وفاته باليمامة ، وعُمِّرَ نيفا وثمانين سنة ، وقال ابن قتيبة فى المعارف : إن أمه حملت به سبعة أشهر .

* * *

من شواهد الاستخدام

١٢٣ — فَسَقَى الْغَضَا والساكِنِيهِ وإن هُمُ
شَبُّوهُ بينَ جوانحٍ وقلوبِ

البيت للبحترى ، وهكذا هو فى ديوانه — وإن كان فى كثير من نسخ التلخيص ، بل وفى كثير من كتب هذا الفن بلفظ (١) « بين جوانحى وضلوعى » — وهو من قصيدة من الكامل أولها (٢)

كم بالكثيب من اعتراض كثيبِ وقوام غصنٍ فى الثياب رطيبِ
تأبى المنازلُ أن تجيبَ ومن جوًى يوم الديارِ دعوتُ غيرَ مُجيب

وبعده البيت ، وهى طويلة

والغضا : شجر معروف ، واحدته غَضَاة ، وأرض غَضْيَانة : كثيرته

والشاهد فيه : الاستخدام أيضاً، فانه أراد بأحد الضميرين الراجعين إلى الغضا وهو المجرور فى الساكنيه المكانَ وهو أرض لبنى كلاب وواد بنجد ، وبالآخر وهو المنصوب فى شبوه النارَ أى أوقدوا فى جوانحى نار الغضا، يعنى نار الهوى التى تشبه نار الغضا، وخص الغضا دون غيره لأن جمره بطىء الانطفاء

وقد استخدم كثير من الشعراء لفظة الغضا فقال ابن أبى حصينة [من الطويل]:

---

(١) وكذلك هو فى خزانة الأدب لابن حجة [٦٦]

(٢) اقرأها فى ديوان البحترى (١ – ٥٧) وبين البيتين اللذين أنشدهما المؤلف من أولها فى الديوان بيتان آخران ، وبعدهما قبل البيت المستشهد به بيتان أيضاً ، ورواية بيت الشاهد فى الديوان « فسقى الغضا والنازليه . . . »

مما أخذ على أبي تمام

٤٧ — لا والذى هُوَ عالم أنَّ النَّوى مُرٌّ وأنَّ أبا الحُسَين كَرِيمُ

البيت لأبى تمام[١] الطائى، من قصيدة من الكامل ، يمدح بها أبا الحسين محمد بن الهيثم ، وأولها[٢] :

أسْقَى طُلولَهُمُ أجَشُّ هَزِيمُ وغَدَتْ عليهم نَضْرَةٌ ونَعِيمُ
جادت معاهدَهم عِهَادُ سحابةٍ ما عهدُها عند الديارِ ذَمِيمُ
سَفِهَ الفراقُ عليك يوم تحمَّلوا ولربما أراه وهو عنك حَلِيمُ[٣]
ظَلَمَتْك ظالمةُ البرىء ظَلُومُ والظلم من ذى قُدْرة مذموم
زَعَمَتْ هواك عفا الغداةَ كما عَفَا منها طُلُولٌ باللوى ورسوم[٤]

لا والذى هو عالم . . . . البيت ، و بعده :

ما حُلْتُ عن سنن الوفاء ولا غدت نفسى على إلفٍ سواكِ تَحُومُ[٥]

والنوى : الفراق .

والشاهد فيه : أن شرط عطف جملة على جملة أن يكون بينهما جهة خاصة[٦] ولا كذلك فى هذا البيت ، إذ لا مناسبة بين كرم أبى الحسين ومرارة النوى ، سواء كان نواه أو نوى غيره ، فهذا العطف غير مقبول، سواء جعل عطفَ مفرد على مفرد كما هو الظاهر ، أو عطف جملة على جملة باعتبار وقوعه موضع مفعولى العلم لأن وجود الجامع شرط فيهما ، ولهذا عيب على أبى تمام كما سيأتى فى حسن التخلص إن شاء الله تعالى .

---

(١) وهو من شواهد الشيخ عبد القاهر فى دلائل الاعجاز (ص١٧٣)
(٢) اقرأها فى الديوان (٢٩٩)
(٣) فى الديوان «يوم رحيلهم» فى مكان «يوم تحملوا»
(٤) فى الديوان «كما عفت»
(٥) فى الديوان «مازلت عن سنن الوداد»
(٦) كذا فى الأصول ، ولعل الأحسن «جهة جامعة»

شاهد امتناع العطف لاختلاف الجملتين خبرا وإنشاء

٤٨ — * وَقَالَ رَائِدُهم أَرْسُوا نُزَاوِلُهَا *

هو من البسيط ، وقائله الأخطل ، كذا ذكره سيبويه ، وليس هو في[1] ديوانه ، وتمامه :

* وكل حَتْفِ امرئ يجرى بمقدارِ *

وبعده :

إما نموتُ كراماً أو نفوز بها فواحد الدهر من كدٍّ وأسفار

والرائد : المرسَلُ في طلب الكلأ . وأرسوا — بقطع الهمزة — من رست السفينة تَرْسُو رسْواً ورُسُوّاً إذا وقفت على الأنجر مُعَرَّبَ لنكر، وهو مِرْساة السفينة ، وهي خشبات يفرغ بينها الرصاص المذاب فتصير كصخرة إذا رست رست السفينة ، أو هو من «رست أقدامهم في الحرب» أي ثبتت . ونزاولها : من المزاولة وهي المحاولة والمعالجة في تحصيل الشيء ، والضمير للسفينة ، وقيل : للحرب ، وقيل : للخمر وهو لايناسب ظاهر البيت الذي بعده .

والشاهد في قوله « نزاولها » فانه فصله عن قوله « أرسوا » لأن الأول أمر والثاني خبر ، فامتنع العطف بينهما لاختلافهما خبراً وطلباً ، لفظاً ومعنى .

ومن هذا الضرب قول اليزيدي أو إبراهيم بن المدبر[2] [من السريع] :

ملكتهُ حبلى ولكنهُ ألقاهُ من زُهْدٍ على غاربي

---

(١) بحثت ديوان الأخطل المطبوع في بيروت فلم أجد هذين البيتين فيه

(٢) في المطبوعتين «ابن المدايني» وقد نسب الشيخ عبدالقاهر في دلائل الاعجاز (١٨٣) هذين البيتين إلى اليزيدي ، ويوجد بهامش مطبوعة بولاق مانصه « قوله إبراهيم بن المدايني ، هكذا في بعض النسخ ، وفي بعضها إبراهيم ابن المدبر ، وفي بعضها المدبر بن إبراهيم » اهـ ، وهما في الأغاني (١٩–١١٩) منسوبان إلى إبراهيم بن المدبر في قصة

وقالَ : إنى فى الهوى كاذبٌ ، انتقمَ اللهُ من الكاذبِ !

وحمله الشيخ عبد القاهر على الاستئناف بتقدير قلت ، قال الشيرازى : وهو أنسب بالمقام .

والأخطل(١) هو : غياث (٢) بن غوث بن الصلت(٣) بن الطارقة ، ينتهى نسبه لتغلب ، ويكنى أبا مالك ، والأخطل لقبه ، عن أبى عبيدة أن السبب فيه أنه هجا رجلا من قومه ، فقال له : ياغلام ، إنك لأخطل ، والأخطل : السفيه ، وكان نصرانياً من أهل الجزيرة، ومحله فى الشعر أكبر من أن يحتاج إلى وصف ، وهو وجرير والفرزدق طبقة واحدة ، جعلها ابن سلام أول طبقات الاسلام ، ولم يقع إجماعٌ على أحدهم أنه أفضلهم ، ولكل واحد منهم عصبة تفضله على الجماعة .

وقال أبو عمرو : لو أدرك الأخطل يوماً واحداً من الجاهلية ما قَدَّمْتُ عليه أحداً .

وقال الأصمعى : إنما أدرك جرير الأخطل ، وهو شيخ قد تحطم ، وكان الأخطل أسنّ من جرير ، وكان أبو عبيدة يشبه الأخطل بالنابغة لصحة شعره، وكان حماد يفضل الأخطل على جرير والفرزدق ، فقال له الفرزدق : إنما تفضله لأنه فاسق مثلك ، فقال : لو فضلته بالفسق لفضلتك ، وقال الأخطل لعبدالملك ابن مروان : ياأمير المؤمنين ، زعم ابن المراغة — يعنى جريراً — أنه يبلغ مدحتك فى ثلاثة أيام ، وقد أقمت فى مدحتك :

---

(١) تجد ترجمة الأخطل فى الأغانى (٧ ـ ١٦٩) وفى الشعراء لابن قتيبة (٣٠١ ـ ٣١٢) وفي خزانة الأدب للبغدادى

(٢) ويقال : اسمه غويث بن غوث

(٣) قال المدائنى : غياث بن غوث بن مسلمة بن طارقة ، وذكره فى الأغانى

* خفَّ القطينُ فراحوا منكَ أو بكرُوا (١)

سنةً فما بلغتُ ما أردت ، فقال عبد الملك : أسمِعْنَاها يا أخطل ، فلما أنشدها قال له عبد الملك : أتريد أن أكتب إلى الآفاق أنك أشعر العرب ؟ قال : أكتفى بقول أمير المؤمنين ، وأمر له بجفنة كانت بين يديه ، فملئت له دراهم ، وألقيت عليه خلع ، وخرج به مولى لعبد الملك على الناس وهو يقول: هذا شاعر أمير المؤمنين ، هذا أشعر العرب .

وأنشد لعبد الملك قول كثير فيه [من الطويل] :

فما تركوها عنوةً عن مودّةٍ ولكنْ بحدِّ المشرفى استقالها (٢)

فأعجب به ، فقال له الأخطل : ما قلت لك والله يا أميرَ المؤمنين أحسنُ منه ، قال : وما قلت ؟ قال : قلت [من الطويل] :

أهَلّوا من الشهرِ الحرامِ فأصبحوا مَوَالىَ مُلْكٍ لا طَرِيفٍ ولا غصب (٣)

جعلته لك حقا ، وجعله لك غصباً ، قال : صدقت .

وأصبح عبد الملك يوماً فى غداة باردة ، فتمثل بقول الأخطل ، [من الوافر] :

---

(١) هذا صدر المطلع ، وعجزه قوله : * وأزعجتهم نوى فى صرفها غير *
وعدتها أربعة وثمانون بيتا ، واقرأها إن شئت فى الديوان (٩٨)

(٢) هكذا وقع هذا البيت فى أصول الكتاب وفى الأغانى ، ووقع فى الديوان (٢ - ٥٣) « فما أسلموها عنوة » وعنوة ههنا بمعنى الطواعية ، قال ابن السكيت : العنوة بلغة أهل الحجاز وهم خزاعة وهذيل : الطوع . اه .

(٣) أهلوا من الشهر الحرام : معناه أنهم خرجوا فى استهلاله ، وموالى ملك : يريد به أنهم يوالونه ، ولا طريف : ليس بمستحدث ولكنه موروث عن الآباء ، ولا غصب : معناه أنه لم يأخذ الخلافة اغتصابا ، وإنما أخذها بالاستحقاق . وانظر هذا البيت فى الديوان (٢٤) أثناء قصيدة عدتها أربعة وخمسون بيتا ، ومطلعها قوله :

لعمرى لقد أسريت لا ليل عاجز بساهمة الخدين طاوية القرب

إذا اصطَبحَ الفتى منها ثلاثاً بغير المـاء حاولَ أن يطولاَ
مشى قرشيَّةً لا شكَّ فيها وأرْخَى من مآزرِهِ فُضُولاَ

ثم قال : كأنى أنظر إليه الساعة محلل الازار ، مستقبلا للشمس فى حانوت من حوانيت دمشق ، ثم بعثَ رجلا يطلبه ، فوجده كذلك .

وقدم الأخطل مرة على عبد الملك بن مروان ، فنزل على سرجون[1] كاتبه، فقال له : على من نزلت ؟ فأخبره ، فقالَ له : قاتلك الله ! ما أخبرك بصالح المنازل ، فما تريد أن ننزلك ؟ قال : فى درمك من درمككم هذا ، ولحم وخمر من بيت رأس ، فضحك عبدالملك وقال : ويلك ! وعلى أى شيء اقتتلنا إلا على هذا ؟ ثم قال له : ألا تسلم فنفرض لك ألفين فى عطائك وتوصل بعشرة آلاف درهم ؟ قال: فكيف بالخمر ؟ قال: وما تصنع بها و إن أولها لمرّ و إن آخرها لسكر، قال:أما إن قلت ذاك فان بينهما لمنزلةما مُلْكُك فيها إلا كلعقة من ماءالفرات بالاصبع ، فضحك عبد الملك ، ثم قال : ألا تزور الحجاج فانه كتب يستزيرك ؟ فقال :أطائع أم كاره ؟ قال : بل طائع ، قال: ما كنت لأختار نواله على نوالك، ولاقو به على قربك ، إنى إذاً لكما قال الشاعر [من الوافر] :

كَمُبْتاعٍ لمركبِهِ حِماراً يُغيرهُ مِنَ الفرسِ الكريم[2]

فأمر له بعشرة آلاف درهم ، وأمره أن يمدح الحجاج ، فمدحه بقوله [من الكامل] :

---

(١) فى الأصول «ابن سرجون» وفي الأغانى «ابن سرحون» بالحاء المهملة والذين عدهم الجهشيارى من كتاب عبدالملك: روح بن زنباع، وربيعة الجرشى، وسرجون بن منصور النصرانى ، وهـذا هو المقصود فى القصة ، لا جرم أسقطنا كلمة «ابن»

(٢) روى هذا البيت في الأغانى :

كمبتاع ليركبه حمارا تخيره عن الفرس الكريم

صَرَمَتْ حِبالَكَ زَينبٌ وَرعومُ وَبدَا الُمجمجمُ مِنهما المكتومُ

ووَجَّه بالقصيدة مع ابنه إليه .

ودخل الأخطل على بشر بن مروان وعنده الراعى الشاعر ، فقال له بشر : أأنت أشعر أم هذا ؟ قال : أنا أشعر منه وأكرم ، فقال للراعى : ماتقول ؟ فقال : أما أشعر منى فعسى ، وأما أكرم منى فان كان فى أمهاته من ولدت مثل الأمير فنعم ، فلما خرج الأخطل قال له رجل : أتقول لخال الأمير أنا أكرم منك ؟ فقال : ويحك ! إن أبا نسطوس قد وضع فى رأسى أكؤسا ثلاثا ، والله لاأعقل معها .

وحدث قحافة المرّى (١) قال : دخل الأخطل على عبد الملك ، فاستنشده ، فقال : قد يبس حلقى فمر مَنْ يسقينى ، فقال : اسقوه ماء ، فقال : هو شراب الحمار ، وهو عندنا كثير ، قال : فاسقوه لبنا ، قال : عن اللبن فُطِمْتُ ، قال : فاسقوه عسلا ، قال : شراب المريض ، قال : فتريد ماذا ؟ قال : خمرا يا أمير المؤمنين ، قال : أو عهدتنى أسقى الخمر ؟ لا أم لك ! لولا حُرْمتك بنا لفعلت وفعلت ، فخرج فلقى فراشا لعبد الملك ، فقال : ويلك ! إن أمير المؤمنين استنشدنى وقد صحل (٢) صوتى فاسقنى شربة خمر ، فسقاه رطلا ، فقال : اعدله بآخر ، فسقاه رطلا آخر ، فقال : تركتهما يعتركان فى بطنى ، فاسقنى ثالثا ، فسقاه ثالثا ، فقال : تركتنى أمشى على واحدة ، اعدل ميلى برابع ، فسقاه رابعا ، فدخل على عبد الملك فأنشده :

* خفَّ القطينُ فَراحوا مِنكَ أوْ بَكرُوا *

فقال : لا ، بل منك ، وتَطَيَّرَ من قوله ، قال : ومر فى القصيدة حتى بلغ إلى قوله [من البسيط] :

---

(١) فى الأغانى « أبو قحافة المرئى »

(٢) صحل يصحل — من باب طرب — أى بح

شُمْسُ العداوة حتى يُسْتَقَادَ لهم وأعظَمُ الناس أحلاما إذا قَدَرُوا

فقال عبد الملك: خذ بيديه يا غلام فأخرجه ، ثم ألق عليه من الخلع ما يغمره وأحسن جائزته ، ثم قال : إن لكل قوم شاعراً ، و إن شاعر بنى أمية الأخطل

وقال أبو عبد الملك : كانت بكر بن وائل إذا تشاجرت فى شىء رضيت بالأخطل ، وكان يدخل المسجد فيقومون إليه ، ورأيته بالجزيرة وقد شكى إلى القس وقد أخذ بلحيته وضربه بعصاه وهو يصىء كما يصىء الفرخ ، فقلت له : أين هذا مما كنت عليه بالكوفة ؟ فقال : يا ابن أخى إذا جاء الدين ذللنا

وحدث إسحاق بن عبد الله المطلبى[1] قال : قدمت الشام وأنا شاب مع أبى فكنت أطوف فى كنائسها ومساجدها ، فدخلت كنيسة دمشق فاذا الأخطل فيها محبوس ، فسأل عنى ، فأخبر بنسبى ، فقال : يافتى إنك رجل شريف وأنا أسألك حاجة ، فقلت : حاجتك مقضية ، فقال : إن القس قد حبسنى هنا فتكلمه ليخلى عنى ، فأتيت القس فانتسبت له فرحب بى وعظّم ، فقلت : إن لى إليك حاجة ، قال : وما حاجتك ؟ فقلت : الأخطل تخلى عنه ، فقال : أعيذك بالله من هذا ، فان مثلك لايتكلم فيه فانه فاسق يشتم أعراض الناس ويهجوهم ، فلم أزل أطلب إليه حتى مضى متكئا على عصاه فوقف عليه ورفع عصاه وقال له : يا عدو الله ، أتعود تشتم الناس وتهجوهم وتقذف المحصنات ؟ وهو يقول : لست بعائد ، ولا أفعل ، و يستخذى له ، فقلت : يا أبا مالك ، الناس يهابونك ، والخليفة يكرمك ، وقدرك فى الناس رفيع ، وأنت تخضع لهذا هذا الخضوع وتستخذى له قال : فجعل يقول لى : إنه الدين .

وحدث الهيثم قال : كانت امرأة الأخطل حاملا ، وكان متمسكا بدينه ، فمر

---

(١) ذكر فى الأغانى نسبه وأنه: إسحاق بن عبد الله بن الحارث بن نوفل ابن الحارث بن عبد المطلب

به الأسقف يوما فقال لها: الحقيه فتمسحي به ، فعدَتْ وراءه فلم تلحق إلا ذنب حماره فتمسحت به، ورجعت فأخبرته ، فقال لها : هو وذنب حماره سواء .

وسمع هشام الأخطل ، وهو يقول [من الكامل] .

و إذا افتقرتَ إلى الذّخائرِ لم تجد   ذُخْراً يكون كصالح الأعمال

فقال له : هنيئا لك يا أبا مالك ، هذا الاسلام ، فقال له : يا أمير المؤمنين ، ما زلت مسلما فى دينى .

وحدث أبو محمد اليزيدى قال : خرج الفرزدق يوما يؤم [1] بعض ملوك بنى أمية ، فرُفع له فى طريقه بيت أحمر من أدَم، فدنا منه وسأل ، فقيل له : الأخطل، فاستقرى [2] فقيل له : انزل ، فقام إليه الأخطل وهو لا يعرف إلا أنه ضيف ، فجلسا يتحادثان ، فقال له الأخطل : ممن الرجل ؟ قال : من تميم ، قال : فأنت إذن من رهط أخى الفرزدق ، فهل تحفظ من شعره شيئا ؟ قلت : نعم كثيراً ، فما زالا يتناشدان و يعجب الأخطل من حفظه شعر الفرزدق ، إلى أن عمل فيه الشراب ، وقد كان الأخطل قال له قبل ذلك : أنتم معشر الحنيفية لاترون أن تشربوا من شرابنا ، فقال الفرزدق [من المجتث] :

خَفِّضْ عليك قليلاً   وهاتِ لى من شرابك

فلما عملت الراح فيه قال : والله أنا الذى أقول فى جرير، وأنشده ، فقام الأخطل وقبّل رأسه وقال: لاجزاك الله عنى خيراً ! لم كتمتنى نفسك منذ اليوم؟ وأخذا فى شرابهما ، وتناشدا إلى أن قال له الأخطل : والله إنك و إياى لأشعر من جرير، ولكنه أوتى من سيّر الشعر ما لم نؤتَه ، قلت أنا بيتاً ما أعلم أحداً

(١) فى الأصول «مع بعض ملوك بنى أمية» وهو تحريف ما أثبتناه عن الأغاني ، وبه تستقيم القصة

(٢) استقرى : طلب القرى ، وهو ما يقدم للضيف

قال أهجى منه ، قلت : وما هو ؟ قال الأخطل : قلتُ [من البسيط] :

قَومٌ إذا استَنْبَحَ الأضيافُ كلبهُمُ قالوا لأمِّهِمُ بولى على النار (١)

فلم يروه إلا حكماء أهل الشعر ، وقال هو [من الكامل] :

والتَّغلَبيُّ إذا تنحنَحَ للقِرى حكَّ استَهُ وتمثل الأمثالا

فلم تبق سفلة ولا أمثالها إلا رَوَوْه ، قال : فقضوا له أنه أسيَر شعراً منهما .

وعن محمد بن سلاَّم قال : قيل إنه لما حضرت الأخطل الوفاة قيل له : يا أبا مالك ، ألا توصى ، قال : بلى ، ثم قال [من المتقارب] :

أُوَصِّى الفَرزدقَ عند المماتِ بأم جَريرٍ وأعْيارِها

وزارَ القبورَ أبو مالكٍ برغم العُداة وأوْتَارِها

* * *

شاهد كمال الاتصال

٤٩ — أقولُ له ارحَلْ لا تُقيمَنَّ عندنا وإلا فـكُنْ فى السِّر والجهرِ مُسلِما

البيت من الطويل ، ولا أعرف قائله ، وكذلك ذكر العينى فى شواهده .

ومعناه : إن لم ترحل فـكن على ما يكون عليه المسلم من استواء الحالين فى السر والجهر .

والشاهد فيه : كون الجملتين بينهما كمال الاتصال ، لـكون الثانيـة أوفى بتأدية المراد من الأولى ، فنزلت منزلة بدل الاشتمال فلم تعطف عليها ، وهما ههنا قوله « ارحل » وقوله « لا تقيمن عندنا » لأن فى قوله « ارحل » كمال إظهار الـكراهة لاقامة المخاطب ، وقوله « لا تقيمن عندنا » أوفى بتأدية المراد لدلالته على إظهار الـكراهة لاقامته بالمطابقة مع التأكيد الحاصل من اللفظين .

---

(١) فى هذا البيت من أوصاف الهجاء : رميهم بالبخل ، واستصغار نارهم حتى إنها لتنطفىء ببولة ، وامتهان أمهم حتى إنهم ليـكلفونها حقائر الأمور

شاهد عطف البيان فى المفردات

٥٠ — * أقسَمَ بالله أبو حَفْصٍ عمر *

هو من الرجز، قائله أعرابى [١]، وبعده:

ما إن بها من نَقَبٍ ولا دَبَرْ اغفر له اللهم إن كانَ فَجَرْ

يروى أن هذا الأعرابى جاء إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال: إن أهلى ببادية بعيدة، وإنى على ناقة دَبْراء عَجْفاء نَقْباء، واستحمله [٢]، فظنه كاذبا، فلم يحمله، فانطلق الأعرابى فحل [٣] ناقته ثم استقبل البطحاء وجعل يقول الأبيات، وعمر رضى الله عنه مقْبل من أعلى الوادى، فجعل إذا قال «اغفر له اللهم إن كان فجر» قال: اللهم صدِّقْ، حتى التقيا، فأخذ بيده، وقال له: ضع عن راحلتك، فوضع فاذا هى كما وصف، فحمله على بعير، وزوده وكساه

والنَّقَبُ: رقّة الأخفاف. والدبر: قرحة الدابة.

والشاهد فيه: جعل «عمر» بيانا وتوضيحا لأبى حفص.

* * *

شاهد الاستئناف

٥١ — وتَظُنُّ سَلْمى أننى أبغى بها بَدَلاً أُراها فى الضلال تَهِيمُ

البيت من الكامل، ولا أعرف قائله، وكذلك ذكر العينى أيضاً.

والضلال: ضد الهدى.

---

(١) ذكر صاحب الخزانة (٢ — ٣٥٢) نقلا عن ابن حجر فى الاصابة وعن المرزبانى فى معجم الشعراء أن اسم هذا الأعرابى عبد الله بن كيسبة، ويقال: اسمه عمرو بن كيسبة — بكسر الكاف وسكون الياء بعدها سين مهملة مفتوحة — وهاك الرجز بتمامه مع بعض اختلاف فى ألفاظه:

أقسم بالله أبو حفص عمر ما مسها من نقب ولا دبر
حفا ولا أجهدها طول السفر وأنت لو أبصرت نضوى ياعمر
ومابها ـ عمرك ـ من سوء الأثر عددتنى كابن سبيل قد حضر

(٢) استحمله: طلب منه أن يحمله، أى يعطيه دابة يركبها

(٣) فى المطبوعتين «فحمل ناقته» بزيادة ميم

والشاهد فيه : عدم عطف الجملة الثانية لكونه موهما له على غيرها (١) لأن بين الجملتين الخبريتين ، وهما « وتظن سلمى » و« أراها » مناسبة ظاهرة لاتحادهما في المسند ، لأن معنى أراها أظنها ، والمسند إليه في الأولى محبوب ، وفي الثانية محب ، فلو عطف أراها على تظن لتوهم أنه عطف على أبغي وهو أقرب إليه ، فيكون من مظنونات سلمى ، وليس كذلك .

* * *

قال لي كيف أنتَ قلتُ عليلُ سَهَرٌ دائم وحُزْنٌ طويلُ

البيت من الخفيف ، وتقدم في شواهد المسند إليه (٢) .

والشاهد فيه هنا : وقوع الجملة الثانية مستأنفة جواباً عن الجملة الأولى المتضمنة للسؤال عن سبب مطلق : أي ما بال علتك ؟ فقال : سهر ، وذلك لأن العادة جرت بأنه إذا قيل « فلان عليل » أن يسأل عن سبب علته ، لا أن يقال هل سبب علته كذا وكذا ، لا سيما السهر والحزن ، فانه قلما يقال هل سبب مرضه السهر والحزن ، لأنه أبعد أسبابه ، فعلم أن السؤال عن السبب المطلق دون السبب الخاص ، وعدم التوكيد يشعر به .

ومثله قول أبي العلاء المعري [من البسيط] :

وقد غرضتُ من الدنيا فهل زمني مُعطٍ حياتي لغِرٍّ بعدما غرضا

جرَّبتُ دهري وأهليه فما تركتْ لِيَ التجاربُ في وُدِّ امرئٍ غرَضا

---

(١) يريد أن الاتيان بواو العطف يوهم أن المعطوف عليه غير ما قصد إليه الشاعر ، فانه لو عطفه لكان مقصوده العطف على جملة « وتظن سلمى » ولكن واو العطف توهم إيهاما قريبا أن المعطوف عليه هو جملة « أبغي بها » لما ذكره المؤلف

(٢) هو الشاهد رقم ١٥ فانظره في (ص ١٠٠ من هذا الجزء) وقد استشهد به الشيخ عبد القاهر في باب الفصل والوصل من دلائل الاعجاز (١٨٤) أيضا

أى : لم تقول هذا وما ألجأك إليه ؟ فقال : جربت إلخ .

* * *

يقع الاستئناف جوابا لسؤال من غير سبب

٥٢ — زعَمَ العَواذلُ أننى فى غَمْرَةٍ صَدَقوا ولـكن غمرَتى لا تَنْجَلِى

البيت من الـكامل ، ولا أعرف [١] قائله .

والعواذل : جمع عاذلة بمعنى جماعة عاذلة ، لا امرأة عاذلة ، بدليل قوله « صدقوا » وغمرة الشىء : شدته ومُزْدَحَمُه .

والشاهد فيه : وقوع الجملة المستأنفة جواباً للسؤال عن غير سبب مطلق أو خاص ، كأنه قيل : أصدقوا فى هذا الزعم أم كذبوا ؟ فقال : صدقوا ، وفصله عما قبله لـكونه استئنافا .

ومنه قول جندب بن عمار [٢] [من الـكامل] :

زعَمَ العواذِلُ أن ناقةَ جُندَبٍ بجَنوب خَبْت عُرِّيَتْ وأُجِمّتِ [٣]

كذبَ العواذل لو رأينَ مُناخَنا بالقادسيَّةِ قُلْنَ لَجَّ وذلت

ومثله قول لبيد [٤] [من الهزج] :

عرَفْتُ المنزل الخالى عفَا من بعْدِ أحوالِ

---

(١) استشهد به الشيخ عبد القاهر فى دلائل الاعجاز (١٨٢) ولم ينسبه أيضا

(٢) هما من شعر الحماسة غير منسوبين (انظر شرح التبريزى على ديوان الحماسة بتحقيقنا ١ — ٢٩٤) وقد أنشد الشيخ عبد القاهر البيتين فى دلائل الاعجاز (ص١٨٢) ونسبهما إلى الحماسة من غير تعيين قائل

(٣) فى المطبوعتين «غربت» محرفا عما أثبتناه موافقا لما فى الحماسة ودلائل الاعجاز. وخبت: موضع بالشام ، وهو المناسب هنا . وهو اسم موضع آخر بزبيد ، وعريت : رفعت عنها أداتها ورحلها ، وأجمت — بالبناء للمجهول — طلبت لها الراحة ، وذلك كناية عن تركها بغير ركوب

(٤) أنشدهما فى دلائل الاعجاز (١٨٤)

عفاه كل هَتّان عَسوف الوبْلِ هَطّالِ [١]

وقول أبى الطيب المتنبى [من الوافر] [٢] :

وما عفتِ الرياحُ لهم مَحلّاً عفاه مَن حدا بهمُ وساقَا

* * *

م شيء مقام الاستئناف

٥٣ — زَعمْتُمْ أنّ إخوتَكمْ قُرَيْشٌ لَهُمْ إلْفٌ وَلَيْسَ لَكُمْ إلافُ

البيت لمساور بن هند بن قيس بن زهير [٣] ، من الوافر يهجو بنى أسد ، وبعده :

أولئك أومِنُوا جُوعاً وخَوْفاً وقد جاعتْ بنو أسدٍ وخَافُوا

والزعم : ادّعاء العلم ، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم « زَعَمُوا مَطِيَّةُ الْكَذِبِ » وعن شريح رحمه الله : لكل شيء كُنْية ، وكنية الكذب زعموا . لكن سيبويه رحمه الله يكثر فى كتابه من قول « زعم الخليل » لا يريد بذلك إبطال قوله ، وقال أبو طالب للنبىّ صلى الله عليه وسلم [من الكامل] :

ودعوتَنِى وزعمْتَ أنك صادقٌ ولقد صدقتَ وكنتَ ثَمَّ أمينَا

وقريش : هى القبيلة المشهورة ، سموا بذلك لتجمُّعهم فى الحرم ، أو لأنهم كانوا يتقرّشون المبتاعات فيشترونها ، أو لأنّ النضر بن كنانة اجتمع فى ثوبه فقيل تقرّش ، أو لأنه جاء إلى قومه فقالوا كأنه جملٌ قريش : أى شديد ، أو سموا بمصغر القرشْ [٣] وهو دابة بحرية تخافها دواب البحر كلها ، والإلف

---

(١) فى دلائل الاعجاز « كل حنان »

(٢) أنشده فى دلائل الاعجاز (١٨٤) أيضا

(٣) أنشده فى دلائل الاعجاز (١٨٣) من غير نسبة إلى قائل

(٤) القرش ــ بكسر القاف ــ دابة تكون فى البحر الملح . والذى ذكره علماء الاشتقاق أن قريشا سميت بدابة تكون فى البحر اسمها القريش على صورة =

والإيلاف: العهد، وشبه الاجازة بالخفارة، وأول من أخذها هاشم من ملك الشام، فكان هاشم يولف إلى الشام، وعبد شمس إلى الحبشة، والمطلب إلى اليمن، ونوفل إلى فارس، وكان تجار قريش يختلفون إلى هذه الأمصار بحبال هذه الإخوة فلا يتعرض لهم أحد، وكان كل أخ منهم قد أخذ حبلا من ملك ناحية سفره أمانا له.

والشاهد فيه: حذف الاستئناف وقيام شيء مقامه، فكأنهم قالوا: أصدقنا في هذا الزعم أم كذبنا؟ فقيل: كذبتم، فحذف هذا الاستئناف وأقيم قوله «لهم إلف وليس لكم إلاف» مقامه لدلالته عليه.

ترجمة مساور بن هند

ومساور [1] بن هند بن قيس بن زهير العبدي شاعر، وكان جده قيس مشهوراً في الجاهلية، ولا سيما في حرب داحس والغبراء، وذكر الأصمعي ما يدل على أن له إدراكا للنبي صلى الله عليه وسلم، قال: وكان نحو أبي عمرو بن العلاء رحمهما الله في السن، وقال: حدثني من رأى مساور بن هند أنه ولد في حرب داحس والغبراء قبل الاسلام بخمسين عاما. وذكره المرزباني في معجم الشعراء وذكر له قصة مع عبد الملك بن مروان. وفي حكاية الأصمعي أنه لما عمر صغرت عيناه وكبرت أذناه، فجعلوه في بيت صغير ووكلوا به امرأة، فرأى ذات

=المصغر، وفي اللسان «وقريش دابة في البحر لاتدع دابة إلا أكلتها، فجميع الدواب تخافها. وقريش قبيلة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، أبوهم النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر، فكل من كان من ولد النضر فهو قرشي، دون ولد كنانة ومن فوقه، قيل: سموا بقريش مشتق من الدابة التي ذكرناها التي تخافها جميع الدواب» اهـ وقد قال الشاعر:

وقريش هي التي تسكن البحر ... بها سميت قريش قريشا

(١) انظر نسبه واشتقاق اسمه واسم أبيه في شرح التبريزي على الحماسة (٢ - ٤) وانظر شعرا له في شرح الحماسة (٢ - ٤ و٣٠)

يوم غفلة فخرج فجلس فى وسط البيت وكوم كومة من تراب ثم أخذ بعرتين فقال هذه فلانة ، وهذه فلانة ، ثم أحس بالمرأة فقام وهرب . وقال الأصمعى : بلغنى أنه أتى به إلى الحجاج فقال له : ما تصنع بقولك الشعر وقد كبرت ؟ فقال: أسقى به الماء ، وأرعى به الكلأ ، وتقضى لى به الحاجة ، فان كفيتنى ذلك تركته . وقال المرزبانى : كان أعور [1] وهو من المتقدمين فى الاسلام ، هو وأبوه وجده أشراف من بنى عبس شعراء فرسان ، وهو القائل [من الطويل] :

جزى الله خيراً غالباً من قبيلةٍ   إذا حدثانُ الدهر نابت نوائبُه[2]

إذا أخنت بُزْلُ المخاض سِلاحَها   تجرد فيهم مُتْلِفَ المالِ كاسبه

يقال : أخنت الابل سلاحها ، إذا استحياها صاحبها فلم يذبحها .

* * *

هد الجامع الوهمى

ثَلاثَةٌ تُشْرِقُ الدُّنْيَا بِبَهْجَتِهَا

هو من البسيط ، وتمامه :

* شمسُ الضحى وأبو إسحاقَ والقمرُ *

وقد تقدم الكلام عليه فى شواهد المسند [3] .

والشاهد فيه هنا : بيان أن الجامع بين الثلاثة المذكورة فيه وهمىّ ، وهو ما بينها من شبه التماثل حمل الوهم على أن يحتال فى اجتماعها فى المفكرة و إبرازها فى معرض الأمثال متوهمًا أنها من نوع واحد ، وإنما اختلفت بالعوارض والمشخصات ، بخلاف العقل ؛ فإنه إذا خلى ونفسه حكم بأن كلا منها من نوع

---

(١) في شعره فى الحماسة (٢ ــ ٣٠) ما يؤيد أنه كان أعور ، فانه يقول :

وأرى الغوانى بعد ما أوجهننى   أعرضن ثمت قلن شيخ أعور

(٢) يروى « جزى الله خيرا غالبا من عشيرة »

(٣) هو الشاهد رقم (٤٠) فانظره فى (ص ٢١٥ من هذا الجزء)

آخر ، و إنما اشتركت فى عارض هو إشراق الدنيا ببهجتها ، على أن ذلك فى أبى إسحاق مجاز .

ونظيره قول الآخر [من الطويل] :

إذا لم يكن للمرء فى الخلق مطمع   فذو التاج والسقاء والذر واحدُ

* * *

دخول واو الحال على المضارع المثبت

٥٤ — فَلَمَّا خَشِيتُ أَظَافِيرَهُمْ   نَجَوْتُ وَأَرْهَنُهُمْ مَالِكَا

البيت لعبد الله بن همّام السلولى [١] ، من المتقارب ، و بعده :

عريفاً مقيما بدارِ الهوا   نِ أهونْ علىَّ بِهِ هالكا

وهذان البيتان من جملة أبيات ، منها :

فقلتُ أجرْنى أبا خالدٍ   و إلاّ تجدنى امْرَأً هالكا[٢]

يريد بأبى خالد هنا يزيد بن معاوية ، والذى خشيه عبيدُ الله بن زياد ، وكان قد توعّده ، فهرب إلى الشام ، واستجار بيزيد فأمّنه ، وكتب إلى عُبَيْد الله يأمرهُ بالصفح عنه ، ومالك المذكور هو : عريفه . والأظافير : جمع ظفر وأظفور ويجمع أيضاً على أظفار .

والمعنى: لماخشيتُ حملته و إنشابَ أظفاره نجوت وخلّيت بينه و بين مالك.

والشاهد فيه : دخول واو الحال على المضارع المثبت الممتنع دخولُها عليه فى الجملة الفعلية الواقعة حالا من ضمير صاحبها الغير الخالية منه ، إذ قد قيل إنه على حذف المبتدأ ، أى وأنا أرهنهم ، فتكون اسمية ، فيصح دخولها، وعليه

---

(١) وأنشده الشيخ عبد القاهر فى مبحث الجملة الحالية بالواو وغيره من دلائل الاعجاز (١٥٩)

(٢) هذا البيت من شواهد النحاة وهم يروونه «و إلاتفهبنى امرأ» وانظره فى شرح الشواهد للعينى (٢ — ٣٧٨ بهامش الخزانة)

قوله تعالى : (لِمَ تؤذوننى وقد تعلمون أنى رسولُ الله إليكم) أى : وأنتم قد تعلمون ، وقيل : ضرورة . وقال عبد القاهر[1] هى فيه للعطف ، والأصل ورهنتهم عدل إلى المضارع لحكاية حال ماضية ، ومعناهُ : أنه يفرض ما كان فى الزمن الماضى واقعاً فى هذا الزمان ، فعبر عنه بلفظ المضارع ، كما فى قول الشاعر [من الكامل]:

* ولقد أمرّ على اللئيم يسبنى[2] *

أى : مررت . وروى « وَأرهنتهم » . والأول رواية الأصمعى ، واستحسنه ثعلب .

جزء عبد الله السلولى

وعبد الله : هو أبو عبد الرحمن[3] السلولى الكوفى ، من بنى مرة بن صعصعة

---

(١) قال الشيخ عبد القاهر فى (دلائل الاعجاز ١٥٩) : « فأما قول ابن همام السلولى * . . . نجوت وأرهنهم مالكا * فى رواية من روى وأرهنهم ، وما شبهوه به من قولهم : قمت وأصك وجهه ــ فليست الواو فيها للحال ، وليس المعنى : نجوت راهنا مالكا ، وقمت صاكا وجهه ــ ولكن أرهن وأصك حكاية حال مثل قوله :

ولقد أمر على اللئيم يسبنى فمضيت ثمت قلت لا يعنينى

فكما أن « أمر » هاهنا فى معنى مررت ، كذلك أرهن وأصك هناك فى معنى رهنت وصككت » اهـ . ونرى لك أن ترجع فى بحث هذه المسألة إلى شرحنا على شرح الأشمونى (فى مباحث الحال)

(٢) هذا صدر بيت وعجزه قوله :

* فمضيت ثمت قلت لا يعنينى *

وقد سمعته فى عبارة دلائل الاعجاز ، والنحاة ينسبون هذا البيت إلى رجل من بنى سلول ولم يعينوه (انظر الخزانة ١ ــ ١٧٣) وقد أنشده الأصمعى فى الأصمعيات ثالث خمسة أبيات ونسبها إلى شمر بن عمرو الحنفى (انظر الأصمعيات ص ٧٤)

(٣) له ترجمة فى شرح الحماسة للتبريزى (٣ ــ ١٤٢) وفيها أبيات له يحمل فيها يزيد بن معاوية على البيعة لابنه معاوية بن يزيد ، وله شعر فى حماسة البحترى (ص ١٤٥ ــ ١٧٥)

من قيس عيلان ، و بنو مرة يعرفون ببني سلول ، وهى أمهم ، وهى بنت ذهل ابن شيبان بن ثعلبة ، وهم رهط أبى مريم السلولى ، وكانت له صحبة ، وعبد الله هو القائل فى الفلاقس[١] :

أقلى على اللوم يا ابنة مالك ... وذمى زماناً ساد فيه الفلاقس

وساع من السلطان ليس بناصح ... ومحترس من مثله وهو حارس

شاهد مجئ الحال بغير واو

وهو القائل[٢] ليزيد بن معاوية لما مات أبوه رضى الله عنه [من البسيط] :

اصبر يزيد فقد فارقت ذا مقة ... واشكر حِباء الذى بالملك ردّا كا[٣]

لا رزء أعظم بالأقوام إذ علموا ... مما رزئت ولا عقبى كعقباكا[٤]

أصبحت راعى أهل الدين كلهم ... فأنت ترعاهم والله يرعاكا[٥]

وفى معاوية الباقى لنا خلف ... إذا نُعيت ولا نسمع بمنعاكا[٦]

* * *

٥٥ — * خرجت مع البازى على سواد *

قائله بشار بن[٧] برد ، من أبيات من الطويل ، قالها فى خالد بن برمك

---

(١) أصل الفلاقس جمع فلقس بزنة جعفر أو فلنقس بزنة سفرجل ، وهو البخيل اللئيم ، وهو أيضا الذى أبوه مولى وأمه مولاة

(٢) رواها فى العقد الفريد فى كتاب الدرة فى النوادب والتعازى والمراثى (٣ — ٣٠٨ اللجنة)

(٣) فى العقد « واشكر حباء الذى بالملك حاباكا »

(٤) فى العقد « لا رزء أعظم فى الأقوام قد علموا »

(٥) فى العقد « أصبحت راعى أهل الأرض كلهم »

(٦) فى العقد « إذا بقيت فلن نسمع بمنعاكا »

(٧) أنشده الشيخ عبد القاهر فى دلائل الاعجاز (١٥٧) وأنشد الأبيات كلها فى الأغانى (٣ — ٥٠) وفى خزانة الأدب (١ — ٥٤٠) وليست فى المختار من شعر بشار، ولا واحد منها

وكانَ قد وفد عليه وَهوَ بفارِس ، فأنشدَهُ قولهُ :

أخَالدُ لمْ أهبطْ عليكَ بذِمةٍ سِوَى أنني عَافٍ وأنْتَ جوَادُ

بشار وخالد البرمكي

أخَالدُ بينَ الأجرَ والحمدَ حاجتي فأيّهمَا تأتي فأنْتَ عِمَادُ

فإنْ تعطني أفرغْ عليكَ مدائحي وإنْ تأبَ لم تضرَبْ عليَّ سدادُ

رِكَابي على حرْفٍ وقلبي مُشَيَّعٌ ومَالي بِأرْضِ البَاخلينَ بلادُ

إذَا أنْـكرَتني بلدةٌ أوْ نـكرتهَا خرَجْتُ مَعَ البَازِي عليَّ سَوَادُ

فدعَا خالدٌ بأربعة آلاف ، في أربعة أكياس ، فوضع واحـداً منها عن يمينه ، وآخر عن شماله ، وآخر بين يديه ، وآخرَ من ورائه ، وقال : يا أبا معاذ هل استقلَّ العِماد ؟ فلمس الأكياس بيديه ، ثم قال : استقل والله أيها الأمير .

ومعـنى البيت : إذا لم يعرف قـدري أهل بلدة ولم أعرفهم خرجت عنهم وفارقتهم متنـكراً مصاحباً للبازي ، الذي هو أبـكر الطيور[1] مشتملا على شيء من ظلمة الليل ، غير منتظر لاسفار الصبح ، فقوله « على سواد » أي : بقية من الليل .

والشاهد فيه : كونه حالا ترك فيه الواو .

ومثلهُ قول [أمية[2] بن] أبي الصلت يمدح ابن ذي يَزَن [من البسيط] :

اشرَبْ هنيئاً عليكَ التاجُ مرتفقاً في رَأسِ غمْدَانَ داراً منكَ محلالا[3]

---

(١) في الأصول « أنكر الطيور » وأحسبه محرفا عما أثبتناه

(٢) زيادة لابد منها ، فالبيت لأمية بن أبي الصلت من قصيدة له مشهورة يمدح فيها ابن ذي يزن ، وأولها قوله :

لا يطلب الثأر إلا كابن ذي يزن في البحر خيم للاعـداء أحوالا

والبيت قد أنشده الشيخ عبد القاهر في دلائل الاعجاز (١٥٧) ونسبه إلى أبيه وانظر مع ذلك الأغاني (١٦ ـ ٧١ وما بعدها)

(٣) في المطبوعتين « عليك التاج مرتفعا » محرفا عما أثبتناه

والشاهد فى قوله « عليك التاج » . وغمدان : اسم قصر باليمن ، مبنى على أربعة أوجه : أحمر وأبيض وأصفر وأخضر ، وفى داخله قصر مبنى بسبعة سقوف ، بين كل سقفين أربعون ذراعاً ، ويرى ظله إذا طلعت عليه الشمس من ثلاثة أميال ، والمحلال : بمعنى المنزل صيغة مبالغة .

ومثله قولُ الآخر يهجو خطيباً[1] [من الطويل] :

لَقَدْ صبَرتْ للذُّلّ أعوادُ مِنْبَرٍ تَقُومُ عَلَيها فى يَديكَ قَضيبُ

ترجمة بشار ابن برد

وبشار[2] بن برد بن يرجوخ ، ينتهى نسبه للهراسف[3] . وكان يرجوخ من طخارستان ، من سبى المهلّب بن أبى صفرة ، ويكنى بشارٌ أبا معاذ ، ومحله فى الشعر وتقدمه طبقات المحدثين فيه بإجماع الرواة ورياسته عليهم من غير اختلاف فى ذلكَ يُغْنى عن وصفه والاطالة بذكره .

وهو من شعراء مُخَضْرَمِى الدولتين : الأموية والعباسية ، وقد اشتهر فيهما ومدح وهجا ، وأخذ سَنِىَّ الجوائز مع الشعراء .

وعن يحيى بن الجون العبدىّ راوية بشار بن برد قال : [قال بشار] : لما دخلت على المهدى قال لى : فيمن تعتد يا بشار ؟ فقلت : أما اللسان والزىّ فعربى ، وأما الأصل فعجمى[4] كما قلت فى شعرى يا أمير المؤمنين [من المتقارب] :

ونُبئْتُ قوماً بهِمْ جِنَّةٌ يقولونَ مَنْ ذا وكنتُ العَلَمْ

---

(١) انظره فى دلائل الاعجاز (١٥٧) أيضا

(٢) لبشار ترجمة فى الأغانى (٣ : ١٩ ـ ٧٣) وفى خزانة الأدب (١-١٤٥) وفى ابن خلكان (١ -١٥٦) ومسرح العيون (١٦٥) والشعراء لابن قتيبة (٤٧٦)

(٣) كذا ، وآخر نسبه فى الأغانى « يستاسب »

(٤) فى الأصول «أما على اللسان والرأى فعربى وأما على الأصل فعجمى» وفيه تحريف ، وما أثبتناه موافق لما فى الأغانى الذى أخذ عنه

ألاَ أيها السائلى جاهلاً ليعرفنى أنا أنفُ الكرمْ
نَمتْ فى الكرام بنى عامرٍ فُرُوعى وأصلى قُريشُ العجمْ
وإنى لأغنى مقامَ الفتى وأصبى الفتاةَ فما تعتصِمْ

قال : وكان أبودُلامة حاضراً ، فقال : كلا ! لوجهُكَ أقبح من ذلك ، ووجهى مع وجهك ، فقلت : كلا ! والله مارأيت رجلا أصدق على نفسه وأكذب على جليسه منك ، والله إنى لطويل القامة ، عظيم الهامة ، تام الألواح ، أسجح الخدين [ولربّ][1] مسترخى المذروين للعين منه مَرَاد مثلك ، قد جلس[2] من الفتاة حُجزةً ، وجلست منها حيثُ أريد ، فأنت مثلى يامرقمان[3] . قال : فسكت عنى ، ثم قال لى المهدىّ : فمن أىّ العجم أصلك؟ قلت : من أكثرها فى الفرسان ، وأشدها على الأقرَان ، أهل طخارِستان ، فقال بعض القوم : أولئك الصُّغد ، فقلت : لا ، الصغد[4] تجار ، فلم يردد ذلك المهدى[5] .

وكان يلقب بالمرُعَّث لقوله [من مجزوء الخفيف] :

قالَ ريمٌ مُرَعّثٌ ساحِرُ الطرْف والنظرْ
لستَ والله نائلى قلت أو يغلبَ القَدَرْ

(١) زيادة عن الأغانى ، وبها يتم المعنى وأراد بمسترخي المذروين السمين العبل الأليتين ، وأراد بقوله « للعين فيه مراد » أنه مونق الظاهر تتجه إليه العيون

(٢) فى الأصول « ومثلك قد جلس » بزيادة الواو ، وما أثبتناه موافق لما فى الأغانى

(٣) كذا ، وفى الأغانى « فأنت مثلى يا مرضعان »

(٤) فى الأغانى « أولئك الصغر ، فقلت : لا الصغر تجار » وفى الأصول أولئك السند ، فقلت : لا ، السند تجار » وكلاهما تحريف ما أثبتناه

(٥) فى الأصول « فلم يزل يردد ذلك المهدى » وفيه زيادة كلمة « يزل » عما فى الأغانى

أنتَ إن رمتَ وصلَنا فانجُ هلْ يدركُ القمرْ

وقيل: لقبَ به لأنه كان لقميصه جيبان ، جيب عن يمينه وجيب عن شماله ، فاذا أراد لبسه ضمه عليه من غير أن يدخل رأسه فيه ، وإذا أراد نزعه حلّ أزراره وخرج منه ، فشبهت تلك الجيوب بالرعاث لاسترسالها وتدلّيها . وقال أبو عبيدة : لقب بالمرعث لأنه كانت فى آذانه وهو صغير رِعاثٌ ، واحدها رعثَة وهى القرط ، ورعثة الديك : اللحم المتدلى تحت حنكه .

وقال الأصمعى : كان بشار ضخما ، عظيم الخلق والوجه ، مجدوراً ، طويلا ، جاحظ الحدقتين قد تغشاهما لحم أحمر ، فكان أقبح الناس عَمًى ، وأفظعهم منظراً ، وكان إذا أراد أن ينشد صفق بيديه وتنحنح وبصق عن يمينه وشماله ثم ينشد فيأتى بالعجب .

وقال : ولد بشار أعمى ، فما نظر إلى الدنيا قط ، وكان يُشَبه الأشياء فى شعره بعضَها ببعض ، فيأتى بما لا يقدر البصراء أن يأتوا بمثله .

وقال أبو عبيدة : قال بشار الشعر ولم يبلغ عشر سنين ، ثم بلغ الحلم وهو يخشى معرَّة اللسان ، قال : وكان بشار يقول : هجوت جريرا فأعرض عنى واستصغرنى ولو أجابنى لكنت أشعر الناس .

وكان بشار وهو صغير إذا هجا قوما جاؤا إلى أبيه فشكوه إليه ، فيضربه ضرباً مبرحا ، فكانت أمه تقول : كم تضرب هذا الصبي الصغير الضرير ؟ أما ترحمه ؟ فيقول : بلى والله إنى لأرحمه ، ولكنه يتعرض للناس فيشكونه إلى ، فسمعه بشار فطمع فيه ، فقال : يا أبت ، إن هذا الذى يشكونه إليك منى هو قولى الشعر وإنى إن أتممت عليه أغنيتك وسائر أهلى ، فاذا شكونى فقل لهم : أليس الله عز وجل يقول (ليس على الأعمى حرج) . فلما أعادوا شكواه قال لهم ذلك ، فانصرفوا وهم يقولون : فقْهُ برد أغيظُ لنا من شعر بشار .

وحكى الأصمعى أن بشارا كان من أشد الناس تبرما بالناس ، وكان يقول :

الحمد لله الذى حجب بصرى ، فقيل له : ولم يا أبا معاذ ؟ قال : لئلا أرى من أبغض

وكان بالبصرة رجل يقال له حمدان الخراط ، فاتخذ جاماً لانسان ، وكان بشار عنده ، فسأله بشار أن يتخذ له جاما فيه صورة طير يطير ، فاتخذه له وجاء به إليه فقال له : ما فى هذا الجام؟ قال: صورة طير يطير ، فقال له : قد كان ينبغى أن تتخذ فوق هذا الطير طيرا من الجوارح كأنه يريد صيده ، فإنه كان أحسن . قال : لم أعلم ، قال : بلى قد علمت ولكنك قد علمت أننى أعمى لا أبصر شيئاً ، وتهدده بالهجاء ، فقال له حمدان : لاتفعل فانك تندم ، قال : أو تهددنى أيضا ؟ قال : نعم ، قال : وأى شىء تصنع بى إن هجوتك ؟ قال : أصورك على باب دارى فى صورتك هذه ، وأجعل من خلفك قرداً ينكحك حتى يمر بك الصادر والوارد ، فقال بشار : اللهم أخزه ، أنا أمازحه وهو يأبى إلا الجد .

وحدث محمد بن الحجاج السوادى [١] قال : كنا عند بشار وعنده رجل ينازعه فى اليمانية والمضرية إذ أذّن المؤذن ، فقال له بشار : رويداً تفهم قوله ، فلما قال المؤذن « أشهد أن محمداً رسول الله » قال له بشار : أهذا الذى نودى باسمه مع اسم الله عز وجل من مضر هو أم من صداء وعك وحمير؟! فسكت الرجل.

وحدث حماد عن أبيه قال : كان بشار جالساً فى دار المهدى والناس ينتظرون الاذن ، فقال بعض موالى المهدى لمن حضر : ما عندكم فى قول الله عز وجل : (وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا) فقال له بشار : النحل التى يعرفها الناس ، قال : هيهات يا أبا معاذ ! النحل بنو هاشم ، وقوله تعالى (يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس) يعنى العلم ، فقال له بشار: أرانى الله شرابك وطعامك [وشفاءك][٢] مما يخرج من بطون بنى هاشم فقد أوسعتنا

---

(١) فى الأغانى « محمد بن الحجاج السرادانى » .
(٢) زيادة عن الأغانى .

غثاثة ، فغضب وشتم بشارا ، فبلغ المهدى الخبر ، فدعا بهما وسألها عن القصة ، فحدثه بشار بها ، فضحك حتى أمسك على بطنه ، ثم قال للرجل : أجل فجعل الله طعامك وشرابك مما يخرج من بطون بنى هاشم فانك بارد غث .

ودخل يزيد بن منصور الحميرى على المهدى و بشار بين يديه ينشده قصيدة امتدحه بها ، فلما فرغ منها أقبل عليه يزيد بن منصور — وكانت فيه غفلة — فقال له : يا شيخ ما صناعتك ؟ فقال له : أثقب اللؤلؤ ، فضحك المهدى ، ثم قال لبشار : اعزب و يلك أتتنادر(١) على خالى ، قال : وما أصنع به يرى شيخاً أعمى قائماً ينشد الخليفة شعراً يسأله عن صناعته .

ووقف بعض المُجَّان على بشار وهو ينشد شعرا ، فقال له : استر شعرك هذا كما تستر عورتك ، فصفق بشار بيديه وغضب وقال له : من أنت و يلك ؟ قال : أنا أعزك الله رجلٌ من باهلة ، وأخوالى من سَلُول ، وأصهارى من عُكْل ، واسمى كَلْب ، ومولدى بأُضاخ (٢) ومنزلى بنهر بلال (٣) ، فضحك بشار وقال : اذهب و يلك ، فأنت عتيق لؤمك ، قد علم الله أنك استترت منى بحصون من حديد .

وحدث رجل من أهل البصرة ممن كان يتزوج النهاريات ، قال: تزوجت امرأة

---

(١) فى الأصول « أتتنادب على خالى » محرفا ، وما أثبتناه موافق لما فى الأغانى .

(٢) فى الأصول « بأحاح » وقال مصحح مطبوعة بولاق « قوله باحاح ، هكذا بمهملتين ، وفى بعض النسخ بأجاج، وكلاهما لم أقف عليه اسم مكان » اهـ قال أبو رجاء : وكلاهما تحريف عما أثبتناه موافقا لما فى الأغانى ، وأضاخ — بضم الهمزة — اسم موضع ذكره المجد فى القاموس .

(٣) فى الأغانى « ومنزلى بظفر بلال » وفى أسماء الأماكن عدة كل منها يحمل اسم ظفر .

منهن فاجتمعت معها فى علو بيت و بشار تحتنا ، أو كنا فى أسفل بيت و بشار فى علوه مع امرأة ، فنهق حمار فى الطريق فجاوبه حمار آخر فى بيت الجيران وحمار فى الدار ، فارتجت الناحية بنهيقها ، وضرب الحمار الذى فى الدار برجله الأرض ، وجعل يدقها دقاً شديدا ، فسمعت بشارا يقول للمرأة : نُفِخ -يعلم الله- فى الصُّور وقامت القيامة ، أما تسمعين كيف يدق على أهل القبور حتى يخرجوا منها ، ولم تلبث أن فزعت شاة كانت فى السطح فقطعت حبلها وعدت فألقت طبقاً من نحاس فيه غضارة[1] إلى الدار فانكسرت فتطاير حمام ودجاج كان فى الدار لصوت الغضارة والطبق ، وبكى من ذلك صبى فى الدار ، فقال بشار : صحّ يعلم الله الخبر ، ونشر أهل القبور من قبورهم ، أزفت - يشهد الله - الآزفة ، وزلزلت الأرض زلزالها ، فعجبت من كلامه وغاظنى ، فسألت : من المتكلم ؟ فقيل لى : بشار ، فقلت : قد علمت أنه لا يتكلم بمثل هذا الكلام غيره .

ومر بشار برجل قد رمحته بغلته وهو يقول : الحمد لله شكراً ، فقال له بشار : استزده يزدك .

ومر قوم يحملون جنازة وهم يسرعون المشى بها ، فقال : مالهم مسرعين ، أتراهم قد سرقوها فهم يخافون أن يلحقوا فتؤخذ منهم .

ورفع غلامه إليه فى حساب نفقته جلاء مرآة عشرة دراهم ، فصاح به بشار وقال : والله ما فى الدنيا أعجب من جلاء مرآة أعمى بعشرة دراهم ، والله لو صدأت عين الشمس حتى بقى العالم فى ظلمة ما بلغت أجرة من يجلوها عشرة دراهم .

وعن خلاد قال : قلت لبشار : إنك لتجىء بالشى المهجر المتفاوت،[2] قال :

---

(١) الغضارة - بفتح الغين بزنة سحابة - ومثله الغضار : الطين اللازب الأخضر الحر .

(٢) فى الأغانى « إنك لتجيء بالشيء الهجين المتفاوت » .

وما ذاك ؟ قلت له : تقول شعراً تثير به النقع وتخلع به القلوب مثل قولك [من الطويل] :

إذا ما غَضِبنا غَضبةً مُضَرِيَّةً هتكنا حجابَ الشمس أو قطرَت دما
إذا ما أعَرْنا سيداً من قبيلةٍ ذُرى مِنبر صلَّى علينا وسلَّما(١)

[إلى أن](٢) تقول [من الوافر المجزوء] :

ربابَةُ رَبَّةُ البيتِ تصُبُّ الخل في الزيت
لها عَشرُ دجاجاتٍ وديكٌ حسَنُ الصوت

فقال : لكل شيء وجهٌ وموضع ، فالقول الأول جد ، وهذا قلته في جاريتي ربابة وأنا لا آكل البيض من السوق ، فربابة هذه لها عشر دجاجات وديك فهي تجمع البيض وتحفظه ، فهذا عندها أحسن من قول * قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل * عندك .

وقال هلال لبشار(٣) وكان صديقاً له يمازحه : إن الله عز وجل لم يذهب بصر أحد إلا عوضه منه شيئاً ، فما الذى عوضك ؟ قال : الطويل العريض ، قال : وما هو ؟ قال : لا أراك ولا أمثالك من الثقلاء ، ثم قال له : يا هلال أتطيعني في نصيحة أخصك بها ؟ قال : نعم ، قال : إنك كنت تسرق الحمير زماناً ثم تُبْتَ وصرت رافضيًّا فعُدْ إلى سرقة الحمير فهي والله خير لك من الرَّفْضِ .

وعن أبي دهمان العلائي(٤) قال : مررت ببشار يوما وهو جالس على باب

---

(١) في الأصول « إذا ما أعدنا » محرفا عما أثبتناه ، وهو على الصحة في الأغاني (٣ - ٣١) .
(٢) هذه الزيادة ليست في الأغاني وهي في عامة أصول هذا الكتاب .
(٣) في الأغاني أنه هلال بن عطية المشهور بهلال الرأى .
(٤) في الأغاني « عن أبي دهمان الغلال » .

داره وحده وليس معه أحد وبيده مخصرة يلعب بها وقدامه طبق فيه تفاح وأترج ، فلما رأيته وليس عنده أحد تاقت نفسى إلى أن أسرق مما بين يديه ، فجئت من خلفه قليلا قليلا وهو كافٌّ يدَه حتى مددت يدى لأتناول منه ، فرفع القضيب وضرب به يدى ضربة كاد يكسرها فقلت له : قطع الله يدك يا ابن الفاعلة ! أنت الآن أعمى ، فقال : يا أحمق ، فأين الحس ؟

وقعد إلى بشار رجلٌ فاستثقله ، فضرط عليه بشار ضرطة ، فظن الرجل أنها أفلتت منه ، ثم ضرط أخرى ، فقال : أفلتت ، ثم ضرط ثالثة ، فقال له : يا أبا معاذ ، ما هذا ؟ فقال : مه ، أرأيت أم سمعت ؟ قال : لا ، بل سمعت صوتاً قبيحاً ، فقال له : لا تُصَدِّق حتى ترى .

وحدث محمد بن الحجاج قال : جاءنا بشار يوما وهو مغتمٌّ ، فقلنا له : ما لك مغتما ؟ فقال : مات حمارى فرأيته فى النوم فقلت له : لم مت ؟ ألم أكن أحسن إليك ؟ فقال [من مجزوء الرمل] :

سيدى خذ بى أتانا عند باب الأصبهانى(١)
تيمتنى ببنانٍ وبِدَلٍّ قد شجانى
تيَّمتنى يوم رحنا بثناياها الحسان
وبغَنَجٍ ودلالٍ سلَّ جسمى وبرانى
ولها خدٌّ أسيلٌ مثلُ خدِّ الشَّنْفَرانى(٢)
فلذا مُتُّ ولو عِشْتُ إذاً طال هوانى

---

(١) فى الأصول « خذ لى أتانا » وما أثبتناه موافق لما فى الأغانى (٣ - ٦٤) وقد روى صاحب تزيين الأسواق هذه القصة (٢ - ٣٤) وروى معها الأبيات وذكر أنها تنسب إلى بشار .

(٢) فى الأغانى وتزيين الأسواق « مثل خد الشيفرانى » .

فقلت له : ما الشنفرانى ؟ قال : ما يُدْرِينى ، هـذا من غريب الحمار فإذا لقيته فاسأله عنه

وقال الجاحظ : كان بشارٌ يَدينُ بالرّجعة ، ويكفّر جميع الأمم ، ويصوّب رأى إبليس عليه اللعنة فى تقـديم عنصر النار على الطين ، وذكر ذلك فى شعره فقال [من البسيط] :

الأرضُ مظلمةٌ والنـارُ مشرقةٌ والنارُ معبودةٌ مذ كانتِ النارُ

(١) وكان الشرّ قـد نشب بين بشار وحماد عَجْرد لأمورٍ يطول ذكرها ، فكانا يتقارضان الهجاء ، فأجمع علماء البصرة أنه ليس فى هجاء حماد عجرد لبشار شىء جيد إلا أربعين بيتاً معدودة ، ولبشار فيه من الهجاء أكثر من ألف بيت جيد ، وكل واحـد منهما هو الذى هتك صاحبه بالزندقة وأظهرها عليه ، وكانا يجتمعان عليها ، فسقط حماد عَجْرد وتَهتَّك ، بفضل بلاغة بشار وجودة معانيه ، وبقى بشار على حاله لم يسقط ، وعُرِف مذهبه فى الزندقة فقتل به

وكان رجل من أهل البصرة يدخل بين حماد و بشار على اتفاق منهما ، و رضى بأن ينقل إلى كل واحد منهما ما يقول الآخر من الشعر ، فدخل يوماً على بشار فقال له بشار : إيه يا فلان ، ما قال ابن الزانية فىّ من الشعر ؟ فأنشده [من السريع] :

إن تاه بَشَّار عليـكم فقد أمكنتُ بَشَّاراً من التِّيهِ

فقال بشار : بأىّ شىء ويحك ؟ فقال :

وذاك إذ سميتُه باسمِهِ ولم يكن حُرٌّ يُسَمِّيهِ

فقال : سَخِنت عينُه ! فبأى شىء كنت أعرف ؟ إيه . فقال :

فصار إنساناً بذِكْرِى لهُ ما يبتغى من بعدِ ذِكْرِيه(٢)

---

(١) من هنا مأخوذ من ترجمة حماد عجرد فى الأغانى (١٣ ـ ٧٣ ـ ١٠٢)

(٢) فى الأغانى « ما ينبغى » وهو تحريف

فقال : ماصنع شيئاً . إيه ويحك ! فقال :

لم أهجُ بَشَّاراً ولكننى هجوتُ نفسى بهجائيه

فقال : على هذا المعنى دار ، وحَوله حَامَ ، إيه أيضًا وأى شىء ؟ قال : فأنشده [من الكامل المجزوء]

أنت ابنَ بُرْدٍ مثلُ بُرْ دٍ فى النذالةِ والرَّذالَهْ
مَن كان مثلَ أبيكَ يَا أعمى أبوهُ فلا أبَا لَهْ

وحدّث خالدٌ الأرقط قال: أنشد بشاراً راويتُه قولَ حمادِ عجردٍ فيه [من الطويل] :

دُعيتَ إلى بُرْدٍ وأنت لغيرِهِ فَهَبْكَ لِبُرْدٍ نكت أمّك من بُرْدِ (١)

فقال بشار لراويته : هاهنا أحد ؟ قال : لا ، فقال : أحسن والله ماشاء ابن الزانية

وقال بشار يوما لراوية حماد : ما هجانى به اليوم حماد ؟ فأنشده [من الهزج] :

ألاَ مَنْ مُبْلِغٌ عنى الَّذِى والِدُهُ بُرْدُ

قال : صدق ابن الفاعلة ، فما قال بعده ؟ فأنشده :

إذَا ما نُسِبَ الناسُ فلا قبلٌ ولا بعدُ

فقال: كذب ابن الفاعلة ، وأين هذه العرصات من عقيل، فما قال ؟ فأنشده :

وأعمَى قلْطُبَانٌ ما على قاذفِهِ حَدٌّ

فقال : كذب ابنُ الفاعلة ، بل ثمانون جلدةً عليه ، هيه ، فقال :

وأعمى يُشْبِهُ القِرْدَ إذا ما عَمِىَ القِرْدُ

---

(١) فى الأغانى « فهبك ابن برد »

فقال : والله ما أخطأ ابن الزانية حين شبّهني بقرد ، حسبُك حسبك ، ثم صفّق بيديه وقال : ما حيلتي ؟ يراني فيشبهني ولا أراه فأشبهه

وفي حمادِ عجردِ يقول بشار [من السريع] :

ما لُمْتُ حمّاداً على فسقِهِ   يَلومُهُ الجاهلُ والمائقُ

وما هُمَا مِنْ أبره واسته   مَلّكَهُ إيّاهما الخالقُ(١)

ما بات إلا فوْقَهُ فاسقٌ   يَنيكه أو تحتَهُ فاسقُ

قال ابن أبي سعيد : وأبلغُ ما هجا به حمادُ عجرد بشاراً قوله [من السريع] :

نهارُه أخبثُ من ليلهِ   ويومُهُ أخبثُ من أمسِهِ

وليس بالمُقلِع عن غيِّهِ   حتى يُوارَى في ثرَى رمسِهِ

قال : وكان أغلظ على بشار من ذلك كله ، وأوجعه له قوله فيه [من السريع] :

لوْ طُلِيَتْ جِلدَتُهُ عنبراً   لأفسَدَتْ جِلدَتُهُ العنبرا

أوْطُلِيَتْ مِسكاً ذَكيًّا إذًا   تحوّلَ المسكُ عليهِ خرَا

قال : وكان حمادُ عجردِ قد اتصل بالربيع يؤدب ولده ، فكتب إليه بشار رقعة، فأوصلت إلى الربيع فاذا فيها مكتوب [من مجزوء الخفيف] :

يا أبا الفضلِ لا تَنمْ   وقعَ الذئبُ في الغنمْ

إنَّ حمّادَ عجرَدٍ   إن رأى غفلةً هجمْ

بينَ فخذَيهِ حربةٌ   في غِلافٍ منَ الأدمْ

إنْ خلاالبَيْتُ ساعةً   مجمجَ الميمَ بالقلمْ

فلما قرأها الرَّبيعُ قال : صيرني حمّادٌ دريئةَ الشعراء ، أخرجوا عني حمّاداً ، فأخرج .

---

(١) في الأغاني « وماهم » في مكان « وما هما »

وقد فعل مثل هذا بعينه حمادُ عجرد بقُطْرُب حين اتخذ مؤدّباً لبعض ولد المهدىّ وكان هو يطمع فى ذلك ، فلم يتم له لشهرته فى النـاس بمـا قاله فيه بشار ، فلما تمكن قطرب فى موضعه ، صارحماد كالملقى على الرصد ، فجعل يقوم ويقعد بقطرب فى الناس ، ثم أخذ رقعة فكتب فيها [من البسيط] :

قُلْ لِلإمام جزَاكَ اللهُ صالحـةً   لاتجْمَعِ الدهرَ بينَ السَّخلِ والذِّيبِ

السَّخْلُ غِرٌّ وهمُّ الذئبِ فرْصته   والذئبُ يعلمُ مافى السحل من طيب

فلما قرأ المهدى هـذين البيتين قال : انظروا لا يكون هذا المؤدب لوطياً ، ثم قال : انفوه عن الدار ، فأخرج عنها ، وجىء بمؤدّب غـيره ، ووكل بولده تسعون خادماً بنوابها يحفظونه ، فخرج قطرب هارباً مما شهر به إلى الكرج فأقام هنالك إلى أن مات .

وكان بشار بلغه أن حمّاداً[1] عليلٌ ، ثم نعى إليه قبل موته ، فقال بشار [منَ السريع] :

لوْ عَاشَ حَمّادُ لهَوْنَا بهِ   لَكنهُ صارَ إلى النَّارِ

فبلغَ هـذا البيتُ حَمّاداً قبل موتهِ ، وَهو فى السياق ، فقال يرد عليه [من السريع] :

نُبئتُ بشاراً نعـانى   ولِلْـموْتِ بَرَانى الخَالقُ البارِى

يا ليتنى مِتُّ ولم أهْجُهُ   نَعمْ ولوْ صرتُ إلى النَّارِ

وأىُّ خِزْىٍ هُوَ أخزَى منَ انْ   يقَالَ لى يا سِبَّ بشارِ

وكان حمّاد قد نزل بالأهواز على سليم بن سالم ، فأقام عنده مدة مستتراً من

---

(١) فى الأصول «أن حماداً عليل المأنة » وكلمة المأنة لاتفيد معنى ، وليست فى الأغانى وهو الذى نقل عنه جميع مافى هذه الترجمة

محمد بن سليمان ، ثم خرج من عنده يريد البصرة ، فمرّ بشيراز[١] فى طريقه ، فمرض بها ، فاضطر إلى المقام بها بسبب علته ، واشتدّ مرضه ، فمات هناك ، ودفن على تَلْعة .

ثم إن المهدى لما قتل بشاراً بالبطيحة اتفق أنه حُمل إلى منزله ميتاً ، فدفن مع حماد على تلك التلعة ، فمرّ بهما أبو هشام الباهلىّ الشاعر البصرىّ الذى كان يهاجى بشاراً ، فوقف على قبريهما وقال [من السريع] :

قدْ تبعَ الأعمَى قفَا عجْرَدِ ... فأصبحَا جارَين فى دَارِ

قالتْ بقَاعُ الأرْضِ لا مَرْحباً ... بقُرْبِ حَمّادٍ وبشارِ

تجاوَرَا بعـــدَ تنائيهمَا ... ما أبغضَ الجارَ إلى الجارِ

صارَا جميعاً فى يدى مالكٍ ... فى النارِ ، والـكافرُ فى النّارِ

وَكان السبب فى قتل المهدى بشارا أنه كان نهاه عن التشبيب ، فمدحه بقصيدة[٢] ، فلم يحظ منه بشىء ، فهجاه ، فقال من قصيدة [من السريع] :

خَليفةٌ يَزْنى بعـمّاتهِ ... يَلْعبُ بالدّبُّوقِ والصّوْلجَانْ[٣]

أبدَلنَا اللهُ بهِ غـــيرَهُ ... ودسَّ موسى فى حِرِ الخيزُرَانْ

وأنشدها فى حلقة يونس النحوىّ ، فسعى به إلى يعقوب بن داود الوزير ، وكان بشار قد هجاهُ بقوله [من البسيط] :

---

(١) فى الأصول « بشيراز إذ أن فى طريقه » وكلمتا « إذ أن » لا محل لهما هنا ، وليستا فى الأغانى

(٢) ذكر فى الأغاني فى ترجمة بشار (٣ - ٦٩) القصائد التى مدح بها بشار الخليفة المهدى ولم يحظ منه عليها بشىء ، فارجع إليها ثمة إن شئت

(٣) فى الأصول « بالدابوق » وما أثبتناه هو الصواب ، وهو الموافق لما فى الأغانى . وفى القاموس « والدبوق كتنور لعبة معروفة »

بني أمية هبوا طال نومكم ... إن الخليفة يعقوب بن داود

ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا ... خليفة الله بين الزق والعود

فدخل يعقوب على المهدي فقال: يا أمير المؤمنين، إن هذا الأعمى الملحد الزنديق قد هجاك، فقال: بأي شيء؟ فقال: بما لا ينطق به لساني ولا يتوهمه فكري، فقال: بحياتي أنشدني إياه، فقال: والله لو خيرتني بين إنشادي إياه وبين ضرب عنقي لاخترت ضرب عنقي، فحلف عليه المهدي بالأيمان التي لا فسحة له فيها، فقال: أما لفظاً فلا، ولكني أكتب ذلك، فكتبه ودفعه إليه، فكاد ينشق غيظاً، وعمل على الانحدار إلى البصرة، لينظر في أمرها، وما وكده غير بشار، فانحدر، فلما بلغ إلى البطيحة سمع أذاناً في وقت ضحوة النهار[1]، فقال: انظروا ما هذا الأذان، فإذا بشار سكران، فقال له: يا زنديق يا عاض بظر أمه، عجبت أن يكون هذا من غيرك، أتلهو بالأذان في غير وقت صلاة وأنت سكران، ثم دعا بابن نهيك، فأمره بضربه بالسوط، فضربه بين يديه على صدر الحراقة سبعين سوطاً أتلفه فيها، فكان إذا مسه السوط يقول: حس، وهي كلمة تقولها العرب للشيء إذا أوجع، فقال: انظر إلى زندقته يا أمير المؤمنين، يقول حس، ولا يقول بسم الله، فقال: ويلك أطعام هو فأسمي عليه؟ فقال له آخر: أفلا قلت الحمد لله، فقال: أو نعمة هي فأحمد الله عليها؟ فلما استوفى السبعين بان الموت فيه، فألقي في سفينة حتى مات، ثم رمي به في البطيحة، فجاء بعض أهله فحملوه إلى البصرة، فدفنوه إلى جنب حماد عجرد كما تقدم.

وقال أبو هشام الباهلي فيه [من المنسرح]:

يا بؤسَ ميتٍ لم يبكه أحدٌ ... أجلْ ولم يفتقده مفتقدُ

---

(١) في الأغاني «في وقت ضحى النهار»

لا أمةٌ للإله تبكيه ولا ... يبكِ عليه لفُرقةٍ أحَدٌ(1)

ولا ابن أختٍ يبكيه ولا ابن أخٍ ... ولا حميمٌ رقَّتْ له كبِدُهْ

بل زعموا أن أهلَهُ فرِحاً ... لما أتاهم نعِيُّهُ سجدوا

وكان بشار يعطي أبا الشمقمق في كل سنة مائتي درهم، فأتاه في بعض السنين فقال له: هلم الجزية يا أبا معاذ، فقال: ويحك أوجزية هي أيضاً؟ قال: هو ما تسمع، فقال له بشار يمازحه: أنت أفصح مني؟ قال: لا، قال: فأعلم مني بمثالب الناس؟ قال: لا، قال: فأشعر مني؟ قال: لا، قال: فلم أعطيك؟ قال: لئلا أهجوك، فقال له: إن هجوتني هجوتك، فقال له أبو الشمقمق: أوهكذا هو؟ قال: نعم فقل ما بدا لك، فقال أبو الشمقمق [من الرجز]:

إني إذا ما شاعرٌ هجانِيَهْ ... ولجَّ في القولِ له لسانِيَهْ

أدخلتُه في استِ أمه علانِيَهْ ... بشارُ يا بشارُ . . . .

وأراد أن يقول «يا ابن الزانية» فوثب بشار فأمسك فاه، وقال: أراد والله أن يشتمني، ثم دفع إليه مائتي درهم، وقال: لا يسمعن منك هذا الصبيان.

وحدث الأصمعي قال: أمر عقبة بن سلم لبشار بعشرة آلاف درهم، فأخبر أبو الشمقمق بذلك، فوافى بشاراً فقال له: يا أبا معاذ إني مررت بصبيان فسمعتهم ينشدون [من مجزوء الرمل]:

هلّيلَهْ هلّيلَهْ ... طعنَ قثّاةٍ لتّيهْ

إنَّ بشارَ بنَ بُردٍ ... تيسٌ أعمى في سفينَهْ

فأخرج له بشار مائتي درهم وقال: خذ هذه ولا تكن راوية الصبيان يا أبا الشمقمق.

---

(1) في الأغاني «يبك عليه لفرقة ولد»

ولما ضرب بشار وطرح فى السفينــة قال : ليت عين أبى الشمقمق ترانى حيث يقول :

إن بشار بن برد تيس اعمى فى سفينة

وكان قتله سنة ثمان وستين ومائة ، وقد بلغ نيفاً وتسعين سنة .

ومن شعره قوله [من السريع] :

طالَبْتُها دَيْنــاً فَضَنَّت به وأمسَــكت قَلْبى مع الدينِ
فَرُحتُ كالْعَيْرِ غَدا يبتغى قَرْناً فلم يرجع بأذنــينِ
أعتقتُ ماأملِكُ إن لم أكُنْ أُحب أن ألقــاكِ فالقَيْنِى
والله لو نِلْتُكِ لا أتَّقِى عيناً لقبَّلْتُكِ ألفــينِ

قوله « فرحت كالعير ــ البيت » مثل قول بعضهم [من الــكامل] :

ذهبَ الحمارُ ليَستفيدَ لنفسهِ قرنا فآب وماله أذُنان

ومن شعره قوله [من الخفيف] :

خيرُ إخوانِكَ المُشارك فى المـــرّ وأينَ الشَّريكُ فى المر أينَا
الذى إن شَهِدْتَ سَرَّكَ فى الحـــىّ وإن غِبْتَ كانَ أذناً وعَينا
مثلُ سرّ الياقوتِ إن مسَّه النَّـــار جَلاهُ البلاء فازدادَ زَيْنَا
أنت فى مَعْشرٍ إذا غبتَ عنهم بَدَّلوا كل ما يزينُكَ شيْنَا
وإذا ما رأوْكَ قالوا جَميعاً أنت من أكْرَم البرَايا علَينا
ما أرَى للأنام وُدًّا صحيحــاً عادَ كل الوِداد زوراً ومَيْنَا

* * *

٥٦ ــ فقُلْتُ عَسَى أن تُبْصِرِينى كأنّما بَنِيَّ حوالَيَّ الأسودُ الحوارِدُ

البيت من الطويل ، قائله الفرزدق ، من جملة أبيات قالها مخاطباً لزوجته النوار

وكان قد مكث زمانا لا يولد له فعيرته بذلك ، وأول الأبيات [١] :

وقالت أراهُ واحداً لا أخا له يؤمِّلُهُ يوماً ولا هو والِدُ

و بعده البيت ، و بعده :

فإن تَميماً قبلَ أن يلد الحصا أقامَ زمانا وهو فى الناس واحدُ

والحوارد : من حَرَدَ إذا غَضِب .

والشاهد فيه: ترك الواو فى الجملة الاسمية الحالية لدخول حرف على المبتدأ يحصل به نوع من الارتباط وهو هنا « كأن » إذ لولم تدخل لما حسن الكلام إلا بالواو ، و « بنىّ إلخ » جملة اسمية وقعت حالا من مفعول تبصر بنى ، ومعنى « حوالى » فى أكنافى فى رجوانبى ، وهو حال من بنىّ لما فى حرف التشبيه من معنى الفعل .

* * *

٥٧ — والله يُبْقِيكَ لَنَا سالماً بُرْدَاكَ تبجيلٌ وتعظيمُ

البيت لابن الرومى ، من قصيدة من السريع ، منها قبل البيت :

قلّ له الملكُ ولو أنه مجموعةٌ فيه الأقاليمُ

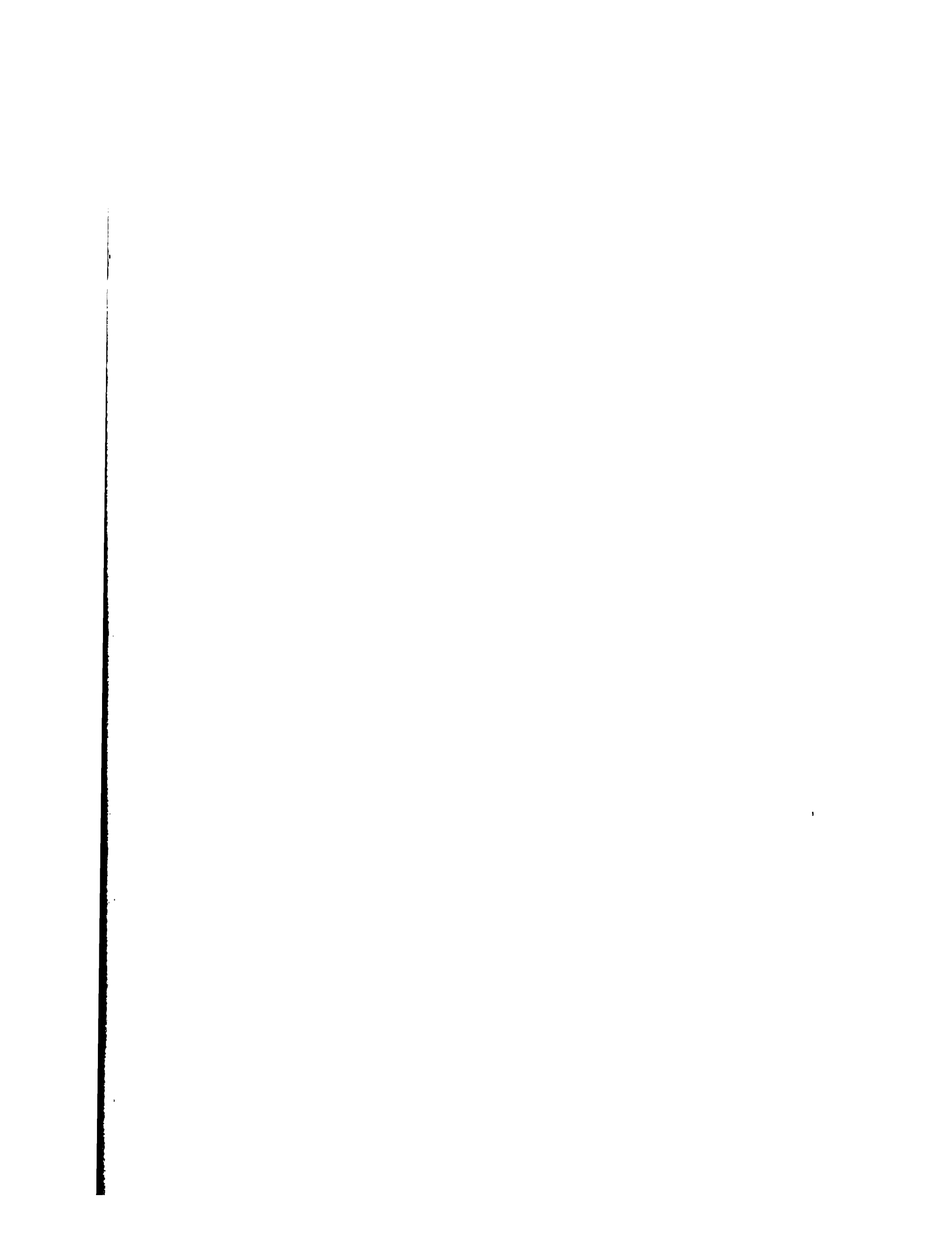
والتبجيل: التعظيم.

والشاهد فيه : ترك الواو فى الجملة الاسمية الحالية وهى « برداك إلخ » لوقوعها بعقب حال مفرد وهو « سالما » إذ لو لم يتقدمها لم يحسن فيها ترك الواو ، والحالان أعنى الجملة وسالما يجوز أن يكونا من الأحوال المترادفة ، وهى: أن تكون أحوال متعددة وصاحبها واحد كالكاف من يبقيك هاهنا ، و يجوز أن يكونا من الأحوال المتداخلة ، وهى: أن يكون صاحبُ الحال المتأخرة الاسمَ الذى يشتمل عليه الحال السابقة ، مثل أن يجعل قوله « برداك تعظيم » حالا من الضمير فى سالما .

وابن الرومى تقدم ذكره فى شواهد المسند إليه [٢] .

(١) اقرأها فى الديوان

(٢) اقرأ ترجمته فى شرح الشاهد (رقم ١٨)



شواهد الايجاز والاطناب والمساواة

٥٨ — والعَيْشُ خَيرٌ فى ظِلَا لِ النَّوكِ ممن عاشَ كَداً

البيت للحارث بن حِلِّزة اليشكرى ، من الكامل المضمر المرفّل ، وقبله [١] :

فَعِش بجَدٍّ لا يَضِرْ كَ النَّوْكُ ما أُولِيتَ جَدَّا [٢]

شاهد إخلال اللفظ بالمعنى المراد

والنوك ـ بضم النون وفتحها ـ الحمق ، ومعنى « كداً » مكدوداً متعو با [٣] .

والشاهد فيه : الاخلال ، لكونه غير واف بالمراد ، إذ أصل مراده أن العيش الناعم فى ظلال النوك خير من العيش الشاق فى ظلال العقل ، ولفظه غير واف بذلك .

وما أحسن قول ابن المعتز [من الكامل] :

وحَلاوَةُ الدنيا لِجَاهِلِها ومَرَارة الدنيا لمن عَقَلا

ولأبى عبد الله محمد بن أبى الفضل السلمى المرسى [من الكامل] :

عابوا الجَهالَةَ وازدَروا بحُقوقِها وتَهاوَنوا بحديثها فى المجلِسِ

وهى التى يَنْقَادُ فى يَدِها الغنى وتجيئُها الدنيا برَغم المعطسِ

إنّ الجهالة للغِنى جَذَّابَةٌ جَذْبَ الحديدِ حجارَةَ المغْنيطِسِ

ولأبى محمد اليزيدىّ من أبيات [من الخفيف] :

عِشْ بجد ولا يَضُرُّكَ نوكٌ إنما عيش من ترى بالجُدُودِ

عش بجد وكن هَبَنَّقَةَ العبْسِيَّ نوكاً أو شيْبَةَ بن الوليدِ

وما أحسن قول بعضهم [من السريع] :

---

(١) اقرأ الأبيات التى منها الشاهد والبيت الذى ذكره المؤلف فى الأغانى (٩ - ١٨١)

(٢) فى الأصول « عيش بجد » محرفا عما أثبتناه موافقا لما فى الأغانى

(٣) الصواب أن يقال « متعبا »

إن المقـاديرَ إذا ساعَدَتْ ... ألحقَتِ العاجزَ بالقادرِ

وبديع قول بعضهم [من مخلع البسيط] :

بالجد يَسعى الفتى وإلاَّ ... فلَيْسَ يُغنى أبٌ وجَدُّ

وليس يُجدى علَيك كَدٌّ ... مادام يُكْدِى عليكَ جَدُّ

وما أحذق قول ابن لنكك [من البسيط] :

دنياكَ باتَتْ على الأحرارِ غاضِبَةً ... وطاوَعت كل صَفْعانٍ وضَرَّاطِ

وقوله أيضاً [من الكامل] :

كن ساعياً ومُصافعاً ومُضارطاً ... تَنَلِ الرغائب فى الزَّمان وتَنْفُقِ

ولمؤلفه من أبيات [من السريع] :

من يَبغ بالفَضل معاشاً يمت ... جوعاً ولو كانَ بَديعَ الزمانِ

ومن يَقُدْ أو يتَمسخَرْ يَعِشْ ... عيشاً رَخِيًّا فى ظلال الأمانِ

تبغى الحجـا ثم تروم الغنى ... يا قلما تجتمعُ الضُّرَّتانِ

ولطيف قول بعضهم [من الخفيف] :

قد يُحَدُّ اللَّبيبُ عن سعة الرِّز ... قِ وقد يَسعدُ الضعيفُ بجِده (١)

رُبَّ مال أتى بأهوَنِ سَعى ... وكَدُودٍ لم يغْنِه طول كده

ولابن نباتة السعدى [من الكامل] :

ما بالُ طَعْم العيش عند مَعاشرٍ ... حُلو وعنـد معـاشر كالعَلْقَم

ن لى بعيش الأغبيـاءِ فانه ... لا عيشَ إلا عيشُ مَنْ لم يعلم

---

(١) فى الأصول « قد يجد » وهو تحريف ، صوابه ما أثبتناه ، ويحد – بالحاء المهملة مبنيا للمجهول – يحرم ويمنع

والحارث(١) بن حِلِّزة هو من بنى يَشْكر من بكر بن وائل ، وكان أبرص ، وهو القائل [من الخفيف] :

آذنَتنا بِبَينِهـا أسمـاء رُبَّ ثاوٍ يُمَلُّ منه الثَّواء

ويقال : إنه ارتجلها بين يدى عمرو بن هند ارتجالا فى شىء كان بين بكر وتغلب فى الصلح ، وكان ينشده من وراء السجف للبرص الذى كان به ، فأمر برفع السجف بينه وبينه استحساناً له ، وكان الحارث متوكئا على عنزة فأثرت فى جسده وهو لا يشعر ، وكان له ابن يقال له مذعور ، ولمذعور ابن يقال له شهاب ابن مذعور ، وكان ناسبا وفيه يقول مسكين الدارمى [من الوافر] :

هَلُمَّ إلى ابن مَذْعورٍ شِهابٍ يُنَبِّئْ بالسِّفالِ وبالمعـالى

قال الأصمعى : قد أقوى الحارث بن حلزة فى قصيدته التى ارتجلها :

فَمَلَكْنا بذلك الناس إذ ما مَلَكَ المنذرُ بن ماءِ السماءِ(٢)

قال أبو محمد : ولن يضر ذلك فى هذه القصيدة ، لأنه ارتجلها فـكانت كالخطبة .

***

٥٩ — وألْفَى قولَهَا كَذِباً وَمَيْنا

هو من الوافر ، وصدره :

(١) للحارث بن حلزة ترجمة فى الأغاني (٩ : ١٧٧ — ١٨١)

(٢) كتب مصحح مطبوعة بولاق على هامش النسخة ما نصه :

« قوله فملكنا إلخ ، لم أقف على هذا البيت فى القصيدة بعد مراجعتها فى شرح المعلقات فلينظر »

وعبارة الأصمعى ورواية البيت بصورته هنا مأخوذة عن الشعراء لابن قتيبة والتعليق عليه تعليقه (انظره ٩٦)

* وقدَّدَت الأديم لراهشيه (١) *

وقائله عدى بن زيد العبادى ، من قصيدة طويلة أولها :

كلمة لعدى بن زيد العبادى

أبُدِّلَتِ المنازلُ أم عنينا بقادم عهدهن فقد بَلِينَا

يقول فيها يخاطب النعمان بن المنذر بن ماء السماء :

ألا يا أيها المُثرى المرَجَّى ألم تَسمع بخَطْبِ الأوَّليتا

ومنها ويذكر غدر الزباء بجذيمة الأبرش :

دعا بالبَقَّةِ الأمراءَ يوماً جَذيمةُ عَصْرَ يَنجوهُم ثُبِينا (٢)

فطاوَع أمرَهم وعَصَى قَصيراً وكانَ يقولُ لو تَبِع اليقينا

ودسَّتْ فى صحيفتها إليه لِيَملِكَ بُضعَها ولأن تَدِينا

ففاجأها وقد جَمَعت فيوجاً على أبوابِ حِصْنٍ مُصْلِتينا (٣)

فأرْدَتْهُ ورُغْبُ النفس يُرْدِى ويبدى للفتى الحينَ المُبينا

وحَدَّثتِ العَصا الأنباءَ عنه ولم أرَ مثلَ فارِسها هجينا

وبعده البيت المستشهد بعجزه ، وبعده :

---

(١) اقرأ هذه الأبيات فى الشعراء لابن قتيبة (١١٢-١١٣) وقد روى هناك « وقدمت الأديم » وفى لسان العرب (م ى ن) كما هنا « فقددت »

(٢) فى الأصول « ينحوهم بنينا » وما أثبتناه موافق للشعراء ، وينجوهم: من النجوى ، يريد يناجيهم ، وثبينا : جمع ثبة بمعنى الجماعة ، وهو حال من المفعول

(٣) هذا البيت والبيت الذى ذكر أنه المطلع لا يوجدان فى الشعراء لابن قتيبة . والفيوج : جمع فيج - بفتح وسكون - وهو رسول السلطان ، وهو أيضا الذى يدخل السجن ويخرج للحراسة ، فارسى معرب ، قاله فى اللسان (ف ى ج)

ومن حَذَر الملاوِم والمخازى وهنَّ المَنْدِياتُ لمن منينا
أَملَّ لأنفِ المؤسى قَصِيرٌ لِيَجدعهُ وكان به ضَنينا
فأهواهُ لما رِبِه فأضحى طِلابَ الوترِ مَجْدوعاً مَشِينا
وصادَفت امرأً لم تخشَ منه غوائِلهُ وما أمِنَت أمينا
فلما ارتد منها ارتدَّ صُلْباً يجُرُّ المالَ والصدرَ الضَّغينا
أتتها العِيسُ تحملُ ما دهاها وقنَّعَ فى المسوح الدارِعينا
ودسَّ لها على الأنفاق عَمراً بِشكَّته وما خَشيت كَمينا
فجلَّلها قديمَ الأثرِ عَضْبا يَصكُّ به الحواجبَ والجَبينا
فأضحتْ من خزائنها كأنْ لم تكن زبَّاء حاملةً جَنينا
وأبرزها الحوادث والمنايا وأى معمر لا يبتلينا
إذا أمهلْنَ ذا جَدٍّ عظيم عطفن عليه ولو فرَّطن حينا
ولم أجد الفتى يلهو بشىء ولو أثرى ولو ولد البنينا

خبر جذيمة الأبرش

وكان من [1] خبر جذيمة والزباء أن جذيمة كان من العرب الأولى من بنى إياد كما ذكره ابن الكلبي ، وكنيته أبو مالك ، وكان فى أيام ملوك الطوائف ، وقال أبو عبيدة : كان جذيمة بعد عيسى صلوات الله وسلامه عليه بثلاثين سنة ، وكان قد ملك شاطىء الفرات إلى ما والى ذلك إلى السواد ، ستين سنة ، وكان به برص ، فهابت العرب أن تصفه بذلك فقالوا : الأبرش ، والوضاح ، وقيل : سُمى بذلك لأنه أصابه حرق نار فبقى أثره نقطا سودا وحمرا ، وكان الملك قبله أباه ، وهو أول من ملك الحيرة ، وكان جذيمة هذا يغير على ملوك الطوائف حتى غلبهم

---

(١) انظر سرح العيون (٣٩ و ٤٢) وانظر مجمع الأمثال للميدانى (١ - ١٥٧ الخيرية)

على كثير مما فى أيديهم ، وهو أول من أوقد الشمع ونصب المجانيق للحرب ، وأول من اجتمع له الملك بأرض العراق ، وكان قد قتل أبا الزباء وغلب على غالب ملكه وألجأ الزباء إلى أطراف مملكتها ، وكانت عاقلة أريبة فبعثت إليه تخطبه لنفسها لينصل ملكه بملكها ، فدعته نفسه إلى ذلك ، وقيل: هو الذى بعث إليها يخطبها، فكتبت إليه : إنى فاعلة ومثلك يُرْغَبُ فيه ، فاذا شئت فاشخص إلىَّ ، فشاور وزراءه فكلٌّ أشار عليه أن يفعل ، إلا قصير بن سعد فانه قال له : أيها الملك لا تفعل فان هذه خديعة ومكر . فعصاه وأجابها إلى ما سألت ، فقال قصير عند ذلك : لا يُطَاع لقصير رأى ، وقيل : أمر ، فأرسلها مثلا ، ولم يكن قصيراً ، ولكن كان اسماً له ، ثم إنه قال له : أيها الملك أما إذ عصيتنى فاذا رأيت جندها قد أقبلوا إليك فان ترجلوا وحَيَّوكَ ثم ركبوا وتقدموا فقد كذب ظنى ، وإن رأيتهم إذا حَيَّوكَ طافوا بك فانى معرض لك العصا — وهى فرس لجذيمة لا تدرك — فاركبها وانج، فلما أقبل جيشها حيوه ثم طافوا به فقرب قصير إليه العصا فشغل عنها فركبها قصير فنجا ، فنظر جذيمة إلى قصير على العصا وقد حال دونه السراب فقال : ماذَلَّ من جرَتْ به العصا ، فأرسلها مثلا ، وأُدخل جذيمة على الزباء ، وكانت قد ربت شعر عانتها حولا ، فلما دخل تكشفت له وقالت : أمتاعَ عروسٍ ترى يا جذيمة ؟ فقال : بل متاع أمة بظراء ، فقالت : إنه ليس من عدم المواسى ، ولا من قلة الأواسى ، ولكنها شيمة ما أقاسى ، (١) وأمرت فأجلس على نطع ، ثم أمرت برواهشه فقطعت ، وكان قد قيل لها: احتفظى بدمه فانه إن أصاب الأرضَ قطرةٌ من دمه طُلب بثأره ، فقطرت قطرة من دمه فى الأرض ، فقالت :

---

(١) فى مجمع الأمثال « لا من عدم مواس ، ولا من قلة أواس ، ولكن شيمة من أناس »

لاتضيعوا دم الملك ، فقال جذيمة : دعواد ما ضيعه أهله ، فلم يزل الدم يسيل إلى أن ملت .

ثم إن قصيراً أتى عمراً ابنَ أختِ جذيمة وأخبره الخبر ، وحرضه على أخذ الثأر ، واحتال لذلك بأن قطع أنفه وأذنيه ، ولحق بالزباء ، وزعم أن عمراً فعل به ذلك ، وأنه اتهمه بممالأته لها على خاله ، ولم يزل يخدعها حتى اطمأنت له وصارت ترسله إلى العراق بمال فيأتى إلى عمرو فيأخذ منه ضعفه ويشترى به ما تطلبه ويأتى إليها به ، إلى أن تمكن منها وسلمته مفاتيح الخزائن وقالت له : خذما أحببت فاحتمل ما أحب من مالها وأتى عمراً فانتخب من عسكره فرساناوألبسهم السلاح واتخذ غرائر وجعل أشراجها من داخل ، ثم حمل على كل بعير رجلين معهماسلاحهما وجعل يسير النهار حتى إذا كان الليل اعتزل عن الطريق ، فلم يزل كذلك حتى شارف المدينة ، فأمرهم فلبسوا الحديد ودخلوا الغرائر ليلا ، وعرف أنه مصبحها فلما أصبح عندها دخل عليها وسلم ، وقال : هذه العيرُ تأتيك الساعة بما لم يأتك قط مثله ، فصعدت فوق قصرها وجعلت تنظر العيرَ وهى تدخل المدينة فأنكرت مشيها وجعلت تقول [من الرجز]:

ما للجِمَالِ مشيُها وئِيدا أجَنْدلاً يحملن أم حَدِيدا
أم صَرَفانا بارداً شديدا أم الرِّجالَ جُثَّماً قُعودا

فلما توافت العيرُ المدينةَ حلوا أشراجهم وخرجوا فى الحديد ، وأتى قصير بعمرو فأقامه على سِرْب كان لها إذا خشيت خرجت منه ، فأقبلت لتخرج من السرب فأتاها عمرو فجعلت تمص خاتما وفيه سم وتقول : بيدى لا بيد عمرو ، وفارقت الدنيا . والراهشان : عرقان فى باطن الذراعين .

والشاهد فيه : التطويل ، وهو أن يكون اللفظ زائداً على أصل المراد لا لفائدة واللفظ الزائد غير متعين إذ جمعه بين الكذب والمين فى البيت لا فائدة فيه

لأنهما بمعنى واحد .

ترجمة عدى بن زيد العبادى

وعدى (١) هو ابن زيد بن حماد بن أيوب (٢) ينتهى نسبه لنزار ، وكان أيوب هذا فيما يزعم ابن الأنبارى أول من سمى من العرب أيوب ، وكان عدى شاعرا فصيحاً من شعراء الجاهلية ، وكان نصرانيا ، وكذلك كان أبوه وأهله ، وليس ممن يعد من الفحول ، إذ هو قروى ، وقد أخذ عنه أشياء عيب بها ، وكان أبو عبيدة والأصمعى يقولان : عدى بن زيد فى الشعراء بمنزلة سهيل فى النجوم يعارضها ولا يجرى معها مجراها ، وكذلك عندهم أمية بن أبى الصلْتِ الثقفى ، ومثلهما عندهم من الاسلاميين الكميت والطِرِمّاح . وقال ابن قتيبة : كان يسكن الحيرة و يدخل الأرياف فثقل لسانه واحتُمِلَ عنه شىء كثير جدا ، وعلماؤنا لا يرون شعره حجة .

وله أربع قصائد غرر : إحداهن أولها [من الخفيف] :

أرَواحٌ مودّعٌ أم بكُورُ لك فاعمِد لأى حالٍ تَصيرُ

وفيها يقول :

أيها الشامتُ المُعير بالدّهــــرِ أأنتَ المبرّأُ الموفورُ

أم لديكَ العهدُ الوثيقُ من الأيـــام أم أنتَ جاهلٌ مغرورُ

من رأيتَ المنونَ جازَتْه أم من ذا عليه من أن يُضامَ خَفيرُ (٣)

أين كسرى كسرى الملوكِ أنوشر وانُ أم أين قبلَهُ سابورُ (٤)

(١) لعدى بن زيد ترجمة فى الشعراء لابن قتيبة (١١١) وفى الأغانى (٢ - ١٨) وفى خزانة الأدب (١ - ١٨٤)

(٢) فى الأغانى « عدى بن زيد بن حماد بن زيد بن أيوب »

(٣) فى الشعراء « من رأيت المنون خلدن »

(٤) فى الشعراء « كسرى الملوك أبو ساسان »

وبنو الأصفر الكرام ملوك الرو م ، لم يبق منهم مذكور
وأخو الحضر إذ بناه وإذ دجـلة تجبى إليه والخابور
شاده مرمراً وجلله كلـساً فللطير فى ذراه وكور
وتبين رب الخورنق إذ أشـرف يوماً وللهدى تفكير
سره حاله وكثرة ما يمـلك والبحر معرضاً والسدير (١)
فارعوى قلبه وقال وما غبـطة حى إلى الممات يصير
ثم بعد الفلاح والملك والأمـة وارتهم هناك القبور
ثم أضحوا كأنهم ورق جـف فألوت به الصبا والدبور (٢)

والثانية أولها [من الطويل] :

أتعرف رسم الدار من أم معبد نعم فرماك الشوق قبل التجلد
أعاذل ما يدريك أن منيتى إلى ساعة فى اليوم أو فى ضحى الغد
ذرينى فانى إنما لى ما مضى أمامى من مالى إذا خف عودى
وحمت لميقات إلى منيتى وغودرت قد وسدت أو لم أوسد
وللوارث الباقى من المال فاتركى عتابى فانى مصلح غير مفسد

والثالثة أولها [من المنسرح] :

لم أر مثل الفتيان فى غبن الـ أيام ينسون ما عواقبها

والرابعة أولها [من الخفيف] :

طال ليلى أراقب التنويرا أرقب الليل بالصباح بصيرا

انتهى ما قاله ابن قتيبة .

---

(١) فى الأغانى « سره ماله » وفى الشعراء مثل ما هنا
(٢) فى الأغانى « ثم صاروا » وفى الشعراء مثل ما هنا

وكان جده أيوب منزله باليمامة فأصاب دما فى قومه فهرب فلحق بأوس ابن قلام أحد بنى الحرث بن كعب بالحيرة ، وكان بينهما نسب من قبل النساء ، فأقام بالحيرة واتصل بالملوك الذين كانوا بها ، وعرفوا حقه وحق بنيه . ولد عدى وأيفع طرحه أبوه فى الكتاب ، حتى إذا حذق أرسله مرزبان الحيرة مع ابنه شاهان مرد إلى كتاب الفارسية ، فكان يختلف مع ابنه ويتعلم الكتابة والكلام بالفارسية ، حتى خرج من أفهم الناس بهما وأفصحهم بالعربية ، وقال الشعر ، وتعلم الرمى بالنشاب ، فخرج من الأساورة الرماة ، وتعلم لعب العجم على الخيل بالصوالجة وغيرها ، ثم إن المرزبان وفد على كسرى ومعه ابنه شاهان مرد ، فبينما هما واقفان بين يديه إذ سقط طائران على السور فتطاعما كما يتطاعم الذكر والأنثى يجعل كل واحد منهما منقاره فى منقار الآخر ، فغضب كسرى من ذلك ، ولحقته غيرة شديدة ، فقال للمرزبان وابنه : ليرم كل واحد منكما واحداً من هذين الطائرين فان قتلتماهما أدخلتكما بيت المال وملأت أفواهكما بالجوهر ، ومن أخطأ منكما عاقبته ، فاعتمد كل واحد منهما طائراً منهما ورميا فقتلاهما جميعا ، فبعث بهما إلى بيت المال فملئت أفواههما جوهراً ، وأثبت شاهان مرد وسائر أولاد المرزبان فى صحابته ، فقال عند ذلك للملك : إن عندى غلاماً من العرب مات أبوه وخلفه فى حجرى فربيته ، وهو أفصح الناس وأكتبهم بالعربية والفارسية ، والملك محتاج إلى مثله ، فان رأى الملك أن يثبته فى ولدى فعل ، فقال : ادعه ، فأرسل إلى عدى بن زيد ، وكان جميل الوجه فائق الحسن ، وكانت الفرس تتبرك بالجميل ، فلما كلمه وجده أظرف الناس وأحضرهم جواباً ، فرغب فيه وأثبته مع ولد المرزبان ، فكان عدى أول من كتب بالعربية فى ديوان كسرى ، فرغب أهل الحيرة إلى عدى ورهبوه ، فلم يزل بالمدائن فى ديوان

كسرى يؤذن له عليه فى الخاصة ، وهو معجب به(١) قريب منه ، وأبوه زيد بن حماد حىّ إلا أن ذكر عدى قد ارتفع وخمل ذكر أبيه(٢)، فكان عدى إذا دخل على المنذر قام له هو وجميع من عنده حتى يقعد عدىّ ، فعلا له بذلك صيت عظيم ، وكان إذا أراد المقام فى الحيرة مع أبيه وأهله استأذن كسرى فأقام فيهم الشهر والشهرين وأكثر وأقل ، ثم إن كسرى أرسله إلى ملك الروم بهدية من طَرَف ما عنده ، فلما أتاه عدى بها أكرمه وحمله إلى أعماله على البريد ليريه سعة أرضه وعظم ملكه وكذلك كانوا يصنعون ، فمن ثم وقع عدى بدمشق وقال بها الشعر ، فمما قاله بالشام وهو أول شعر قاله فيما ذكر [من الخفيف] :

رُبَّ دارٍ بأسفلِ الجِزْعِ من دُو مَةَ أشهى إلىَّ من جيرُون
ونَدامى لا يفرَحونَ بما نَا لوُا ولاَ يتقُونَ صرفَ المنُونِ(٣)
قَدْ سُقِيتُ الشَّمُولَ فى دار بشرٍ قَهْوَةً مُرَّةً بماء سَخِينٍ(٤)

ثم إنّ عديًا قدم المدائن على كسرى بهدية قيصر فصادف أباه والمرزبان الذى رباه قد هلكا جميعا ، فاستأذن كسرى فى المقام(٥) بالحيرة ، فتوجه إليها وبلغ المنذر خبره ، فخرج فتلقاه ورجع معه ، وعدىّ أنبل أهل الحيرة فى أنفسهم ، ولو أراد أن يملّكوه لملّكوه ، ولكنه كان يؤثر الصيد واللهو واللعب على الملك ، فمكث سنين يبدو فى فصلى السنة ، فيقيم فى البر(٦) صيفا ويشتو

---

(١) فى الأصول « وهو معجب له » وما أثبتناه موافق لما فى الأغانى
(٢) فى القصة أن المرزبان قال لكسرى « إن عندى غلاما من العرب مات أبوه وخلفه فى حجرى فربيته »
(٣) فى الأغانى « ولا يرهبون صرف المنون »
(٤) هكذا فى أصول هذا الكتاب وفى الأغانى ، وأحسبه «قهوة مزة» بالزاى
(٥) فى الأغانى «فى الالمام بالحيرة» فأذن له ،
(٦) كذا والذى فى الأغانى ، « فيقيم فى جفير ويشتو بالحيرة »

بالحيرة ، ويأتي المدائن في خلال ذلك ، فيخدم كسرى ، فمكث بذلك سنين .
ثم إن المنذر هلك وقام ابنه النعمانُ مقامه بمعاونة عدي في خبر طويل ، ثم لم يزل الحسدة يوقعون بينه وبين عديّ إلى أن حبسه ، فقال في ذلك أشعاراً كثيرة منها [من الرمل] :

طالَ ذا الليلُ علينا واعتَكَرْ ... وكأني بادِرُ الصبْحِ سَمَرْ(١)

مِنْ نجيّ الهمّ عندي ثاويا ... فوقَ ما أُعلنُ منهُ وأُسِرّ

وكأنّ الليلَ فيه مثلُهُ ... ولقِدْماً ظُنّ بالليل القصر(٢)

لم أغمِّضْ طولَهُ حتى انقضى ... أتمنّى لو أرى الصبحَ جَشَرْ(٣)

غيرَ ما عشقٍ ولكنْ طارقٌ ... خلَسَ النومَ وأجداني السهَرْ

وقال يخاطب النعمان بن المنذر أيضاً [من الرمل] :

أبلغِ النعمانَ عني مألُكاً ... أنهُ قدْ طالَ حبسي وانتظارْ

لوْ بغيرِ الماء حلقي شرِقٌ ... كنتُ كالغَصّانِ بالماءِ اعتصارْ

ليتَ شعري مَنْ دخيلٌ يعتري ... حينما أدركَ ليلي ونهارْ(٤)

قاعداً يكربُ نفسي بثّها ... وحرامٌ كانَ سجني واحتصارْ(٥)

---

(١) في الأصول « وكأين بادر الصبح سحر » محرفا عما أثبتناه موافقا لما في الأغاني

(٢) في الأصول « ولقد أبطن بالليل القصر » محرفا عما أثبتناه موافقا لما في الأغاني

(٣) في الأصول « جشر » محرفا عما أثبتناه موافقا لما في الأغاني

(٤) رواية هذا الشعر في الأغاني :

ليت شعري عن دخيل يفتري ... حيثما أدرى ليلي ونهار

(٥) في الأغاني « وحرا ما كان سجني » وهو أصح عربية

فى قصائد كثيرة كان يقولها ، ويكتب بها إليه ، فلا تجدى عنده شيئاً

ولقد تداولَ الشعراء معنى بيت عدى « لو بغير الماء حلقى شرق إلخ »

بعد عدىّ ، فقال أبو نواس [من البسيط] :

غصصتُ منكَ بمالا يدفعُ الماء وصحّ حبكَ حتى ما به داء

وقال الآخر [من البسيط] :

من غصّ داوَى بشرب الماء غُصّتَهُ فكيفَ يصنعُ من قد غُصّ بالماء

وقال الخبزأرزى [من البسيط] :

بالماء أدفعُ شيئاً إن غصصتُ به فما احتيالى وغصّى منكَ بالماء

ثم لما طال سجن عدىّ كتب إلى أخيه أبىّ ، وهو مع كسرى ، يعلمه بحاله . فلما قرأ كتابه قام إلى كسرى فكلمه فى أمره وعرّفه بخبره ، فكتب إلى النعمان يأمره باطلاقه ، و بعث معه رجلا ، وكتب خليفة النعمان إليه ، إنه قد كتب إليك فى أمره ، فأتى النعمانَ أعداء عدىّ ، وقالوا : اقتله الساعة ، فأبى عليهم . وجاء الرسول ، وقد كان أخو عدىّ تقدم إليه ورشاه ، وأمره أن يبدأ بعدى فيدخل عليه وهو محبوس بالصنين ، فقال له : ادخل عليه ، وانظر ماذا يأمرك به ، فامتثله ، فدخل الرسول على عدى ، فقال له : إنى قد جئت بارسالك فما عندك ؟ قال : عندى الذى تحب ، ووعده عدة سنية ، وقال له : لا تخرجن من عندى ، وأعطنى الكتاب حتى أرسله إليه ، فانك والله لئن خرجت من عندى لأقتلنّ ، فقال : لا أستطيع إلا أن آتى الملك بالكتاب فأوصله إليه ، فانطلق بعض مَنْ كان هناك من أعداء عدى ، فأخبر النعمان أن رسول كسرى دخل على عدى وهو ذاهب به ، و إن فعل والله لم يستبق منا أحدا ، أنت ولا غيرك ، فبعث إليه النعمانُ أعداءه فغموه حتى مات ، ثم دفنوه ، ودخل الرسول إلى النعمان ، فأوصل الكتاب إليه ، فقال : حباً وكرامة ، وأمر له بأربعة آلاف

بمثقال ذهب وجارية حسناء، وقال له : إذا أصبحت فادخل أنت بنفسك الحبس فأخرجه ، فلما أصبح ركب فدخل السجن ، فأخبره الحارس أنه قد مات منذ أيام ، ولم نجترئ على إخبار الملك بذلك خوفا منه ، وقد عرفنا كراهيته لموته ، فرجع إلى النعمان فقال : إني قد كنت أمس دخلت على عديّ وهو حيّ ، وجئت اليوم فجحدني السجان وبهتني ، وذكر لي أنه قد مات منذ أيام ، فقال له النعمان : أيبعث بك الملك إليّ فتدخل إليه قبلي ؟ كذبت ، ولكنك أردت الرشوة والخبث ، وتهدده ، ثم زاد جائزته وأكرمه وتوثّقَ منه أن لا يخبر كسرى إلا أنه قد مات قبل أن يقدم عليه ، فرجع الرسول إلى كسرى ، وقال : إني قد وجدت عديًا قد مات قبل أن أدخل عليه ، وندم النعمان على قتله ، وعلم أنه قد احتيل عليه في قتله ، واجترأ أعداؤه عليه ، وهابهم هيبة شديدة .

وكان لعديّ ولد اسمه زيد ، فسيره النعمان إلى كسرى ، ووصفه بأوصاف جميلة ، فوقع من كسرى الموقع ، فما زال يعمل الحيلة إلى أن غير كسرى على النعمان وأرسل إليه أن أقبل علينا ، فحمل سلاحه وما قوى عليه ، ثم لحق بجبل طيء ، ثم بعث إلى كسرى بخيل وحلل وجواهر وطرف ، فقبلها كسرى وأظهر له الرضا ، وأمره بالقدوم ، فعاد الرسول وأخبره بذلك ، وأنه لم يَرَ له عند كسرى سوءاً ، فمضى إليه حتى إذا وصل إلى ساباط لقيه زيد بن عديّ عند قنطرة ساباط ، فقال له : انجُ نعيم إن استطعت النجاة ، فقال له : أفعلتها يا زيد ؟ أما والله إن عشت لك لأقتلنك قتلة لم يقتلها عربيّ قط ولألحقنك بأبيك ، فقال له زيد : امض لشأنك نعيم فقد والله أخَّيْتُ لك أخِيَّةً[1] لا يقطعها المهر

(١) الأخية — بفتح الهمزة وتشديد الياء — أن تدفن طرفي حبل في الأرض فتظهر منه مثل عروة تشد فيها الدابة ، وأخيتها : صنعتها ، وأراد أنه حبك له حيلة لا يستطيع الفكاك منها .

الأرن(١) ، فلما بلغ كسرى أنه بالباب بعث إليه فقيده ، و بعث به إلى سجن له بخانقين ، فلم يزل فيه حتى وقع الطاعون هناك فمات فيه . وقال ابن الكلبى : ألقاه تحت أرجل الفيلة فوطئته حتى مات ؛ وأنكر هذا من زعم أنه مات بخانقين ؛ وقالوا : لم يزل محبوساً مدة طويلة ، و إنما مات بعد ذلك بحين قبيل الاسلام . وغضبت له العرب حينئذ ، وكان قتله سبب وقعة ذى قار .

وكان عدىّ يهوى هند بنت النعمان بن المنذر ولها يقول [من الرمل] :

عَلِقَ الأحشاء مِنْ هندٍ عَلَقْ   مُستسِرٌ فيه نَصْبٌ وأرق(٢)

وفيها يقول أيضاً [من الرمل] :

مَنْ لِقلبٍ دَنِفٍ أوْ مُعتمدْ   قَد عَصَى كلَّ نَصيحٍ ومُفَدْ(٣)

وفيها يقول أيضاً [من الخفيف] :

يا خليلىَّ يَسِّرَا التَّعسيرَا   ثمَّ رُوحا فَهجِّرا تَهجيرَا

عَرِّجا بى على دِيارٍ لِهندٍ   لَيسَ أن تُحبِّا المطى كَبيرا(٤)

وقد تزوجها عدى فى خبر طويل ، فمكثت معه حتى قتله النعمان، فترهبت وحبست نفسها فى الدير المعروف بدير هند فى ظاهر الحيرة ، وكان هلاكها بعد الاسلام بزمن طويل فى ولاية المغيرة بن شعبة الكوفة ، وخطبها المغيرة فردته ،

---

(١) المهر الأرن — بفتح الهمزة وكسر الراء ـ المرح النشيط ، وفعله أرن يأرن أرنا ـ على وزن مرح يمرح مرحا ـ وإرانا ، وأرينا ، مثل عناق وذميل

(٢) مستسر : مختفٍ مكتتم ، والنصب — بفتح النون أو ضمها مع سكون الصاد ـ الداء والبلاء والشر

(٣) فى الأغانى « قد عصى كل نصوح »

(٤) فى الأغانى « ليس أن عجتما المطى كثيرا »

وقالت : والصليب لو علمت أن فى خصلة من جمال أو شباب رغبتك فى لأجبتك ولكنك أردت أن تقول فى المواسم : ملكت مملكة النعمان بن المنذر وتزوجت ابنته ، فبحق معبودك أهذا أردت ؟ قال : إى والله ، قالت : فلا سبيل إليه

* * *

شاهد الحشو المفسد

٦٠ — وَلاَ فَضْلَ فِيهَا لِلشجَاعَةِ وَالنَّدَى
وَصَبْرِ الفَتَى لَوْلاَ لِقَاءُ شَعُوبِ

البيت لأبى الطيب المتنبي ، من قصيدة من الطويل يمدح بها سيف الدولة ابن حمدان و يعزيه بغلامه يماك التركى ، وأولها [1] وفيه الخرم وهو حذف الحرف الأول من الوتد المجموع :

لاَ يُحزنِ اللهُ الأميرَ فإننى	لآخُذُ مِنْ حالاتِه بنصيبِ
وَمَنْ سَرَّ أهْلَ الأرض ثم بكى أسَى	بَكى بُعيونٍ سَرَّها وَقلوب
وَإنى وَإنْ كانَ الدَّفينُ حَبيبهُ	حَبيبٌ إلى قلبي حَبيبُ حَبيبي
وقَدْ فارَقَ النَّاسُ الأحبةَ قبلنا	وَأعيا دَواءُ الموْت كلَّ طَبيب
سُبِقنا إلى الدُّنيا فَلوْ عاشَ أهْلها	مُنِعنا بِها مِنْ جَيْئةٍ وذُهوب
تَملكها الآتِى تَملُّكَ سالبٍ	وَفارقها الماضى فِرَاق سَليب

و بعده البيت ، و بعده :

وَأوْفى حَياةِ الغابرينَ لِصاحبٍ	حَياةُ امرىء خانتهُ بعدَ مَشيب
لأبقى يَماكُ فى حَشايَ صَبابة	إلى كلِّ تركيٍّ النِّجار جَليب
وما كلُّ وَجهٍ أبيضٍ بِمباركٍ	ولاَ كلُّ جَفْنٍ ضَيِّق بنجيب
لئنْ ظَهرتْ فِينا عَليهِ كآبَةٌ	لقدْ ظَهرتْ فى حَدِّ كل قَضيب

(١) ارجع إليها فى الديوان (١ — ٤٩)

وَفى كلّ قَوْسٍ كلّ يَوْمٍ تَناضُلٍ ... وَفى كلِّ طِرفٍ كلّ يَوْمٍ رُكوب
يَعزُّ عَليه أنْ يُخلّ بِعادةٍ ... وَتدعو لِأمرٍ وَهوَ غيرُ مُجيب
وَكنتُ إذَا أبصرتُهُ لكَ قائماً ... نَظرتُ إلى ذِى لِبدَتين أريب(١)
فإنْ يكن العلق النَّفيس فَقدتَهُ ... فمَن كَفٍّ مِتلافٍ أغرّ وَهوب(٢)
لِأنّ الردَى عادٍ على كل ماجدٍ ... إذَا لمْ يُعوِّذْ مَجدهُ بعيوب(٣)
وَلوْلاَ أيادِى الدّهرِ فى الجمع بَيننا ... غفَلنا فَلمْ نَشعرْ لهُ بِذنوب

وهى طويلة

وشَعوب : اسم للمنية غير منصرف للعلمية والتأنيث ، وصرفه للضرورة ، سميت المنية بذلك لأنها تشعب : أى تفرق .

والشاهد فيه : الحشو الزائد المفسد ، وهو هنا لفظة « الندى » لأن المعنى أن الدنيا لا فضل فيها للشجاعة والعطاء والصبر على الشدائد على تقدير عدم الموت ، وهذا إنما يصح فى الشجاعة والصبر دون العطاء ، فان الشجاع إذا تيقن الخلود هان عليه الاقتحام فى الحروب لعدم خوفه من الهلاك فلم يكن فى ذلك فضل ، وكذلك الصابر إذا تيقن زوال الشدائد والحوادث و بقاء العمر هان عليه صبره على المكروه لوثوقه بالخلاص منه ، بل مجرد طول العمر يهون على النفوس الصبر على المكاره ، ولهذا يقال : هب أن لى صبر أيوب فمن أين لى عمر نوح ؟ بخلاف الباذل ماله ، فانه إذا تيقن الخلود شق عليه بذل المال لاحتياجه إليه فيكون بذله حينئذ أفضل ، أما إذا تيقن الموت فقد هان عليه بذله ، ولهذا قال طرفة [من الطويل]:

---

(١) فى الديوان « أديب »
(٢) فى الأصل « أعز » وأثبتنا ما فى الديوان
(٣) فى الديوان « كأن الردى عاد »

فإنْ كُنتُ لا أستطيعُ دفعَ منيتى ... فذرنى أبادرها بما ملكتْ يدِى(١)

ومثله قول مهيار الديلمى [من المتقارب] :

فَكلْ إنْ أكلتَ وأطعمْ أخاكَ ... فلا الزادُ يبقى ولا الآكلُ

وقيل : المراد بالندى بذل النفس لا المال كما قال مسلم بن الوليد [من البسيط]:

يَجودُ بالنفس إنْ ضنَّ الجوادُ بها ... والجودُ بالنفس أقصى غايةِ الجودِ

ورد بأن لفظ الندى لا يكاد يستعمل فى بذل النفس ، وإن استعمل فعلى وجه الاضافة ، والأقرب ما ذكره ابن جنى ، وهو أن فى الخلود وتنقل الأحوال فيه من عسر إلى يسر ومن شدة إلى رخاء ما يسكن النفوس ، ويسهل البؤس ، فلا يظهر لبذل المال كثير فضل

* * *

شاهد الخبر غير المقصد

٦١ — * وأعلمُ عِلمَ اليوْمِ والأمسِ قبلَهُ *

هو من البحر الطويل ، وتمامه :

* ولكننى عَنْ عِلمِ ما فى غدٍ عَمِ *

وقائله زهير بن أبى سلمى ، وهو من آخر قصيدة (٢) قالها فى الصلح الواقع بين عبس وذبيان ، وأولها :

أمِنْ أمِّ أوفى دِمنةٌ لم تَكلم ... بِحومانةِ الدرَّاجِ فالمتثلم

---

(١) فى نسخ المعلقات « فان كنت لا تسطيع » و « فدعنى أبادرها » انظر شرح التبريزى على القصائد العشر (٨١)

(٢) هى إحدى السبع المعلقات واقرأها فى شرح القصائد العشر للتبريزى (١٠٠) وفى جمهرة أشعار العرب (٤٧) وفى الديوان (٤ - ٣٢)

وَدارٌ لها بالرَّقمتين كأنَّها مَراجيعُ وَشمٍ فى نَواشرِ مِعصم(١)
بها العِينُ والآرامُ يَمشينَ خِلفةً وأطلاؤها يَنهضنَ من كلِّ مَجثَم

ومعنى البيت : إن علمى قد يحيط بما مضى وبما هو حاضر ، ولكننى عمى القلب عن الاحاطة بما هو منتظَر متوقَّع ، يريد لا أدرى ماذا يكون غدا

والشاهد فيه : الحشو الغير مفسد(٢) للمعنى ، وهو لفظة « قبله »

ومثله قول عدى المتقدم [من الكامل] :

نحنُ الرؤسُ وما الرؤسُ إذا سمتْ فى المجدِ للأقوامِ كالأذنابِ

فقوله « للأقوام » حشو ، وفيه نظر ، لأن استعمال الرأس فى المقدم والرائس مجاز ، وذكر الأقوام كالقرينة

وقول الآخر [من مجزوء الوافر] :

ذكرْتُ أخى فعاودنى صُداعُ الرأسِ والوصبِ

فلفظة « الرأس » حشو ، فان الصداع لا يستعمل إلا فى الرأس

ومن الحشو المفسد قول ديك الجن [من الكامل] :

فتنفّستْ فى البيت إذْ مُزِجتْ بالماء واستلَّتْ سنا اللهب
كتنفُّسِ الريحانِ خالطهُ منْ وردِ جورِ ناضرِ الشُّعَب

فذكره المزاج يغنى ، والمــاء فضل لا يحتاج إليه ، وقد قصر عن قول أبى نواس(٣) [من الكامل] :

---

(١) رواية الخطيب « ديار لها بالرقمتين » و« مراجع وشم » وفى كامل المبرد (١ : ٥١) « ودار لها » و « مراجع وشم »
(٢) الصواب أن يقال « غير المفسد للمعنى »
(٣) هما فى الديوان (٣٠٣) ضمن قصيدة

سلوا قناعَ الطينِ عن رَمَقٍ حيٍّ الحياةِ مُشَارف الحتف

فتنفستْ فى البيت إذ مُزِجتْ كتنفس الريحانِ فى الأنف

ترجمة زهير بن أبي سلمى

وزهير بن أبي سلمى[1] هو أبو كعب و بُجَير ، واسم أبى سلمى ربيعة بن رباح بن قرّة ، ينتهى نسبه لنزار ، وهو أحد الثلاثة المقدمين على سائر الشعراء ، و إنما الخلاف فى تقديم أحد الثلاثة على صاحبيه ، فأما الثلاثة فلا اختلاف فيهم ، وهم : امرؤ القيس ، وزهير ، والنابغة الذبيانى .

وعن عمر بن عبد الله الليثى قال : قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ليلة فى مسيره إلى الجابية : أين ابن عباس ؟ قال : فأتيته[2] ، فشكا إلىّ تخلف علىّ ابن أبى طالب رضى الله عنه ، فقلت : أو لم يعتذر إليك ؟ قال : بلى ، قلت : هو ما اعتذر به . ثم قال : إن أول من ريثكم عن هذا الأمر أبو بكر رضى الله عنه ، إن قومكم كرهوا أن يجمعوا لكم بين الخلافة والنبوة ، ثم ذكر رضى الله عنه قصة طويلة . قال : ثم قال لى : هل تروى لشاعر الشعراء ؟ قلت : ومن هو ؟ قال : الذى يقول [من الطويل] :

ولو أنّ حمداً يخلدُ الناسَ خُلدوا ولكنّ حَمْد الناس ليس بمخلد[3]

قلت : ذاك زهير بنْ أبى سلمى ، قال : هو شاعر الشعراء ، قلت : وبم كان شاعر الشعراء ؟ قال : لأنه كان لا يعاظل فى الكلام ، وكان يتجنب وحشىّ الشعر ، وكان لا يمدح أحداً إلا بما هو فيه .

---

(١) تجد ترجمة زهير فى الأغانى (٩ : ١٤٦ — ١٥٨) وفى الشعر والشعراء (٥٧) وفي خزانة الأدب (١ – ٣٧٥)

(٢) في الأغانى « فأتاه » وكذلك فى كل الضمائر وهى أنسب لأن راوى القصة ليس هو ابن عباس

(٣) فى الأغانى « ولو أن حمدا يخلد الناس أخلدوا » وهى أنسب بقوله « يخلد الناس » وبقوله « بمخلد »

وفى رواية أنه قال له : أنشدنى له ، فأنشدته حتى بَرَقَ الفجر ، فقال : حسبك ، الآن اقرأ القرآن ، قلت : وما أقرأ ؟ قال : الواقعة ، فقرأتها ، ونزل فأذن وصلى .

وسأل معاوية الأحنف بن قيس عن أشعر الشعراء ، فقال : زهير . قال : وكيف ذاك ؟ قال : كَفَّ عن المادحين فضولَ الكلام ، قال: بما ذا ؟ قال : بقوله [من الطويل] :

فما يَكُ من خيرٍ أتوهُ فإنما توارثه آباء آبائهم قبلُ

ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر إلى زهير بن أبى سلمى ، وله مائة سنة . فقال : اللهم أعذنى من شيطانه ، فما لاك بيتا حتى مات .

وعن الأصمعى قال : قال عمر رضى الله عنه لبعض ولد هَرِمِ بن سنان : أنشدنى مدح زهير أباك ، فأنشده ، فقال عمر : إنْ كان لَيُحْسن القول فيكم ، فقال : ونحن والله إن كنا لنحسن له العطاء ، فقال : ذهب ما أعطيتموه وبقى ما أعطاكم .

قال : وبلغنى أن هرم بن سنان كان قد حلف أن لا يمدحه زهير إلا أعطاه ، ولا يسأله إلا أعطاه ، ولا يسلم عليه إلا أعطاه ، غرة عبداً أو وليدة أو فرسا ، فاستحيا زهير مما كان يقبل منه ، فكان إذا رآه فى ملأ قال : انعموا صباحا غير هرم ، وخيركم استثنيت .

وعن عمر بن شيبة قال : قال عمر رضى الله عنه لابن زهير : مافعلت بالحلل التى كساها هرم أباك ؟ قال: أبلاها الدهر ، قال: لكن الحلل التى كساها أبوك هرماً لم يُبلها الدهر .

وقال أبو زيد الطائى[1] : أنشد عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه قول زهير [من الطويل] .

---

(١) فى بعض النسخ « أبو زبيد الطائى »

ومهما يكنْ عندَ امرىءٍ منْ خَليقةٍ　　و إنْ خالها تَخفى على الناسِ تُعلمِ

فقال : أحسن زهير وصدق ، ولو أن الرجل دخل بيتاً فى جوف بيت لتحدث به الناس ، قال : وقال النبى صلى الله عليه وسلم « لا تعمل عملا تكره أن يتحدث الناسُ به عنك » ، ومنه قول عمرو بن الأهتم [من الطويل] :

إذا المرء لم يُخْبِبكَ إلا تكرهاً　　بدا لك من أخلاقه ما يغالبُ

وقول أبى الطيب المتنبى [من الطويل] :

وللنفسِ أخلاقٌ تدلّ على الفتى　　أ كانَ سخاءٌ ماأتى أم تساخيًا

وعن المدائنىّ أن عروة بن الزبير رضى الله عنه لحق بعبد الملك بن مروان رضى الله عنهما ، فكان إذا دخل عليه منفردا أ كرمه ، و إذا دخل عليه وعنده أهل الشام استخفّ به ، فقال له يوما : يا أمير المؤمنين ، بئس المزور أنت تكرم ضيفك فى الخلا وتهينه فى الملا ، ثم قال: لله در زهير حيث يقول [من الوافر] :

فَحلّى من ديارك إنّ قوماً　　متى يَدَعُوا ديارهمُ يهونوا

ثم استأذنه فى الرجوع إلى المدينة المنورة ، فقضى حوائجه وأذن له .

وقال ابن الأعرابى : كان لزهير فى الشعر ما لم يكن لغيره : كان أبوه شاعراً ، وهو شاعر ، وخاله شاعر ، وابناه كعبٌ وبجيرٌ شاعران ، وأخته سلمى شاعرة ، وأخته الخنساء شاعرة ، وهى القائلة ترثيه [من الوافر] :

وما يغنى تَوَقّى المرءِ شيئاً　　ولا عقدُ التميم ولا الغضارُ

إذا لاقى منيتــهُ فأمسى　　يساقُ به وقد حق الحذارُ

ولا قاهُ من الأيامِ يــومٌ　　كما من قبــلُ لم يخلد قدارُ

وكان زهيرٌ يضرب به المثل فى التنقيح ، فيقال « حوليات زهير » ، لأنه كان يعمل القصيدة فى ليلة ثم يبقى حولا ينقحها .

ومما يعدّ من محاسنه قوله [من الطويل] :

وأبيض فياض نداهُ غمامةٌ على معتفيه ما تُغِبّ فواضله
تَرَاهُ إذا ما جئته متهللا كأنكَ تعطيه الذى أنت سائله

وقوله أيضاً [من البسيط] :

كمْ زرتهُ وظلامُ الليلَ منسدلٌ مسهم راقَ إعجاباً بأنجمه
وأبتُ والصبحُ منحور بكوكبهِ وسائق الشفق المحمر من دمهِ

ومحاسنه ومحاسن أولاده كثيرة ، وغرتها قصيدة كعب ، وهى :

* بانت سعادُ فقلبي اليومَ متبولُ *

المشرفة بمن قيلت فيه صلى الله عليه وسلم .

* * *

شاهد مساواة اللفظ للمعنى

٦٢ — فإنكَ كالليل الذى هو مُدْرِكى وَ إنْ خلتُ أنَّ المنتأى عنك واسعُ

البيت للنابغة الذبيانى ، من قصيدة من الطويل يمدح بها أبا قابوس ، وهو النعمان بن المنذر ملك الحيرة ، وأولها[1] :

عَفَاذُ وحساً من فَرْتَنَى فالفوارعُ فجنبا أريك فالتلاع الدوافعُ[2]
فمجتمعُ الأشراج غيَّرَ رسمها مصايفُ قد مرتْ بنا ومرابع[3]
توهمْتُ آيات لها فعرفتها لستة أعوامٍ وذا العَامُ سابعُ

إلى أن قال فيها :

وَقد حال همّ دون ذلك شاغلٌ مكان الشغاف تبتغيه الأصابعُ
وَعيدُ أبي قابوسَ فى غير كنهه أتانى ودونى راكسٌ فالضواجعُ

---

(١) ارجع إليها فى الديوان (٣٧)

(٢) فى المطبوعتين « الروافع » محرفا عما أثبتناه عن الديوان والأغانى

(٣) في الديوان « مصايف مرت بعدنا ومرابع » وكذلك في الأغانى

فَبِتُّ كأنى ساوَرتنى ضَئِيلةٌ	من الرُّقْش فى أنيابها السَّمُّ ناقعُ
يُسهَّدُ من ليل التِّمَام سليمها	لحَلى النساء فى يديه قَعَاقِعُ (١)
تَنَاذَرها الراقونَ من سوءِ سَمِّها	تُطَلِّقُهُ طَوْراً وطَوْراً تراجعُ (٢)
أتانى أبَيْت اللعنَ أنكَ لُمْتَنى	وتلكَ التى تَسْتَكُّ منها المسامعُ (٣)
مقالةُ أن قد قلت سوف أنالُهُ	وذلكَ من تلقاءِ مثلكَ رائعُ

إلى أن قال فيها :

فان كنتَ لاذوالضِّغْنِ عنى مُكَذَّب	ولا حَالِفِى على البرَاءةِ نافعُ
ولا أنا مأمونٌ بشَىءٍ أقولُهُ	وأنت بأمرٍ لا محالةَ واقعُ

و بعده البيت ، و بعده :

خَطاطيفُ حُجْنٌ فى حِبالٍ متينة	تمدُّ بها أيدٍ إليكَ نوازعُ
سَتَبلغُ عذراً أونجاحاًمن امرِئٍ	إلى رَبِّهِ ربُّ البريةِ راكعُ (٤)
أتوعِدُ عبداً لم يخُنْكَ أمانةً	ويُتْرَكُ عبدٌ ظالم وهو ظالعُ (٥)
وأنت رَبيعٌ يُنْعِش الناسَ سيبُهُ	وسَيفٌ أُعيرَتْه المنيةُ قاطعُ
أبَى اللهُ إلا عَدْلَهُ ووفاءَهُ	فلا النكر معروفٌ ولا العرف ضائع

---

(١) فى الأصول « فقاقع » محرفا عما أثبتناه عن الديوان

(٢) فى الأصول « تبادرها » وهى رواية ، و « مطلقة طورا » وهو تحريف ما أثبتناه عن الديوان

(٣) فى الأصول « وتلك التى تستد »

(٤) هذا البيت لا يوجد فى الديوان ، وليس بملتئم مع بقية أبيات القصيدة

(٥) يروى « وهو ضالع » والضالع : الجائر المذنب. والظالع : الجائر عن الحق

وتُسقى إذا ما شئت غيرَ مُصَرَّد بزوراء فى حافاتها المسكُ كانعُ (١)

والمنتأى : اسم موضع من انتأى عنه أى بعد ، وشبهه بالليل لأنه وصفه فى حال سخطه وهوله

والمعنى : أنه لايفوت الممدوحَ وإن أبعد فى الهرب وصار إلى أقصى الأرض لسعة ملكه وطول يده ، ولأن له فى جميع الآفاق مطيعاً لأمره يرد الهارب إليه

وقد اعترض الأصمعى على النابغة فقال: أما تشبيه الادراك بالليل فقد تساوى الليل والنهار فيما يدركانه ، وإنما كان سبيله أن يأتى بما لا قسيم له حتى يأتى بمعنى منفرد . فلو قال قائل إن قول النميرى فى ذلك أحسن منه لوجد مساغاً إلى ذلك حيث يقول [من الطويل] :

فلو كنتُ كالعَنقاءِ أو كسموها لَخِلْتكَ إلا أن تَصدَّ ترانى

والشاهد فيه : مساواة اللفظ للمعنى المراد .

وفى معنى بيت النابغة قول على بن جبلة [من الطويل] :

وما لامرئ حاوَلْتَهُ منكَ مَهرَبٌ ولو رَفَعتْهُ فى السماءِ المطالعُ

بَلى هاربٌ لا يَهْتَدِى لمكانه ظلامٌ ولا ضوءٌ من الصبح ساطعُ

وأكثر الأدباء يرجحه على بيت النابغة . وفى هذا المعنى أيضاً قول سَلْم الخاسر [من البسيط] :

فأنتَ كالدهر مَبثوثاً حبائلُهُ والدهرُ لا ملجأ منهُ ولا هربُ

ولو مَلَكتُ عنانَ الريح أصْرِفها فى كل ناحية ما فاتَكَ الطلَبُ

وتناوله البحترى أيضاً فقال [من الكامل] :

ولو أنهم رَكبوا الكواكِبَ لم يكن ينجيهمُ من خوفِ بأسِكَ مهربُ

---

(١) كانع : دان بعضه من بعض

وما أبدع قول أبي القاسم بن هانىء فيه [من الكامل] :

أين المفر ولا مفرَّ لهاربٍ ولكَ البسيطانِ الثرَى والماء

وقول الآخر [من الطويل] :

فلو كُنتُ فوقَ الريح ثم طَلَبتني لكنتُ كمن ضاقت عليه المذاهبُ

وبديع قول أبي العرب الصقلي [من الطويل] :

كأن بلادَ الله كفَّاكَ إن يَسِرْ بها هاربٌ تجمعْ عليه الأناملُ

وأين يَفِرُّ المرء عنك بجرمِهِ إذا كان تُطْوَى في يديكَ المراحلُ

ترجمة النابغة الذبياني

والنابغة (١) : اسمه زياد بن معاوية بن ضباب ، ينتهي نسبه إلى ذبيان ثم لمضر ، ويكنى أبا أمامة ، وإنما سمي النابغة لقوله :

* وقد نَبغَتْ لهم منَّا شؤون *

وهو أحد الأشراف الذين غَضَّ منهم الشعر ، وهو من الطبقة الأولى المقدمين على سائر الشعراء .

عن ربعي بن خراش (٢) قال : قال لنا عمر رضي الله عنه : يا معشر غطفان من الذي يقول [من الوافر] :

أتيتكَ عارياً خَلَقاً ثيابي على خوفٍ تُظن بيَ الظنونُ

قلنا : النابغة ، قال : ذاك أشعر شعرائكم .

وعن جرير بن يزيد (٣) بن جرير بن عبد الله البجلي ، قال : كنا عند الجنيد

(١) تجد ترجمة النابغة في الأغاني (٩ - ١٦٢) وفي الشعراء لابن قتيبة (٧٠)

(٢) في الأغاني « ابن حراش » مهملا

(٣) في الأغاني « جرير بن شريك بن جرير بن عبد الله البجلي »

ابن عبد الرحمن بخراسان ، وعنده بنو مرة وجلساؤه [من الناس] [١] فتذاكروا شعر النابغة ، حتى أنشدوا قوله * فانك كالليل الذى هو مدركى * البيتَ ، فقال شيخ من بنى مرة : وما الذى رأى فى النعمان حتى يقول مثل هذا ؟ وهل كان النعمان إلا على منظرة من مناظر الحيرة ؟ وقالت ذلك القيسية أيضاً فأكثرت فنظر إلىَّ الجنيدُ فقال: يا أبا خالد ، لا يهولك قولُ هؤلاء الأعاريب [٢] وأقسم بالله لو عاينوا من النعمان ما عاين صاحبهم لقالوا أكثر مما قال ، ولكنهم قالوا ما تسمع وهم آمنون

وقال عمر [٣] بن المنتشر المرادى : وفدنا على عبد الملك بن مروان فدخلنا عليه فقام رجل فاعتذر إليه من أمر وحلف عليه ، فقال له عبد الملك : ما كنت حَرِيًّا أن تفعل ولا تعتذر ، ثم أقبل على أهل الشام فقال : أيكم يروى من اعتذار النابغة إلى النعمان [من الطويل] :

حَلَفتُ فلم أترك لنفسكَ ريبةً   وليسَ وراءَ الله للمرء مذهَبُ

فلم يجد فيهم من يرويه ، فأقبل على فقال : أترويه ؟ قلت : نعم ، فأنشدته القصيدة كلها ، فقال : هذا أشعر العرب .

وعن أبى عبيدة وغيره أن النابغة كان خاصًّا بالنعمان ، وكان من ندمائه وأهل أنسه ، فرأى زوجته المتجردة يوماً وقد غشيها شىء شبيه بالفجاءة ، فسقط نَصِيفُها فاستترت بيديها وذراعيها ، فكادت ذراعها تستر وجهها لعَبَالتها

(١) زيادة عن الأغانى
(٢) فى الأغانى « هؤلاء الأعاريض »
(٣) فى الأغانى « عمرو بن المنتشر »

وغلظها ، فقال قصيدته التى أولها (١) [من الكامل] :

من آلِ ميّةَ رائحٌ أو مُغتدى ... عجلان ذا زادٍ وغيرَ مُزوَّدِ

زعم البَوارحُ أن رحلَتَنا غداً ... وبذاك تَنْعاب الغرابِ الأسودِ (١)

لا مرحباً بغد ولا أهلاً بهِ ... إن كانَ تفريقُ الأحبةِ فى غدِ

أزفَ الترحُّلُ غيرَ أن ركابَنا ... لما تزل برحالِنا وكأن قَدِ

فى إثرِ غانيةٍ رَمَتْك بِسهمها ... فأصاب قلبَكَ غيرَ أن لم تقصِد

بالدُّر والياقوت زُيِّنَ نحرُها ... ومُفَصَّلٍ من لؤلؤٍ وزبرجَدِ

سقط النَّصيفُ ولم ترد إسقاطَهُ ... فتناولَتْهُ واتَّقتنا باليَدِ

بمُخَضَّبٍ رَخْصٍ كأن بَنانَهُ ... عنمٌ على أغصانه لم يُعقَدِ (٢)

وبفاحِمٍ رَجْلٍ أثيثٍ نَبْتُهُ ... كالكرم مال على الدِّعام المسنَدِ

نَظرتْ إليكَ لحاجةٍ لم تَقضِها ... نَظَرَ السَّقيم إلى وُجوهِ العودِ

وهى طويلة ، فأنشدها النابغة مُرة بن سعد القُريعى ، فأنشدها مُرة النعمانَ ، فامتلأ غضبا وأوعد النابغة وتهدده ، فهرب ، فأتى قومه ، ثم شخص إلى ملوك غسان بالشام فامتدحهم .

وقد اعترض الأصمعى على البيت الأخير من هذه الأبيات فقال : أما تشبيهه مرض للطرف فحسن إلا أنه هجنه بذكر العلة وتشبيهه المرأة بالعليل ،

---

(١) اقرأها فى الديوان (٦٣) وستة الأبيات الأولى منها فى الأغانى (٩ - ١٦٤) والأربعة بعدها فى (٩ - ١٦٥ منه) وفيها غناء

(٢) زعموا أن أصل الرواية فى عجز هذا البيت * وبذاك خبرنا الغراب الأسود * وأن النابغة أقوى فى هذا البيت ، ثم سمع جارية تغنى فيه فأصلحه

(٣) وزعموا أن أصل الرواية فى عجز هذا البيت:

* عنم يكاد من اللطافة يعقد *

وأحسن منه قول عدى بن الرقاع العاملى [من الكامل] :

وكأنها بين النساء أعارها عينيه أحور من جآذر جاسم

وسنان أقصده النعاس فرنّقت في عينه سنة وليس بنائم

وأما قوله « سقط النصيف ـ البيت » فيروى أن عبد الملك بن مروان قال يوما لجلسائه : أتعلمون أن النابغة كان مخنثا ؟ قالوا : وكيف ذلك ياأمير المؤمنين؟ قال : أو ما سمعتم قوله ، يعنى هذا البيت ، والله ما عرف هذه الاشارة إلا مخنث

وقد أخذ هذا المعنى أبو حية النميرى فقال [من الطويل] :

فألقت قناعاً دونه الشمس واتقت بأحسن موصولين كف ومعصم (١)

ثم أخذه الشماخ فقال [من الطويل] :

إذا مرّ من تخشى اتقته بكفها وسبّ بنضح الزعفران مضرّج

وأظرف مايعرف من هذا المعنى ما أنشده القاضى التنوخى لنفسه [من المنسرح] :

لم أنس شمس الضحى تطالعنى ونحن فى روضة على فرق

وجفن عينى بمائه شرق وقد بدت فى معصفر شرق

كأنه دمعتى ووجنتها حين رمتنا العيون بالحدق

ثم تغطت بكمها خجلاً كالشمس غابت فى حمرة الشفق

رجع إلى أخبار النابغة

عن المفضل أن مُرة الذى وشى بالنابغة كان له سيف قاطع يقال له ذو الريقة من كثرة فرنده وجودته ، فذكره النابغة للنعمان ، فاضطغن من ذلك مرة حتى وشى به إلى النعمان وحرضه عليه .

وقيل : إن الذى من أجله هرب النابغة من النعمان أنه كان هو والمنخّل بن عبيد ابن عامر اليشكرى جالسين عنده ، وكان النعمان دميما أبرش قبيح المنظر ، وكان

---

(١) فى المطبوعتين « كفا ومعصما »

المنخَّل من أجمل العرب ، وكان يُرمى بالمتجردة زوجة النعمان ، وتتحدث العرب أن ابنى النعمان منها كانا من المنخَّل ، فقال النعمان للنابغة : يا أبا أمامة ، صف المتجردة فى شعرك ، فقال قصيدته هذه ووصف فيها بطنها وروادفها وفرجها ، فلحق المنخلَ من ذلك غيرة ، فقال للنعمان : مايستطيع أن يقول هذا الشعر إلا مَنْ جَرَّب ، فوقر ذلك فى نفس النعمان ، وبلغ النابغة فخافه فهرب فصار إلى غسان فنزل بعمرو بن الحارث الأصغر ومدحه ومدح أخاه النعمان ، ولم يزل مقيما مع عمرو حتى مات وملك أخوه النعمان ، فصار معه ، إلى أن استعطفه النعمان فعاد إليه .

وعن أبى بكر الهذلى قال : قال حسان بن ثابت رضى الله عنه : قدمت على النعمان بن المنذر وقد امتدحته ، فأتيت حاجبه عصام بن شهبر ، فجلست إليه فقال : إنى أرى عربيا ، أفمن الحجاز أنت ؟ قلت : نعم ، قال : فكن قحطانيا ، قلت : فانى قحطانى ، قال : فكن يَثْرِبيا ، قلت : فانى يثربى ، قال : فكن خزرَجيا ، قلت : فانى خزرجى ، قال : فكن حسان بن ثابت ، قلت : فأنا هو ، قال : أجئت بمدحة الملك ؟ قلت : نعم ، قال : فانى سأرشدك ، إذا دخلت عليه فانه سيسألك عن جَبَلَةَ بن الأيهم و يسبه ، فاياك أن تساعده على ذلك ، ولكن أمررْ ذكره إمرارا لا توافق فيه ولا تخالف ، وقل : ما دخول مثلى أيها الملك بينك و بين جبلة وهو منك وأنت منه ؟ فان دعاك إلى الطعام فلا تواكله ، فان أقسم عليك فأصب منه اليسير إصابة مُبِرٍّ قَسَمه متشرف بمواكلته ، لا أكل جائع سَغِب ، ولا تبدأه باخبار عن شىء حتى يكون هو السائل لك ، ولا تطل الاقامة فى مجلسه ، فقلت : أحسن الله رِفْدك ، قد أوصيت واعيا ، ودخل ثم خرج إلى فقال : ادخل ، فدخلت وحييت بتحية الملك ، فجارانى فى أمر جبلة ما قاله لى عصام كأنه كان حاضرا ، فأجبت بما أمرنى ، ثم استأذنته فى الانشاد ، فأذن لى ، فأنشدته ، ثم دعا بالطعام ، ففعلت مثل ذلك ، فأمر لى بجائزة سَنِية ، وخرجت فقال لى عصام : بقيت عليك واحدة لم أوصك بها ، بلغنى أن النابغة الذبيانى

قادم عليه ، و إذا قدم عليه فليس لأحد منه حظ سواه، فاستأذِنْ حينئذ وانصرف مكرما خير من أن تنصرف مُجْفُوا . قال : فأقمت ببابه شهرا ، ثم قدم عليه خارجة ابن سنان ومنظور بن زبان (١) الفزاريان ، وكان بينهما و بين النعمان دخلُلٌ - أى خاصة - وكان معهما النابغة قد استجار بهما وسألهما مسألة النعمان أن يرضى عنه ، فضرب عليهما قبة ولم يشعر أن النابغة معهما ، فدسَّ النابغة قينة تغنية بشعره

* يا دَارَ مَيَّةَ بالعلياء فالسَّندِ *

فلما سمع الشعر قال : أقسم بالله إنه لشعر النابغة ، وسأل عنه فأخبر أنه مع الفزاريين ، وكلماه فيه فأمّنه ، ثم خرج فى غِبّ سماء فعارضه الفزاريان والنابغة بينهما قد خضب بحناء وأقنى خضابه . فلما رآه النعمان قال : هى بدم كانت أحْرَى أن تخضب ، فقال الفزاريان : أبيت اللعن لا تثريب قد أجرناه ، والعفو أجمل . قال: فأمّنه واستنشده أشعاره ، فعند ذلك قال حسان بن ثابت : فحسدته على ثلاث لا أدرى على أيتهن كنت أشد له حسدا : على إدناء النعمان له بعد المباعدة ومسايرته له و إصغائه إليه ، أم على جودة شعره ، أم على مائة بعير من عصافيره أمر له بها .

قال : وكان النابغة يأكل و يشرب فى آنية الذهب والفضة من عطايا النعمان وأبيه وجده ، لا يستعمل غير ذلك .

وقيل : إن السبب فى رجوع النابغة إليه بعد هربه منه أنه بلغه أنه عليل لا يرجى فأقلقه ذلك ولم يملك الصبر على البعد عنه مع علته وما خافه عليه ، وأشفق من حدوثه به ، فصار إليه فألفاه محمولا على سرير ينقل ما بين الغمران وقصور الحيرة فقال لعصام حاجبه [من الوافر] :

---

(١) فى نسخة «منظور بن زياد» ولم يذكر أبو الفرج اسم الفزاريين و إن كان قد ذكر هذه القصة

أَلَمْ أُقْسِمْ عَلَيْكَ لَتُخْبِرُنِّي   أَمَحْمُولٌ على النَّعْشِ الهُمَامُ
فإنِّي لاَ أُلامُ على دُخُولٍ   وَلَكِنْ ما وَرَاءَكَ يا عِصَامُ[1]
فإنْ يَهْلِكْ أبو قابوسَ يَهْلِكْ   رَبِيعُ النَّاسِ وَالشَّهْرُ الحَرَامُ
وَنُمْسِكْ بَعْدَهُ بِذِنَابِ عَيْشٍ   أَجَبِّ الظَّهْرِ لَيْسَ لهُ سَنَامُ

ومات النابغة الذبيانى على جاهليته، ولم يدرك الاسلام.

* * *

٦٣ — * أَنَا ابْنُ جَلاَ ..... *

شاهد إيجاز الحذف

هو أول بيت لسحيم بن وثيل الرياحى، ولفظه:

أَنا ابنُ جلاَ وَطلاَّعُ الثَّنَايا   مَتى أَضعِ العِمامةَ تَعرفونِي

وهذا البيت من قصيدة[2] من الوافر أولها:

أَفاطِمَ قبلَ بينكِ متِّعيني   ومنعُكِ ما سألتُ كأنْ تبيني

يقول فيها أيضاً:

فانَّ عُلالتى وجرَاءَ حولِي   لَذُو شقٍّ عَلى الضرعِ الظَّنُونِ
أنا ابنُ الغرِّ من سلفى رياحٍ   كنصلِ السيفِ وضاحِ الجبينِ

وبعده البيت، وبعده:

وإنَّ مكانَنا من حِمْيرِيٍّ   مكانُ الليثِ من وَسطِ العرينِ

---

(١) فى الأغانى * فانى لا ألومك فى دخولى * وكان فى الأصل * لا ألام على دخول *

(٢) ارجع إلى خزانة الأدب (١ – ١٢٣) و (٣ – ٤١٤) وكامل المبرد (١ – ١٣٢ و ٣٢٤) والعقد الفريد (٤ – ١٢٠) والأغانى (١٢ – ١٤)

وإن قَناتنا مَشِظٌ شَظاها شديدٌ مدُّها عنقَ القرين[١]
وإنى لا يعودُ إلىَّ قِرنى غداةَ الغبِّ إلا فى قَرين[٢]
بذى لِبَدٍ يَصُدُّ الرَّكبَ عنهُ ولا تُؤتى فريستهُ لحين
عذرت البُزْلَ إذ هىَ صاوَلتنى فما بالى وبالُ ابنَىْ لَبون[٣]
وماذا يبتغى الشعراء منى وقد جاوزتُ حدَّ الأربعين[٤]
أخو الخمسين مجتمعٌ أشُدّى ونجَّذَنى مُداوَرَةُ الشؤونِ[٥]
سأجنى ما جنيتُ وإنَّ ظهرى لذُوسندٍ إلى نضدٍ أمين

وكان السبب فى قوله هذه الأبيات أن رجلا أتى الأَبَيْرِدَ الرِّياحىّ وابن عمه الأحوص ـ وهما من رِدْف الملوك من بنى رياح ـ يطلب منهما قطرانا لإبله ، فقالا له : إن أنت أبلغتَ سُحيم بن وُثيل الرياحى هذا الشعر أعطيناك قطراناً ، قال : قولا ، فقالا : اذهب فقل له :

---

(١) أنشد صاحب اللسان هذا البيت (م ش ظ) عن ابن السكيت ثم قال: قوله مشظ شظاها مثل لامتناع جنابه : أى لا تمس قناتنا فينالك منها أذى .

(٢) غداة الغب ـ بغين مكسورة ـ هكذا فى الأصول ، ومثله فى خزانة الأدب ، ونص البغدادى على ضبطه وشرحه بقوله « وغداة الغب : اليوم الذى يسوقون إبلهم فيه » اهـ . ووقع فى الأغانى «غداة العبء» بعين مهملة وآخره همزة ـ ويمكن أن يفسر بأحد تفسيرين : الأول أن يكون أراد بالعبء الحمل الذى يثقل عليك ويبهظك ، وكنى بذلك عن الحرب ، لما فيها من التبعات الجسام ، والآخر أن يكون أخذ من تعبئة الجيوش وتهيئة أماكن الفرسان والأبطال فيها

(٣) فى الخزانة « إن هى خاطرتنى »

(٤) فى اللسان (نج ذ) « وماذا يدرى » بتشديد الدال ومعناه يختل

(٥) فى الخزانة « أخو خمسين » وكذا فى العقد

فإن بُداهتى وجراء حَوْلى لذو شقٍّ على الحطم الحَرُون

فلما أتاه وأنشده الشعر أخذ عصاه وانحدر فى الوادى يقبل فيه ويدبر ويهمهم بالشعر ، ثم قال : اذهب فقل لهما ، وأنشد الأبيات ، قال : فأتياه فاعتذرا فقال : إن أحد كما لا يرى أنه صنع شيئاً حتى يقيس شعره بشعرنا وَحسبه بحسبنا ويستطيف بنا استطافة المهر الأزب(١) فقالا له : فهل إلى النزع من سبيل ؟ فقال : إنا لم نبلغ أنسابنا

وذكر ابن قتيبة فى كتاب الشعر والشعراء(٢) مطلع هذه القصيدة فى أبيات أخر ، ونسبها للمثقَّب العَبْدىّ ، وقال : لو كان الشعر كله على هذه القصيدة لوجب على الناس أن يتعلموه ، وصورة ما أورده ابن قتيبة :

أفاطمَ قبلَ بينكِ متِّعينى ومنعُكِ ما سألتُ كأن تبينى
ولا تُبدى مواعدَ كاذبات تمرُّ بها رياحُ الصيف دونى(٣)
فإنى لو تُخالفنى شِمالى بنصرٍ لم تصاحبْها يمينى(٤)
إذاً لقطعتُها ولقلتُ بِينى كذلك أجتوِى من يجتوِينى
فإما أن تكون أخى بحق فأعرف منك غثِّى من سَمينى
وإلا فاطَّرِحْنى واتَّخِذْنى عدوًّا أتَّقيك وتتقينى(٥)

---

(١) فى الخزانة « استطافة البعير الأزب »

(٢) انظره (ص ٢٣٤)

(٣) فى الشعراء « ولا تعدى »

(٤) فى الشعراء فى ترجمة المثقب العبدى رواية البيت هكذا :

فإنى لو تعاندنى شمالى عنادك ما وصلت بها يمينى

ورواه فى ترجمة النابغة الذبيانى :

ولو أنى تخالفنى شمالى بنصر لم تصاحبها يمينى

(٥) فى الشعراء « وإلا فاطرحنى واتخذنى »

وَما أدرى إذا يممت أرضاً أريد الخير أيُّهما يليني

أألخير الذى أنا أبتغيه أم الشرُّ الذى هو يبتغيني

والأبيات المارّة تُقوّى أنها لسُحيم المذكور ، فلعل اتفاقهما فى المطلع من باب توارد الخواطر ، والله أعلم .

و « جلا » هنا غير منوّن لأنه أراد الفعل فحكاه مقدراً فيه الضمير الذى هو فاعل ، والفعل إذا سمى به غيرَ منتزع عنه الفاعل لم يكن إلا حكاية ، كقول تأبط شرّاً [من الطويل] :

كذبتم وبيتِ الله لا تأخذونها بنى شابَ قرناها تُصَرُّ وتُحْلَبُ[1]

وكقول الشاعر [من الرجز] :

وَالله مازيدٌ بنامَ صاحبُهْ ولا مخالطِ الّيام جانبه[2]

وإنما أراد أنا ابنُ الذى جلا ، وبنى التى يقال لها شاب قرناها ، ووالله مازيد بالذى يقال فيه نام صاحبه

وابن جلا يقال للرجل المشهور : أى ابن رجل قد انكشفَ أمرُه ، أو جلا الأمور أى كشفها . والثنايا : جمع ثَنِيَّة ، وهى العقبة ، يقال : فلان طلّاعُ الثنايا ، أى ركّاب لصعاب الأمور

والشاهد فيه : إيجاز الحذف ، والمحذوف موصوف ، وهو هنا « رجل » من قوله أنا ابن جلا

وهذا البيت تمثل به الحجاج على منبر الكوفة حين دخلها أميراً . حدث

---

(١) يروى « لا تنكحونها » مبنيا للمعلوم ، وبضم تاء المضارعة من المزيد بالهمزة ، وبفتح تاء المضارعة من المجرد ، والبيت فى كامل المبرد (١ ـ ٢٣٦)

(٢) يروى « والله ما ليلى » و « ولا مخالط الليان » والبيت فى كامل المبرد (١ ـ ٢٣٦)

عبد الملك بن عمير الليثى[١] قال : بينما نحن بالمسجد الجامع بالكوفة ، وأهلُ الكوفة يومئذ ذَوو حالة حسنة يخرج الرجل منهم فى العشرة والعشرين من مواليه ، إذ أتانا آت فقال : هذا الحجاج قدم أميراً على العراق ، و إذا به قد دخل المسجد معتماً بعمامة قد غطى بها أكثر وجهه ، متقلداً سيفاً متنكباً قوساً يؤمّ المنبر ، فمال الناس نحوه حتى صعد المنبر ، فمكث ساعة لا يتكلم ، فقال بعض الناس لبعض : قبّح الله بنى أمية ! كيف تستعمل مثل هذا على العراق ؟ حتى قال عُمير بن ضابئ البرجمى : ألا أحصبه لكم ، فقالوا : أمهل حتى ننظر ، فلما رأى الحجاجُ أعينَ الناس تدور إليه حسر اللثام عن وجهه ونهض فقال : أنا ابن جلا ، وَأنشد البيت ، وقال : يا أهل الكوفة ، إنى لأرى رُؤوساً قد أينعت ، وحان قطافها ، و إنى لصاحبها ، وكأنى أنظر إلى الدماء بين العمائم واللحى :

قدوم الحجاج أميرا على العراق

هذا أوان الشدّ فاشتدّى زِيَمْ   قد لفها الليل بسواق حُطَمْ[٢]

ليس براعى إبل ولا غنم   ولا بجزّار على ظهر وَضَمْ

ثم قال :

قد لفّها الليل بعصلبىّ   أروعَ خرّاج من الدّوِّىّ

مهاجر ليس بأعرابى   معاودٍ للطعن بالخطّىّ

ثم قال أيضاً :

قد شمرت عن ساقها فشدّوا   وجدّتِ الحرب بكم فجدّوا

والقوس فيها وترٌ عُرُدُّ   مثل ذراع البكر أو أشدُّ

إنى والله يا أهل العراق لا يقعقع لى بالشنّان ، ولا يغمز جانبي كتغماز التين[٣]

---

(١) انظر هذه الخطبة فى كامل المبرد (١ - ٢٢٣) وفى العقد الفريد (٤- ١٢٠)

(٢) فى الاصول « الشر »

(٣) المحفوظ « كتغماز التين »

ولقد فُرِرت عن ذكاء وفُتِّشت عن تجربة ، وإن أمير المؤمنين نَثَل كنانته بين يديه فعجم عيدانها عوداً عوداً فرآنى أمرها عوداً وأصلبها عوداً وأصلبها مكسراً وأبعدها مرمى فرماكم بى ، لأنكم طالما أوضعتم فى الفتنة ، واضطجعتم فى مراقد الضلال ، والله لأحزمنكم حزم السلمة ، ولأضربنكم ضرب غرائب[1] الابل ، فانكم لكأهل قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ، وإنى والله ما أقول إلا وفيت ، ولا أهم إلا أمضيت ، ولا أخلق إلا فريت[2] ، وإن أمير المؤمنين أمرنى باعطائكم أعطياتكم ، وأن أجهزكم إلى عدوكم مع المهلب بن أبى صفرة ، وإنى أقسم بالله لا أجد رجلا تخلف بعد أخذ عطائه ثلاثة أيام إلا ضربت عنقه ، يا غلام ، اقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين ، فقرأ : بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله عبد الملك أمير المؤمنين ، إلى من بالكوفة من المسلمين ، سلام عليكم ، فلم يقل أحد منهم شيئا ، فقال الحجاج : اكفف يا غلام ، ثم أقبل على الناس فقال : أيسلم عليكم أمير المؤمنين فلم تردوا عليه شيئاً ؟ هذا أدب ابن سمية[3] ، أما والله لأؤدبنكم غير هذا الأدب ، أولتستقيمُنّ

---

(١) فى الأصول « ضرب غرابيب الابل » محرفا عما أثبتناه

(٢) فى الأصول «احلق» بحاء مهملة ، وكتب مصحح مطبوعة بولاق «فى بعض النسخ ولا أحلف إلا بريت » وكلاهما تحريف ما أثبتناه عن المبرد والأصل فى هذه العبارة قول زهير بن أبى سلمى المزنى

ولأنت تفرى ما خلقت وبعـض القوم يخلق ثم لا يفرى

ومعناه ينفذ مايعزم عليه ويؤيد بالعمل ما يقدره بالظن

(٣) فى كامل المبرد « هذا أدب ابن نهية » بكسر النون وسكون الهاء — وكتب أبو الحسن فى تعليقاته عليه ما نصه : « زعم أبو العباس أن ابن نهية رجل كان على الشرطة بالبصرة قبل الحجاج » اهـ . قلت : والذين يروون «ابن سمية» يزعمون أنه أراد زياد بن أبيه

اقرأ يا غلام كتاب أمير المؤمنين . فلما بلغ إلى قوله سلام عليكم لم يبق فى المسجد أحد إلا قال : وعلى أمير المؤمنين السلام ، ثم نزل ، فوضع للناس أعطياتهم ، فجعلوا يأخذونها حتى أتاه شيخ يرعش كبراً ، فقال : أيها الأمير ، إنى من الضعف على ما ترى ، ولى ابن هو أقوى على الأسفار منى ، أفتقبله منى بدلا ؟ فقال له الحجاج : نفعل أيها الشيخ ، فلما ولى قال له قائل : أتدرى من هذا أيها الأمير ؟ قال : لا ، قال : هذا عمير بن ضابىء البرجمى الذى يقول أبوه:

هَمَمْتُ ولم أفعلْ وكدتُ وليتنى تركتُ على عثمان تبكى حلائلُهْ

ودخل هذا الشيخ على عثمان رضى الله عنه يوم الدار، وهو مقتول ، فوطىء بطنه وكسر ضلعين من أضلاعه وهو يقول : أين تركت ضابئاً [1] يا نعثل ؟ فقال : ردوه ، فلما ردوه قال له الحجاج : أيها الشيخ هلا بعثت إلى أمير المؤمنين عثمان بدلا يوم الدار ، إن فى قتلك لصلاحاً للمسلمين ، يا حَرَسِيُّ اضرب عنقه ، فسمع الحجاج ضوضاء ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : هذه البراجم جاءت لتنصر عميراً فيما ذكرت ، فقال : أتحفوهم برأسه ، فرموهم برأسه ، فولوا هاربين ، وجعل الرجل يضيق عليه أمره فيرتحل و يأمر وليه أن يلحقه بزاده ، وازدحم الناس على الجسر للعبور إلى المهلب بن أبى صفرة ، وفى ذلك يقول عبد الله بن الزَّبير الأسدى [2] [من الطويل]:

أقولُ لابراهيم لما رأيتهُ أرى الأمر أمسى داهياً متشعباً

تخير فإما أن تزور ابن ضابىء عميراً و إما أن تزور المهلبا

---

(١) نعثل : رجل من أهل مصر قريب الشبه من عثمان رضى الله عنه ، وكانوا إذا أرادوا أن ينالوا من عثمان أطلقوا عليه اسم هذا الرجل

(٢) روى هذه الأبيات ماعدا الأول منها : الكامل فى المبرد (١ ـ ٢٢٦) وروى ابن قتيبة فى الشعراء (٢٤٠) ثانيها ومايليه

هما خطتا خسف نجاؤك منهما ... ركوبك حولياً من الثلج أشهبا(١)

فأضحى ولو كانت خراسان دونه ... رآها مكان السوق أو هي أقربا

* * *

٦٤ — وإن صخراً لتأتم الهداة به ... كأنه علم في رأسه نار

شاهد الايغال البيت للخنساء، من مرثية في أخيها صخر، وهي قصيدة (٢) من البسيط، أولها:

قذى بعينك أم بالعين عوّار ... أم ذرّفت إذ خلت من أهلها الدار

كأن عيني لذكراه إذا خطرت ... فيض يسيل على الخدين مدرار

تبكي خناس على صخر وحق لها ... إذ رابها الدهر إن الدهر ضرّار

تبكي لصخر هي العبرى وقد ثكلت ... ودونه من جديد الترب أستار(٣)

لا بد من ميتة في صرفها غير ... والدهر في صرفه حول وأطوار

يا صخر وارد ماء قد تناذره ... أهل الموارد ما في ورده عار(٤)

مشى السبنتى إلى هيجاء معضلة ... له سلاحان أنياب وأظفار(٥)

فما عجول على بوّ تطيف به ... لها حنينان إصغار وإكبار

ترعى إذا نسيت حتى إذا ذكرت ... فإنما هي إقبال وإدبار(٦)

---

(١) في الأصول «من البلج أشهبا» وما أثبتناه موافق لما في الكامل والشعراء

(٢) ارجع إليها في شرح الديوان (٧٣ بيروت) والأغاني (١٣ — ١٣٨)

(٣٧٩) ومنها ثمانية أبيات في الكامل للمبرد (٢ — ٣٩)

(٣) في الديوان «وقد ولهت» مكان «وقد ثكلت»

(٤) في الديوان «وراد ماء» بصيغة المبالغة، «وتبادره» كذا في الأصول موافقا لما في الشريشي (٢ — ٢٥٤) وفي الديوان «تناذره»

(٥) السبنتى: النمر، و«هيجاء معضلة» موافق لما في الأغاني وكامل المبرد، وفي الديوان مضلعة

(٦) في الديوان «ترتع ما رتعت حتى إذا ادكرت»

لا تسمن الدهر فى أرض وإن ربعت ... فإنما هى تحنان وتسجار[١]

يوماً بأوجد منى حين فارقنى ... صخر ، وللدهر إحلاء وإمرار

وإن صخراً لوالينا وسيدنا ... وإن صخراً إذا نشتو لنحار[٢]

وبعده البيت ، وبعده :

لم تره جارة يمشى بساحتها ... لريبة حين يخلى بيته الجار[٣]

ولا تراه وما فى البيت يأكله ... لكنه بارز بالصحن مهمار[٤]

مثل الردينى لم تنفد شبيبته ... كأنه تحت طى البرد أسوار[٥]

فى جوف رمس مقيم قد تضمنه ... فى رمسه مقمطرات وأحجار

طلق اليدين بفعل الخير ذو فجر ... ضخم الدسيعة بالخيرات أمار[٦]

والعلم : الجبل الطويل ، وقيل : هو عام فى كل جبل .

والشاهد فيه : زيادة المبالغة فى الايغال ، وهو قولها « فى رأسه نار » ،

---

(١) فى الأصول « وإن رتعت » محرفا عما أثبتناه عن الديوان ، وربعت : أصابها مطر الربيع

(٢) روى هذا البيت فى الأغانى (١٣ - ١٣٨) وفى الشريشى (٢ - ٢٥٢) كما هنا ، وروى فى الديوان « وإن صخرا لكافينا »

(٣) فى الأصول « ولم تره » والواو زائدة عن الوزن

(٤) فى الديوان « وما تراه » وبارز : ظاهر فى خارج البيت ، والصحن : الجفنة الضخمة ، والمهمار : الذى يكثر لأضيافه من القرى ، يعنى أنه لا يأكل طعامه فى داخل البيت مختفيا ، ولكنه يبرز طعامه ليدعو إليه الضيفان ويكثر من قراهم

(٥) فى الأصل « لم تنفذ » محرفا عما أثبتناه عن الديوان ، والأسوار بضم الهمزة

(٦) ذو فجر : يتفجر بالمعروف ، ووقع فى الأصول « ذو نحر » وأثبتنا ما فى الأغانى والديوان ، والدسيعة : العطية

فإن قولها « علم » واف بالمقصود ، وهو تشبيهه بما هو معروف بالهداية ، لكنها أتت بالتتمة إيغالا وزيادة للمبالغة .

وقد ضمن عز الدين الموصلي عجز البيت فى سامرى اسمه نجم ، فقال [من البسيط] :

وسامرىّ أعارَ البدرَ فضلَ سنًا ... سمَّوْهُ نجماً وذاكَ النجمُ غرَّارُ

تهتز قامَتهُ من تحت عِمتهِ ... كأنهُ علم فى رأسهِ نارُ

ترجمة الخنساء

والخنساء (١) اسمها تُماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشَّريد ، ينتهى نسبها لمضر ، والخنساء : لقب غلب عليها ، وفيها يقول دريد بن الصِّمة ، وكان خطبها فردته وكان رآها تهْنأ بعيراً (٢) [من الكامل] :

حيُّوا تماضرَ واربَعُوا صحبى ... وقفوا فإنّ وقوفكم حسبى

أخُنَاسُ قد هامَ الفؤادُ بكم ... وأصابه تَبلٌ من الحبّ

ما إنْ رأيتُ ولاسمعتُ بهِ ... كاليوم طالىَ أينقٍ جُرْبِ

متبذلا تبدو محاسنهُ ... يضعُ الهناء مواضع النقبِ

قال أبو عبيدة ومحمد بن سلام : لما خطبها دُرَيد بعثت خادماً لها ، وقالت : انظرى إليه إذا بال ، فان كان بوله يخرق الأرض ويخدّ فيها ففيه بقية ، وإن كان بوله يسيح على الأرض فلا بقية فيه ، فرجعت إليها واخبرتها أن بوله ساحَ على وَجه الأرض ، فقالت : لا بقية فى هذا ، وأرسلت إليه : ما كنتُ لأدع

---

(١) للخنساء ترجمة في الأغانى (١٣-١٣٦) والشعراء لابن قتيبة (١٩٧) وخزانة الأدب (١ - ٢٠٧) وفى مقدمة شرح ديوانها المطبوع في بيروت

(٢) الأبيات الأربعة في الأغانى والشعراء ، وزاد عليها فى مقدمة الديوان بيتين

بنى عمى وهم مثل عوالى الرماح ، وأتزوج شيخاً ، فقال[1] [من الوافر] :

وقاكِ اللهُ ياابنة آل عمرو ... من الفتيان أشباهى ونفسى[2]

وقالت إننى شيخٌ كبيرٌ ... وما نبأتها أنى ابنُ أمسِ[3]

فلاتلدى ولاينكحكِ مثلى ... إذا ما ليلةٌ طرقت بنحس

تريد شرنبثَ القدمين شثناً ... يباشرُ بالعشية كل كرسِ

فقالت الخنساء [من الوافر]:

معاذ الله ينكحنى حبركى ... يقال أبوه من جُشَم بن بكرِ

ولو أصبحتُ فى جُشَم هديًا ... إذًا أصبحتُ فى دنس وفقرِ

وكانت الخنساء فى أول أمرها تقول البيتين والثلاثة ، حتى قتل أخواها معاوية وصخر . وكان صخر أخاها لأبيها ، وكان أحبهما إليها ، لأنه كان حليما جواداً محبوباً فى العشيرة .

مقتل صخر أخى الخنساء

وكان من حديث قتله ما ذكره أبو عبيدة قال : غزا صخر بن عمرو وأنس ابن عباس الرعلىّ بنى أسد بن خزيمة فأصابوا غنائم وسبْياً ، وأخذ صخر يومئذ بديلة امرأة من بنى أسد ، وأصابته يومئذ طعنة طعنه بها رجل يقال له ربيعة بن ثور ويكنى أبا ثور ، فأدخل جوفه حلقاً من الدرع فاندمل عليه حتى شق عليه بعد سنين وكان ذلك سبب موته . وروى أن صخرا مرض من تلك الطعنة قريباً من حول

---

(١) الأبيات الأربعة فى الأغانى (١٣-١٣٦) وهى فيه ضمن قصيدة لدريد ابن الصمة (٩ - ١٢)

(٢) فى الأصول «من الفتيات» وما أثبتناه موافق لما فى الأغانى ومقدمة الديوان ، ويروى « عن الأزواج أشباهي »

(٣) كذا فى الأغانى فى ترجمة الخنساء ، ورواه فى ترجمة دريد بن الصمة:

وتزعم أننى شيخ كبير ... وهل أخبرتها أنى ابن أمس

حتى ملّه أهله ، فسمع صخر امرأة تسأل سلمى امرأته : كيف بعلك ؟ فقالت : لا حيٌّ فيرجى ، ولا ميت فيسلى ، وقد لقينا منه الأمرين ، فقال صخر فى ذلك [من الطويل] :

أرى أمَّ صخرٍ لا تملُّ عيادتى ... وملّت سُلَيمى مضجَعى ومكانى

وما كنت أخشى أن أكون جنازةً ... عليكِ ومن يغترُّ بالحدثان

أهمُّ بأمر الحزم لو أستطيعه ... وقد حيلَ بينَ العيْرِ والنَّزَوان

لعمرى لقد نبَّهتَ من كان نائماً ... وأسمعت من كانت له أُذُنان

وللموتُ خيرٌ من حياة كأنها ... محلة يَعسوبٍ برأس سِنان

وأىُّ امرىء ساوى بأمٍّ حليلةً ... فلا عاش إلا فى شقاً وهوان

وزعم قوم أن التى قالت هذه المقالة بديلة الأسدية التى كان سباها من بنى أسد واتخذها لنفسه ، وأنشد مكان البيت الأول :

ألا تلكُمُ عرسى بديلةُ أوْجَسَتْ ... فراقى وملت مضجعى ومكانى (١)

قال أبو عبيدة : فلما طال عليه البلاء ، وقد نتأت قطعة مثل اليد (٢) فى جنبه من موضع الطعنة فتدلت واسترخت ــ قالوا له : لو قطعتها لرجونا أن تبرأ ، فقال : شأنكم وهى ، فأشفق عليه بعضهم فنهاهم ، فأبى صخر وقال : الموت أهون على مما أنا فيه ، فأحموا له شفرة ثم قطعوها فيئس من نفسه ، قال : وسمع صخر أخته الخنساء وهى تقول : كيف كان صبره ؟ فقال صخر فى ذلك [من الطويل] :

أجارتنا إن الخطوبَ تنوب ... على الناس، كلَّ المخطئين تُصيبُ

---

(١) فى الأغانى «أوحشت فراقى» محرفا عما هنا ، وأوجست : توقعت وارتقبت

(٢) فى الأغانى « مثل الكبد فى جنبه »

فان تسأليني هل صَبرتُ فانني صبورٌ على ريب الزمان أريبُ[١]

كأني وقد أدنَوْا إلىَّ شِفارهم من الصبر دامى الصفحتين ركوب

أجارتنا لستُ الغداةَ بظاعنٍ ولكن مقيمٌ ما أقامَ عَسِيبُ

فمات فدفن هناك فقبره قريب من عسيب ، وهو جبل بأرض بنى سليم إلى جنب المدينة المنورة .

وروى أنه لما طعن ودخلت حلق الدرع فى جوفه ضجر منها زماناً ، و بعث إلى ربيعة الأسدى الذى طعنه: إنك أخذت حلقاً من درعى بسِنَانِكَ . فقال له ربيعة : اطلبها فى جوفك ، فكان ينفث الدم وتلك الحلق معه ، فملّته امرأته وكان يكرمها و يعينها على أهله ، فمر بها رجل وهى قائمة ، وكانت ذات كفل وأوراك فقال لها : أيباع هذا الكفل ؟ فقالت : عما قليل ، وصخر يسمع ذلك ، فقال : لئن استطعت لأقدمنك أمامى ، ثم قال لها : ناولينى السيف أنظر هل تقِلُّه يدى ، فدفعته إليه فاذا هو لا يقله ، فعندها أنشد الأبيات السابقة ، ثم لم يلبث أن مات وكان أخوه معاوية قد قتل قبله ورثته الخنساء أيضا ، وكان صخر قد أخذ بثأره وقتل قاتله .

ثم لما كانت وقعة بدر وقتل عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة، أقبلت هند بنت عتبة ترثيهم، و بلغها تسويم[٢] الخنساء هَوْدَجَهَا فى الموسم ومعاظمتها العرب بمصيبتها بأبيها وأخويها، وأنها جعلت تشهد الموسم وتبكيهم ، وقد سومت هودجها براية وأنها تقول : أنا أعظم العرب مصيبة ، وأن العرب عرفت ذلك لها ، فقالت هند : بل أنا أعظم العرب مصيبة ، فأمرت بهودجها فسُوِّم براية أيضاً ، وشهدت الموسم بعكاظ ، وكانت عكاظ سوقا تجتمع فيه العرب ، فقالت :

---

(١) فى الأغانى « صليب » مكان « أريب »

(٢) تسويم الهودج : أن تجعل له علامة يتميز بها عن سائر الهوادج

اقرنوا جملي بجمل الخنساء ، ففعلوا ، فلما دنت منها قالت لها الخنساء : من أنت يا أُخية ؟ قالت : أنا هند بنت عتبة أعظم العرب مصيبة ، وقد بلغنى أنك تعاظمين العرب بمصيبتك فبم تعاظمينهم ؟ قالت : بأبى عمرو بن الشريد وأخوَيَّ صَخْرٍ ومعاوية ، فبم تعاظمينهم أنت؟ قالت : بأبى عتبة وعمى شيبة وأخى الوليد ، قالت الخنساء : لِسواهم عندك ، ثم أنشأت تقول [1] [من الطويل] :

أُبكِّى أبى عمراً بعينٍ غزيرةٍ قليلٍ إذا نام الخلىُّ هُجودهَا
وصِنوَيَّ لا أنسى : معاوية الذى له من سَرَاة الحرتين وفودُهَا
وصخراً ، ومن ذا مثلُ صخرٍ إذا غَدَا بسَلْهَبَةِ الآطال قُبٍّ يقودُها [2]
فذلك يا هِندُ الرَّزِيّةُ فاعلمى ونيرانُ حربٍ حين شُبَّ وقودهَا

فقالت هند بنت عتبة تجيبها [من الطويل] :

أُبكِّى عَميدَ الأبطَحينِ كليهمَا وحاميهَا من كل باغٍ يريدُهَا
أبى عُتبةُ الخيرات ويحكِ فاعلمى وشَيْبَةُ والحامى الذمار وليدهَا
أولئك آل المجد من آل غالب وفى العز منها حين يُنْمى عديدُهَا [3]

وقالت الخنساء أيضاً يومئذ [4] [من مجزوء الكامل] :

من حس لى الأخوَينِ كالـــغُصْنين أو من رآهما [5]

---

(١) اقرأها فى الديوان (٥٨) وفى الأغانى فى شرح موقعة بدر (٤ - ٣٥)
(٢) فى الديوان « بساهمة الآطال » وذكر فى شرحه أنه يروى « بسلهبة الآطال » والسلهبة : الجسيمة ، والآطال : جمع إطل
(٣) فى شرح ديوان الخنساء «حين تثنى عديدها» ومثل ذلك فى الأغانى
(٤) ارجع إليها فى الديوان (٢٥٦)
(٥) فى الأصول روى هذا البيت محرفا هكذا :

من جش لى الأخوين كالعضين أو مذرآهما

قَرْمَينِ لا يتظالما ن ولا يُرام حِماهُمَا
وَيلى على الأخوين والـ قبرِ الذى وارَاهُما
لامِثلَ كَهلى فى الكهو لِ ولا فتىً كفتاهُما
رُمحَينِ خَطِّيَّينِ فى كَبِدِ السماء سناهُما
ما خَلَّفَا إذ ودَّعا فى سؤدَدٍ شَرْواهما
سادا بغيرِ تَكاُّفٍ عَفواً يفيضُ نداهُمَا

وقد أجمع أهل العلم بالشعر أنه لم تكن امرأة قبلها ولا بعدها أشعر منها .

ووفدت على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قومها من بنى سُلَيم فأسلمت معهم ، وذكروا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يستنشدها و يعجبه شعرها وكانت تنشده وهو يقول : هِيه ياخُنَاس ، و يومئ بيده صلى الله عليه وسلم .

وعن أبى وجرة عن أبيه قال : حضرتِ الخنساء بنت عمرو السليمية حربَ القادسية ومعها بنوها أربعة رجال رضى الله عنهم أجمعين فقالت لهم من أول الليل : يابنى ، إنكم أسلمتم طائعين ، وهاجرتم مختارين ، والله الذى لا إله غيره إنكم لبنو رجل واحد كما أنكم بنو امرأة واحدة ، ما خنت أباكم ، ولا فضحت خالكم ، ولا هَجَّنت حسبكم ، ولا غيرت نسبكم ، وقد تعلمون ما أعدَّ الله تعالى للمسلمين من الثواب الجزيل فى حرب الكافرين ، واعلموا أن الدار الباقية خير من الدار الفانية ، لقوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون) فاذا أصبحتم غدا إن شاء الله سالمين فاغدوا إلى قتال عدوكم مستبصرين ، و بالله على أعدائه مستنصرين ، فاذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها، واضطرمت لظى مساقها ، فتيمموا وَطِيسها ، وجالدوا رئيسها، عند احتدام خَمِيسها ، تظفروا بالغنم والكرامة ، فى دار الخلد والمقامة . فخرج بنوها قابلين لنصحها ، عازمين على قولها ، فلما أضاء لهم الصبح بادروا مراكزهم وأنشأ أولهم يقول [من الرجز] :

يا إخوتى إنَّ العجوزَ النـاصحهْ قَدْ نَصحتنـا إذْ دَعَتْنا البارحهْ
بِمَقالةٍ ذَاتِ بَيانٍ وَاضحهْ فَبا كِرُوا الحربَ الضَّرُوس الكالحهْ
وَإنمـا تَلقونَ عِندَ الصائحهْ مِنْ آل ساسان كِلابا نابحهْ
قدْ أيقنوا مِنكم بوقع الجائحهْ وَأنتم بينَ حَيَـاةٍ صالحهْ

* وَميتةٍ تورثُ غُنما رابحهْ *

وتقدم فقاتل حتى قتل رحمه الله تعالى . ثم حمل الثانى وهو يقول [من الرجز] :

إنَّ العجوزَ ذَاتُ حَزْم وَجلَدْ والنَّظر الأوْفق والرَّأى السَّدَد
قَدْ أمرَتْنـا بالسَّدَاد وَالرُّشدْ نَصيحـةً مِنهـا وَبِرًّا بِالوَلدْ
فَبا كِرُوا الحرْبَ كُماةً فى العُدَدْ إما بِفوز باردٍ على الكَبدْ
أوْ مِيتةٍ تورثكم غُنْم الأبدْ[1] فى جَنَّة الفردَوْس وَالعيش الرَّغدْ

وقاتل حتى استشهد رحمه الله تعالى، ثم حمل الثالث أيضـا وهو يقول [من الرجز] :

واللهِ لا نَعصى العجوزَ حَرْفا قَدْ أمرَتْنا حَزْباً وَعطفـا[2]
نُصحاً وَبِراً صادقا وَلطفا فَبادِرُوا الحربَ الضَّرُوس زَحْفا
حتى تلفُّوا آلَ كِسرَى لفَّا أوْ تكشفوهمْ عنْ حِماكم كَشفا
إنا نرَى التَّقصيرَ مِنكم ضَعفا والقَتلَ فِيكم نجْدَة وَعرفا[3]

وقاتل أيضاً حتى استشهد رحمه الله ، ثم حمل الرابع وهو يقول [من الرجز] :

---

(١) فى شرح الديوان * تورثكم عيش الأبد *
(٢) ذكر فى شرح الديوان أنه يروى « قد أمرتنا حذرا »
(٣) فى الاصول «أماتروا» ولا يستقيم عربية ، وما أثبتناه عن شرح الديوان

لسنا لخنساء ولا للأخزم ولا لعمرو ذى السناء الأقدم[١]

إن لم أرى فى الجيش جيش الأعجم ماض على هول خضم خضرم[٢]

إما لفوز عاجل ومغنم أو لوفاة فى السبيل الأكرم[٣]

وقاتل حتى قتل أيضاً رحمة الله عليه وعلى إخوته ، فبلغها الخبر رضى الله عنها فقالت : الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم ، وأرجو من ربى أن يجمعنى معهم فى مستقر رحمته !.

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يعطيها أرزاق أولادها الأربعة ، لكل واحد منهم مائتى درهم ، إلى أن قبض رحمه الله ورضى عنه.

وكانت وفاتها [فى زمن معاوية بن أبى سفيان نحو سنة خمسين من الهجرة[٤]]

* * *

شاهد الإيغال

٦٥ — كأنَّ عيونَ الوَحْشِ حَوْلَ خِبائِنا
وَأرْحُلِنا الجزْعُ الَّذِى لَمْ يُثَقَّبِ

البيت لامرىء القيس ، من قصيدة من الطويل[٥] أولها :

خليلىَّ مُرَّابى على أمِّ جُندبِ لِنقضىَ حاجاتِ الفؤادِ المُعذَّبِ

فإنكما إنْ تَنظرانىَ ساعةً مِنَ الدَّهرِ تَنفعْنى لدَى أمِّ جُندبِ

---

(١) فى الأصول « ولا للأخرم » وأثبتنا رواية الديوان ، وفيها « ولا لعمرو فى السناء »

(٢) لم يستقم لنا هذا البيت وهو فى شرح الديوان مضطرب أيضا

(٣) فى الأصول « أو لوفاء » وأثبتنا ما فى شرح الديوان

(٤) سقط من جميع أصول هذا الكتاب تاريخ وفاة الخنساء وكتب بهامش مطبوعة بولاق «هكذا بياض بالأصل» وقد أثبتناه عن شرح الديوان

(٥) انظرها فى الديوان (ص ٢١) وقد مضت أبيات منها فى (ص ١٧٦ من هذا الجزء) ومضت ترجمة امرىء القيس فى شرح الشاهد (رقم ١)

أَلَمْ تَرِيانِي كُلَّمَا جِئْتُ طارِقاً وَجدتُ بِها طِيباً وَإِنْ لَمْ تَطيَّبِ
عَقيلة أَخْدانٍ لها لاَ ذَميمةٌ وَلاذَاتُ خَلْقٍ إنْ تأملتَ جَأْنبِ

إلى أن يقول فيها :

وقلتُ لِفتيانٍ كِرَامٍ أَلاَ انزلوا فَعالوا عَلَينا فَضلَ بُردٍ مطنَّبِ(١)
فَفِئْنا إلى بَيت بعلياء مُرْدَحٍ سمَاوته مِنْ أتحميٍّ مُعَصَّبِ
وَأَوتاده عادِيَّة وعِمَاده رُدينية فِيها أَسِنةُ قَعضبِ(٢)
فلما دَخلناه أضَفْنا ظُهورَنا إلى كلِّ حاريٍّ جَدِيدٍ مُشطبِ(٣)
فَظل لَنا يومٌ لذيذٌ بِنعمةٍ فَقِل فى مَقِيلٍ نَحْسُه مُتغيبِ(٤)

وبعده البيت ، وبعده :

نَمشُّ بأعرافِ الجياد أكُفَّنا إذَا نحنُ قُمْنَا عنْ شِواءٍ مُضهَّبِ

وهى طويلة .

قال الأصمعى : الظبي والبقرة إذا كانا حيين فعيونهما كلها سود ، فاذا ماتابدا بياضها ، وإنما شبهها بالجزع وفيه سواد وبياض بعد ما مُوِّتت ، والمراد كثرة الصيد ، يعنى مما أكلناه كثرت العيون عندنا ، كذا فى شرح ديوان امرىء القيس ، وبه يتبين بطلان ما قيل : إن المراد أنها قد طالت مسايرتهم حتى ألفت الوحوش رحالهم وأخبيتهم .

---

(١) فى الأصل «فقالوا علينا» محرفا عما أثبتناه عن الديوان ، ومعنى عالوا رفعوا ، والمطنب : المشدود بالحبال

(٢) فى الديوان « وأوتاده ماذية» والماذية : الدروع ، وهو أنسب بقوله «وعماده ردينية» والردينية : الرماح

(٣) فى الأصل «إلى كل عادى» وما أثبتناه موافق لما فى الديوان ، ولما فى اللسان (ض ى ف) وفيه «قشيب» مكان «جديد»

(٤) هكذا فى الاصول موافقا لما فى الديوان وشروحه وفى البيت الاقواء، وهو عيب وقع فيه بعض فحول الجاهلية .

والشاهد فيه : تحقيق التشبيه فى الايغال ؛ لأنه شبه عيون الوحش بالجزع وهو بفتح الجيم وتكسر الخرز اليمانى الصينى فيه سواد وبياض تشبه به عيون الوحش ، لكنه أتى بقوله « لم يثقب » إيغالا وتحقيقا للتشبيه ، لأن الجزع إذا كان غير مثقوب كان أشبه بالعيون .

وقد اشتمل هذا البيت على نوع من أنواع البديع يسمى التبليغ والتتميم ، ويسمى الايغال أيضاً ، وهو : أن يتم قول الشاعر دون مقطع البيت ويبلغ به القافية ، فيأتى بما يتمم به المعنى ويزيد فى فائدة الكلام ، لأن للقافية محلا من الأسماع والخواطر ، فاعتناء الشاعر بها آكد ، ولا شىء أقبح من بنائها على فضول الكلام الذى لا يفيد .

ومن الشواهد عليه قول ذى الرمة أيضاً [من الطويل] :

قِف الصبر فى أطلاَل ميَّة فأسألِ رُسوما كأخلاقِ الرِّداء . . . .

فتمّ كلامه ، ثم احتاج إلى القافية فقال « المسلسل » فزاده شيئا ثم قال :

أظُنُّ الذى يُجدِى عَليكَ سؤالها دُموعاً كتَبديدِ الُجمانِ . . . .

فتم كلامه ، ثم احتاج إلى القافية فقال « المفصَّلِ » فزاده شيئا

قيل : وكان الرشيد يعجب بقول مسلم بن الوليد [من الطويل] :

إذا ما علت مِنّا ذؤابةَ شاربٍ تَمشَّتْ بهِ مشى الُمقيَّدِ فى الوحلِ

وكان يقول : قاتله الله ! أما كفاه أن يجعله مقيدا حتى جعله فى وحل ؟

ومنه قول ابن الرومى [من المنسرح] :

لها صَرِيحٌ كأنهُ ذَهبٌ وَرغوةٌ كاللآلىء الفلق

فزاد بقوله « الفلق » تمكينا فى التشبيه

ومن أبدع ما وقع فيه لمتأخر قول أبى بكر بن مجير [من مجزوء الكامل] :

وخليفة ابن خليفة ابــن خليفة وَسَتَفْعَلُ

فقوله « وستفعل » تبليغ بديع أفاد به بشارة الممدوح بأن سلسلة الخلافة في عقبه .

وحكى أن بعض الشعراء قال لأبي بكر بن مجير هذا : إني نظمت قصيدة مقصورة الروى ، وأعجزني منها روى بيت واحد ، فما أدرى كيف أتمه ، فقال له أبو بكر : أنشدنيه ، فأنشده قوله [من المتقارب] :

سَليلُ الإمام وصنو الإمام * وعمُّ الإمام ......

فقال له من غير تفكير ولا روية قل * ولا منتهى * فوضعه في قصيدته على ما تممه له ، وكان أمكن قوافيه وأقواها

وللسيد أبي القاسم شارح مقصورة حازم في هذا النوع قوله [من البسيط]:

لم يبرح المجدُ يسمو ذاهباً بهمُ حتى أجاز الثريّا ، وهو ما قنعا

فقوله « وهو ماقنعا » من التبليغ الذى أفاد زيادة في المعنى ظاهرة

* * *

شاهد التذييل ٦٦ — وَلَسْتَ بِمُسْتَبْقٍ أَخاً لاَتَلُمُّهُ عَلَى شَعَثٍ أَيُّ الرِّجَالِ الْمُهَذَّبُ

البيت للنابغة الذبيانيّ ، من قصيدة من الطويل[1] يخاطب بها النعمان ، أوّلها :

أرسماً جديداً من سعاد تجنّبُ عفت روضة الأجداد منها فيثقبُ[2]

---

(١) اقرأ أبياتا منها في الديوان (٥٦) ، والأول والثاني وحدهما فيه (٩٦) والأبيات التي رواها المؤلف هاهنا ليست على نسقها في الديوان ولا هي على نسق ما تقتضيه معانيها من الترتيب

(٢) الأجداد : أرض لبني مرة وأشجع وفزارة ، قال عروة بن الورد :

فلا وألت تلك النفوس ولا أتت على روضة الأجداد وهي جميع

وقال في اللسان : يثقب موضع في البادية .

عفا آيَهُ نسجُ الجنوب مع الصَّبا وأسحمُ دانٍ مزنُه متصوِّبُ(١)

يقول فيها أيضاً :

فلا تتركنّي بالوعيد كأنني إلى الناس مطليٌّ به القارُ أجرب

ألم ترَ أن الله أعطاك سَوْرَةً يُرى كل مَلك دونها يتذبذب

فإنك شمسٌ والملوكُ كواكبٌ إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

و بعده البيت ، و بعده :

فإن يكُ مظلوماً فعبدٌ ظلمتَهُ وإن تكُ ذا عُتْبَى فمثلك يُعتبُ

أتاني أبيتَ اللعنَ أنكَ لمتني وتلك التي أهتم منها وأنصبُ

والشَّعثُ : انتشار الأمر . والمهذَّب : المنقح الفعال المرضى الخصال

والمعنى لا تقدر على استبقاء مودة أخ حال كونك ممن لا تلمه ، ولا تصلحه على تفرق وذميم خصال .

ذكرتُ هنا قول الشاعر ، معارضا للنابغة فى هذا البيت ، وهو [من الطويل] :

ألومُ زياداً فى ركاكة عقله وفى قوله أىُّ الرجال المهذبُ(٢)

وهل يحسنُ التهذيبُ منكَ خلائقاً أرقُّ من الماء الزلال وأطيب

تكلمَ والنعمانُ شمسُ سمائه وكل مليك عند نعمانَ كوكبُ

ولو أبصرتْ عيناه شخصك مرةً لأبصرَ منهُ شمسَهُ وهو غيهبُ

وهذا نوع من البديع ، يسمى التوليد ، وسيأتى الكلام على شىء منه فى الفن الثالث إن شاء الله تعالى .

---

(١) يروى «عفت آيه ريح الجنوب»

(٢) زياد : هو النابغة الذبيانى صاحب البيت الشاهد

والشاهد فيه : التذييل لتأكيد مفهوم ، فصَدْرُ البيت دل بمفهومه على نفى الكامل من الرجال ، وعجزه تأكيد لذلك وتقرير ، لأن الاستفهام فيه إنكارى : أى لا مهذب فى الرجال .

وفى معنىَ البيت قولُ أبى الحسن محمد الموقت المكى [من الطويل] :

إذا المرء لم يبرحْ يمارى صديقهُ ولم يحتمل منه فكيف يعايشُهْ

وأنَّى يدومُ الوُد والعهدُ بينهُ وبين أخ فى كل وقت يناقشهْ

وما أحسن قول مؤيد الدين الطغرائى [من الوافر] :

أخاكَ أخاكَ فهوَ أجلُّ ذُخرٍ إذا نابتْكَ نائبةُ الزمانِ

فإنْ رابَتْ إساءتهُ فهَبْها لما فيه من الشِّيَم الحسانِ

تريد مُهَذّباً لا عيبَ فيـهِ وهلْ عُودٌ يفوحُ بلا دُخانِ

وبديعٌ قولُ ابن الحداد أيضاً [من الكامل] :

واصلْ أخاكَ وإن أتاكَ بمنكر فخلوص شىء قلما يتمكنُ

ولكل حُسْنٍ آفةٌ موجودة إنّ السِّرَاجَ على سناهُ يدخّنُ

وما أحسن قول ابن شرف أيضاً [من البسيط] :

لا تسألِ الناس والأيامَ عن خبر هما يُبثّانِكَ الأخبارَ تفصيلاَ

ولاَ تعاقِبْ على نقص الطباع أخاً فإنّ بدرَ السما لم يُعْطَ تكميلاَ

ومن النفيس قولُ ابن حَمْديس [من مجزوء الكامل] :

أكرمْ صديقكَ عنْ سؤا لكَ عنهُ واحفظ منْهُ ذِمّهْ

فلربما استخبرتَ عَنـــهُ عدوّه فسمعتَ ذَمّهْ

وقول عمر الخراط ، وهو رجل من القيروان [من مجزوء الكامل] :

لا تسألنّ عن الصديـــق وسلْ فؤادكَ عنْ فؤادهْ

فلربما بحثَ السؤا لُ على فسادكَ أو فسادهْ

ولمؤلفه فى معناه [من الرمل] :

استُ عن ود صديقى سائلا غيرَ قلبى فهو يدرى ودّه
فكما أعلم ما عندى له فكذا أعلمُ مالى عندهُ

وما أحسن قول بعضهم [من الكامل] :

عتبى عليكَ مقارنُ العذر قدْ ردّ عنكَ حفيظتى صبرى
فمتى هفوتَ فأنتَ فى سَعَةٍ ومتى جفوتَ فأنتَ فى عذرِ
تركُ العتابِ إذا استحق أخٌ منكَ العتابَ ذريعةُ الهجرِ

وقول بعضهم [من الطويل] :

إذا أنتَ لم تغفر ذنوباً كثيرة تَريبكَ لم يسلم لكَ الدهرَ صاحبُ
ومن لم يغمّضْ عينه عن صديقهِ وعن بعض مافيه يمتْ وهو عاتبُ

وقول أبى الفتح البستى [من المتقارب] :

تحمّلْ أخاكَ على ما بهِ فما فى استقامته مطمعُ
وأنىّ له خُلُقٌ واحد وفيه طبائعه الأربعُ

وما أحسن قول بعضهم [من مجزوء الرمل] :

لا تثقْ من آدمىٍّ فى ودَادٍ بصفاءِ
كيفَ ترْجُو منه صفواً وَهْوَ من طينٍ وماءِ

وهو كقول الآخر [من الوافر] :

ومنْ يكُ أصلهُ ماء وطيناً بعيدٌ من جِبِلّتهِ الصفاه

وما أبدع قول الجمال بن نُباتةَ [من البسيط] :

يامشتكى الهمّ دعهُ وانتظرْ فرَجاً ودارِ وقتكَ من حين إلى حين

ولاَ تعانِدْ إذا أمسيتَ فى كدَرٍ فإنّما أنتَ من ماء ومن طينِ

وللصلاح الصفدىّ فيه أيضا [من الوافر] :

دعِ الاخوانَ إن لم تَلْقَ منهم صفاء واستَعِنْ واستَغْنِ بالله
أليس المرء من ماء وَطين وأىّ صفا لهاتيك الجبِلَّهْ

ومما ينظر إلى معنى البيت المستشهد به قول بعضهم [من الطويل] :

إذا أنتَ لم تترك أخاكَ وزلةً أرادَ لها أوشكتما أن تفرّقا

وقوله أيضاً [من المتقارب] :

صديقَكَ مهما جَنَى غَطِّه ولا تُخْفِ شيئاً إذا أحسنا
وكن كالظلامِ معَ النّار إذ يوارِى الدُّخانَ ويُبْدِى السَّنا

ولمؤلفه [من مجزوء المتقارب] :

أخاكَ اغتفر ذنبه وسامِحْ إذا ما هفَا
وغطِّ على عيبه يَدُمْ منهُ عهدُ الوفا
وإن رُمْتَ تقويمه تجد وُده قد عفا

* * *

٦٧ — فَسَقَى ديارَكِ غيرَ مُفْسِدِهَا صَوْبُ الربيعِ وديمةٌ تَهْمِى

شاهد التكميل

البيت لطَرَفَةَ بن العبد ، من قصيدة من الكامل يمدح بها قتادة بن مسلمة الحنفى (١) وكان قد أصاب قومه سنة فأتوه فبذل لهم ، وأولها :

إن امرأً سَرِفَ الفؤادِ يرى عَسَلاً بماء سحابة شَتْمِى

(١) فى الأصول «قتادة بن سلمة» وما أثبتناه موافق لما فى الديوان ٦١

وأنا امرؤ أكوى من القصر الـ بادى وأغشى الدُّهْمَ بالدهم [١]

وأصيبُ شاكلة الرَّمية إذ صدّت بصفحتها عن السهم

وأجيز ذا الكفل القناة على أنسائه فيظل يستدمى

وتصد عنك مخيلة الرَّجل الـ ـعريض موضحة عن العظم

بحسام سيفك أو لسانك والـ كلِمُ الأصيلُ كأرغب الكَلْم

أبلغ قتادةَ غيرَ سائله منى الثوابَ وعاجلَ الشكم [٢]

إنى حمدتكَ للعشيرة إذ جاءت إليك مُرِقّة العظم

ألقوا إليك بكل أرملة شعثاء تحمل منقع البرم [٣]

وفتحتَ بابكَ للمكارم حيـ ـنَ تواصتِ الأبوابُ بالأزم

وبعده البيت [٤] وهو آخرها .

وصوب الربيع : نزول المطر ووقعه فى الربيع . والديمة : مطر يدوم فى سكون بلا رعد ولا برق أو يدوم خمسة أيام أو ستة أو سبعة أو يدوم يوماً وليلة أو أقله ثلث النهار أو الليل وأكثره ما بلغت ، وجمعها دِيَم ودُيُوم . ومعنى تهمى : تسيل .

والشاهد فيه : التكميل ، ويسمى الاحتراس أيضا ، وهو : أن يؤتى فى كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفعه ، وهو هنا قوله « غير مفسدها » فإن نزول المطر قد يكون سبباً لخراب الدنيا وفسادها ، فدفع ذلك بتوسط قوله « غير مفسدها » .

---

(١) فى الأصول « وأنا امرؤ ألوى » محرفا ، وما أثبتناه موافق لما فى الديوان

(٢) فى الأصول « منه الثواب »

(٣) فى الأصول « مقنع البرم » وما أثبتناه موافق لما فى الديوان

(٤) فى الديوان بيت بينهما ـ ولم يروه الأعلم ـ وهو :

وأهنت إذ قدموا التلاد لهم وكذلك يفعل مبتغى النعم

وفى معنى البيت قول جرير [من الكامل] :

فَسقاكِ حيثُ حلَلْتِ غير فَقيدةٍ هَزَجُ الرياح وديمةٌ لا تُقلِعُ

ومن الاحتراس قول زهير بن أبى سلمى [من البسيط] :

من يَلْقَ يوماً على علّاته هرِماً يلق السماحةَ منهُ والندى خُلُقا

وقول امرىء القيس أيضاً [من الطويل] :

على هَيكلٍ يُعطيك قبلَ سؤالهِ أفانينَ جرىٍ غير كزٍّ ولا وانى

وقول نافع بن خليفة الغنوى [من الطويل] :

رجالٌ إذا لم يُقبلِ الحق منهُمُ ويُعطوهُ عادوا بالسُّيوفِ القواضبِ

ومثله قول عنترة العبسى [من الكامل] :

أثنى علىَّ بما علمت فاننى سَهلٌ مُخالَقتى إذا لم أُظلَم

وقول الآخر [من الوافر] :

فانى إن أفُتْكَ يفُتْك منى فلا تُسْبَقْ به عِلْقٌ نَفيس

ومن مليح الاحتراس قول الرّمادى فى وصف فرس [من الكامل] :

قامَتْ قوائمُه لنا بطَعامنا غضاً وقام العُرْفُ بالمنديلِ

فقوله « غضا » احتراس عجيب ، إذ لو لم يذكر لتُوُهم أنهم ينقلون عليه أزوادهم .

ترجمة طرفة بن العبد

وطرفة بن العبد[1] : هو ابن سفيان بن سعد بن مالك بن عباد بن صعصعة ابن قيس بن ثعلبة ، ويقال : إن اسمه عمرو ، وسمى طرفة بسبب بيت قاله ،

---

(١) لطرفة ترجمة فى الشعراء لابن قتيبة (٨٨) وفى خزانة الأدب للبغدادى (١ – ٤١٢)

وأمه وردة من رهط أبيه ، وفيها يقول لأخوالها وقد ظلموها حقها [من الكامل] :

ما تنظرون بحقّ وردَةَ فيكُمُ صَغُرَ البنونَ ورهط وردة غُيَّبُ

وكان أحدث الشعراء سنا وأقلهم عمراً ، قتل وهو ابن عشرين سنة ، فيقال له : ابن العشرين ، وقيل : قتل وهو ابن ست وعشرين سنة ، و إلى ذلك تشير أخته حيث قالت ترثيه [من الطويل] :

عدَدْنا له سِتا وعشرينَ حجةً فلما توَفَّاها استوَى سيِّداً ضخْمَا

فُجِعنا به لما رَجونا إيابَهُ على خير حالٍ لا وليداً ولا قَحْما

وكان السبب فى قتله أنه كان ينادم عمرو بن هند فأشرفت ذات يوم أختهُ فرأى طرفة ظلها فى الجام الذى فى يده فقال [من الهزج] :

ألا يا أبى لىَ الظبيُ الـ ـذى يبرُقُ شنفَاهُ (١)

ولولا الملكُ القاعـ ـدُ قد ألثَمَنى فاهُ

فحقد عليه ، وكان قد قال أيضاً قبل ذلك [من الوافر] :

وليتَ لنـا مكانَ الملكِ عَمْرٍو رَغوثاً حول قُبّتنـا تخُورُ (٢)

لعَمرُكَ إن قابوسَ بن هنـدٍ ليَخلطُ ملكَهُ نوكٌ كـثير

وقابوس هذا هو أخو عمرو بن هند ، وكان فيه لين ، و يسمى قينة الفرس (٣) فكتب له عمرو بن هند إلى الربيع بن حوثرة عامله على البحرين كتاباً أوهمه فيه أنه أمر له بجائزة ، وكتب للمتلمس بمثل ذلك ، فأما المتلمس ففك كتابه ،

---

(١) فى الشعراء لابن قتيبة «ألا يا بأبى الظبي»

(٢) فى الأصول « تدور » موافقا لما فى نسخة من الشعراء، وما أثبتناه موافق لما فى الديوان ٦ وما فى الشعر لابن قتيبة ٨٩

(٣) فى الشعراء لابن قتيبة «قينة العرس» وهو الصواب

وعرف ما فيه فنجا، كما سيأتى فى خبره، وأما طرفة فمضى بالكتاب، فأخذه الربيع فسقاه الخمر حتى أثمله، ثم فصد أكحله، فقبره بالبحرين. وكان لطرفة أخ يقال له معبد فطالب بديته فأخذها من الحوائر.

قال أبو عبيدة: مر لبيد بمجلس لنَهْدٍ بالكوفة، وهو يتوكأ على عصا، فلما جاوز أمروا فتًى منهم أن يلحقه فيسأله: مَنْ أشعر العرب؟ ففعل، فقال له لبيد: الملك الضليل — يعنى امرأ القيس — فرجع فأخبرهم، فقالوا له: ألا سألته ثم مَنْ، فرجع فسأله، فقال له: ابن العشرين — يعنى طرفة — فلما رجع قالوا: ليتك سألته ثم من، فرجع فقال: صاحب المِحْجَن - يعنى نفسه - قال أبو عبيدة: طرفة أجودهم، وأجده لا يلحق بالبحور، يعنى امرأ القيس وزهيرا والنابغة، ولكنه يوضع مع أصحابه الحارث بن حلزة وعمرو بن كلثوم وسُوَيد بن أبى كاهل.

ومن شعر طرفة وهو صبى[1] قوله [من الطويل]:

فَلولاَ ثلاَثٌ هنَّ منْ عِيشةِ الفتى ... وَجدِّكَ لم أحفلْ مَتى قامَ عُوَّدِي

فمنهنَّ سَبقى العاذلاتِ بشَرْبةٍ ... كُمَيتٍ مَتى ما تُعلَ بالماء تزبدِ

وَكرِّى إذَا نادَى المُضافُ مُحنبا ... كَسِيدِ الغضا نَبهتهُ المُتوردِ

وَتقصيرُ يَوْمِ الدَّجنِ والدَّجنُ مُعجبٌ ... ببهكنَةٍ تحتَ الخِباء المُعمَّدِ

وقد أخذه عبد الله بن نهيك بن إساف الأنصارى فقال[2] [من الطويل]

ولولا ثلاثٌ هنَّ منْ عيشةِ الفتى ... وجدكَ لم أحفلْ متى قامَ رامسُ

فمنهنَّ سبقى العاذلات بشرْبةٍ ... كأن أخاها مطلعَ الشمس ناعسُ

ومنهنَّ تجريد الكواعب كالدُّمى ... إذا ابتُزَّ عن أكفالهنَّ الملابسُ

(١) هى أبيات من قصيدته المعلقة

(٢) الأبيات فى الشعراء ٩٣

ومنهن تقريطُ الجواد عِنانهُ إذا استبقَ الشخصَ القويُّ الفوارسُ(١)

وقد ناقض عبد الحميد بن أبى الحديد البغدادى أبيات طرفة السابقة فقال [من السريع] :

لولا ثلاث لم أخفْ صرعتى ليستْ كما قال فتى العبدِ

أن أنصُرَ التوحيدَ والعدلَ فى كل مكانٍ باذلاً جهدِى

وأنْ أناجى اللهَ مُستمتعاً بخلوةٍ أحلى من الشهدِ

وأنْ أتيهَ الدهرَ كِبراً على كلِّ لئيم أصعرِ الخدِّ

لذاكَ أهوَى لا فتاةٍ ولا خمرٍ ولا ذِى مَيعةٍ نهدِ

ومما سَبق إليه أيضا ، وكان يتمثل به النبي صلى الله عليه وسلم قوله (٢) [من الطويل] :

ستبدِى لكَ الأيامُ ما كنتَ جاهلاً ويأتيكَ بالأخبارِ منْ لم تُزود

وقال غيره(٣) [من الطويل] :

ويأتيكَ بالأخبارِ منْ لم تَبعْ لهُ بتاتاً ولم تضربْ لَهُ وقتَ موعدِ

ومما يستجاد من قصيدته التى منها البيت السابق على هذا (٤) قوله [من الطويل] :

ألا أيُّهاذا الزَّاجرى أحضرَ الوغى وأنْ أشهدَ اللَّذَّات هلْ أنتَ مُخلدِى

---

(١) فى الشعراء « إذا استبق الشخص الخفى الفوارس »

(٢) هو من قصيدته المعلقة أيضا

(٣) ليس هذا البيت لغير طرفة ، بل هو له نفسه ، بل هو تال للبيت الذى ذكره قبله

(٤) هذه الأبيات أيضا من قصيدته المعلقة

فإن كنتَ لا تستطيعُ دفعَ مَنيتى فدرنى أبادِرْها بما ملكتْ يدِى

أرَى قبرَ نحَّام بخيلٍ بمالهِ كقبرِ غوىّ فى البطالةِ مُفسدِ

أرَى العيشَ كنزاً ناقصاً كلَّ ليلةٍ وما تنقصُ الأيامُ والدَّهرُ ينفدِ

لعموكَ إنّ الموتَ ما أخطأ الفتى لكالطِّوَلِ المُرْخَى وثِنْيَاهُ باليدِ

ومما يعاب من شعره قوله يمدح قوما [من الرمل] :

أسدُ غيل فإذا ما شربوا وَهبوا كلَّ أمونٍ وطمرّ

ثمّ راحوا عَبَقُ المسكِ بهم يُلحفونَ الأرضَ أهدابَ الأزُرْ(١)

ذكر أنهم يُعطون إذا سكروا ، ولم يشترط ذلك فى صحوهم كما قال عنترة [من الكامل] :

وإذا شربتُ فإننى مُستهلكٌ مالى وعِرضى وافرٌ لم يكلم

وإذاصحوتُ فماأقصرُعنْ ندًى وكما علمت شمائلى وتكرمى

قالوا : والجيد هو قول زهير بن أبى سلمى [من الطويل] :

أخو ثقةٍ لاَ يُتْلِفُ الخمرُ مالَهُ ولكنهُ قدْ يتلفُ المالَ نائلهْ

وقال بعض المحدثين [من الطويل] :

فتى لا يلوكُ الخمرُ شحمةَ مالهُ ولكنْ عطاياهُ ندًى وبوادِ

وما ألطف قول ابن حَمْدِيس فى معنى قول عنترة [من الطويل] :

يعيدُ عطايا سكرهِ عندَ صحوهِ ليُعلم أنّ الجودَ منهُ على علم

ويسلم فى الإنعام مِنْ قول قائل تكرمَ لما خامرتهُ ابنةُ الكرم

---

(١) فى الديوان « هداب الأزر »

شاهد الاعتراض

٦٨ — إنّ الثمانينَ وبُلِّغْتَها قد أحوَجَتْ سمعي إلى تَرْجُمانْ

البيت لعَوْف بن مُحَلِّم الشيبانى ، من قصيدة من السريع(١) ، قالها لعبد الله بن طاهر ، وكان قد دخل عليه فسلم [عليه عبد الله] (٢) فلم يسمع ، فأعلم بذلك ، فدنا منه ، ثم ارتجل هذه القصيدة ، وأولها :

يا ابنَ الذى دانَ له المشرقانْ طرًّا وقدْ دانَ له المغربانْ

و بعده البيت ، و بعده :

و بدَّلتنى بالشَّطاط انحنا وكنتُ كالصَّعدة تحت السِّنانْ (٣)

وعوَّضتنى منْ زماع الفتى وهمتى همَّ الجبان الْهِدَنْ (٤)

وقارَبتْ منى خُطاً لم تكن مقاربات وثنتْ منْ عنانْ

وأنشأتْ بيني و بين الوَرَى سحابةً لَيستْ كنسج العنان (٥)

ولم تدعْ فىَّ لِمُستمتعٍ إلاَّ لسانى وبحسبى لِسان

أدْعو بهِ الله وأُثنى بهِ على الأمير المُصعَبِىِّ الهجان (٦)

---

(١) اقرأها — ما عدا تاسعها والبيتين الآخيرين — فى أمالى أبى على القالى (١ — ٥٠)

(٢) زيادة عن الأمالى يتضح بها المراد

(٣) الشطاط — بزنة السحاب — الاعتدال وحسن القوام ، والصعدة — بفتح الصاد وسكون العين — القناة المستوية التى تنبت كذلك فلا تحتاج إلى تثقيف

(٤) فى الأمالى « و بدلتنى من زماع الفتى » والزماع : المضاء فى الأمر والعزم ، عليه ، والهدان — بزنة الكتاب — الجافى الأحمق

(٥) فى الأمالى « عنانة من غير نسج العنان » والعنان : مثل السحاب وزنا ومعنى ، واحده عنانة كسحابة

(٦) الهجان — بكسر الهاء — الكريم

وهِمتُ بالأوطان وجداً بها ... وبالغوانِي ، أينَ مِنى الغوان؟
فقربانى ، بأبى أنتما ! ... مِنْ وطنى قبلَ اصفرار البنان
وقبلَ منْمایَ إلى نسوةٍ ... مَسكنُها حرَّان والرَّقتان(١)
سقى قُصورَ الشاذياخ الحيا ... منْ بعدِ عهدِى وقصورَ الميان
فكم وكم منْ دَعوةٍ لى بها ... أنْ تتخطاها صُروفُ الزَّمان

و « الترجمان » يقال بضم تائه وجيمه ، وفتحهما ، وفتح التاء وضم الجيم ، وهو المفسر للسان ، يقال : ترجمه ، وعنه ، والفعل يدل على أصالة التاء .

ولقد أجاد الغزى فى تضمينه صدر البيت بقوله [من السريع] :

طُولُ حياةٍ مالها طائلٌ ... تُغصُ عندِى كلَّ ما يُشتهى
أصبحتُ مثلَ الطِّفلِ فى ضعفهِ ... تشابهَ المبدأُ والمُنتهى
فلاَ تَلُمْ سَمعى إذا خاننى ... إنَّ الثمانينَ وبُلغتَها

ولطيف قول الشهاب المنصورى رحمه الله [من السريع] :

نحو ثمانينَ منَ العمر قدْ ... قَطعْتُها مثلَ عقود الجمانْ
ما أحوجتْ يوماً يمينى إلى ... عصاً ولاسَمْعى إلى ترجمان

والشاهد فيه : الاعتراض ، ويسمى : الالتفات(٢) ، وهو : أن يؤتى فى أثناء الكلام ، أو بين كلامين متصلين معنى ، بجملة أو أكثر لا محل لها من الاعراب ، لنكتة سوى دفع الايهام ، وهو هنا الدعاء فى قوله « و بلغتها » لأنها جملة معترضة بين اسم إنَّ وخبرها ، والواو فيه اعتراضية : ليست عاطفة ، ولا حالية .

---

(١) فى الأغانى « أوطانها حران والرقتان »
(٢) انظر كتاب العمدة لابن رشيق (٢ - ٤٢ بتحقيقنا)

ومن الاعتراض أيضا قول كثير عزة [من الكامل] :

ولوآنّ عزة حاكَمَتْ شمسَ الضحى   فى الحسن عندَ موفَّقٍ لقضى لها

وهو معترض ، إذ لا بد فيه من ذكر موفَّق، لأنه لا يتم المعنى بدونه ،

ومنه قول كثير أيضا [من الوافر] :

لوَ انّ الباخلينَ وأنتِ منهمْ   رَأوكِ تعلَّموا منكِ المِطالاَ

ومن مليح ما سمع فيه قول نُصَيب ، وكان أسود [من الطويل] :

فكدتُ ولم أُخلَقْ من الطيرِ إن بدَا   سنًا بارق نحو الحجاز أطير[1]

يروى أن التى قيل فيها هذا البيت لما سمعته تنفست نفسا شديداً ، فصاح ابن أبى عتيق : أوَّهْ ، قد والله أجابته بأحسن من شعره ، والله لو سمعك لنعق وطار ، فجعله غرابا لسواده .

ومن المستحسن فيه أيضا قول العباس بن الأحنف [من المنسرح] :

قدْ كنتُ أبكى وأنتِ راضية   حِذَارَ هذا الصدود والغضبِ

إن تمَّ ذا الهجرُ يا ظلومُ ولا   تمَّ فمالى فى العيش من أربِ

وما أحسن قول أبى الفتح البستى [من الوافر] :

أرَاحَ الله قلبى من زَمان   محَتْ يدهُ سرورى بالاساءهْ

فإنْ حَمِدَ الكريمُ صباح يوم   وأنى ذاكَ لم يحمَدْ مساءهْ

والمتأخرون يسمون هذا الاعتراض حشو اللوزينج ، وما أبدع قول ابن الساعاتى فيه [من الرمل] :

---

(١) روى ابن رشيق هذا البيت هكذا :

وددت ـ ولم أخلق من الطير ـ أننى   أعار جناحي طائر فأطير

وحكى معه نفس القصة التى حكاها المؤلف

حالَ من دونكِ ياأخت الـكِلَلْ مُقَلُ الحىّ وفُرْسان الأَسَلْ
ومواضٍ مُرْهَفَاتٌ فتـكتْ بى وحاشاكِ ولا مثل الـكَحَلْ

وقول أبى الحسين الجزار [من الطويل] :

ويهتز للجَدْوَى إذا ما مدحتهُ كما اهتز،حاشا وصفه،شاربُ الخمر

وقد أخذه من ابن الساعاتى فانه قال [من البسيط] :

يهزُّهُ المدح هز الجود سائلَه أولا وحاشاهُ هزَّ الشارب الثَّمِلِ

وما أحسن قول الفقيه عمارة اليمنى [من الطويل] :

لهُ راحةٌ ينهلُ جوداً بنانُها وَوَجهٌ إذا قابلتَه يتهلَّلُ
يرَى الحق للزوار حتى كأنهُ عليهم وحاشا قدره يتطفلُ

والـكل أخـذوا لفظة حاشـا منْ أبى الطيب المتنبى حيث يقول [من الطويل] :

ويحتقرُ الدنيا احتقارَ مجرِّبٍ يرَى كل ما فيها وحاشاه فانيًا

وما أحسن أيضا قوله فيه [من الـكامل] :

وخُفُوقُ قلبٍ لو رأيتَ لهيبهُ يا جنتى لَوَجَدْتَ فيه جهنما

وللقاضى مهذب الدين الغسانى [من الطويل] :

ومالى إلى ماءٍ سوى النيل غلةٌ ولو أنه أستغفر الله زمزمُ

و بديع قولُ أبى الوليد محمد بن يحيى بن حرم [من الطويل] :

أتجزع من دمعى وأنتَ أسلتهُ ومن نار أحشائى ومنك لهيبها
وتزعمُ أنَّ النفسَ غيرَكَ علِّقَتْ وأنتَ ولا منٌّ عليكَ حَبيبهَا

ومن الحشو الذى زاد حلاوة قول الجمال بن نُبَاتة [من البسيط] :

لوْ ذُقتَ بَرْدَ رُضاب من مُقَبِّلِهِ يا حارِ ما لمتَ أعطافى التى ثملتْ

وقول السراج الوراق [من الرمل] :

إنَّ عينى وهى عُضْو دَنِفٌ ما على ما كابدَتْهُ جلدُ
ما كفاها بُعدُها عنك إلى أن دَهاهَا ، وكُفيتَ ، الرمدُ

وما أحسن قول ابن اللبَّانة فى ناصر الدولة صاحب ميورقة [من الكامل] :

وغمرْتَ بالاحسان أهل ميورقة وبنيتَ فيها ما بنى الاسكندر
فكأنها بغدادُ أنتَ رَشيدهَا ووزيرها ، وله السلامة ، جعفرُ

قوله « وله السلامة » من أملح الحشو وأحلاه ، قالوا : وهو أملح وأوضح من قول المتنبى « ويحتقر الدنيا — البيتَ المار » .

ومن المضحك فيه قول الجزار [من الطويل] :

لئنْ قطعَ الغيثُ الطريقَ فبغلتى وحاشاكَ قبقابى وجوختَى الدارُ
وإن قيلَ لى لا تخشَ فهوعبورة خشيتُ على علمى بأنىَ جزارُ

أبيات فى معنى رقة الحال

وما ألطف قوله فى معنى « رقة الحال » وإنْ لم يكن من هذا الباب [من الخفيف] :

لى منَ الشمسِ حلة صفراء لا أبالى إذا أتانى الشتاء
ومنَ الزمْهريرِ إن حدثَ الغيـ ـمُ ثيابى وطيلسانى الهواء
بيتىَ الأرضُ والفضافيهِ سورٌ لى مدار وسقفُ بيتى السماء
شَنَّعَ الناسُ أننى جاهلىٌّ ثانوىّ وما لهم أهواء
أخذُونى بظاهرِى إذ رأونى عبدَ شمس تسوءنى الظلماء

وما ألطف قول البهاء زهير فى هذا المعنى [من الخفيف] :

أدركونى فبى منَ البردِ همّ ليسَ يُنْسَى وفى حشاى التهابُ
كلما ازرقَ لونُ جسمى منَ البرْ دِ تخيَّلْتُ أنه سِنجابُ

عود إلى الاعتراض

رجع إلى الاعتراض .

ومنه قول أبي محمد المنيطرانيّ ، وكتب به إلى صديق له رأى عنده غلاماً استخدمه [من المنسرح] :

رأيتُ ظبيا يطوف في حرَمكْ أغرَّ مستأنسا إلى كرَمكْ
أطمعني فيهِ أنهُ رَشأ يرشى ليخشى وليس من خدمك
فاشغَلْهُ بي ساعة إذا فرغَتْ دوَاتهُ إن رَأيت من قلمكْ

ومن بديعه مع الرقة والانسجام قولُ رُيسم بن شادلويه صاحب أذربيجان [من الوافر] :

سُعادُ تسبُّني ذُكِرَت بخير وتزعُم أنني مَلِقٌ خَبيثُ
وأن موَدَّتي كذبٌ ومَيْن وأني بالذى أهوى بَثُوثُ
ولَيسَ كذا ولا ردٌّ عليها ولكنَّ الملولَ هو النكوثُ (١)
رأت شغَفي بها ونحولَ جسمى فصدَّت ، هكذا كان الحديثُ

وما ألطف قول البهاء زهير يهجو [من الوافر] :

صديقٌ لى سأذكرُهُ بخيرٍ وإن عرَّفتُ باطنهُ الخبيثا
وحاشا السامعينَ يُقالُ عنهم وبالله اكتموا هذا الحديثا

وبالغ ابن الساعاتي بقوله [من الطويل] :

تودُّ نجوم الليل لو نَصلَت بها وإن لقِيَتْ بُؤساً ذوابلُ مُلدِهِ
ولو تملكُ الحكمَ الأهلَّةُ لم تكن ويا فخرها إلا نعالاً لجردِهِ

---

(١) فى ب « ولكن الملوك هم النكوث » محرفا

ترجمة عوف بن محلم الخزاعى

وعوف [1] بن محلم الخزاعى أبو المنهال [2] : هو أحد العلماء الأدباء ، الرواة الفهماء الندماء الظرفاء الشعراء الفصحاء . وكان صاحب نوادر وأخبار ومعرفة بأيام الناس ، واختصه طاهر بن الحسين بن مصعب لمنادمته ومسامرته ، فلا يسافر إلا وهو معه فيكون زميله وعَديله و يعجب به . وقال محمد بن داود : إن سبب اتصاله بطاهر أنه نادى على الجسر بهذه الأبيات أيام الفتنة ببغداد وطاهرٌ منصرف فى حرَّاقة له بدجلة ، فأدخله معه ، وأنشده إياها ، وهى [من المتقارب] :

عجبتُ لحرَّاقةَ ابن الحسَيـ ... ـن كيفَ تَعومُ ولا تغرقُ

وبحرانِ من تحتها واحدٌ ... وآخرُ من فوقها مُطْبَقُ

وأعجَبُ من ذاكَ عيدانُها ... وقد مَسَّها كيف لا تورِقُ

وأصله من حران ، و بقى مع طاهر ثلاثين سنة لايفارقه ، وكلما استأذنه فى الانصراف إلى أهله ووطنه لا يأذن له ، فلما مات ظن أنه تخلص وأنه يلحق بأهله ، فقربه عبد الله بن طاهر وأنزله منزلته من أبيه ، وأفضَلَ عليه حتى كثر ماله وحسنت حاله ، وتلطف بجهده أن يأذن له فى العَوْد إلى أهله ، فاتفق أنه خرج عبد الله من بغداد إلى خراسان ، فجعل عوفا عديله ، فلما شارف الرى سمع صوت عندليب يغرد أحسن تغريد ، فأعجب ذلك عبد الله ، والتفت إلى عوف وقال : يا ابن محلم ، هل سمعت بأشْجَى من هذا ؟ فقال : لا والله ، فقال عبد الله : قاتل الله أبا كبير حيث يقول [3] [من الطويل] :

ألا يا حَمَامَ الأيكِ إلفُكَ حاضِرٌ ... وغُصنـكَ ميَّاد ففيمَ تَنوحُ

---

(١) لعوف بن محلم ترجمة فى فوات الوفيات (٢ ــ ١٤٩) وعنها نقل

(٢) فى ب «أبو المناهل»

(٣) نسب أبو على في الأمالى (١ ــ ١٣٣) هذه الأبيات الثلاثة إلى عوف ابن محلم رواية عن المبرد ، ولعل سر ذلك هذه القصة التى حكاها المؤلف هنا

أفى لا تنح من غير بين فإننى بكيت زماناً والفؤاد صحيح
ولوعاً فشطت غربة دار زينب فها أنا أبكى والفؤاد قريح

فقال عوف : أحسن والله وأجاد أبو كبير ، إنه كان فى الهذليين مائة وثلاثون شاعراً ما فيهم إلا مفلق ، وما كان فيهم مثل أبى كبير ، وأخذ يصفه ، فقال له عبد الله : أقسمت عليك إلا أجزت قوله ، فقال له : قد كبر سنى ، وفنى ذهنى وأنكرت كل ما كنت أعرفه ، فقال عبد الله : بحق طاهر إلا فعلت ، فابتدر عوف فقال [من الطويل] :

أفى كل عام غربة ونزوح أما للنوى من ونية فتريح
لقد طلح البين المشت ركائبى فهل أرين البين وهو طليح
وأرقنى بالرى نوح حمامة فنحت وذو اللب الغريب ينوح
على أنها ناحت ولم تذر دمعة ونحت وأسراب الدموع سفوح
وناحت وفرخاها بحيث تراهما ومن دون أفراخى مهامه فيح
ألا يا حمام الأيك إلفك حاضر وغصنك مياد ففيم تنوح
عسى جود عبد الله أن يعكس النوى فتلقى عصا التطواف وهى طريح
فإن الغنى يدنى الفتى من صديقه وعدم الفتى بالمغرب بين طروح

فاستعبر عبد الله ورق له ، وجرت دموعه ، وقال : والله إننى لضنين بمفارقتك شحيح على الفائت من محاضرتك ، ولكن والله لا أعملت معى خفاً ولا حافراً إلا راجعاً إلى أهلك ، وأمر له بثلاثين ألف درهم ، فقال عوف الأبيات المشهورة وسار راجعاً إلى أهله فلم يصل إليهم ومات فى حدود العشرين والمائتين .

ومن شعره رحمه الله تعالى قوله [من الوافر] :

وكنت إذا صحبت رجال قوم صحبتهم ونيتى الوفاء

فأحسنُ حين يحسنُ محسنوهم وأجتنب الاساءةَ إن أساءوا
وأبصر ما يريبُهُم بعينٍ عليها من عُيوبِهمُ غِطاء

ومنه قوله [من مجزوء الكامل] :

وصَغيرَةٍ عُلِّقتُها كانت من الفِتَنِ الكِبارِ
بلْهاء لم تَعرف لغرٍّ تها اليمينَ من اليسارِ
كالبدرِ إلاَّ أنها تبقى على ضوءِ النهار

* * *

من شواهد الاعتراض

٦٩ — واعلَمْ فَعلمُ المرْءِ ينفَعَهُ أن سَوْفَ يأتى كلِ ما قُدِرا

البيت من السريع ، وأنشده أبو على الفارسى ، ولم يعزه إلى أحد .

و « أن » هنا مخففة من الثقيلة ، وضمير الشأن محذوف ، يعنى أن المقدور آتٍ لا محالة و إن وقع فيه تأخير . وفى هذا تسلية وتسهيل للأمر .

والشاهد فيه : الاعتراض بالتنبيه ، وهو قوله « فعلم المرء ينفعه » وهو جملة معترضة بين « اعلم » ومعموليه ، والفاء اعتراضية وفيها شائبة من السببية .

* * *

شاهد الايجاز

٧٠ — * يَصُدُّ عن الدنيا إذا عَنّ سؤدد *

هو من الطويل ، وتمامه :

* ولو برزَتْ فى زِىِّ عذراءَ ناهِدِ *

وقائله أبو تمام من قصيدة [١] يمدح بها أبا الحسين محمد بن الهيثم ، أولها :

قفوا جدِّدوا من عهدكم بالمعاهدِ و إن هى لم تَسمع لِنِشدان ناشِدِ [٢]

---

(١) ارجع إليها في الديوان (١١٦)

(٢) في الأصول «وإن لم تكن تسمع» ولا يستقيم عربية ، وما أثبتناه موافق لما فى الديوان

لقد أطرق الربع المحيلُ لفقدهم وبينهم إطراقَ ثكلان فاقد
وأبقَوْا لضيف الشوقِ منّيَ بعدهم قرى من جوًى سارٍ وطيفٍ معاود(١)
سقته ذعافا عادة الدهر فيهمُ وسم الليالى فوق سم الأساود(٢)
به علة صماء للبين لم تُصِخْ لبرءٍ ولم توجِبْ عيادةَ عائد
وفى الكِلَّةِ الورديّةِ اللون جؤذر من العينِ وردى الخدود المجاسد(٣)
رمته بخلف بعد ما عاش حقبةً له رَسَفَانٌ فى قيود المواعد(٤)
غدَتْ مُغْتَدَى الغضبى وأوصت خيالها بهجران نِضْوِ العيس نِضْوِ الخرائد(٥)
وقالتْ نكاحُ الحب يفسد شكلهُ وكم نكحوا حباً وليسَ بفاسد

وهى طويلة ، يقول فى مديحها :

---

(١) فى الديوان «لضيف الحزن»

(٢) فى الأصول «سقته ذعافا غارة الدهر» محرفا ، وما أثبتناه موافق لما فى الديوان ، والذعاف : السم السريع القتل ، وأراد بعادة الدهر الرحلة والافتراق وألا يجتمع شمله بشمل أحبابه

(٣) فى الديوان « ورد اللون ورد المجاسد » والكلة ــ بكسر الكاف ــ الستر الرقيق ، والجؤذر : ولد البقرة الوحشية ، والعين ــ بكسر العين ــ جمع أعين أو عيناء وهى الواسعة العين ، ويراد بها بقر الوحش ، والمجاسد : الثياب المزعفرة

(٤) أراد بالخلف خلف الوعد بالوصال ، والحقبة : المدة من الزمان ، والرسفان ــ بفتحتين ــ مشى المقيد

(٥) فى الأصول «بحران نضو العيش» محرفا ، فى عدة مواضع ، وما أثبتناه موافق لما فى الديوان ، والنضو ــ بكسر النون وسكون الضاد ــ المهزول ، والعيس : جمع أعيس أو عيساء ، وأراد بها النوق ، وأراد بنضو العيس الذى أهزله طول السفر ، والخرائد : جمع خريدة ، وهي فى الأصل اللؤلؤة التى لم تثقب ، وأراد بها الفتيات الأبكار

هُم حسدوه لا مَلُومِينَ مجدَهُ وماحاسدٌ فى المكرُمَات بحاسدِ
قرَانى اللُّهى والوُدَّ حتى كأنما أفادَ الغنى من نائلى وفوائدى(١)
فأصبحتُ يلقانى الزمانُ منَ آجلهِ بإعظام مولود وإشفاق والدِ(٢)

وبعده البيت، وبعده :

إذا المرء لم يزهدْ وَقد صُبِغَتْ له بعصفرِها الدنيا فليس بزاهد(٣)
فوَا كَبِدِى الحرَّى ووا كَبِدَ النوَى لأيامهِ لو كنَّ غيرَ بوائدِ
وَهيهاتَ ما ريبُ الزمانِ بمخْلِدٍ غريباً ولا ريبُ الزمان بخالد

والزىّ — بكسر الزاى — الهيئة . والعذراء : البكر . والناهد : التى نهد ثديها ، أى ارتفع .

والشاهد فيه : وصفه بالايجاز بالنسبة إلى كلام آخر مساوله فى أصل المعنى ، وَهو البيت الآتى بعده ، وهو « إذا المرء لم يزهد ـ إلخ» .

* * *

٧١ — ولستُ بمَيَّالٍ إلى جانبِ الغنىَ إذا كانت العَلْيَاء فى جانب الفقرِ شاهد الاطناب

البيت من الطويل ، وهكذا رويته ، و إن كان فى التلخيص بلفظ « نظار » بدل « ميال » . وقائله المعذَّل بن غيلانَ أبو عبد الصمد ، أحد الشاعرين المشهورين ، روى ذلك عنه الأخفش عن المبرد ، ومحمد بن خلف المرزبان عن الربعى(٤) ، و بعد البيت :

---

(١) قرانى : أصله من القرى وهو ما يقدم للضيفان ، وأراد منحنى وأعطانى ، واللهى ـ بضم اللام ـ العطايا

(٢) فى الديوان «يلقانى الزمان لأجله»

(٣) فى الديوان «بزبرجها الدنيا»

(٤) ذكر ذلك كله وأنشد البيتين أبو الفرج فى الأغانى (١٢ ـ ٥٧)

وإنى لَصبَّارٌ على ما ينوبنى وَحسبكَ أن الله أثنى على الصبر

ورواه صاحب الدرّ الفريد ، لأبى سعيد المخزومى ، يخاطب به امرأته ، وأول الأبيات :

ثِقِى بجميل الصبرِ منى على الهُجْرِ ولا تثقى بالصبر منى على الْهَجْرِ

وأراد بالغنى مُسَبَّبه ، أعنى الراحة ، وبالفقر المحنة ، يعنى أن السيادة مع التعب والمشقة أحبُّ إليه من الراحة والدَّعَة بدونها .

والشاهد فيه : وصفه بالإطناب بالنسبة إلى مصراع أبى تمام ، لأنه مساوٍ له فى أصل المعنى مع قلة حروفه .

ومثل ذلك قول الشمَّاخ [من الوافر] :

إذَا مارايةٌ رُفِعَتْ لمجدٍ تلقَّاهَا عَرَابةُ باليمينِ

وقول بشر بن أبى خازم [من الوافر] :

إذا ما المكرماتُ رُفعن يوماً وقصَّرَ مُبْتَغُوها عن مَداهَا

وَضاقَتْ أذرُعُ الْمُثْرِينَ فيها سما أوسٌ إليها فاحتواهَا

ترجمة المعذل ابن غيلان

وَالمعذل[1] : هو ابن غَيْلاَن بن الحكم بن البحترى ، وكان أبوه غيلان شاعراً أيضاً .

حدث عمارة قال : مرّ المعذل بن غيلان بعبد الله بن سَوّار العنبرى القاضى ، فاستنزله عبد الله ، وكان من عادة المعذل أن ينزل عنده ، فأبى وأنشده [من الوافر] :

أمِنْ حق المودة أن نُقضِّى ذِمامكمُ ولا تقضوا ذِمامَا

---

(١) من ثنايا ترجمة عبد الصمد بن المعذل من الأغانى (١٢ : ٥٧ - ٧٢) أخذ المؤلف ما ذكره عن أبيه المعذل

وقد قال الأديبُ مقال صدقٍ　　رآهُ الآخرون لهم إماما
إذا أكرمتكم وأهنتمونى　　ولم أغضبْ لذلكمُ فداما

قال : وانصرف ، فبكر إليه عبد الله بن سوَّار ، فقال له : رأيتك أباعبدالله مُغضَباً ، فقال : أجل ، ماتت بنتُ أختى ولم تأتنى . قال : ما علمت ذلك ، قال: ذنبك أيسرُ من عذرك ! ومالى أنا أعرف خبر حقوقك ، وأنت لا تعرف خبر حقوقى ؟ فما زال عبدالله يعتذر إليه حتى رضى عنه .

وحدث الجماز قال : هجا أبانُ اللاحقِيُّ المعذَّلَ بن غيلان ، فقال [من الخفيف] :

كنتُ أمشى مع المعذل يوماً　　ففسا فَسْوَةً فكنتُ أطيرُ
فتلفَّتُّ هل أرَى ظَرِباناً　　من ورائى والأرضُ بى تستديرُ
فإذا ليسَ غيره وإذا إعـ　　ـصارُ ذاكَ الفساء منهُ يفورُ
فتعجبتُ ثم قلتُ لقدْ أعـ　　ـرقَ فى ذَا فيما أرى خنزيرُ[1]

فأجابه المعذل بقوله [من الرمل] :

صحَّفَتْ أُمُّكَ إذ سمـ　　ـتكَ فى المهد أبانا
صيرت باء مكان التـ　　ـاء فاللهُ أعانَا[2]
قطعَ اللهُ وشيكاً　　من مسميكَ اللسانَا

وقد رُوى عن المعذل وأبيه شىء من الأخبار والحديث واللغة ليس بالكثير

ومن شعره [من الطويل] :

---

(١) فى الأغانى «لقد أعرف هذا فيما أرى خنزير» وأراه محرفا عما هنا
(٢) فى الأغانى « والله أهانا »

إلى الله أشكو لا إلى الناس أننى | أرى صالح الأعمال لا أستطيعها
أرى خَلَّةً فى إخوة وقرابة | وذى رحم ما كان مثلى يضيعها
فلو ساعدَتْنى فى المكارم قدرة | لفاضَ عليهم بالنوال ربيعها

ترجمة عبد الصمد بن المعذل

وأما ابن المعذل[1] عبد الصمد ، فكان شاعراً فصيحاً من شعراء الدولة العباسية ، وكان هَجَّاء خبيث اللسان ، شديد المعارضة ، وكان أخوه أحمد شاعرا أيضا ، إلا أنه كان عفيفا ذا مروءة ودين ، وتقدم عند المعتزلة ، وجاه واسع فى بلده وعند سلطانه لا يقاربه عبد الصمد فيه ، وكان يحسده ويهجوه ، فيحلم عنه ، وعبد الصمد أشعرهما ، ومن هجاء أحمد لأخيه عبد الصمد قوله ، وهو فى غاية الأذى مع ما فيه من اللطافة [من الرمل] :

قالَ لى أنتَ أخو الكلب وفى | ظنِّه أن قد هجانى واجتهدْ
أحمدُ الله تعالى أنهُ | ما درى أنى أخو عبد الصمدْ

* * *

من شواهد الاطناب

٧٢ — ونُنْكِرُ إن شئنا على الناس قولَهُمْ | ولا ينكرون القولَ حين نقولُ

البيت للسَّمَوْأل بن عادياء اليهودى من قصيدة[2] من الطويل ، أولها :

إذا المرء لم يَدْنَسْ من اللؤم عرضُهُ | فكل رداء يرتديه جميلُ
وإنْ هُوَ لم يحمل على النفس ضَيْمَهَا | فليس إلى حسن الثناء سبيلُ
تُعَيِّرنا أنا قليل عديدُنا | فقلت لها إن الكرام قليلُ

---

(١) فى الأصول « وما أبو المعذل عبد الصمد » محرفا عما أثبتناه ، فأبو المعذل هو غيلان بن الحكم على ما مر للمؤلف ، وعبد الصمد بن المعذل شاعر مشهور يذكر أبوه من أجله ، وقد كتب بهامش مطبوعة بولاق كلام لا يقضى العجب منه

(٢) اقرأها في الأمالى لأبى على القالى (١ — ٢٦٩)

وما قَلَّ مَنْ كانت بقاياه مثلنا ... شباب تسامت للعلا وكهولُ(١)
وإنا لَقَوْمٌ لا نرى القتل سُبة ... إذا ما رأته عامر وسلولُ(٢)
يقربُ حبُّ الموتِ آجالَنَا لنا ... وتكرهه آجالهمْ فتطولُ
وما ماتَ مِنَّا سيدٌ فى فِراشهِ ... ولاطُلَّ منَّا حيثُ كانَ قَتيلُ
تَسيلُ على حدِّ الظُّبات نفوسُنَا ... وليس على غير السُّيوف تسيلُ(٣)

إلى أن يقول فيها :

فنحنُ كماءِ الُمزن مافى نِصالنا ... كَهَامٌ ولا فِينا يعدُّ بخيلُ

وبعده البيت، وبعده :

إذا سيدٌ منَّا خلاَ قامَ سيدٌ ... قؤولٌ لما قالَ الكرامُ فعُولُ
وما أُخمِدتْ نارٌ لنا دُون طارق ... ولا ذمَّنا فى النَّازلينَ نَزيلُ
وأيامُنا مشهورَةٌ فى عدُونا ... لها غُرَرٌ معرُوفة وحُجُولُ
وأسيافُنَا فى كلِّ شرقٍ ومغربٍ ... بها منْ قِراع الدَّارعينَ فلولُ
مُعَوَّدة أنْ لا تُسلَّ نِصالها ... فتغمدَ حتى يُستباحَ قَتيلُ(٤)
سلى إنْ جهلتِ النَّاسَ عنَّا وعنهمُ ... فليسَ سواءٌ عالم وجهولُ

ومعنى البيت : إنا نُغَير ما نريد تغييره من قول غيرنا، ولا يجسر أحد على الاعتراض علينا انقيادا لهوانا واقتداء بحزمنا . يصف رياستهم، ونفاذ حكمهم، ورجوع الناس فى المهمات إلى رأيهم .

---

(١) حفظى «شباب تسامى للعلا» وهو الموافق لما فى الأمالى
(٢) في الأمالى «ما نرى القتل» وبين هذا البيت والذى قبله في الأمالى ثلاثة أبيات
(٣) فى الأمالى «وليست على غير السيوف»
(٤) فى الأمالى «يستباح قبيل» وهو الموافق لمقام الفخر

والشاهد فيه : وصفه بالاطناب بالنسبة إلى قوله تعالى (لا يسأل عما يفعل وهم يسألون) ووصف الآيات الكريمة بالايجاز بالنسبة إليه .

وفى قوله من القصيدة « وإنا لقوم لا نرى القتل سبة — البيت » نوع من البديع يسمى الاستطراد [1] ، وهو : أن يرى الشاعر أنه يريد وصف شىء وهو إنما يريد غيره ، ومنه قول الفرزدق [من الطويل] :

الاستطراد من شواهده

كأنَّ فقاحَ الأزْدِ حَوْلَ ابن مِسمعٍ إذا اجْتمعوا أفْوَاهُ بكرِ بن وائلِ

وقول جرير [من الكامل] :

لما وضعتُ على الفرزْدقِ مِيسمى وضغا البعيثُ جدعتُ أنفَ الأخطلِ

ويروى أن الفرزدق وقف على جرير بالبصرة وهو ينشد قصيدته التى هجا فيها الراعى ، فلما بلغ إلى قوله

* بها برصٌ بأسفل أسكتيها *

وضع الفرزدق يده على فيه وغطى عنفقته ، فقال جرير :

* كعَنْفقةِ الفرزْدقِ حينَ شابا *

فانصرف الفرزدق وهو يقول : اللهم اخزه ، والله لقد علمت حين بدأ بالبيت أنه لا يقول غير هذا ، ولكننى طمعت أن لا يأتى به ، فغطيت وجهى فما أغنى ذلك شيئا ، ويقال : إن يونس كان يقول : ماأرى جريراقال هذا المصراع إلا حين غطى الفرزدق عنفقته فانه نبهه عليه بتغطيته إياها .

ومن الاستطراد قول أبى تمام فى وصف فرس [من البسيط] :

فلوْ تراهُ مُشيحاً والحصا فِلَقٌ تحت السنابكِ مِنْ مَثْنَى ووُحدانِ

---

(١) انظر كتاب العمدة لابن رشيق (٢ ـ ٣٧ بتحقيقنا) فأكثر ما ذكر المؤلف هنا من شواهد هذا الفن مروية هنالك ، ثم انظر خزانة ابن حجة (٥٦) ونفحات الأزهار للنابلسى (١٥٠)

حَلَفْتَ إنْ لم تَثَبَّتْ أنَّ حافِرهُ   من صخْرِ تدْمُرَ اوْ منْ وجهِ عثمانِ

وقول بكر بن النطاح (١) فى مالك بن طوق [من الطويل]:

عرضتُ عليها ما أرادتْ منَ الْمُنى   لتَرْضَى فقالتْ قمْ فجئنى بِكوكبِ

فقلتُ لها هـذا التَّعنُّتُ كلُّه   كَمَن يشتهى منْ لحم عنْقاء مُغْربِ (٢)

سلى كلَّ أمرٍ يستقيمُ طِلاَبهُ   ولا تذْهبى يادرَّ بى كلَّ مذهبِ

فأقسمُ لوْ أصبحتُ فى عزِّ مالكٍ   وقدرتهِ أعْيا بِما رُمتِ مطلبى

فتى شقيَتْ أمـوالُه بعفـاتهِ   كما شقيتْ قيسٌ بأرماح تغلبِ

وقول بعضهم يمدح الوزير المهلبى [من الخفيف]:

بأبى منْ إذا أرادَ سِرارى   عَبَّرَتْ لى أنفاسهُ عنْ عبيرِ

وسبانى ثغرٌ كُدرٍّ نظيمٍ   تحتـهُ مَنْطقٌ كَـدرٍّ نثيرِ

ولهُ طَلْعـةٌ كنيْلِ الأمانى   أوْ كشعر الْمهلبى الوَزيرِ

وقول أبى الطاهر الخزاعى (٣) [من الطويل]:

وليلٍ كوجهِ الْبَرْقعيدى ظُلمةً   وبردِ أغانيـهِ وطول قُرُونه (٤)

---

(١) في الأصل «أبى بكر النطاح» محرفا

(٢) في العمدة «كمن يتشهي لحم عنقاء مغرب»

(٣) قد نسب هذه الأبيات ابن حجة الحموى فى خزانة الأدب (٥٦) إلى أبى محمد بن مكرم، ونسبها صاحب نفحات الأزهار (١٥٠) نقلا عن الباخرزى فى الدمية إلى الظـاهر الحرصى، وقـد بحثت فى دمية الباخرزى من أوله إلى آخره فلم أعثر عليها، وظاهر أن أحد العلمين اللذين نسب الشعر إليهما هنا وفى النفحات محرف عن الآخر

(٤) فى الأصول «وبردا أغانيه» محرفا من وجهين، وما أثبتناه موافق لما فى خزانة الأدب لابن حجة الحموى

قَطَعْتُ دَيَاجيه بنومِ مُشرَّدٍ كعقل سُليمانَ بن فَهْدٍ ودِينهِ (١)
على أوْلَقٍ فيهِ التفاتٌ كأنهُ أبو جابرٍ فى خبْطه وجنونهِ (٢)
إلى أنْ بدا ضوء الصباح كأنهُ سنا وجهِ قِرْواشٍ وضوء جبينهِ

وقول إسحاق بن إبراهيم يهجو أحمد بن هشام [من الطويل] :

وصافيةٍ يغشى العُيونَ صفاؤها رهينــةِ عامٍ فى الدِّنان وعامِ
أدَرْنابها الكأسَ الرَّويَّةَ مَوْهِناً منَ اللّيلِ حتى انجابَ كلُّ ظلامِ
فما ذرَّ قرْنُ الشَّمس حتى رأيتُنا منَ العىِّ نحكى أحمدَ بنَ هِشامِ

وقول الحسين بن على القمى (٣) [من الكامل]

جاوزتُ أجبالاً كأنَّ صخورها وَجَنَاتُ نجم ذِى الحياء الباردِ
والشَّوْكُ يعملُ فى ثيابى مِثلَ ما عملَ الهجاء بعرض عبدِ الواحدِ (٤)

وقول أبى الفرج الببغاء (٥) [من الطويل] :

لنا روْضة فى الدّار صيغَ لزهرها قلائدُ مِنْ حلى النّدَى وشُنُوفُ (٦)
يطيفُ بنا مِنها إذا ما تنفستْ نسيمٌ كعقل الخالدِىِّ ضعيفُ

ومن ظريف الاستطراد وغريبه قول بعضهم [من الخفيف] :

اكْشفى وجهكِ الذِى أوْ حلَتْنى فيهِ منْ قبل كَشْفهِ عينــاكِ

---

(١) فى الخزانة * قطعت فنومى عن جفونى مشرد *
(٢) الذى فى الخزانة * بذى أولق فيه اعوجاج .... * وهو خير مما هنا
(٣) رواهما ابن حجة فى الخزانة (٥٦)
(٤) فى الخزانة « يفعل . . . فعل الهجاء »
(٥) نسبهما ابن حجة (٥٧) إلى السرى الرفاء
(٦) فى الأصول « قلائد من حمل الندى » وما أثبتناه موافق لما فى الخزانة

غَلَطِي فى هواكِ يشبه عندِي غَلَـطى فى أبى على بن زاكى

وقول أبى بكر الخوارزمى [من الطويل] :

وصفراء كالدينار بنتِ ثلاثةٍ شَمَالٍ وأنْهار ودهرٍ مُجرّمِ
مَسَرّةِ محزونٍ وعُذْر مُعربدٍ وكنز مجوسىٍّ وفتنةِ مُسلمِ
مماتٌ لأحياء حياةٌ لميتٍ وعُدْمٌ لمن أثرَى ثراءٌ لمعدمِ
يدورُ بها ظبىٌ تدورُ عيونُنا على عينه من شرطِ يحيى بن أكثم
ينزّهنا منْ ثغرهِ ومُـدامه وخدّيه فى شمسٍ و بدرٍ وأنجُم
نهضتُ إليها والظّلَام كأنهُ معاشُ فقيرٍ أوْ فؤاد معلّم

وقوله [من الكامل] :

ولقدْ بكيتُ عليكَ حتىقدْ بدَا دَمعى يُحاكِى لفظكَ المنظوما
ولقد حزنتُ عليكَ حتىقد حكى قلبى فؤادَ حسُودِكَ المحموما

ومنه قول ابن رشيق وكتب به إلى بعض الرؤساء [من المقتضب] :

إنى لَقيتُ مَشقّهْ فابعث إلىَّ بشُقّهْ
كمثلِ وجهـك حسناً ومثـلِ دينىَ رقهْ

فقال له الرئيس : أما مثل دينك رقة فلا يوجد بوزن أمثال رمال الرقة

ولشرف الدين ابن عنين الشاعر على هذا الأسلوب فى فقيهين كانا بدمشق يدعى أحدهما بالبغل والآخر بالجاموس [من الـكامل] :

البَغلُ والجاموسُ فى جدَليهمـا قد أصبحا عظةً لـكل مُناظرِ
برزَا عَشيَّة ليـلةٍ فتباحثَا هـذا بقرْنَيْهِ وذَا بالحافرِ
ما أتقنا غيرَ الصيَّاح كأنما لقيا جدالَ المرْتضى بن عساكر
لفظٌ طويلٌ تحتَ معنى قاصرٍ كالعقل فى عبدِ اللّطيف النّاظر

اثنان مالَهُمَا وحقكَ ثالثٌ إلاّ رَقاعة مدْلَوِيهِ الشاعر

ومنه قول ابن جابر الأندلسى [من الطويل] :

تطولُ بهِ للمجدِ أشرفُ هِمةٍ فما باعهُ عنْ غايةٍ بقصير

سما لاقتناص المكرُمات كاسمَا بعمرٍو إلى الزّبَّاء سعىُ قصير

وقوله أيضاً [من الطويل] :

سراةٌ كرامٌ من ذُؤابةِ هاشمٍ يقولونَ للأضيافِ أهلاً ومَرْحبَا

ويفعلُ فى فقر المُقلّينَ جودهمْ كفعل علىٍّ يومَ حاربَ مَرْحبَا

ترجمة السموأل

والسموأل (١) : هو ابن غريض (٢) بن عادياء ، ذكر ذلك أبو خليفة عن محمد بن سلام والسكرى عن الطوسى وأبى حبيب ، وذكر أن النـاس يدرجون غريضاً فى النسب وينسبونه إلى عادياء جده ، وقال عمرو بن شيبة : هو السموأل ابن عادياء ، ولم يذكر غريضا ، وقد قيل : إن أمه كانت من غسان ، وكلهم قال: إنه صاحب الحصْن المعروف بالأبلق بتَيْماء ، وقيل : بل هو من ولد الكاهن بن هارون بن عمران ، وكان هذا الحصن لجده عادياء واحتفر فيه بئراً عذبة روية ، وقد ذكرته الشعراء فى أشعارها ، قال السموأل [من المتقارب] :

فبالأبلق الفردِ بيتى بهِ وبيت النضير سوَى الأبلق

وكانت العرب تنزل به فيضيفها ، وتمتار من حصنه ، ويقيم هناك سوقا . وبه يضرب المثل فى الوفاء لأنه رضى بقتل ابنه ولم يخن أمانته فى أدراع أودعها وكان السبب فى ذلك أن امرأ القيس بن حجر الكندى لما سار إلى الشام يريد قيصر نزل على السموأل بن عادياء بحصنه الأبلق بعد إيقاعه ببنى كنانة على أنهم

---

(١) له ترجمة فى الأغانى (١٩ ــ ٩٨)

(٢) فى الأصول «عريض» بالعين مهملة فى كل المواضع، وما أثبتناه موافق لما فى الأغانى.

بنو أسد وكراهة من معه لفعله، وتفرقهم عنه، حتى بقى وحده واحتاج إلى الهرب ، وطلبه المنذر بن ماء السماء و وَجَّه إلى طلبه جيوشا ، وخذلته حمير وتفرقت عنه ، فلجأ إلى السموأل بن عادياء ، وكان معه خمسة أدراع : الفضفاضة ، والضافية ، والمحصنة ، والخريق (١) ، وأم الذيول . وكانت لبنى آكل المرار يتوارثونها ملك عن ملك، ومعه ابنته هند ، وابن عمه يزيد بن الحارث بن معاوية بن الحارث ، وسلاح ومال وكان بقى مما (٢) كان معه رجل من بنى فزارة يقال له الربيع ، وهو الذى قال فيه امرؤ القيس [من الطويل] :

بكى صاحبى لما رَأى الدَّربَ دُونهُ ... وأيقنَ أنَّا لا حِقانِ بقيْصرَا

فقلتُ لهُ لا تبْكِ عينُكَ إنما ... نحاولُ ملكاً أو نموتَ فنعذرَا

فقال له الفزارى : قل فى السموأل شعراً تمدحه به فان الشعر يعجبه ، فقال فيه امرؤ القيس قصيدته التى مطلعها [من الكامل] :

طَرَقَتْكَ هند بعدَ طولِ تجَنُّبِ ... وَهْناً ولم تكُ قبلَ ذلكَ تطرقُ

فقال له الفزارى : إن السموأل يمنع منها (٣) وهو فى حصن حصين ومال كثير ، فقدم به على السموأل وعرفه إياه وأنشده الشعر ، فعرف لهما حقهما ، وضرب على هند قبة من أدم ، وأنزل القوم فى مجلس له ، فأقاموا عنده ماشاء الله ثم إن امرأ القيس سأله أن يكتب له إلى الحارث ابن أبى شمر الغسانى

---

(١) فى الأصول «الحريق» بالحاء مهملة ، وأثبتنا ما فى الأغانى

(٢) من حق التعبير أن يقول «ممن كان معه» ولكنه أخذ عبارة الأغانى وأسقط منها كلمات فجاءت العبارة كما ترى ، وأصل العبارة في الأغانى «وسلاح ومال كان بقى معه ، ورجل من بنى فزارة ـ إلخ»

(٣) فى الأصول «يمنع منك» وما أثبتناه عن الأغانى ، وفيه زيادة « حتى ترى ذات عينيك » والمعنى أنه يحميها إلى أن تعود بنفسك

أن يوصله إلى قيصر ، ففعل ، واستصحب رجلا يدله على الطريق ، وأودع ابنته وماله وأدراعه السموأل ، ورحل إلى الشام ، وخلف ابن عمه مع ابنته هند .

قال : ونزل الحارث بن ظالم فى بعض غاراته بالأبلق ، ويقال : بل كان المنذر وَجَّهه فى خيل وأمره بأخذ مال امرىء القيس من السموأل ، فلما نزل به تحصن منه ، وكان له ابن قد يَفَعَ وخرج إلى قَنَصٍ له ، فلما رجع أخذه الحارث بن ظالم ، ثم قال للسموأل : أتعرف هذا ؟ قال : نعم هذا ابنى ، فقال : أفتسلم ما قبلك أو أقتله ؟ قال : شأنك به فلست أخفر ذمتى ولا أسلم مال جارى ، فضرب الحارث وسط الغلام فقتله وقطعه قطعتين ، وانصرف عنه ، فقال السموأل فى ذلك [من الوافر] :

وفيتُ بأدْرعِ الكنديِّ إنى إذا ما ذمَّ أقوامٌ وفيتُ
وأوْصى عادِيا يوماً بِأن لا تُهدِّمَ يا سموألُ ما بنيتُ
بنى لى عادِيا حِصناً حصيناً وبئراً كلما شئتُ استقيْتُ

وفى ذلك يقول الأعشى — وكان قد استجار بشريح بن السموأل من رجل كَلْبي قد هجاه ، ثم ظفر به فأسره وهو لا يعرفه ، فنزل بابن السموأل فأحسن ضيافته ، ومر بالأسرى فناداه الأعشى من جملة أبيات [من البسيط] :

كنْ كالسموأل إذْ طافَ الهمامُ بهِ فى عسكر كسوادِ الليْل جرَّار
إذ سامهُ خُطَّتَىْ خَسْفٍ فقالَ لهُ قُل ما تشاءُ فإنى سامعٌ حارِ[1]
فقال غَدْرٌ وثُكلٌ أنتَ بينهما فاخترْ ، وما فيهما حَظٌّ لمختار
فشكَّ غيرَ طويلٍ ثمَّ قال لهُ اقتلْ أسيرَكَ إنى مانعٌ جارى

(١) فى الأصول « فانى سامع جارى » محرفا ، وما ثبتناه موافق لما فى الأغانى ، وحار : مرخم حارث

وسوف يُعقبنيهِ إنْ ظفرْتَ بهِ   ربٌّ كريمٌ وبيضٌ ذاتُ أطْهار
لا سرُّهنَّ لدَينا ذاهبٌ أبداً   وحافظاتٌ إذا استُودِعْنَ أسراري(١)
فاختارَ أدْراعهُ كيلا يُسَبَّ بها   ولم يكنْ وعدهُ فيها بختَّار

فجاء شريح إلى الكلبي فقال له : هب لى هذا الأسير المضرور ، فقال : هو لك ، فأطلقه ، وقال له : أقم عندى حتى أكرمك وأجيزك ، فقال له الأعشى: إن تمام صنيعك أن تعطينى ناقة نَجِيَّة ، فأعطاه ناقة نَاجِيَة ، فركبها ومضى من ساعته ، و بلغ الكلبي أن الذى وهب لشريح هو الأعشى ، فأرسل إلى شريح : ابعث إلى الأسير الذى وهبته لك حتى أحبوه وأعطيه ، فقال : قد مضى، فأرسل الكلبي وراءه فلم يلحقه

وشعية بن غريض(٢) أخو السموأل شاعر أيضا ، ومن شعره [من السريع] :

إنا إذا مالتْ دَواعي الهوَى   وأنصتَ السّامعُ للقائل
لا نجعلُ الباطلَ حقًّا ، ولا   نُلِظُّ دُون الحق بالباطل(٣)
نخاف أنْ تَسْفَهَ أحلامُنَا   فنخملَ الدَّهرَ معَ الخامل

عن العتبى قال : كان معاوية رضى الله عنه كثيرا مايتمثل إذا اجتمع الناس فى مجلسه بهذا الشعر

وعن يوسف بن الماجشون قال : كان عبد الملك بن مروان إذا جلس للقضاء بين الناس أقام وصيفا على رأسه فأنشده هذه الأبيات ، ثم يجتهد فى الحق بين الخصمين .

---

(١) فى الأصول « لاتشرهن لدنيا » محرفا من عدة وجوه وما أثبتناه موافق لما فى الأغانى

(٢) فى الأصول «وسعيد بن عريض» محرفا عما أثبتناه موافقا لما فى معجم الشعراء للمرزبانى ، ووقع فى الأغانى « سعية بن غريض » بالسين المهملة ، وهو تحريف أيضا .

(٣) فى الأصول « نلط » بالطاء مهملة

قد تم — بعون الله تعالى وحسن تيسيره — طبع الجزء الأول من كتاب «معاهد التنصيص، على شواهد التلخيص» للشيخ عبد الرحيم بن أحمد العباسيّ ويتلوه — إن شاء الله تعالى — الجزء الثانى، مفتتحاً بشواهد الفن الثانى، وهو علم البيان، نسأل الذى بيده مقاليد الأمور أن يعين على إكماله، ويُيَسِّر سبيل اختتامه، آمين ؟

١ — فهرست بالموضوعات البلاغية

التى وردت الشواهد لإيضاحها

أولا — فى الجزء الأول

فهرست الموضوعات البلاغية